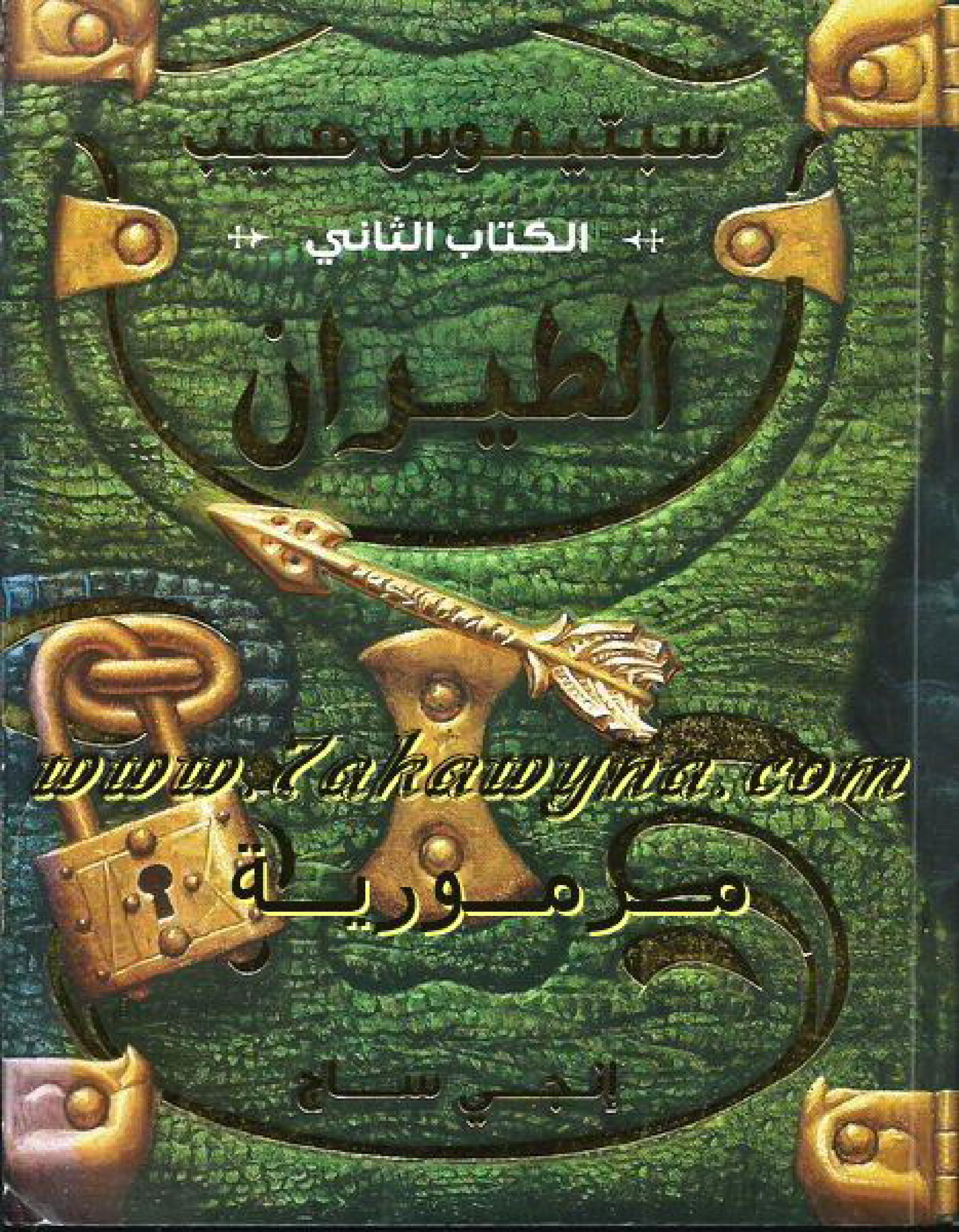

سبتيموس هيب
الكتاب الثاني
الطيران
www.7akawyna.com
مرمورية
إنجي ساج

سبتيموس هيب
الكتاب الثاني

ملحمة تفعمها العجائب والغرائب والتعاويذ السحرية والمفاجآت، وعالم فريد ثري بالتفاصيل المدهشة، ندعوك لتدخله، ولن ترغب في مغادرته أبدا!

صدر منها:

1- السحر
2- الطيران

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
www.nahdetmisr.com

سبتيموس هيب

الكتاب الثاني

الطيران



إنجي ساج

رسوم مارك زوج

نهضة مصر

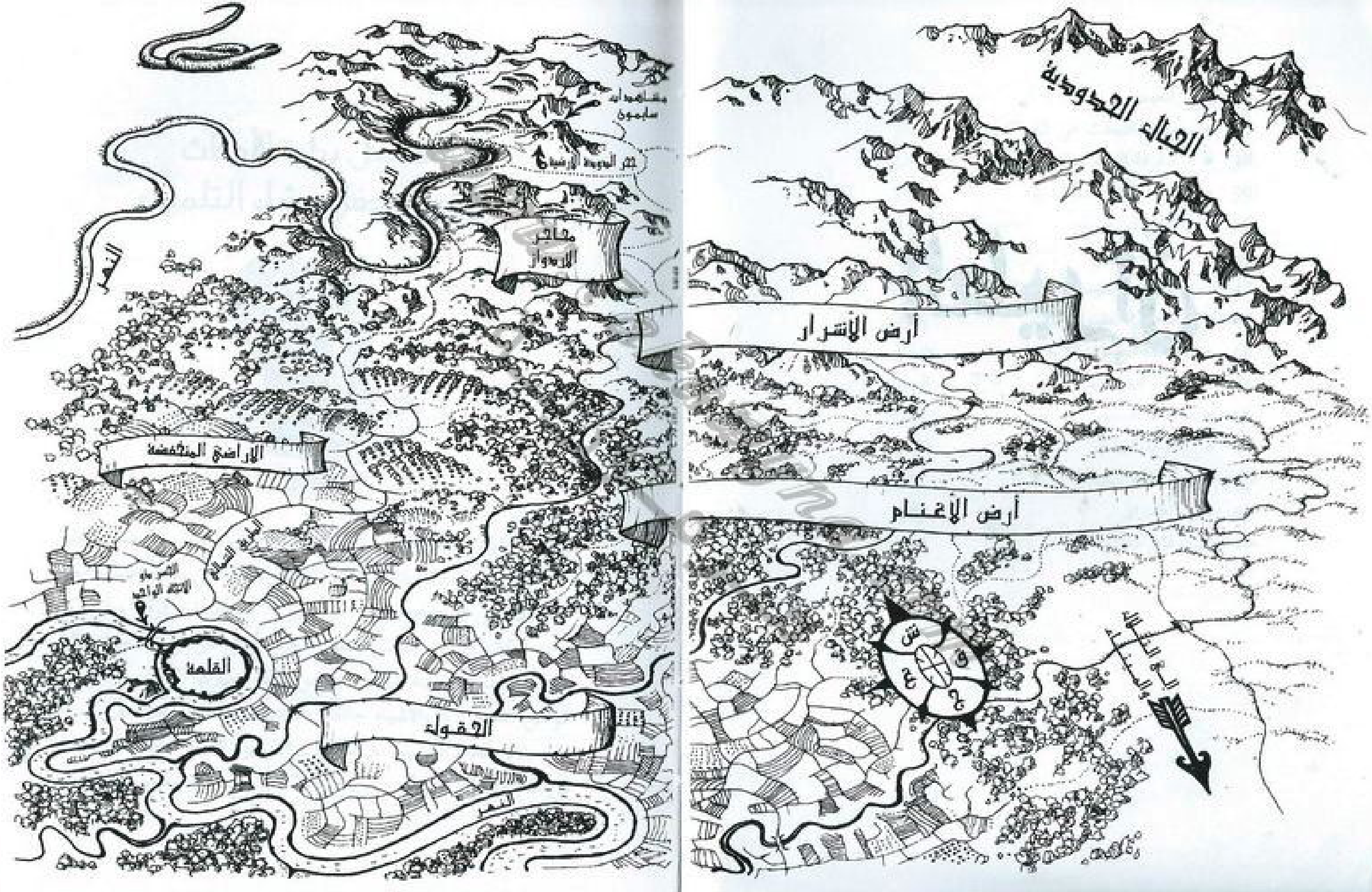
إلى لوري

التي أمدتني بفكرة كائنات المأجوج.

أهدي إليك هذا الكتاب، مع حبي وتقديري

محتوى الكتاب

الطيران


الجبال الحدودية
أرض الأشرار
أرض الأغنام
الأراضي المنخفضة
القلعة
الحقول
النهر

سنة قبل بداية الأحداث
في ليلة «حفل عشاء التلميذ»



كان *الليل قد حلّ في مستنقعات مرام*، والبدر يلقي نورًا ساطعًا على المياه الداكنة كاشفًا تلك **الأشياء** الليلية التي بدأت عملها. خيم السكون على الأجواء، تخترقه من حين لآخر أصوات قرقرة وبقبقة مع توجه الكائنات التي تعيش أسفل سطح «أرض الوحل المتحرك» إلى الحفل؛ فهناك سفينة ضخمة بكامل طاقم بحارتها غرقت في «أرض الوحل المتحرك»، والأشياء جائعة - لكنها ستضطر للدخول في صراع على بقايا حُطام السفينة مع الجنيات الصغيرة السمراء التي تعيش هنا في هذا المكان. كان يُرى بين حين وآخر فقاقيع غازية تخرج إلى السطح

وتقذف معها أجزاء من السفينة، فتطفو على سطح الوحل ألواحًا وقوائم خشبية ضخمة مغطاة بطبقة سميكة من القار الأسود.

وعلى الرغم من أن الليل في مستنقعات مرام ليس وقتًا يصلح لخروج أي إنسان فيه، كان ثمة شخص على متن زورق صغير على مسافة قريبة، يجدف بثبات متجهًا نحو السفينة، شعره الأشقر المجعد ملبد من فرط رطوبة الجو، وعيناه الثاقبتان ذواتا اللون الأخضر تحدقان بغضب إلى الظلام. كان يهمهم بحنق وهو يستعرض مرة تلو أخرى الجدال العنيف الذي دخل فيه هذه الليلة، ثم تساءل في سره: لماذا يُشغل باله أصلًا بكل هذا؟ فهو مُقدمٌ على حياته الجديدة؛ حياة يُعترف فيها بمواهبه، لا أن يُداس عليها من أجل ذلك «مُحدث النعمة» التافه.

ومع اقترابه من الشيء الوحيد الذي بات هو كل ما يُرى من السفينة – وهو صارٍ بائس يبرز من الوحل، يعلوه علم أحمر تصطف عليه ثلاث نجمات سوداء – أدار دفة الزورق إلى قناة ضيقة سوف تقوده إلى قاعدة الصاري. سرت في جسم الجالس على متن الزورق رجفة ليست من البرد، بل من إحساسه بالخوف الذي يخيم على الأجواء، ورجفة التفكير في أن بقايا هيكل السفينة تقبع أسفله الآن بعد أن أجهزت عليها الجنيات الصغيرة السمراء. بدأ حطام السفينة يبطئ من سرعة الزورق، وأخذ الجالس على متنه يدفع به إلى الأمام؛ إلى أن وجد نفسه فجأة مجبرًا على التوقف؛ فهناك شيء أسفل سطح الماء يسد الطريق عليه، نظر بإمعان في المياه الموحلة الآسنة، في أول الأمر لم ير شيئًا، لكنه لاحظ

بعد ذلك شيئًا تحت سطح الماء بدا في نور القمر أبيض كالثلج، إنه يتحرك، يتحرك لأعلى. وفجأة، اخترق سطح الماء هيكل عظمي، أجهزت الجنيات الصغيرة السمراء على صاحبه، مرسلًا معه نافورة من المادة السوداء اللزجة سقطت على رأس الجالس بمتن الزورق.

وبمزيج من الخوف والإثارة، ترك هذا الجالس الفرصة للهيكل العظمي لأن يصعد متن الزورق ويستقر خلفه، ويجلس لاصقًا عظمتي ركبتيه في ظهره. فقد علم الجالس على متن الزورق من الخاتم الذي لا تزال الأصابع العظمية تلبسه أن هذا هو ما كان يأمل العثور عليه؛ إنه الهيكل العظمي لدومدانيال نفسه، **النكرومانسر**، و«الساحر الأعظم» لمرتين على التوالي، وفي رأي الجالس على متن الزورق، هو في عظم شأنه يفوق كثيرًا جميع السحرة الذين قابلهم في حياته! وإنه على وجه الخصوص أعظم شأنًا من تلك الساحرة التي كان مجبرًا على مشاركتها «حفل عشاء التلميذ».

عقد الجالس على متن الزورق صفقة مع الهيكل العظمي، مفادها أنه سوف يبذل قصارى جهده كي **يعيد** الهيكل العظمي إلى الحياة ويمكّنه من استعادة مكانه الشرعي في برج السحرة، مقابل شرط واحد فقط ألا وهو أن يقبل الهيكل العظمي أن يجعله تلميذه، فأومأ الهيكل العظمي بجمجمته، وتمت الصفقة.

وهكذا، استأنف الزورق رحلته بتوجيهات من عظام سبابة الهيكل العظمي المتعجلة ووخزاتها في ظهر الجالس على متن الزورق. وأخيرًا،

وصل الزورق إلى أطراف المستنقع، وهنالك نزل الهيكل العظمي من على متنه ، وقاد الشاب طويل القامة أشقر الشعر إلى أقطع مكان رآه في حياته. فكر الشاب بسرعة، وهو يسير في ركب الهيكل العظمي المتثاقل في مشيته وسط منظر موحش، في هؤلاء الذين تركهم وراءه ، لكن لم يدم ذلك سوى لحظات؛ فهو الآن على أعتاب حياته الجديدة، وسوف يفاجئهم جميعًا بما سيفعله، وحينها سوف يندمون خاصة حين يصبح هو نفسه الساحر الأعظم.

I

العناكب



ملأ سبتيموس هيب برطمانًا بستة عناكب، ثم أغلق غطاءه ووضعه خارج الباب، ثم أخذ المكنسة وواصل تنظيف المكتبة الهرمسية.

كانت المكتبة ضيقة بشكل مزعج ومظلمة، يضيئها قليل من الشموع العريضة التي تطقطق وتبقبق، وتنبعث منها رائحة غريبة – فيها مزيج من البخور والورق العتيق والجلد المتعفن. لكن سبتيموس كان يعشق المكتبة؛ فهي مكان سحري مبنيٌّ أعلى سطح برج السحرة ومخفي عن الأنظار في

أعماق «الهرم الذهبي» الذي يتوج البرج. وفي الخارج، أخذ الذهب الخالص الذي يتكون منه الهرم يلمع في ضوء شمس أول الصباح.

بعد أن انتهى سبتيموس من الكنس، أخذ يتنقل بين الأرفف بتأنٍّ، وهو يدندن في سره بابتهاج أثناء ترتيبه الكتب وقطع الرَّق والتعاويذ **السحرية** التي تركتها مارشا أوفرستراند كالعادة في حالة من الفوضى العارمة، وكان سبتيموس، والذي يبلغ من العمر الآن أحد عشر عامًا، يختلف مع معظم الفتيان الذين هم في مثل سنه والذين كانوا سيفضلون الخروج في صباح يوم تسطع فيه الشمس كما تسطع اليوم – يعتبر نفسه في مكانه المفضل عندما يكون في المكتبة، خاصة أنه قضى ما يكفي من صباح أيام صيف – وشتاء أيضًا – في الخارج، خلال السنوات العشر الأولى من عمره، كجندي في جيش الشباب باسم الفتى 412.

وكانت مهمة سبتيموس – باعتباره تلميذًا للساحرة العظمى – **أن** يرتب المكتبة صباح كل يوم، وفي كل صباح كان يجد شيئًا جديدًا ومثيرًا، وغالبًا ما يكون ذلك شيئًا تركته مارشا خصيصًا له، **رقية** مثلًا وقعت عليها في الليلة السابقة مصادفةً ورأت أنها قد تثير اهتمامه؛ أو كتاب تعاويذ قديمًا، صفحاته مطوية عند أركانها أخذته من فوق أحد الأرفف **المخبأة**. لكن اليوم اعتقد سبتيموس أنه عثر على شيء بنفسه؛ كان شيئًا ملتصقًا أسفل شمعدان نحاسي ثقيل، يبدو شكله مقززًا نوعًا ما؛ فهو ليس من الأشياء التي تحب مارشا أن تلطخ يديها بها. وبحرص شديد، أخذ يتأمَّل هذا المربع البني اللزج، ثم نزعه من قاع الشمعدان ووضعه في راحة يده، وبدأ يتفحص غنيمته التي أثارت حماسه، لا

يساوره أدنى شك في أنها وصفة **مذاق سحري**! فقد بدا له القرص البني المربع السميك كأنه قطعة من الشيكولاتة القديمة ورائحته تشبه رائحتها، وكان واثقًا – إلى حد بعيد – من أن مذاقها لن يختلف عن ذلك، وإن كان لن يخاطر ويحاول تذوقها؛ فهناك احتمال أن تكون **تعويذة** سُم سقطت من الصندوق الكبير المكتوب عليه: «**سموم زعافة وسموم ثعابين وسموم أساسية**»؛ حيث كان الصندوق يتأرجح على الرف الأعلى.

أخرج سبتيموس عدسة مكبرة صغيرة الحجم من حزام التلامذة الذي يرتديه، وتفحص بها الكتابة المدونة فوق المربع بخط أبيض رفيع. كانت الكلمات تقول:

خذني ورجني

واليك ما سوف أقوم به:

سوف أحول ما تريد إلى شيكولاتة

علا وجه سبتيموس ابتسامة عريضة؛ فقد كان محقًّا – وهو عادة ما يكون محقًّا حينما يتعلق الأمر **بالسحر** – في أنها بالفعل **وصفة مذاق سحري**، بل إنها، لحسن حظه، كانت **وصفة سحرية** بمذاق الشيكولاتة، وعلى الفور كان قد حدد بالفعل من هو ذلك الشخص الذي ستكون هذه القطعة من نصيبه، وابتسم، ثم دس **الوصفة السحرية** في جيبه.

أوشك سبتيموس على الانتهاء من عمله في المكتبة، وما إن تسلق السلم ليرتب الرف الأخير حتى وجد نفسه وجهًا لوجه مع أضخم

عنكبوت رآها في حياته وأغزرها شعرًا. ازدرد سبتيموس لعابه؛ فلولا إصرار مارشا على تخلصه من كل العناكب التي يعثر عليها، لكان قد ترك هذه العنكبوت لحال سبيلها. وهو واثق تمامًا من أن هذه العيون الثماني الجاحظة تحاول بنظراتها المحدقة به أن تجعله يبتعد فزعًا، كما أن منظر الأرجل الثماني الطويلة المشعرة لم يعجبه أيضًا، بل بدت له هذه الأرجل في واقع الأمر وكأنها تخطط للانطلاق جريًا داخل كُمّه لو لم يمسك بها على الفور.

وفي لمح البصر، كانت العنكبوت أسيرة في قبضته، وأخذت تقاوم وهي تخربش بحنق في أصابعه المتسخة، تحاول بكل جهد ومشقة أن تبسطها بأرجلها التي بدت على غير المتوقع أرجلًا قوية. لكن سبتيموس أمسكها بقوة، وبسرعة نزل السلم، ومرّ بالفتحة الصغيرة التي تُفتح على السطح الذهبي للهرم، لكن ما إن وصل إلى أسفل السلم حتى لدغت العنكبوت السطح الداخلي لإبهامه.

صاح سبتيموس متألمًا: «آه آه!».

وأمسك برطمان العناكب بيد وفتح غطاءه بالأخرى، ثم أسقط فيه هذا الكائن الذي ألقى الرعب في نفوس العناكب الستة الأخرى الموجودة في البرطمان، وأغلق بعد ذلك البرطمان بإحكام بقدر ما أتاح له أصبعه الذي بدأ يعتصره ألم شديد، حريصًا على ألا يسقط منه البرطمان الذي بدأت فيه الآن العنكبوت الضخمة غزيرة الشعر تطارد العناكب المتبقية بداخله. خرج سبتيموس مسرعًا من المكتبة هابطًا السلالم الحجرية الضيقة الملتفة التي تصل بين المكتبة وجناح الساحرة العظمى السيدة

مارشا أوفرستراند، ثم مرّ سريعًا أمام الباب ذي اللونين الأرجواني والذهبي لغرفة نومها، والذي كان موصدًا، ثم مرّ سريعًا بغرفته هو، وانطلق جريًا لمسافة قصيرة متوجهًا إلى الغرفة الصغيرة الخاصة بالجرعات المجاورة لمكتب مارشا. نحّى سبتيموس البرطمان جانبًا، وبدأ يتفحص أصبعه. بدا له منظره سيئًا وقد علاه لون أحمر قاتم، كما بدأت بعض البقع الزرقاء الغريبة تظهر على يده، وبدأت اللدغة تؤلمه. فتح سبتيموس دولاب الأدوية بسرعة بيده السليمة، فوجد فيه أنبوبًا يحتوي على **ترياق العناكب**، فأفرغ محتواه بالكامل على إبهامه. لكن لم يبدُ الترياق مجديًا، بل في الواقع ازداد الأمر سوءًا، وأخذ سبتيموس يحدق إلى أصبعه الذي بدأ يتورم وينتفخ وبدا كأنه على وشك الانفجار في أي لحظة.

كانت مارشا أوفرستراند التي عينت سبتيموس تلميذًا لها – منذ نحو عام ونصف العام – قد وجدت العناكب في انتظارها لدى عودتها منتصرةً إلى برج السحرة، بعد أن أطاحت **بالنكرومانسر** دومدانيال من منصبه كساحر أعظم، والذي كان قد تقلده لفترة قصيرة للمرة الثانية. وعلى الرغم من أن مارشا **نظفت** برج السحرة تمامًا من **السحر الأسود** وأعادت إليه السحر فإنها لم تتمكن من التخلص من العناكب، وهو أمر يزعجها؛ لعلمها بأن وجود تلك العناكب هو بلا شك علامة على أن **السحر الأسود** لم يتلاشَ بالكامل من البرج.

ففي بادئ الأمر، عندما عادت مارشا إلى البرج، لم يسترع انتباهها من فرط انشغالها وجود بعض الأمور الغريبة حولها – فيما عدا العناكب. فقد أصبح لديها ولأول مرة تلميذ لابد أن تفكر في أمره، ولديها أسرة هيب –

المقيمة الآن في القصر – التي عليها أن تدبر أمرها، وأمامها مجموعة من السحرة العاديين تحتاج أن تصنفهم وتعيد توطينهم في البرج مرة أخرى. لكن بعد أن مرّ أول صيف على سِبتيموس في برج السحرة، بدأت مارشا تلاحظ أن هناك **وجودًا شيطانيًا** يلاحقها. في بادئ الأمر، ظنت أنها تتوهم؛ لأن كل مرة تلتفت فيها وتلقي نظرة من فوق كتفها كانت لا تجد شيئًا، ولم تدرك أن الموضوع لم يكن وهمًا إلا عندما قال لها ألثر ميلا، وهو شبح معلمها والساحر الأعظم السابق، إنه هو أيضًا يرى شيئًا، فتأكدت بذلك أن هناك بالفعل **ظلاً شيطانيًا** يتبع خطاها.

ومن ثم، ظلت مارشا طوال العام السابق تصنع **واقي الظلال**، تركّبه قطعةً قطعةً، ولقد أوشك الآن على الاكتمال، وهو يقف الآن في أحد أركان الغرفة، على هيئة مجموعة متشابكة من القضبان السوداء اللامعة المصنوعة من **ملجم** خاص صنعه البروفيسور ويزل فان كلامف. أخذ يتلاعب حول قضبان **واقي الظلال** ضباب أسود غريب، ينطلق من بينه كل حين وميض من الضوء البرتقالي! لكن الواقي على أية حال كان على وشك اكتمال صُنعه، وعما قريب سوف تستطيع مارشا أن تدخل فيه مع **الظل** الآخر الذي يتبعها، ثم تخرج هي تاركةً ذلك **الظل** في الداخل وهكذا. وكما أملت، سوف يتخلص البرج نهائيًا من **الوجود الشيطاني**.

كان سِبتيموس يحدق إلى أصبعه الذي تورم حتى تضاعف حجمه مرتين وتحول لونه إلى أرجواني بغيض عندما سمع باب مكتب مارشا يُفتح.

قالت مارشا قاصدةً أن تُسمعه صوتها: «سوف أخرج الآن يا سِبتيموس؛ إذ لابد أن أذهب لأجلب قطعة أخرى من قطع **واقي الظلال**، لقد اتفقت مع ويزل على أنني سوف أمرُّ عليه صباح اليوم، فهذه القطعة تكاد تكون الأخيرة، ولن يتبقى بعد ذلك إلا **السدادة**، وحينها سوف ينتهي أمره، وداعًا **أيها الظل**».

«آه آه آه» تأوه سِبتيموس من الألم.

فنظرت من الباب بريبة، وقالت: «ماذا تفعل هنا في غرفة الجرعات؟»، ثم وقعت عيناها على يده، فقالت بانزعاج: «يا للهول! ما هذا الذي فعلته؟ هل أحرقت نفسك من جديد بعمل **تعويذة نار**؟ اسمع يا سِبتيموس، أنا لا أريد أن أرى من الآن فصاعدًا أية ببغاوات ريشها محروق هنا، إن رائحة الريش مقززة، ثم ما ذنب الببغاء المسكين في كل هذا؟ هذا ظلم».

فهمهم سِبتيموس وهو يتأوه: «آه! لقد حدث ذلك عن طريق الخطأ، لقد قصدت حينها أن أحضر **تعويذة طائر ناري**، وأي شخص معرض لذلك.. آه.. لقد لدغت».

دخلت مارشا الغرفة، وكان في وسعه أن يرى غشاوة من الضباب الخفيف في الهواء مع متابعة **الظل** لها فانحنت وراحت تتفحص أصبع سِبتيموس، وعباءتها الأرجوانية تكاد تغطيه. كانت مارشا طويلة القامة، ذات شعر أسود طويل مجعد، وعينين تشعان بريقًا أخضر قويًا تميزان دائمًا الأشخاص الذين يتمتعون بمهارات **سحرية** ما إن يبدءوا التعرض **للسحر**. وقد اكتسب سِبتيموس نفس العينين الخضراوين، رغم أنهما كانتا رماديتين باهتتين قبل أن يقابل مارشا، وكانت ترتدي حول عنقها –

ككل السحرة العظماء السابقين - «تميمة أخوه» المصنوعة من حجر اللازوردي والذهب، كما ترتدي رداء من الحرير الأرجواني القاتم مربوطًا عند الخصر بالحزام الخاص بالسحرة العظماء المصنوع من الذهب والبلاتين، بالإضافة إلى عباءة **سحرية** أرجوانية، وتضع في قدميها حذاء أرجوانيًا مصنوعًا من جلد الأفعى، اختارته بعناية صباح اليوم من بين مائة حذاء كلها تكاد تكون صورة طبق الأصل لهذا الحذاء، جمعتها منذ عودتها إلى برج السحرة. أما سِبتيموس فيرتدي كالمعتاد حذاءه البني الطويل الذي لا يملك غيره، فهو يحب حذاءه هذا، ورفض أن يغيره على الرغم من أن مارشا كثيرًا ما كانت تعرض عليه أن تجلب له حذاءً جديدًا مصنوعًا من جلد الأفعى الزمردي كي يتماشى مع اللون الأخضر لعباءة التلامذة التي يرتديها، وهو أمر عجزت مارشا عن فهمه.

قالت مارشا وهي تمسك يد سِبتيموس بقوة: «إنها لدغة عنكبوت».

فصرخ سِبتيموس من فرط ألمه: «آه!».

همهمت مارشا قائلة: «منظر أصبعك هذا لا يريحني».

لم يُرح سِبتيموس أيضًا منظر أصبعه الذي تحول لونه الآن إلى أرجواني قاتم، وبدا مع بقية أصابع يده كأنها خمس قطع مقانق تبرز من كرة قدم، كما أنه بدأ يشعر بآلام حادة تضرب ذراعه وتصل إلى قلبه، وبدأ جسمه يترنح قليلًا.

قالت مارشا بإلحاح وهي تلقي بعيدًا بأوراق كانت على كرسي صغير، وتوجه سِبتيموس إليه: «اجلس.. اجلس». وبسرعة، أخرجت من صندوق الأدوية قنينة مكتوبًا عليها **سُم عناكب**، تحتوي على سائل أخضر قاتم، ثم

أخرجت قطّارة زجاجية طويلة من بين بعض الأدوات الطبية منظرها مرعب، كانت تصطف في غطاء الصندوق كأنها سكاكين غريبة الشكل متراصّة في سلة رحلات، وبحرص تام سحبت السم الأخضر من القنينة بالقطّارة على ألا يدخل منه شيء في فمها.

شد سِبتيموس إبهامه من قبضة مارشا وقال معترضًا: «هذا سُم!».

ردت مارشا وهي تضع إبهامها على فوهة القطارة المملوءة بالسم، وتمسكها بحرص بعيدًا عن عباءتها: «هناك **وجود شيطاني** في اللدغة، **وترياق العناكب** الذي وضعته يزيد الأمر سوءًا. وفي بعض الحالات لابد أن تنبع مقاومة الشيء من نفس جنسه، أي السم بالسم. فلا تقلق، وثق بكلامي».

سِبتيموس بالفعل يثق بمارشا، بل إن ثقته بها تفوق ثقته بأي شخص آخر. فمد إبهامه إليها وأغمض عينيه بينما كانت تسكب سم العناكب على اللدغة، وتهمهم بما بدا له أنها **تعويذة مضادة المفعول**. وعندما قامت بذلك، زالت الآلام التي كانت تضرب ذراعه، ورحل عنه الصداع الخفيف الذي أصابه، وبدأ يقتنع في نهاية الأمر بأن إبهامه قد لا تنفجر.

أعادت مارشا كل شيء بهدوء إلى مكانه بصندوق الأدوية، ثم التفتت تتفحص تلميذها الذي بدا شاحبًا، وهو أمر لم يدهشها، وقالت في سرها إنها بالفعل أثقلت عليه وحملته ما لا يطيق، وهو يحتاج أن تعطيه يومًا إجازة ليخرج في ضوء شمس الصيف، وإن كان هدفها الأساسي من ذلك أنها لا تود أن تفاجأ بحضور والدته سارة هيب إلى البرج مرة أخرى.

فمارشا لم تنس، بعد، زيارة سارة لابنها سِبتيموس في البرج بعد أن أُصبح تلميذًا بفترة قصيرة. ففي صباح يوم أحد، ذهبت مارشا لتفتح الباب على إثر طَرْق قوي، فوجدت أمامها سارة هيب في صحبة جمهور من السحرة كانوا قد صعدوا من الطابق السفلي ليتبينوا سبب هذا الضجيج – فلم يتجرأ أحد من قبل على طرق باب الساحرة العظمى بهذا الشكل.

ولدهشة الجمهور المتجمع حول سارة، وصلت بها الجرأة أن تطلب من مارشا إجازة لسِبتيموس.

وقالت بحرارة: «لقد افترقنا أنا وعزيزي سِبتيموس طوال السنوات العشر الأولى من حياته، ولا أنوي يا سيدة مارشا أن أُحرم السنوات العشر القادمة منه؛ ولذلك سأكون شاكرةً لكِ لو تركتِ الفتى يأتي إلى البيت ليحضر عيد ميلاد أبيه اليوم».

وما أثار انزعاج مارشا أن كلام سارة قوبل بترحاب وتصفيق من السحرة المتجمهرين حولها، وسط اندهاشها هي وسِبتيموس. فما أدهش مارشا أنه لا أحد تحدَّث إليها بهذه الطريقة من قبل، لا أحد مطلقًا. أما ما أدهش سِبتيموس فهو أنه لم يكن يُدرك من قبل أن هذا هو ما تفعله الأمهات، على الرغم من أن الأمر راقه؛ ولذلك كانت مارشا لا تريد – بأي حال من الأحوال – أن تكرر سارة زيارتها مرة أخرى، فقالت لسِبتيموس وكأنها تتوقع أن تظهر لها سارة الآن وتطالبها باستفسار عن سبب الشحوب الذي يعلو وجه ابنها: «هيا.. انطلق الآن.. لقد حان الوقت لأن تقضي يومًا إجازة مع أسرتك. ليتك أيضًا تذكّر والدتك بأن

ترسل چينا غدًا إلى زيلدا لتقوم بزيارة المركب التنينية بمناسبة عيد منتصف الصيف، ولو كنتُ مكانها لأرسلتها منذ عدة أيام، لكن سارة تصرُّ على أن تترك كل شيء حتى آخر لحظة – أراك في منتصف الليل. وبالمناسبة، **تعويذة الشيكولاتة** لك يا سِبتيموس».

ابتسم سِبتيموس وقال لها: «ياه! أشكرك على ذلك.. لكن بالنسبة للإجازة فأنا تحسنت الآن ولا أحتاج إليها».

فأجابته مارشا قائلة: «بل تحتاج إليها.. هيا.. انطلق الآن».

فابتسم رغمًا عنه، فربما تكون إجازة ليوم واحد مفيدة في نهاية الأمر، كما أنه سيستطيع أن يرى چينا قبل أن ترحل ليعطيها **تعويذة الشيكولاتة**.

فقال: «كما تشائين إذن. وسوف أعود في منتصف الليل».

وتوجه إلى الباب الأمامي الأرجواني الضخم الذي تعرَّف إليه، فانفتح على الفور لدى اقترابه منه.

صاحت مارشا تنادي سِبتيموس قائلة: «انتظر، لقد نسيت برطمان العناكب!».

فغمغم سِبتيموس قائلًا: «يا للإزعاج!».

2

طريق السحرة



وقف سِبتيموس على أول درجة من السلم الفضي الحلزوني أعلى البرج وقال له: «إلى البهو إذا سمحت».

وبعد أن تحرك السلم منسابًا إلى أسفل، وهو يلف كالبريمة العملاقة، رفع سِبتيموس برطمان العناكب أمامه، وأخذ ينظر إلى شاغليه بعد أن تناقص عددها الآن ولم يتبق منها سوى خمسة فقط، وهو يتساءل في سره عما إذا كان قد رأى هذه العنكبوت ذات الشعر الغزير من قبل.

نظرت العنكبوت بدورها إلى سِبتيموس نظرة شريرة، وهي تعلم تمامًا أنها رأته من قبل، أربع مرات تحديدًا. وقالت العنكبوت في

سرها بحنق إنه لأربع مرات يتم الإمساك بها وزجها في برطمان ثم تركه في الخارج! إن هذا الفتى محظوظ؛ لأنه لم ينل منها لدغة من قبل. لكن لا بأس، لقد وجدت هذه المرة على الأقل طعامًا يليق بها في البرطمان. لقد سقط العنكبان الشابان الطريان بمنتهى السهولة، رغم أنها اضطرت أن تلاحقهما في أنحاء البرطمان لبعض الوقت. وأخيرًا، استقرت العنكبوت ذات الشعر الغزير في قاع البرطمان مستسلمة لرحلتها مرة أخرى.

دار السلم الفضي الحلزوني ببطء، وأخذ بعض السحرة العاديين الذين يقيمون في الطوابق السفلية - وقد بدءوا الآن طقوس عملهم اليومية - يلوحون لسِبتيموس بينما كان السلم يقله هو وغنيمته إلى أسفل برج السحرة.

وكان سِبتيموس قد قوبل لدى مجيئه إلى برج السحرة بحماس شديد، فمارشا أوفرستراند حينها لم ترجع منتصرة فحسب بعد أن خلصت برج السحرة، ناهيك عن القلعة بأسرها، من **النكرومانسر الشيطاني** - بل عادت أيضًا ومعها تلميذ. فقد ظلت مارشا في منصب الساحرة العظمى لعشر سنوات دون أن تعين تلميذًا لها، حتى إنه بات معروفًا بعد فترة أن بعض السحرة العاديين يتهامسون فيما بينهم بأن مارشا تدقق في اختيارها أكثر من اللازم لمصلحتها الشخصية، ويقولون: «ماذا تتوقع السيدة مارشا من تدقيقها هذا، أتتوقع أن تجد الابن السابع للابن السابع، هذا من رابع المستحيلات!»، لكن هذا هو بالضبط ما عثرت عليه السيدة مارشا أوفرستراند، لقد عثرت على سِبتيموس هيب؛ الابن

السابع لسايلاس هيب، وهو ساحر عادي فقير وغير موهوب، وهو نفسه الابن السابع لبنيامين هيب الذي لا يختلف في فقره عن ابنه وإن كان موهوبًا عنه إلى حد كبير؛ إذ كان من المتحولين.

أبطأ السلم الفضي الحلزوني من سرعته؛ حتى يسمح لنفسه بأن يتوقف بسلاسة عند الطابق الأرضي لبرج السحرة، ثم ترك سِبتيموس السلم قافزًا يشق طريقه عبر البهو العظيم، وهو يقفز من جانب لآخر، يحاول أن يلمح الألوان المتعاقبة بسرعة التي تُعرض عبر سطح الأرض اللينة حتى تشبه ليونتها الأسطح الرملية. وما إن رأته الأرض قادمًا حتى أخذت كلمات صباح *الخير أيها التلميذ* تجري عبر الأشكال المتحولة، وتنتقل بسرعة أمام قدميه مع تقدمه نحو الباب الفضي الضخم الذي يحرس مدخل البرج، ثم همهم سِبتيموس بكلمة السر، وبصوت واضح، انفتح الباب على مصراعيه، وتسربت منه حُزمة ضوئية ساطعة إلى البهو محت كل الألوان السحرية.

خرج سِبتيموس إلى دفء صباح منتصف الصيف، وكان هناك شخص ينتظره.

قالت له چينا: «مارشا تركتك تخرج مبكرًا اليوم». كانت چينا تجلس على الدرجة السفلية للسلم الرخامي الضخم الذي يصعد إلى برج السحرة، وهي تؤرجح قدميها بابتهاج أمام أحجار درجة السلم الدافئة. كانت ترتدي رداءً أحمر بسيطًا له طرف ذهبي، مربوطًا من عند الخصر بوشاح ذهبي، وترتدي صندلًا متينًا في قدميها المتربتين، وشعرها الأسود الطويل يُحافظ على شكله مرتبًا بطوق ذهبيٍّ رفيع ترتديه حول رأسها

كالتاج، بينما تشع عيناها الداكنتان وميضًا مشاكسًا وهي تنظر بإمعان إلى سِبتيموس؛ أخيها بالتبني. أما هو فقد بدا كالمعتاد غير مهندم، فشعره الأصفر المجعد غير ممشط، ويكسو عباءته الخضراء التي يرتديها التلامذة تراب من أثر تنظيف المكتبة، لكنه يلبس في سبابته اليمنى خاتمه التنيني الذهبي الذي يبرق بتألق كعادته.

ابتهجت چينا برؤية سِبتيموس الذي قال لها وقد علت وجهه ابتسامة، وعيناه تطرفان في ضوء الشمس الساطع: «صباح الخير يا چين»، ثم لوح لها ببرطمان العناكب الذي يحمله.

فقفزت چينا على الفور من فوق درجة السلم وعيناها مثبتتان على البرطمان، ثم قالت له محذرة: «إياك أن تدع هذه العناكب تخرج من البرطمان في أي مكان بجواري».

نزل سِبتيموس الدرجات قافزًا وهو يهز البرطمان أثناء مروره أمامها، ثم توجه إلى البئر الموجودة عند أطراف الفناء. وبحرص شديد، سكب العناكب من البرطمان، لتسقط جميعها في الدلو، وكانت العنكبوت ذات الشعر الغزير قد انتهت لتوّها من وجبة خفيفة أخرى وبدأت تتسلق الحبل، بينما أخذت العناكب الثلاثة الأخرى تراقبها وهي ترحل، وقررت أن تبقى في الدلو.

قال سِبتيموس عائدًا إلى چينا عند درجات السلم: «أحيانًا يا چين يخيَّل إليَّ أن هذه العناكب تعود كل مرة إلى المكتبة، لقد تعرفت إلى إحداها اليوم».

«لا تكن أحمق يا سِبتيموس، كيف يمكن لأحد أن يتعرف إلى عنكبوت؟».

فقال: «أيًا كان الأمر، فأنا واثق تمامًا من أنها تعرفت إليّ، وأعتقد أن هذا هو ما جعلها تلدغني».

«لدغتك؟ يا للهول! أين لدغتك؟».

«في المكتبة».

«لا أقصد، أين لدغتك في جسمك؟».

فلوح لها سِبتيموس بإبهامه المصابة وقال: «انظري! هنا».

قالت چينا بتجاهل: «لا أرى شيئًا».

«هذا لأن مارشا وضعت على اللدغة سُمًا».

«سم؟!».

رد سِبتيموس بمرح: «لا تشغلي بالك، فهذه أمور نقوم بها نحن السحرة».

قالت چينا بنبرة ساخرة وهي تشد رداء سِبتيموس الأخضر: «أنتم السحرة.. إنكم جميعًا مجانين. وبمناسبة الحديث عن المجانين، كيف حال مارشا؟».

ركل سِبتيموس حصاة وأرسلها بحركة سريعة إلى چينا، ثم قال بإخلاص: «إنها ليست مجنونة يا چين. الموضوع هو أن هذا الظل يلاحقها في كل مكان، والأمر يزداد سوءًا، وأنا أيضًا بدأت أراه الآن».

أعادت چينا الحصاة ركلًا إلى سِبتيموس وهي تقول: «ياه! يا له من أمر مروع!».

ثم أخذا يتقاذفان الحصاة عبر الفناء كأنها كرة قدم مع توجههما إلى الظل البارد لممر مقنطر مرتفع، لونه فضي ومكسو باللازوردي الأزرق؛ كان هذا هو «القوس العظيم» الذي ينتهي عنده فناء برج السحرة ويبدأ به الشارع المعروف بطريق السحرة الذي يمتد مباشرة إلى القصر.

أبعد سِبتيموس عن ذهنه كل الأفكار المروعة عن **الظلال**، وأخذ يجري نحو القوس العظيم أمام چينا، ثم التفت إليها وقال: «على أية حال، مارشا تقول إنني أستطيع أن أقضي اليوم كله في إجازة».

ردت چينا مندهشة: «اليوم كله؟».

«نعم، اليوم كله حتى منتصف الليل، وبذلك أستطيع أن أعود معكِ وأزور أمي».

«لا تنسني، فسوف تضطر أن تبقى اليوم كله معي أنا أيضًا، فلم أرك منذ فترة طويلة، وغدًا سوف أذهب إلى العمة زيلدا لزيارة المركب التنينية، فعيد منتصف الصيف - إن كنت قد نسيت - سيحل بعد أيام».

«بالطبع لم أنسَ، فمارشا لا تكف عن الحديث حول مدى أهمية ذلك.. معي هدية لكِ».

وأخرج سبتيموس **وصفة** الشيكولاتة من جيب ردائه وناولها إلى چينا.

«ياه! إنها رائعة.. لكن ما هي بالضبط؟».

«إنها **وصفة مذاق سحري**، وهي تحول أي شيء تريدينه إلى شيكولاتة، فكرت في أنها ستكون مفيدة لكِ لو أخذتِها معكِ عند العمة زيلدا».

«رائع، فأنا هكذا أستطيع أن أحول كل أطباق الكرنب وسمك الرنجة هناك إلى شيكولاتة».

قال سِبتيموس متشوقًا: «ياه! أطباق الكرنب ويخنة سمك الرنجة.. أتعلمين؟ إنني بالفعل أفتقد طعام العمة زيلدا».

ضحكت چينا وقالت: «لا أحد غيرك يفتقد طعامها».

رد سِبتيموس قائلًا: «أعلم ذلك، وهو ما جعلني أفكر في أن **الوصفة السحرية** ستروقكِ. كنت أود أن أذهب معك».

«في الحقيقة، أنت لا تستطيع ذلك، فأنا الملكة».

«ومنذ متى كان ذلك؟».

«هذا على اعتبار ما سيكون، فأنا الملكة وأنت مجرد تلميذ من الطبقات الدنيا»، ثم أخرجت له لسانها فأخذ يلاحقها وهما يخرجان من أسفل القوس العظيم إلى حَرّ طريق السحرة..

وبعد أن خرجا من وسط الظلال التي يلقيها القوس العظيم، رأيا طريق السحرة وهو يمتد بعيدًا أمامهما، يسطع في شمس الصباح خاليًا من المارّة. وطريق السحرة طريق عريض يمتد إلى بوابة القصر وممهد ببلاطات ضخمة من الحجر الجيري الأبيض تبرق بلون ذهبي من بعيد، وتصطف على الطريق أعمدة فضية مرتفعة حاملةً المصابيح التي تضيئه ليلًا، ولقد اسودت المصابيح هذا الصباح بعد أن استنفدت ليلة أمس، وسوف يستبدل أخرى بها ويضيئها مايزي سمولز المسئول عن إضاءتها. إن سِبتيموس يعشق منظر هذه المصابيح وهي مضاءة؛ فهو يستطيع من غرفته في أعلى برج السحرة أن يرى طريق السحرة ممتدًا أمامه مباشرة،

وكثيرًا ما كانت مارشا تجده يحدق حالمًا من نافذته في وقت إنارة المصابيح بينما ينبغي عليه فيها أن يقوم بتحضير تعويذته.

ابتعدت چينا وسِبتيموس عن ضوء الشمس الساطع، وبدأ يسيران وسط الظلال الباردة التي تلقيها المباني القصيرة العريضة التي تصطف على طول الطريق. كانت هذه المباني من بين أقدم مباني القلعة، وبدت أحجارها التي بُنيت بها باهتةً ومتآكلةً بفعل العوامل الجوية، كما تعلوها ثقوب وعلامات عمرها يمتد لآلاف السنين، نقشها المطر والبرد والصقيع والمعارك الحربية التي تندلع من حين لآخر، وكان يشغل هذه المباني العديد من صُناع المخطوطات، والمطابع التي تنتج كل الكتب والمطبوعات والدعايات السياسية والدينية والمعاهدات التي يستخدمها سكان القلعة.

كان بيتل – وهو عامل عمومي من مسئولي الأعمال الوضيعة وموظف التفتيش في العقار رقم ثلاثة عشر – ممددًا في الخارج يسترخي مستمتعًا بدفء الشمس، وألقى تحية على سِبتيموس بإيماءة ودود برأسه. ويتميز العقار رقم ثلاثة عشر عن بقية المتاجر ليس فقط بأن نوافذه مكدسة برزم شاهقة من الأوراق حتى إنه من المستحيل النظر من خلالها إلى الداخل، بل لأنه تم طلاؤه أيضًا باللون الأرجواني في الآونة الأخيرة، وهو لون بعيد تمامًا عن ذوق «جمعية المحافظة على طريق السحرة»، ويضم هذا العقار «دار المخطوطات **السحرية**» و«شركة مراجعة التعاويذ» التي تلجأ لخدماتها مارشا ومعظم السحرة بشكل منتظم.

ومع اقتراب چينا وسِبتيموس من نهاية طريق السحرة، سمعا قعقعة حوافر حصان يتردد صداها خلفهما في الشارع الخالي من المارة. التفتا وراءهما ورمقا من على مسافة قريبة شخصًا يرتدي زيًا أسود ويمتطي حصانًا أسود ضخمًا يسير نحو «دار المخطوطات». نزل الشخص من على ظهر الحصان في عجالة، وبسرعة ربطه واختفى في الداخل، يتبعه بيتل الذي بدا عليه الاندهاش من أن يأتيه زبون في مثل هذا الوقت المبكر من الصباح.

قال سِبتيموس: «ترى، من هذا الشخص؟ فأنا لم ألمحه هنا من قبل، هل رأيته أنتِ يا چينا؟».

ردت چينا وهي تفكر: «لست متأكدة، لكن وجهه يبدو مألوفًا بشكل أو بآخر، وإن كنت لا أعرف السبب».

لم يعقب سِبتيموس، لقد بدأت لدغة العنكبوت ترسل فجأة إلى ذراعه آلامًا حادة، كما أنه تذكر ذلك **الظل** الذي رآه صباح اليوم، فاعترته رجفة.

3

الحصان الأسود



كانت جودرون *العظيمة تحرس بوابة القصر* وهي تطفو على ارتفاع عدة أقدام فوق سطح الأرض، وتغفو بسلام في ضوء الشمس. كانت جودرون – وهي شبح «قديم» لأحد أوائل السحرة العظماء – تحلم في غفوتها الآن بالأيام الخوالي؛ أيام كان برج السحرة فيها مازال حديث البناء! كانت لا تكاد تُرى في ضوء الشمس الساطع، ولأن چينا وسِبتيموس كانا منشغلَيْن تمامًا بالحديث عن هذا الفارس الغامض فقد اخترقاها أثناء مرورهما، فأومأت لهما جودرون العظيمة

برأسها وهي شبه نائمة، بعد أن التبس عليها الأمر وظنت أنهما تلميذاها التوءمان، باعتبار ما كان منذ زمن بعيد.

كان ألثر ميلا في العام السابق قد تولى مهمة إدارة القصر إلى أن يحين الوقت المناسب كي تعتلي جينا العرش. وقرر - بعد عشر سنوات قضاها الحراس الأمناء يتحركون ذهابًا وإيابًا وهم يدكون الأرض دكًا أمام القصر ويرهبون الناس - أنه لا يريد بعد ذلك أبدًا أن يرى جنودًا يحرسون القصر. وهو ما جعله، وهو نفسه شبح، يطلب من «القدماء» أن يقوموا هم بالحراسة، وهؤلاء «القدماء» من الأشباح الأكبر سنًا، فالعديد منهم يبلغ عمره الآن خمسمائة عام على الأقل، وبعضهم، مثل جودرون، تزيد أعمارهم على ذلك. وبما أن الأشباح تزداد شفافية مع مرور الوقت، يصبح من الصعب رؤية معظم القدماء، وما زالت جينا حتى الآن غير معتادة المرور من مداخل الأبواب لتكتشف أنها مرت في طريقها أيضًا بـ«الحارسة الثانية لسرير الملكة» أو ما شابه ذلك من المقامات الرفيعة، وهي لا تدرك هذا الخطأ إلا عندما تسمع صوتًا مهزوزًا لشبح قديم وهو يحييها هامسًا، بعد استيقاظه من غفوته محاولاً أن يتذكر أين هو: «نهارك سعيد يا فتاة». ولحسن الحظ أن القصر لم يتغير كثيرًا منذ نشأته؛ ولذلك لا يزال معظم القدماء يستطيعون أن يجدوا طريقهم في أنحاء القصر. ولأن معظم هؤلاء الأشباح من السحرة العظماء السابقين، فإن منظر العباءات الأرجوانية الباهتة وهي تمر عبر متاهة طرقات القصر وغرفه التي لا تُعد ولا تُحصى ليس مستغربًا.

قالت جينا: «أعتقد أنني اخترقت مرة أخرى جودرون، أتمنى ألا يكون ذلك قد أزعجها».

رد سبتيموس، وهو ينظر إلى إبهامه التي بدت لسعادته أنها تحسنت مرة أخرى: «أنا حقيقةً لا أزال مندهشًا أن تكون البوابات في حراسة أشباح، ما أقصده أن أي شخص في هذه الحالة يستطيع أن يدخل القصر، أليس كذلك؟».

قالت جينا: «وهذا هو المقصود بالضبط. فأي شخص يستطيع بالفعل أن يدخل القصر، فالقصر لكل سكان القلعة، وهو لا يحتاج بعد اليوم إلى حراس يبعدون الناس عنه».

رد سبتيموس: «لكن، قد يكون هناك بعض الأشخاص الذين يستلزم الأمر إبعادهم».

قالت جينا: «أنت في بعض الأوقات يا سبتيموس تكون جادًا أكثر من اللازم. ولو سألتني لقلت لك إنك تفرط في حبس نفسك بالبرج مع كل هذه الروائح التي تنبعث منه.. هيا نتسابق!».

انطلقت جينا جريًا، وأخذ سبتيموس يراقبها وهي تجري مسرعةً وسط البساتين الممتدة أمام القصر، والتي بدت في حرارة منتصف الصيف متربة ومكسوة بلون بني. كانت هذه البساتين تمتد بعيدًا طولاً وعرضًا، يعترضها من منتصفها طريق المركبات العريض الذي يمتد إلى مدخل مبنى القصر، ويُعد مبنى القصر هذا أحد أقدم مباني القلعة، وهو مبنيٌ على الطراز القديم بنوافذه الصغيرة المدعمة وشرفاته المنفرجة الممتدة بطول السطح العلوي للجدران الخارجية. ولقد حُفر أمام القصر خندق

مائي ضحل مزخرف، تسكنه بعض السلاحف النهاشة المخيفة التي تركها شاغلو القصر السابقون وهم الحراس الأمناء، ويكاد يكون التخلص منها مستحيلًا، هناك أيضًا جسر عريض منخفض يعبر الخندق المائي، ويؤدي إلى زوج من الأبواب الثقيلة المصنوعة من البلوط، فُتحا الآن على مصراعيهما في حر الصباح المبكر.

أصبح سِبتيموس الآن يحب القصر الذي يبدو بأحجاره الصفراء وهي تومض بدفء في ضوء الشمس مبهجًا ومُرحِّبًا. وعندما كان سِبتيموس جنديًا، كثيرًا ما كان يقف في دوريات الحراسة خارج بوابة القصر، لكن القصر حينها كان يبدو مظلمًا وكئيبًا عندما كان الأمين الأعلى المرعب يحتله. ومع ذلك، كان سِبتيموس يرحب بالوقوف في دوريات الحراسة هذه، فعلى الرغم من أنها مهمة كثيرًا ما تكون مملة وتستلزم الوقوف في برد قارس، كانت على الجانب الآخر مهمة غير مخيفة كمعظم المهام الأخرى التي كان ملزمًا بالقيام بها عندما كان في جيش الشباب.

وفي الصيف، كان سِبتيموس يقضي وقت هذه الدوريات في مراقبة بيلي بوت، وهو البستاني الذي يجز النجيل، وهو الذي اخترع آلة حشّه التي أحيانًا كان ينجح في تشغيلها، وأحيانًا أخرى يفشل، وهو أمر يتوقف على مدى جوع شاغلي الآلة، وهم سحالي الحدائق. وكانت سحالي الحدائق هذه سر بيلي في تشغيل الآلة - أو هكذا كان يظن - رغم أن معظم الناس اكتشفوا طريقة تشغيلها، وهي طريقة سهلة، وكانت حين تعمل لا تحتاج سوى أن يدفعها بيلي للأمام، بينما تقوم السحالي بالتهام النجيل، وعندما كانت تتعطل كان بيلي ينزل إلى الأرض ويصيح فيها.

كان بيلي بوت يحتفظ بمئات السحالي في بيوت لها بجانب النهر. وصباح كل يوم، ينتقي منها العشرين الأكثر جوعًا، ثم يضعها في صندوق الجز الموجود في مقدمة آلة حش النجيل، ثم يجر الآلة على عجلاتها إلى بساتين القصر. وكان بيلي يتمنى أن يأتي يوم يستطيع فيه أن ينتهي فعلًا من تسوية البساتين قبل أن يحين وقت إعادة هذا الأمر من جديد، على أمل أن يستمتع بيوم عطلة من حين لآخر. لكن هذا لم يحدث قطْ، فعند انتهائه من دفع الآلة في أنحاء النجيل الممتد الشاسع وانتهاء سحالي الحدائق من عملها، يكون قد حلَّ بذلك وقت إعادة تسويتها من جديد.

سمع سِبتيموس مرة أخرى نفس القعقعة وهو ينطلق جريًا فوق النجيل، محاولًا اللحاق بجينا التي سبقته بمسافة كبيرة الآن. بعد لحظات، ظهر بيلي بوت على مسافة قريبة وهو يدفع آلته فوق الممر العريض الذي يمتد أمام الخندق المائي الخاص بالقصر، متوجهًا ببطء إلى قطعة الأرض التي سيجزها اليوم. زاد سِبتيموس من سرعته، مُصرًّا ألا يترك جينا تسبقه بمسافة كبيرة، لكنها كانت أكبر حجمًا وأكثر سرعة، رغم أنهما في نفس العمر تمامًا، وسرعان ما وصلت إلى الجسر.

توقفت جينا وانتظرت سِبتيموس كي يلحق بها، ثم قالت له: «هيا بنا يا سِب، دعنا نذهب الآن نبحث عن أمي».

مر الاثنان فوق الجسر، ووصلا إلى باب مدخل القصر، كان الشبح القديم الواقف لدى الباب مستيقظًا، يجلس على مقعد ذهبي صغير موضوع في مواجهة الشمس، يراقب دنو جينا وسِبتيموس بابتسامة تشع

حبًا وحنانًا. بسط الشيخ عباءته الأرجوانية - فهو أيضًا كان ساحرًا أعظم ينال احترامًا كبيرًا في زمنه - وابتسم لجينا.

ثم تحدث بصوت رقيق بدا كأنه قادم من مكان بعيد جدًا، وقال: «صباح الخير أيتها الأميرة. يسرني كثيرًا رؤيتك. صباح الخير أيها التلميذ. ما أخبار **التحول**؟ وإلى أين وصلت مع **الإحالة الثلاثية**؟».

رد سبتيموس بابتسامة عريضة: «على وشك».

قال الشيخ القديم: «عظيم أيها الفتى».

ثم قالت جينا: «مرحبًا يا جودريك، هل تعلم أين يمكن أن أجد أمي؟».

قال الشيخ متأملًا: «في واقع الأمر، نعم أيتها الأميرة؛ فالسيدة سارة قالت لي إنها سوف تذهب إلى حديقة الخضراوات لتقطف بعض الثمار. قلت لها إن خادمة المطبخ ستفعل ذلك، لكنها أصرت على أن تقوم بعمل ذلك بنفسها، إن والدتك هذه امرأة رائعة حقًا».

ردت جينا قائلة: «أشكرك يا جودريك، سوف نذهب ونبحث عنها.. ماذا تريد يا سِب؟». فسبتيموس كان قد أمسك بذراعها بقوة.

ثم قال لها وهو يشير إلى سحابة ترابية تقترب من بوابة القصر: «جين.. انظري!».

بدأ الشيخ القديم يطفو لأعلى من فوق مقعده وهو لا يزال في وضع الجلوس، وأخذ يحوم لدى المدخل، وينظر للخارج في ضوء الشمس.

ثم قال بصوت يتردد صداه: «**إنه حصان شيطاني، وفارس شيطاني**».

جذب سبتيموس جينا إلى الظل خلف الشبح.

فقالت جينا معترضة: «ماذا تفعل؟ إنه ليس سوى الحصان الذي رأيناه من قبل. دعنا نرَ الآن من هو هذا الفارس».

ومع تقدم جينا للخارج إلى ضوء المدخل، رأت الحصان يقترب، كان الفارس يمتطيه بعنف، وهو جالس بجسمه متوجهًا للأمام ويحثه على الجري، بينما عباءته الداكنة تنساب خلفه، لم يتوقف الحصان لدى البوابة، بل واصل جريه مخترقًا جودرون العظيمة، وانطلق بصوت مدوٍّ كالرعد في طريق المركبات العريض. ولسوء الحظ، كان بيلي بوت لايزال في طريقه إلى قطعة الأرض التي سيعمل فيها، وما كاد يدفع آلته فوق الممر حتى أُجبر هو وآلته على الانحراف؛ تجنبًا للحصان القادم نحوهما. ونجح فعلًا في تفادي الاصطدام به، ولكن لم يحالف آلته الحظ، ولأنها آلة غير معتادة السرعة فقد تحطمت في مكانها، وأخذت السحالي تجري في كل اتجاه، ووجد بيلي بوت نفسه يحدق إلى كومة من المعدن وسط ممر القصر.

واصل الفارس انطلاقه المدوي، غير آبهٍ بالخسارة التي لحقت ببيلي بوت ولا بفرار السحالي من آلته بعد تحررها، بينما كانت حوافر الحصان -مع تقدمه مسرعًا نحو القصر- تثير الغبار في الهواء، وتدك الأرض بضربات متناغمة بصوت مكتوم.

انتظرت جينا وسبتيموس أن يأخذ الفارس الطريق المعتاد الذي يلتف ويؤدي إلى الإصطبلات خلف القصر، لكن لدهشتهما تجاهل الفارس هذا الطريق، وهمز الحصان ليواصل طريقه عبر الجسر. وبمهارة فائقة، دون أن يغير الفارس من سرعة الحصان، انطلق مارًا بعتبة باب

القصر مخترقًا جودريك. شعرت چينا بحرارة رطبة تنبعث من الحصان مع مروره بالقرب منها، ويسيل من فمه خيط طويل من اللعاب سقط على عباءتها فالتفتت لتواجه الفارس باعتراضها، لكنه كان قد ابتعد وهو يجري بالحصان عبر البهو بأقصى سرعة، ثم انعطف يسارًا بحدة، وصاحب هذا الانعطاف انزلاق حوافر الحصان على الألواح الحجرية، أرسل معه شرارات تطايرت في الهواء، وقد أخذه الانعطاف إلى ظلام الممشى الطويل الذي يمتد لمسافة ميل وسط القصر كأنه عموده الفقري.

لملم جودريك نفسه وقام، ثم همهم قائلًا: «برودة.. لقد شعرت ببرودة تخترقني»، ثم تراجع للوراء وهو يرتجف، وعاد ليجلس على مقعده، مغمضًا عينيه الشفافتين.

فسألته چينا بقلق: «هل أنت بخير يا جودريك؟».

فهمس الشيخ المسنُّ بوهنٍ قائلًا: «نعم نعم.. أشكر سيادتك.. أقصد أشكرك يا سمو الأميرة». أردفت: «أمتأكد أنك على ما يُرام؟»، ثم نظرت إليه نظرة فاحصة، لكنه كان قد غطَّ في سُبات عميق.

فهمست لسِبتيموس قائلة: «هيا يا سِب، دعنا نرَ ماذا يحدث».

كان القصر من الداخل مظلمًا مقارنة بضوء الشمس الساطع خارجه، عبرت چينا وسِبتيموس المدخل الرئيسي جريًا ووصلا إلى الممشى الطويل، وأخذا يتفحصان هذا الامتداد اللانهائي بضوئه الخافت، لكن لم يكن هناك أي أثر مرئي أو مسموع للفارس.

همست چينا: «لقد اختفى.. ربما كان شبحًا».

قال سِبتيموس وهو يشير إلى آثار متربة لحوافر على السجادة الحمراء الباهتة التي تفترش الأحجار الضخمة القديمة: «شبح من نوع غريب».
التفتت چينا وسِبتيموس نحو الجناح الشرقي للممشى الطويل، وتابعا آثار الحوافر، كان هذا الممشى قبل أن يستولي الأمين الأعلى على القصر زاخرًا بالتحف الرائعة والكنوز الثمينة - منها تماثيل لا تقدر بثمن، ومعلقات فخمة، وسجاد حائط بألوان زاهية - لكنه صار الآن شبحًا للصورة الأصلية يعلوه التراب، فالأمين الأعلى، خلال السنوات العشر التي استولى فيها على القصر، نهب منه معظم الممتلكات الغالية وباعها ليمول ولائمه الباذخة التي كان يقيمها. مرت چينا وسِبتيموس الآن ببعض اللوحات القديمة لملكات وأميرات سابقات التي تم إنقاذها من القبو، وببعض الخزانات الخشبية الفارغة، والتي كانت أقفالها مكسورة ومفصلاتها ملتوية. وبعد أن مرًّا بثلاث لوحات لملكات بدت جميعها بملامح حادة الطباع، ولوحة لأميرة بعينين مصابتين بحوَل، كانت آثار الحوافر قد انعطفت انعطافًا حادًّا بزاوية قائمة، واختفت عبر الباب المزدوج لقاعة الرقص. كان الباب مفتوحًا على مصراعيه، فتابعت چينا وسِبتيموس آثار الحوافر في الداخل، لكنهما لم يجدا أي أثر للفارس.

انطلقت صفارة انبهار من بين شفتي سِبتيموس وقال: «إن المكان يبدو شاسعًا للغاية».

كانت القاعة بالفعل واسعة جدًّا، ويُقال إنها كانت تسع - بعد أن تم بناء القصر - كل سكان القلعة، وهي إن كانت لا تسعهم اليوم، تظل بحجمها هذا أضخم غرفة رآها أي شخص من سكان القلعة، سقفها أعلى

من ارتفاع بيت، ونوافذها الضخمة كانت تمتلئ بالزجاج المعشَّق وبقطع صغيرة وعديدة من الزجاج الملون – وتمتد من الأرضية حتى السقف فتلقي بظلال من الأشكال المنسقة بكل ألوان الطيف على سطح الأرضية الخشبية اللامعة، ولقد فُتحت الأجزاء السفلية من النوافذ على مصاريعها في حر صباح الصيف! وكانت تطل على البساتين القابعة خلف القصر التي تمتد حتى النهر.

قالت چينا: «لقد رحل».

فهمهم سِبتيموس قائلًا: «أو إنه اختفى، وكما قال الشبح القديم حصان شيطاني وفارس شيطاني أيضًا».

قالت چينا: «لا تكن أحمق يا سِب، إنه لم يقل ذلك بهذا المعنى. أنت بالفعل تمكث وقتًا أطول من اللازم في هذا البرج مع الساحرة المجنونة وظلها. على أية حال، لقد خرج فحسب من هذه النافذة.. انظر!».

قال سِبتيموس معترضًا، وقد أهانته كلمة أحمق التي أطلقتها چينا عليه: «هذا ليس مؤكدًا».

فردَّت وهي تشير إلى روث الحصان على السلم: «بل أكيد». وبحرص، خرج الاثنان إلى الشرفة، وهنالك سمعا صراخ سارة هيب.

4
سايمون يقول



وبدموع تنهمر من عينيها، قالت سارة للفارس الغامض الذي كان قد ترجَّل من فوق ظهر الحصان مع وصول چينا وسِبتيموس إلى باب حديقة الخضراوات المسورة: «أرسل لي ولو جرذًا رسولًا واحدًا». كان الشاب يقف موليًا ظهره لهما، يقف مرتبكًا وممسكًا بحصانه بيد ويربت بالأخرى على سارة التي تطوق عنقه بذراعيها.

بدت سارة هيب إلى جوار الرجل صغيرة الحجم وضعيفة، شعرها الأشقر المقسم إلى خصلات

ينسدل حتى كتفيها، ولم يتمكن رداؤها القطني الأزرق الطويل الذي تحيط أكمامه وحاشيته الحواف الذهبية الخاصة بالقصر – من إخفاء مدى النحول الذي بات عليه منذ عودتها إلى القلعة. لكنَّ عينيها الخضراوين بدتا متألقتين من فرط السعادة وهي تنظر إلى الفارس ذي الزي الأسود، ثم قالت وهي توبخ الشاب: «رسالة واحدة فقط تطمئنني عليك. هذا هو كل ما كنت أحتاج إليه.. ما كان كلانا أنا وأبوك يحتاج إليه. إن أباك كان قلقًا عليك إلى أقصى حد، حتى إننا ظننا أننا لن نراك ثانيةً.. كيف طاوعتك نفسك أن ترحل هكذا لمدة تزيد على عام دون أن ترسل ولو كلمة واحدة تطمئننا عليك.. يا لك من فتى سيئ يا سايمون!».

«لست فتى يا أمي، لقد أصبحت رجلًا الآن، فأنا في العشرين من عمري إن كنت قد نسيتِ». وبعد أن أدرك فجأة أنه ليس وحده مع أمه، أبعد ذراعيها من حول عنقه وتراجع، ثم التفت إلى الوراء ولكن لم يبد عليه أنه ابتهج برؤية أخيه الأصغر وأخته بالتبني اللذين كانا يقفان بعيدًا بتردد بجانب باب حديقة الخضراوات، فعاد ليلتفت من جديد إلى أمه.

وقال متجهمًا: «على أية حال، أنتِ لا تحتاجين إليَّ الآن وقد استعدتِ ابنك السابع الغالي بعد أن فقدته طوال هذه السنين، خاصة بعد كل هذا التقدم الذي أحرزه – وأخذ مني فرصتي كي أكون التلميذ».

ردت سارة عليه معترضة: «أرجوك يا سايمون لا تبدأ. أرجوك لا تجعلنا ندخل في هذا الجدال مرة أخرى. إن سِبتيموس لم يأخذ منك شيئًا، فأنت لم تُعرض عليك أصلًا فرصة التلمذة من قبل».

«لكنني كنت سأحصل عليها لولا ظهور هذا التافه».

«سايمون، أنا لن أقبل منك أن تتحدث هكذا عن سِبتيموس؛ إنه أخوك».

«هذا باعتبار أننا صدقنا ما رأته تلك الساحرة العجوز زيلدا في بركة من الماء الآسن، وأنا عن نفسي لا أصدق هذا الكلام».

قالت سارة بصوت خفيض وقد بدا الغضب عليها: «ولا تتحدث أيضًا عن عمة والدك بهذه الطريقة.. على أية حال، أنا أعلم أن ما رأيته، أو أن ما رأيناه جميعًا، هو الحقيقة، وسِبتيموس هو ابني، وأخوك. لقد حان الوقت لأن تتأقلم على ذلك يا سايمون».

تراجع سِبتيموس نحو الظلال التي يلقيها المدخل، منزعجًا لما يسمعه، وإن كان لم يُدهشه؛ فهو يتذكر تمامًا كلام سايمون في ليلة «حفل عشاء التلميذ» الذي أقيم من أجله في كوخ العمة زيلدا بمستنقعات مرام؛ لقد كانت أغرب ليلة في حياته؛ فهو في تلك الليلة لم يصبح تلميذًا لمارشا فحسب بل اكتشف أيضًا من هو حقيقةً؛ إنه الابن السابع لسارة وسايلاس هيب. لكن، في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، بعد انتهاء الاحتفال دخل سايمون هيب في جدال فظ مع والديه، ثم انطلق غاضبًا في الظلام، ليأخذ زورقًا يعبر به المستنقعات، وهو ما أثار فزع سارة (وأخيه نكو أيضًا الذي كان ما لبث أن حصل على هذا الزورق)، واختفى سايمون منذ ذلك الحين.. إلى أن ظهر الآن.

همست جينا قائلةً: «أنذهب لنسلم عليه يا سِب؟».

هز سِبتيموس رأسه وظل بعيدًا.

ثم قال لها: «اذهبي أنتِ، لا أظنه يريد أن يراني».

ظل سِبتيموس واقفًا في الظل، يراقب چينا وهي تدخل حديقة الخضراوات وتلتف حول نباتات الخس التي سحقها توًا حصان سايمون.

وبخجل قالت: «مرحبًا يا سايمون».

رد سايمون بنبرة ساخرة بعض الشيء مع اقترابها منه: «عظيم.. فقد كنت أتمنى وأنا في طريقي أن أجدك هنا في قصرك. صباح الخير يا مولاتي».

قالت چينا مترددة: «أنا لا أُنادَى بهذا اللقب حتى الآن يا ساي، ليس قبل أن أصبح الملكة».

«ملكة، هه! ترى، ألن يكون ذلك فخرًا لنا حينئذ؟ لكن بالطبع عندما تصبحين الملكة لن يليق بمقامك الرفيع حينها أن تتحدثي مع أمثالنا، أليس كذلك؟».

تنهدت سارة وقالت: «كُف عن كلامك السخيف هذا يا سايمون».

نظر سايمون إلى والدته، ثم إلى چينا، وتبدلت تعبيراته المزعجة إلى ما هو أشر من ذلك بعد أن بدأ يلقي نظرة على المنظر العام من خلال الباب المفتوح للحديقة، لقد شردت عيناه الخضراوان المائلتان إلى السواد في شكل الأعمال الحجرية للقصر القديم التي تبعث على راحة النفس، في سكون وهدوء البساتين. كم بدا ذلك مختلفًا عن الغرفة الفوضوية التي نشأ فيها وسط إخوته الخمسة الأصغر منه وأخته الصغيرة بالتبني چينا، بل إنه من فرط هذا الاختلاف شعر بأنه ما عاد هناك أي

شيء يربطه بأسرته الآن، خاصة بچينا التي لا تربطه بها أصلًا أية صلة نسب. إنها مثل طائر الوقواق، فهو ما إن يسكن كعادته في عش ليس عشه، حتى يستولي عليه ويدمر كل ما فيه.

رد سايمون بنبرة فظة: «كما تشائين يا أمي، سوف أكُفُّ عن الحديث».

ابتسمت سارة بتردد، لا تكاد ترى في ابنها الأكبر شيئًا تعرفه؛ فهذا الشاب بعباءته السوداء الواقف أمامها يبدو كأنه شخص آخر تمامًا، ولا يروقها كثيرًا، ثم قال سايمون بنبرة مرحة أكثر من اللازم: «إذن، ما رأي أختي الصغيرة في جولة على ظهر رعد؟»، ثم أخذ يربت على ظهر الحصان بفخر.

ردت سارة قائلة: «لا أظن أنني سأوافق على ذلك يا سايمون».

«وما هذا الذي سيجعلك لا توافقين يا أمي؟ ألا تثقين بي؟».

ظلت سارة صامتة لوهلة بدت طويلة، ثم قالت: «بالطبع أثق بك».

«أنا كما تعلمين ماهر في ركوب الخيل، ولقد قضيت العام الماضي مرتحلًا على ظهر الحصان بين الجبال والوديان في البلاد الحدودية شمالًا».

ردت سارة بارتياب: «لا أصدق نفسي.. في أرض الأشرار؟ وماذا كنت تفعل هناك؟».

قال سايمون بشكل عائم: «لا تشغلي بالك.. بعض الأعمال هنا وهناك يا أمي». وفجأة، تقدم نحو چينا، فتقدمت سارة تريد على ما يبدو

أن تمنعه، لكنه كان أسرع منها، وبحركة خاطفة كان قد رفع چينا عاليًا وأجلسها على ظهر الحصان.

ثم سألها: «ما رأيك في ذلك؟ إن رعد حصان رائع، أليس كذلك؟».

ردت چينا بانزعاج: «بلى.. بلى»، بينما أخذ الحصان يسير حوله وكأنه لا يصبر على الانطلاق، ثم قال سايمون بنبرته الودود القديمة، وهو يضع قدمه في الركاب ويقفز على السرج خلف چينا: «سوف نقوم فحسب بجولة في الطريق هناك، ما رأيك؟»، ووجدت سارة فجأة ابنها الأكبر ينظر إليها من فوق ظهر الحصان بتعالٍ وكأنه يلقيها عليها من ارتفاع شاهق، وبدا لها كأنه على وشك الإقدام على فعل شيء ليس في وسعها أن تمنعه من القيام به.

«لا يا سايمون، لا أظن أن چينا...».

لكن سايمون ركل حصانه، وشد اللجام، فانعطف الحصان للخلف، وهو يسحق في طريقه نبات الزعتر الذي كانت سارة على وشك قطف أوراق منه، وخرج يجري من باب الحديقة وانطلق حول جانب القصر، فانطلقت سارة جريًا وراءه وهي تصيح: «سايمون.. سايمون.. عُد يا سايمون».

لكن سايمون كان قد رحل بعيدًا، تاركًا وراءه سحبًا ترابية متراقصة تطيرها حوافر الحصان وهي تدك أرض الممر المترب.

لم تعلم سارة سبب شعورها بهذا الخوف الذي تملكها؛ فالأمر لا يعدو - في نهاية المطاف - عن أن أخًا يأخذ أخته في جولة على ظهر حصان، فما الضير في ذلك؟ ثم نظرت سارة حولها تبحث عن

سِبتيموس؛ لقد رأته بكل تأكيد قادمًا مع چينا، لكنها لم تجده. فتنهدت؛ إنه اشتياقها له الذي صوَّر لها هذا، يبدو أنها عادت من جديد تتوهم أشياء، لكنها قررت أنها بعد عودة سايمون وچينا من جولتهما سوف تتوجه مباشرة إلى برج السحرة وتعود بسِبتيموس ليقضي معهم اليوم. فچينا في نهاية الأمر لابد أن ترحل غدًا لتقوم بزيارة المركب التنينية بمناسبة عيد منتصف الصيف، وسوف يُسعد سِبتيموس لو أنه رآها قبل أن ترحل، وهي بأي حال من الأحوال لن تقبل أي حجج أو مبررات من مارشا أوفرستراند، فسِبتيموس يحتاج أن يقضي مزيدًا من الوقت مع أخته، ومعها هي أيضًا، وربما لو أن سايمون تعرَّف أكثر إلى سِبتيموس لوضع هذا حدًّا لهذه المشكلات السخيفة المزعجة.

وهكذا، انحنت سارة، بذهن شارد في الأفكار، وحاولت إنقاذ نبات الزعتر أثناء انتظارها عودة چينا وسايمون، بينما كانت تراقبها ثلاث من سحالي الحديقة التي تمكنت من الفرار.

5

رعد



تشبثت چينا بقوة في *عُرف الحصان* ذي الشعر الطويل مع عبور سايمون به بساتين القصر، مبعثرًا كل السحالي التي كان بيلي بوت قد أعاد جمعها توًّا.

كانت چينا تعشق الخيل، ولديها حصان خاص بها تتركه في الإصطبل وتمتطيه كل يوم؛ إنها فارسة تجيد ركوب الخيل، وتتسم بالشجاعة أيضًا، فما إذن سبب هذا الخوف الذي تشعر به الآن؟ ثم

تساءلت في سرها مع انطلاق رعد من بوابة القصر بأقصى سرعة: هل سبب خوفها هذا أن سايمون يمتطي الحصان بكل هذا الغضب والحنق؟ إن سايمون يلبس مهمازًا حادًّا في حذائه الأسود الطويل، وهو ليس للتفاخر فحسب؛ فقد رأته چينا مرتين حتى الآن يلمس به جانب الحصان، كما أن طريقته في شد اللجام بكل هذه القوة لم ترقها.

انطلق سايمون يجري بالحصان وسط طريق السحرة، لا يلتفت يمينًا أو يسارًا، ولا إلى أي شخص قد يتصادف عبوره الطريق – وهو ما حدث بالفعل مع البروفيسور ويزل ڤان كلامف الذي كان يعبر الطريق في تلك اللحظة تحديدًا، والذي لا يعلم أن مارشا كانت في ذلك الوقت في طريقها لمقابلته، وكان يريد أن يخبرها بأمر مهم؛ أمر يحتاج أن يخبرها به بعيدًا تمامًا عن خادمته المرهفة السمع أونا براكيت.

وبينما كان البروفيسور ڤان كلامف يسير شارد الذهن عابرًا طريق السحرة، وهو يُعيد ويزيد في ترديد الطريقة التي سيشرح بها لمارشا شكوكه في أن «أونا براكيت» تدبر أمرًا ما – على الرغم من أنه ليس متأكدًا تمامًا ما هذا الذي تدبره – كان آخر ما يتوقعه أن يصطدم بحصان أسود ضخم منطلق في الطريق. ولكن لسوء حظه، فإن هذا هو بالفعل ما حدث. وعندما تجاوز صدمة السقوط ووقف سليمًا على قدميه، رغم أنه بدا مهزوزًا وأُصيب ببعض الكدمات، وجد نفسه لا يتذكر سبب خروجه من البيت.. تُرى، أكان يريد أن يشتري مزيدًا من ورق الرق، أم كان يريد شراء قلم جديد، أم رطل جزر، أم رطلين؟ ووقف الرجل لوهلة بهيئته

الصغيرة الأسطوانية ونظارته الهلالية ولحيته الرمادية الشعثاء وسط طريق السحرة، يتفحصه بيتل وآخرون، كانوا قد قلقوا عليه عندما شاهدوا من المحال والمكاتب المجاورة ما حدث له، بينما أخذ هو يهز رأسه ويحاول تذكُّر ما الذي جاء به إلى هنا. ولقد حدثه هاجس بأن هناك سببًا مهمًا لخروجه، لكنه لا يتذكره.. فهز رأسه واستدار عائدًا إلى بيته، ووقف في الطريق ليبتاع ثلاثة أرطال من الجزر.

في تلك الأثناء، كان رعد يجري على امتداد طريق السحرة، مارًا بالمحال، والمطابع والمكتبات الخاصة التي كان ملاكها الفخورون بأعمالهم منشغلين في سعادة بعرض المخطوطات ذات العروض الخاصة وأحدث أنواع الرَّق. وعندما رأوا الحصان الأسود يمر بهم مسرعًا، توقفوا وراحوا يحدقون لوهلة، وهم يتساءلون ما الذي تفعله الأميرة مع الفارس ذي الزي الأسود؟ وما سبب هذه العجلة؟

وفي لمح البصر، كان رعد قد وصل إلى القوس العظيم، وتوقعت چينا أن سايمون سيبطئ من سرعة الحصان ويعود إلى القصر، لكنه بدلًا من ذلك شد اللجام بعنف، فانحرف الحصان بشكل مفاجئ يسارًا وانطلق إلى ممر «كاتسبور». كان الشارع الضيق مظلمًا وباردًا مقارنة بالشمس الساطعة في طريق السحرة، ورائحته يُشتم منها العفن. وامتدت وسط الطريق قناة صرف مكشوفة، يتدفق على امتدادها ببطء وحلٌ بنيٌ ثقيل.

صاحت چينا – وهي بالكاد تستطيع سماع صوتها وسط قعقعة حوافر الحصان التي يتردد صداها بين بيوت متداعية تصطف على جانبي

الطريق وتملأ رأسها بضجيج – قائلةً: «إلى أين نحن ذاهبان؟» لكن سايمون لم يرد عليها، فصاحت ثانيةً بصوت أعلى هذه المرة:

«إلى أين نحن ذاهبان؟».

لم ينطق سايمون بكلمة واحدة، وفجأة انحرف الحصان يسارًا عند منعطف، وتجنب بالكاد الاصطدام بعربة لبيع فطائر اللحم والمقانق كانت قادمة في طريقهم، وانزلقت حوافره على الوحل اللزج الذي يمتد على طول الطريق.

قالت چينا معترضة: «سايمون، إلى أين نحن ذاهبان؟».

ثم ظنت چينا أنها سمعته يقول لها: «اخرسي!».

«ماذا قلت؟».

«لقد سمعتني جيدًا، قلت لكِ اخرسي .. ستذهبين إلى حيث سآخذك».

التفتت چينا إلى الوراء تنظر إليه، بعد أن علتها الدهشة من نبرة الكراهية التي بدت في صوته. وتمنت لو أنها أساءت فهم ما سمعته، لكن عندما رأت النظرات الباردة التي تشع من عينيه، علمت أنها لم تسئ الفهم، وتسرب إليها على الفور إحساس بارد ينذر بالخطر.

وفجأة، غيَّر الحصان اتجاهه مرة أخرى، وكأن سايمون يحاول أن يؤمّن نفسه تحسبًا لأية ملاحقة محتملة، ثم شد اللجام بعنف جاذبًا الحصان بقوة جهة اليمين، ودخل رعد في غياهب ممر «المنزلق المضغوط»؛ وهو ممر ضيق يمتد بين جدارين مرتفعين. تحولت عينا سايمون إلى شقين

رفيعين من شدة تركيزه مع انطلاق الحصان وسط الممر الضيق، بينما أخذت حوافر الحصان تطلق شرارات في الهواء من شدة احتكاكها بالأرض الحجرية. وأخيرًا، تمكنت چينا - مع وصولهم إلى نهاية الممر - من رؤية ضوء شمس الصباح مرة أخرى، ومع انطلاقهم في هذا الاتجاه، كانت قد اتخذت قرارها؛ سوف تقفز من على ظهر الحصان.

وما إن عاد رعد ينطلق في ضوء النهار من جديد حتى أخذت چينا نفسًا عميقًا. وفجأة، وبدون أمر من سايمون، انزلق الحصان حتى توقف، بعد أن تقدم وجه ضئيل الحجم يرتدي عباءة التلامذة، وأخذ ينظر إلى الحصان بنظرة ثاقبة، فثبته.

قالت چينا لاهثة، وقد غمرتها سعادة تفوق الخيال: «سِبتيموس! كيف جئت إلى هنا؟».

لكنه لم يرد عليها؛ إذ كان منشغلًا بالتركيز في رعد، وهو لم يجرب من قبل تثبيت شيء بهذا الحجم الكبير، ولا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان يستطيع أن يتحدث ويقوم بعملية التثبيت في نفس الوقت أم لا.

صاح سايمون قائلًا: «ابتعد عن الطريق أيها التافه! إلا إذا كنت تريد أن تُسحق تحت أرجل الحصان». بحنق، همز سايمون الحصان، لكنه رفض أن يتزحزح من مكانه، حينئذ أدركت چينا أن هذه فرصتها فباغتت سايمون وهمَّت بالقفز من فوق ظهر الحصان، لكن سايمون كان أسرع منها، وأمسكها من شعرها ثم أجلسها بعنف على سرج الحصان مرة أخرى.

صاحت چينا وهي تضرب في سايمون: «آه.. اتركني!».

فهمس بصوت كالفحيح، وهو يلوي شعرها بعنف: «أوتظنين أنني سأتركك؟ هيهات هيهات!».

لم يبد سِبتيموس أي رد فعل؛ فهو لا يكاد يجرؤ على القيام بأي حركة.

لكنه قال ببطء وحرص شديدين: «اترك چينا»، بينما كانت عيناه الخضراوان الحادتان لاتزالان مثبتتين على عيني رعد المفتوحتين تمامًا ويظهر منهما مساحة بيضاء متسعة، فقال سايمون وقد استشاط غضبًا: «ما شأنك أنت أيها التافه؟ لا تتدخل فيما لا يعنيك، لا شأن لك بها».

لكن سِبتيموس ما كان ليستسلم، وظل يحدق إلى رعد وقال بهدوء: «إنها أختي.. اتركها».

كان رعد يتحرك بصعوبة، بعد أن وجد نفسه حائرًا بين سيدَيْن، وهو وضع لا يروقه؛ فسيده القديم لا يزال موجودًا على السرج، ويكاد يكون جزءًا منه هو شخصيًا. وكالمعتاد، فإن رغبة سيده هي رغبة رعد أيضًا، ورغبة السيد الآن هي أن يتقدم رعد للأمام، وبالتالي رغبة رعد أيضًا هي أن يتقدم للأمام. وعلى الجانب الآخر، هناك السيد الجديد الذي لا يسمح له بالمرور، على الرغم من كل الركلات التي يركلها سيده في جانبه بالمهماز الحاد. حاول الحصان أن يحرك عينيه البنيتين الداكنتين بعيدًا عن نظرات سِبتيموس المحدقة به لكنه لم يتمكن، فأعاد رأسه للوراء وأخذ يئن عاجزًا، وهو مثبت هكذا بعيني سِبتيموس.

ثم كرر سِبتيموس كلامه وقال: «اترك چينا، في الحال أو...».

فقاطعه سايمون بسخرية: «أو ماذا؟ هل ستستخدم حينها إحدى تعاويذك التافهة المثيرة للشفقة؟ دعني أقل لك أيها الطفل إني أملك في أصبعي الصغير هذا قوة أكبر من كل القوى التي تستطيع أنت أن تملكها طوال حياتك البائسة. وإذا لم تبتعد عن طريقي الآن فسأستخدمها.. أفهمت؟»، وأشار سايمون بأصبع يده اليسرى الصغير نحو سِبتيموس، وشهقت چينا؛ فقد كان يرتدي في أصبعه خاتمًا ضخمًا يعلوه رمز **معكوس**، وبدا لها الخاتم مألوفًا بشكل مرعب.

سحبت چينا رأسها من قبضة سايمون، ثم صاحت تقول له: «ما خطبك يا سايمون؟ أنت أخي، لماذا تتصرف بكل هذا الشر؟» وردًا على كلامها، أمسك سايمون بقوة وشاحها الذهبي المربوط حول خصرها ولفه بقوة بيده اليسرى، بينما أحكم قبضته على الحصان بيده اليمنى، ثم قال بحنق شديد: «دعينا نواجه الأمر بلا مواربة أيتها الأميرة، فأنا لست أخاكِ، وأنتِ لستِ سوى طفلة غير مرغوب فيها جلبها لنا أبي الساذج في إحدى الليالي.. هذا هو كل ما في الأمر.. وأنت لم تجلبي لنا سوى المتاعب ودمرتِ أسرتنا.. هل فهمتِ الآن؟».

شحب وجهها، وشعرت كأن شخصًا لكمها في معدتها، ثم نظرت لأسفل نحو سِبتيموس تحثه على مساعدتها. وللحظة، نظر إليها سِبتيموس حائرًا مثلها تمامًا. لكن في تلك اللحظة تحديدًا، عندما التقت عينا سِبتيموس عيني چينا، علم رعد أنه تحرر. فتوهج أنفه من شدة الإثارة،

واشتدت عضلاته، وفجأة كان قد انطلق بعيدًا، وهو يجري بأقصى سرعة له في ضوء الشمس على الطريق الممهد بالحصى المؤدي إلى البوابة الشمالية.

وراح سِبتيموس، في ذهول، يراقب الحصان وهو يتوارى عن أنظاره. كان رأسه يدور من فرط ما بذله من جهد في **تثبيت** الحصان الذي ظل يتحداه طوال ذلك الوقت، وكان يختلف تمامًا عن الأرنب الذي اعتاد سِبتيموس **أن يثبته**. علم سِبتيموس أن أمامه خيارًا واحدًا هو الأخير حتى يصل إلى چينا، فهز رأسه محاولًا تخليصه من الطنين الذي خلفته التعويذة به، وبجسم مهتز **نقل** نفسه إلى البوابة الشمالية.

6

البوابة الشمالية



كان سايلاس هيب *لدى البوابة الشمالية* يلعب مباراة من لعبة «الفيش المتحركة» مع جرينج حارس البوابة؛ فسايلاس وجرينج كانا قد اتفقا منذ وقت قريب على وقف العداوة التي نشبت بينهما لمدة طويلة.. فعندما حاول سايمون هيب – الابن الأكبر لسايلاس – أن يهرب مع ابنة جرينج الوحيدة لوسي ويتزوجها، أُصيب كل من سايلاس وجرينج بالذعر، وقام جرينج بحبس ابنته لوسي في سندرة بيت البوابة ليمنعها من الهرب مرة أخرى، ولم يُطلق سراحها إلا عندما جاءه سايلاس فيما بعد يخبره بنبأ رحيل سايمون إلى مستنقعات مرام في منتصف الليل – وإن كان لم يظهر منذ ذلك الحين – فجرينج يعلم –

مثل الجميع – أن فرصة البقاء على قيد الحياة في مستنقعات مرام ليلًا ضعيفة جدًا.

ثم اكتشف سايلاس وجرينج أن بينهما أمورًا عديدة مشتركة، أولها موضوع لوسي وسايمون، وثانيها لعبة «الفيش المتحركة». فكلا الرجلين له ذكريات جميلة مع اللعبة عندما كانا صبيين صغيرين، وهي لعبة نادرة الوجود اليوم، على الرغم من أنها كانت لعبة مألوفة يومًا ما في القلعة، وكان الفريق الفائز بالبطولة في تلك الأيام يظل عادةً هو النجم الذي تُسلط عليه الأضواء طوال العام.

تبدو اللعبة من الوهلة الأولى كأنها من ألعاب الألواح البسيطة التي تُلعب بالفيش، وهي تتكون من قلعتين بينهما نهر في منتصف اللوحة، وكل لاعب لديه فريق مكون من مجموعة من «الفيش» لها أشكال وأحجام مختلفة موجودة على قطعة أرضه، والهدف من اللعبة هو عبور أكبر عدد من «الفيش» النهر ودخول قلعة الخصم. لكن اللعبة فيها خدعة؛ حيث إن «الفيش» لها عقول، والأهم من هذا لديها أرجل!

وهذا هو سبب شعبية لعبة «الفيش المتحركة»، وللأسف هو أيضًا سبب ندرتها؛ **فالوصفات السحرية** التي تبتكر هذه «الفيش» فُقدت أثناء الحريق الكبير منذ ثلاثمائة عام. ومنذ ذلك الحين، بدأت معظم مجموعات الفيش تتناقص تدريجيًا.. فمع مرور الزمن، خرجت «الفيش» من صناديقها وتركتها باحثةً عن المغامرات أو لمجرد البحث عن صندوق آخر أكثر إثارةً. وفي حين أن أحدًا لم يكن يمانع في فتح

صندوقه ليجد مستعمرة جديدة من «الفيش» تسكنه، كان الوضع يختلف تمامًا عندما تكتشف أن كل «فيشك» قد أصابها الملل وتركتك، وهكذا اختفت معظم «الفيش» بعد ثلاثمائة عام، فمنها ما جُرف في المصارف، ومنها ما سُحق على الأرض، ومنها ما يستمتع بوقته فحسب في مستعمرات صغيرة من «الفيش» لم يكتشفها أحد بعد.

ومعظم السحرة، بمن فيهم سايلاس نفسه، يلعبون بالنسخة السحرية للعبة؛ حيث القلعتان والنهر بالفعل مناطق حقيقية - وإن كانت بالطبع أصغر حجمًا. وجرينج منذ صباه، كان يتمنى دائمًا أن يلعب بمجموعة سحرية من اللعبة. وعندما ذكر سايلاس لجرينج أن لديه بالفعل مجموعة سحرية كاملة مقفولًا عليها بإحكام في صندوقها بمكان ما في السندرة مع بقية الكتب، تغلب الأخير بمعجزة على كراهيته لأسرة هيب الممتدة منذ سنين، واقترح على سايلاس أن يجربا يومًا اللعب معًا مباراة أو مباراتين، وسرعان ما أصبح هذا اللقاء لقاءً منتظمًا كلاهما يسعى إليه.

كان سايلاس، في وقت مبكر من هذا اليوم قد ترك القصر وسلك الطريق المختصر إلى البوابة الشمالية، حاملًا معه صندوقه الثمين الذي يحتوي على لعبة «الفيش المتحركة». وكان يسير ببطء؛ حيث كان يتبختر بجواره كلب ذئبي ضخم مفاصله تصدر صريرًا مع كل خطوة؛ إنه ماكسي، وقد وهن العظم منه، لكنه رغم ذلك لا يزال يتبع خطى سيده أينما ذهب. كان سايلاس يرتدي - باعتباره من السحرة العاديين - رداءً طويلًا أزرق داكنًا مربوطًا بحزام فضي عند الخصر. وكان شعره كسائر

أفراد أسرته، أشقر مجعدًا، رغم أنه بدأ يكتسب لونًا رماديًا خفيفًا، ولكنْ عيناه الخضراوان لا تزالان تشعان بريقًا. أخذ سايلاس يدندن ببعض النغمات المرحة وهو يشق طريقه في الشوارع التي تضيئها شمس أول الصباح، فهو خلافًا لسارة لا يُشغل باله لوقت طويل بالمشاكل، ويعلم أنه أيًا كانت المشكلة التي تواجهه، فسوف ينصلح الأمر في نهاية المطاف.

جلس سايلاس وجرينج بمودة وحب خارج بيت البوابة وأعدا لوحة اللعبة، كل منهما يلقي نظرة الخبير على «الفيش»، محاولًا استنتاج ماهية الشخصيات التي ستظهر بها «الفيش» اليوم؛ فـ «الفيش» تتحول، ومن المستحيل أن تعرف إلى أي شيء ستتحول من مباراة إلى أخرى. وإن كانت بعض «الفيش» من السهل إقناعها بالتوجه حيثما تريد أنت، إلا أن البعض الآخر ليس كذلك، فمنها من قد تُظهر لك أنها تنفذ أوامرك ثم تخيّب ظنك في اللحظة الأخيرة، ومنها من قد تغطُّ في النوم في الوقت الذي تحتاجها فيه لأن تنفذ مهمة دقيقة لك، ومنها من تظل تجري على اللوحة بجنون، مثيرة حالة من الفوضى العارمة. وسر اللعبة هنا هو أن تسرع بفهم «فيشك» و«فيش» خصمك، ثم تستخدم معرفتك كي تسير قدمًا على اللوحة وتدخل في قلعة خصمك، وكل مباراة من لعبة «الفيش المتحركة» تختلف عن الأخرى؛ فهناك من يلعبون بشكل فوضوي، وهناك من يتسمون بالعنف، لكن أفضلهم هم الذين يتسمون بخفة الظل والمرح؛ ولذلك كان أول ما سمعه سبتيموس عندما ظهر لدى البوابة الشمالية هو قهقهة من القلب أطلقها جرينج قائلًا:

«خُدعت يا سايلاس، كنت تتوقع منها حركة انحناءة مزدوجة، أليس كذلك؟ إنها تفكر جيدًا هذه «الفيشة» البدينة، لقد قلت في سري إنها سوف تُقدِم بالفعل على شيء كهذا. أظن أن هذا يسمح لي بأن أعيد «الفيشة» الاحتياطية إلى اللوحة». ومن ثم، انحنى جرينج – وهو قصير ممتلئ الجسم وإلى حد ما مجادل ويرتدي سترة جلدية – وأخذ «فيشة» كبيرة مستديرة من صندوق خشبي بجانب اللوحة، فأخذت «الفيشة» تركل بأرجلها القصيرة الممتلئة من شدة إثارتها وانطلقت جريًا على اللوحة، فقال جرينج معترضًا، وهو مرتعب، بعد أن قفزت «الفيشة» في النهر مباشرة واختفت في أعماق المياه: «ماذا تفعلين؟ لم يكن من المفترض أن تقومي بهذا أيتها... أليس هذا هو ابنك الصغير يا سايلاس؟ من أين جاء يا تُرى؟ ما أغربكم يا أسرة هيب! فأنتم تنتشرون في كل مكان بالفعل».

قال سايلاس مبتسمًا، وهو يدير محاولة لإقناع «الفيشة عابرة الأنفاق» بأن تحشر نفسها في النفق الذي يؤدي إلى قلعة جرينج: «لن يخدعني كلامك هذا يا جرينج. أنا أعلم ما الذي تدبره في رأسك، تريدني أن أرفع عيني عن اللوحة حتى تقوم «فيشتك الركالة» بركل «فيشتي عابرة الأنفاق» لتلقيها في النهر.. لعلمك، أنا لست سهلًا لهذه الدرجة».

«إنه ابنك التلميذ الصغير سبتيموس. أظن أنه يخطط للقيام ببعض **الأعمال السحرية**».

كانت **عملية انتقال** سبتيموس تحتاج لبعض الوقت كي يتلاشى تأثيرها، وهو ما جعله يبدو – إلى حد ما – في هيئة ضبابية، وبدأ ماكسي يعوي أسفل المائدة، ووقف شعر رأسه.

ردَّ سايلاس عليه، محاولًا بلا فائدة أن يجعل «فيشة الدفع» تزج بـ«الفيشة عابرة الأنفاق» أسفل القلعة: «محاولة ذكية منك يا جرينج».

«بل إنه ابنك فعلًا.. مرحبًا أيها الفتى، جئت لترى أباك، أليس كذلك؟».

أخيرًا رفع سايلاس عينيه عن اللوحة ونظر لأعلى.

وقال مندهشًا: «مرحبًا يا سبتيموس.. عظيم، رائع، هل تمارس **الانتقال** الآن؟ إنه فتى ماهر ابني الأصغر هذا. إنه تلميذ الساحرة العظمى كما تعلم». وهذه هي ليست بالطبع المرة الأولى التي يذكر فيها ذلك لجرينج.

فهمهم جرينج، وهو يُغطس ذراعه إلى مرفقه في النهر محاولًا استعادة «فيشته» قائلًا: «حقًا؟ ما أروع ذلك!»، لكنه نسي أن لعبة سايلاس هي النسخة الفاخرة التي تحتوي على تماسيح مصغرة، وعلى الفور صرخ: «آي!»..

ثم صاح سبتيموس: «أبي.. أبي! لقد جئت من أجل چينا! فسايمون خطفها. وهما قادمان من هذا الطريق الآن.. فاجعل جرينج يرفع الجسر المتحرك بسرعة!».

«أنا لا أسمعك، ماذا قلت؟».

فسايلاس كان يرى شفتي سِبتيموس تتحركان لكنه لا يسمع صوته؛ لأن سِبتيموس لم يكن قد عاد بالكامل حتى تلك اللحظة.

استعاد سِبتيموس صوته فجأة عندما كان يصيح مكررًا الجملة الأخيرة: «ارفع الجسر المتحرك يا أبي!».

«ما خطبك يا سِبتيموس؟ لا داعي لكل هذا الصياح».

سمع سِبتيموس قعقعة حوافر الحصان وراءه، وعلم أن الأوان قد فات على رفع الجسر، فقفز بجسمه أمام الحصان في محاولة أخيرة يائسة لإيقافهم، لكن سايلاس أمسكه وجذبه بسرعة بعيدًا.

«احترس! سوف يسحقك الحصان».

مر رعد مدويًا كالرعد، وأخذت جينا تصيح بكلمات لسِبتيموس وسايلاس، ولكن غطى الصوت المكتوم لحوافر الحصان الضخم على كلامها، فضلًا عن زئير الريح المصاحبة لمروره مسرعًا.

أخذ سِبتيموس وسايلاس وجرينج يراقبون الحصان بمن عليه وهو يعبر الجسر المتحرك ويدكُّ ألواحه الخشبية بقوة. وبعد أن عبروا إلى الطريق الترابي على الجانب الآخر، جذب سايمون الحصان بشدة جهة اليمين، فأسرع الحصان منطلقًا نحو الطريق الشمالي، مع انزلاق حوافره عند انعطافه على التراب الجاف. والطريق الشمالي هذا - كما يعلم سِبتيموس من مادة الخرائط التي تعلمها في جيش الشباب - يمتد موازيًا للنهر بعد المرور من فوق الجسر ذي الاتجاه الواحد، ويؤدي بعد رحلة

تستغرق يومًا كاملًا إلى البلاد الحدودية التي كثيرًا ما يُطلق عليها سكان القلعة «أرض الأشواك».

قال سايلاس مندهشًا وهو يُحدق إلى الحصان المنطلق: «فظ! هذا هو بالضبط حال راكب خيل أرعن ومستهتر، إنه يريد أن يتباهى بنفسه أمام صديقته فحسب. في رأيي، لا ينبغي أن يُسمح للشباب بامتطاء خيول سريعة، فهم لا يفكرون إلا في السرعة، السرعة، السرعة، دون الاكتراث بأي شيء آخر».

صاح سِبتيموس، محاولًا باستماتة أن يُسمع سايلاس صوته: «أبي.. إنه سايمون!».

رد سايلاس وقد بدا مرتبكًا: «سايمون؟ ماذا تقصد؟ سايمون ابني؟».

«نعم، إنه سايمون ولقد خطف جينا!».

«إلى أين؟ ولماذا؟ ما الذي يحدث بالضبط؟ ولماذا لم يفكر أحد في إبلاغي بالأمر؟». جلس سايلاس مرة أخرى، مدركًا أن اليوم قد بدأ يأخذ منحى سيئًا دون أن يعلم السبب بالضبط.

قال سِبتيموس بحنق: «هذا ما كنت أحاول أن أشرحه لك يا أبي، إنه سايمون وهو...» ومرة أخرى تم مقاطعة سِبتيموس مع ظهور لوسي جرينج لدى باب بيت البوابة، ولوسي فتاة جميلة، عيناها بنيتان داكنتان، وشعرها بني فاتح مضفر في ضفيرتين تنسدلان حتى خصرها، وكانت ترتدي رداء صيفيًا بسيطًا أبيض وطويلًا، طرزته بنفسها بمجموعة من الورود غير

المتجانسة، وفي قدميها حذاء بني طويل وثقيل مربوط برباط وردي اللون، وكانت معروفة بطريقتها غير التقليدية في اختيار ملابسها.

قالت لوسي وقد بدا الشحوب على وجهها المليء بالنمش: «أكان هذا سايمون؟ هل قلت إن هذا كان سايمون؟».

قال جرينج متذمرًا: «لوسي، أنا لن أسمح لك بذكر هذا الاسم هنا»، وأخذ يُحدق إلى لوحة اللعبة، متسائلاً في سره: كيف يُمكن لصباح ممتع كهذا أن ينقلب فجأة إلى كابوس. لكنه قال متجهمًا إنه كان ينبغي عليه أن يكون أكثر إدراكًا، أوليس هذا هو ما يحدث دائمًا مع أسرة هيب؟ إنهم لا يأتي من ورائهم سوى المتاعب.

رد سِبتيموس بلا اكتراث، بعد أن زالت نبرة الإلحاح التي كانت تغلف صوته مع إدراكه أنه قد فات الأوان الآن لإنقاذ الموقف: «نعم، هذا كان سايمون، لقد خطف جينا من القصر».

همس سايلاس: «لكن، أنا لا أفهم شيئًا».

إلا أن لوسي جرينج فهمت.. فهمت تمامًا، ثم صرخت قائلة: «لماذا فعل ذلك؟ لماذا لم يأخذني أنا؟».

7
الصوبة الزجاجية



«**كان** منطلقًا كالمجنون يا سارة».. هكذا بدأ سايلاس يحكي لسارة وهو يلهث، بعد أن ذهب إليها ووجدها مع صديقتها سالي مولن تزرعان الأعشاب في أصص الصوبة الزجاجية التي تقع في آخر حديقة الخضراوات، ثم واصل كلامه قائلًا: «كاد أن يسحق سِبتيموس في طريقه لولا أنني جذبته بعيدًا.. وكانت جينا تصرخ بجنون.. كان الموقف بشعًا».

فشهقت سارة: «لا يمكن! أنا لا أصدق ذلك».

قال سِبتيموس محاولًا ألا يثير انزعاجها أكثر من ذلك: «لم تكن جينا تصرخ يا أبي، فما الداعي لأن تصرخ؟ لقد كانت تصيح ببعض الكلمات فحسب، هذا كل ما في الأمر».

فسألته سارة: «ما هي هذه الكلمات؟ ماذا كانت تقول؟».

رد سبتيموس بتجهم: «لا أعرف، لم يكن في وسعي أن أسمعها جيدًا، فالحصان كان يُحدث ضجة كبيرة».

قالت سارة محاولة أن تقنع نفسها بهذا الكلام وألا تضخّم الأمور: «ربما كانت تقول إنها سرعان ما ستعود، ربما أخذها سايمون في جولة بامتداد النهر».

وضعت سالي يدها على ذراع سارة محاولة أن تهدئ من روعها، فسالي تقيم الآن في القصر إلى أن تنتهي إعادة بناء مقهاها الشهير بـ«مقهى سالي مولن للشاي والجعة»، ثم قالت لها: «ليس هناك داعٍ لأن تقلقي هكذا يا سارة، إنه مجرد شاب عنيد يتباهى بحصانه أمام أخته. كلهم يفعلون هذا، وسرعان ما سيعودان».

نظرت سارة إلى سالي بامتنان، رغم الإحساس البغيض الذي نما في أعماقها وجعلها لا تطمئن إلى سايمون الذي بدا مختلفًا، وكأن هناك شيئًا أبدله من سايمون ابنها الحبيب إلى... إلى ماذا يا تُرى؟

كان سايلاس لا يزال يحاول التقاط أنفاسه؛ لقد قطع الطريق كله جريًا هو وسبتيموس من البوابة الشمالية، تاركًا ماكسي راقدًا أسفل طاولة اللعبة، وجرينج وهو يسحب لوسي إلى برج بيت البوابة ليمنعها من الهرب من البيت لتلحق بسايمون.

أخذ ألثر ميلا يحوم بقلق فوق دكة الأصص، فهو غاضب من نفسه الآن بعد أن قضى ليلة أمس في حانة «فجوة السور» – وهي من الأماكن المفضلة التي يتردد عليها الأشباح – ولم يخرج مبكرًا صباح اليوم كما

كان ينبغي أن يفعل، فلو كان موجودًا حين وقعت هذه الأحداث، لاستطاع – ربما – أن يمنع سايمون، على الرغم من أنه لا يعلم تمامًا كيف كان سيفعل ذلك.. لكن على الأقل كان سيحاول.

أزاحت سارة خصلة شعر ذهبية خلف أذنها وهي تعبث شاردة الذهن في بعض عيدان المقدونس، ثم قالت مُصرة على رأيها، وهي تغرز الجاروف بقوة في الأرض: «أنا متأكدة أن سايمون لن يأخذ چينا غصبًا».

ردت سالي عليها بنبرة ملطفة: «بالطبع لن يفعل ذلك».

قال سبتيموس بإصرار: «لكن هذا هو بالفعل ما قام به؛ فچينا لم تكن ترغب في الذهاب معه، لقد قمت **بتثبيت** حصانه، ومع ذلك لم يسمح لچينا بأن تنزل عن ظهره.. وكان يستشيط غضبًا».

ردت سارة قائلة: «لقد كان سايمون يبدو بالفعل فخورًا جدًّا بحصانه، فربما أنه انزعج عندما قمت **بتثبيت** الحصان.. أنا متأكدة أنه سرعان ما سيعود مع چينا».

قال سبتيموس وقد بدأ بالفعل يغضب الآن: «أقول لك إنه خطفها يا أمي». فسبتيموس لا يفهم سبب إصرار سارة على تبرير موقف سايمون، لكن كيف يفهم وهو لم يعتد بشكل كامل حتى الآن الطريقة التي تتصرف بها الأمهات.

كان ألثر في تلك الأثناء يطفو بحزن وأسى بين كومة من أصص الأزهار المهملة، ثم قال: «أنا السبب يا سارة. وألوم نفسي. فلو كنت وضعت حراسًا أكفاء على بوابة القصر بدلًا من هؤلاء «القدماء» عديمي النفع لما حدث هذا كله».

ردت سارة بابتسامة باهتة: «لا داعي لأن تلوم نفسك يا ألثر، حتى لو كان هناك حارس كفء، لكان سيترك سايمون يدخل، فهو مهما يكن من الأسرة».

قال سِبتيموس محتدًا: «لكنهم كانوا سيمنعونه من الخروج، أليس كذلك؟ كانوا سيمنعونه لو أن چينا قالت لهم إنها لا تريد أن تذهب معه».

ردت سارة تعنفه: «سِبتيموس، لا ينبغي عليك أن تتحدث هكذا مع ألثر، بل عليك أن تبدي مزيدًا من الاحترام وأنت تتحدث مع أحد السحرة العظماء، خاصة إن كان هو الذي علّم معلمتك».

تنهد ألثر وقال: «في الحقيقة يا سارة الفتى مُحقٌ».

ثم حلق مبتعدًا عن دكة الأصص وأخذ يحوم إلى جوار سِبتيموس. كان ألثر – مقارنة بالأشباح القدماء الموجودين في القصر – يبدو بكل تأكيد حقيقيًا، فعباءته الأرجوانية، رغم لونها الباهت بعض الشيء، تكاد تبدو حقيقية، حتى مع وجود الثقب الذي أحدثته طلقة الرصاص التي أُصيب بها، وبقع الدم البنية الموجودة تحت قلبه مباشرة، كان يربط شعره الأبيض الطويل من الخلف كالمعتاد، وعيناه الخضراوان تشعان بريقًا وهما تراقبان تلميذ مارشا.

ثم قال ألثر لسِبتيموس: «إذن، ماذا تقترح أن نفعل الآن؟».

«أنا؟ تسألني يا ألثر عن رأيي أنا في الذي ينبغي أن نفعله؟».

«نعم، بما أنك تلميذ مارشا، فكرت في أنك قد تحب أن تنوب عنها».

«نتعقبهم، ونعيد چينا إلى القصر؛ هذا هو ما ينبغي علينا أن نفعله».

وإذا بسارة تُسقط الجاروف الذي كانت تقطع به عيدان المقدونس، فحط على الأرض بين قدمي ألثر مقعقعًا، وعلى الفور تراجع ألثر إلى الوراء.

ثم قالت بإصرار: «سِبتيموس، لن تذهب إلى أي مكان، يكفيني ما أعانيه من تحول چوچو وسام وإريك وإد إلى العيش بنمط حياة البرية في الغابة، ولا أعلم إلى أين سيأخذهم بحثهم عن ذاتهم هذا، إنهم يرفضون حتى أن يأتوا ويزوروا أمهم. ثم هناك نكو الذي ذهب مع روبرت جرينج هذا ليجربا ثمة مراكب، ولم يعد بعد، رغم أنه وعد بأنه سيأتي الأسبوع الماضي ليأخذ چينا إلى العمة زيلدا، ولا أعلم ماذا ألمَّ به، وأنا في غاية القلق.. والآن، سايمون وچينا رحلا...». وهنالك، انفجرت سارة في البكاء وهي تنشج بصوت عالٍ.

فأحاطها سايلاس بذراعه، وهمس يخفف عنها قائلاً: «هيا هيا يا عزيزتي، لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يُرام».

ثم قالت سالي: «سوف أذهب وأُحضر لك فنجان شاي كبيرًا وقطعة من كعك الشعير، وسوف تشعرين حينها بتحسن كبير، وسترين ذلك بنفسك» واندفعت متجهةً إلى مطابخ القصر.

لكن سارة لن يخفف عنها القلق أي شيء الآن، وأخذت تنوح وهي تقول: «سايمون وچينا رحلا، لماذا؟ لماذا يُقدِم سايمون على فعل شيء كهذا؟ لماذا أخذ چينا من هنا؟».

وضع ألثر ذراعًا شبحية حول كتف سبتيموس، ثم قال له: «هيا بنا يا فتى، دعنا نترك والديك بمفردهما الآن. يمكنك أن تأخذني لزيارة مارشا».

خرج سبتيموس وألثر من القصر وتوجها إلى «المنزلق الثعباني» المؤدي إلى خندق القلعة المائي.

فقد كانت القلعة محاطة تمامًا بالمياه، معظمها مياه النهر نفسه، بما أن القلعة بُنيت في بطن انحناء متسع للنهر، ثم يصل بين طرفي هذا الانحناء خندق مائي تم حفره بعد بناء أسوارها، وهو خندق عريض وعميق تملؤه مياه النهر، حيث يُفتح طرفا الخندق على النهر. ولقد أصبح الخندق المائي فيما بعد مكانًا مشهورًا بالصيد، وفي الصيف بالسباحة. وفي الأونة الأخيرة، تم بناء رصيف ممتد إلى منتصف عرض الخندق لأطفال القلعة حتى يسبحوا عنده، وبدأ روبرت جرينج المقدام يؤجر اختراعه الجديد – وهو زوارق روبرت للتجديف – لهؤلاء الذين يحبون اللهو في المياه لساعة أو ساعتين، وهي وسيلة ترفيه باتت تحظى بشعبية كبيرة بين كل سكان القلعة إلا اثنين منهم، هما ويزل فان كلامف وخادمته أونا براكيت اللذان – لسوء حظهما – يقيمان بجانب الرصيف الجديد فوق مخزن المراكب الذي تُخزن فيه زوارق روبرت.

كان سبتيموس يحفظ – للأسف عن ظهر قلب – الطريق إلى بيت البروفيسور فان كلامف؛ فقد دأبت مارشا منذ الأيام الأولى من عمله كتلميذ على إرساله إلى البروفيسور صباح كل سبت ليستأذنه ويأخذ منه

واحدةً من القطع العديدة والمعقدة التي يُصنع بها **واقي الظلال**. لكن حتى عندما يكون البروفيسور قد جهز القطعة – وهو نادرًا ما كان يحدث – ويعطيها بالفعل لسبتيموس، كانت أونا براكيت ترصده وقت خروجه وتطلب منه أن يعيد إليها القطعة؛ مبررةً ذلك بأنها لا تستطيع الوثوق بأن يحمل فتى في مثل سنه قطعة ثمينة كهذه، ولابد أن تأتي مارشا بنفسها لتأخذها. وكانت تندلع إثر ذلك معارك تُدار عن بُعد بين مارشا وأونا، يتورط فيها سبتيموس ذهابًا وإيابًا مثل المكوك. وهكذا، يظل سبتيموس صباح كل سبت منتظرًا خارج بيت البروفيسور فان كلامف على قدر استطاعته على تحمل مجموعة من الفتيان من دار إعادة تسكين جيش الشباب الذين لا يكفون عن السخرية منه والصراخ في وجهه، وهم دائمًا يتسكعون عند الرصيف، ويتحدون مع بعضهم البعض في القفز في المياه.

وفي نهاية المطاف، نصح ألثر مارشا – لحسن حظ سبتيموس – بأن تكف عن إرساله وتذهب هي بنفسها لجلب هذه القطع، وقال لها ناصحًا إن أونا براكيت لها وجهة نظر في ذلك؛ **فواقي الظلال** هو بالفعل جهاز معقد ويعمل بتقنيات **سحرية** عالية، وليس من العدل تحميل سبتيموس مثل هذه المسئولية على عاتقه. فاعتادت مارشا بعد ذلك – من باب استفزاز أونا – أن تباغتها من حين لآخر بالوصول مبكرًا في الساعات الأولى من الصباح دون سابق إنذار.

ومنذ نصف ساعة، كان الفتيان عند الرصيف يراقبون الساحرة العظمى وهي تسير بخطى واسعة في طريق المنزلق الثعباني، وعندما وصلت لدى الباب الخشبي السميك لبيت البروفيسور، شدت شريط

الجرس بشكل مزعج، وظلت تنتظر في الشارع بفارغ الصبر، تنقر بحذائها الثعباني الأرجواني بتوتر على الأرض الحجرية، بينما كان يصل إلى مسامعها همهمات ومشاجرات من داخل البيت. وفي نهاية الأمر، فتحت لها أونا براكيت الباب رغم علمها من رنة الجرس الطويلة بأن مارشا هي التي تنتظر خلفه.

والآن، عاد سِبتيموس لهذا الباب المخيف مرة أخرى، وألثر لا يستطيع أن يحميه، فهو إن كان يستطيع باعتباره شبحًا أن يختار الذين **يظهر** أمامهم، فمن الواضح تمامًا أنه لن يختار أن **يظهر** أمام مجموعة متهكمة من الفتيان؛ وهو خيار لا يملكه سِبتيموس التلميذ ذو الرداء الأخضر الساطع والحزام الفضي اللامع الذي يرتديه التلامذة، وسرعان ما بدأت صيحات الاستهجان تنهال عليه: «ألهذه الدرجة أنت منشغل حتى تتحدث معنا؟».

«أنت أيها الرجل الأخضر».

«أنت أيها اليرقة! ما الذي جاء بك إلى هنا ثانية؟».

وهلم جرًا .. وتمنى سِبتيموس في سره أن يحول المجموعة كلها إلى يرقات، إلا أن مثل هذا الفعل يُعد ضد قواعد السحر والفتيان يعلمون هذا.

قال سِبتيموس لألثر، بعد أن وصلا إلى الباب، وشد شريط الجرس بقوة: «ها نحن قد وصلنا». وبعيدًا، بعيدًا جدًا داخل البيت، رن الجرس رنينًا خفيفًا لم يسمعه كلاهما، لكنه رغم ذلك أثار انزعاج الخادمة. وأيقن سِبتيموس أنهما سينتظران لفترة، فالتفت إلى الشبح الذي كان يحوم بجواره وهو يحدق بالبيت.

سأله سِبتيموس آملًا أن يتمكن ألثر من الدخول معه: «أتعتقد أنك ستستطيع الدخول؟».

رد عليه ألثر: «همم.. لست متأكدًا. البيت يبدو لي مألوفًا. أذكر أنني حضرت هنا يومًا حفلة بجانب الخندق المائي، ويا لها من حفلة! فقد انتهى الأمر بنا جميعًا في المياه. أعتقد أن الحفلة كانت في هذا البيت، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بذلك. لا تقلق، فسرعان ما سأكتشف الأمر».

أومأ له سِبتيموس برأسه؛ فهو يعلم أن ألثر – لكونه شبحًا – لا يستطيع الذهاب إلا إلى الأماكن التي ذهب إليها أثناء حياته.. كان ألثر قد جال كثيرًا في كل شوارع وحارات القلعة، وعندما كان الساحر الأعظم، دخل معظم المباني الحكومية، أما بيوت العامة فهذا أمر مختلف. صحيح أن ألثر كان من المشاهير في أيامه، إلا أن هذا لا يعني أنه تمكن – بشكل أو بآخر – من أن يُدعى إلى كل بيت من بيوت القلعة.

وفجأة، انفتح الباب بقوة، وظهرت أونا براكيت، خادمة البروفيسور، وهي امرأة طويلة القامة ذات هيبة، وشعرها أسود قصير للغاية، وقالت: «أنت مرة أخرى؟».

رد سِبتيموس قائلًا: «أريد للضرورة أن أقابل الساحرة العظمى.. لو سمحتِ».

فقالت بحدة: «إنها منشغلة».

قال سِبتيموس بإصرار: «إنه أمر عاجل، مسألة حياة أو موت».

ألقت الخادمة نظرة ارتياب عليه، ووقفت ساكنة للحظات توازن بين مشهدين كلاهما أمرُّ من الآخر؛ أتترك سِبتيموس يدخل، أم تمنعه فتغضب منها الساحرة العظمى؟!

فقالت: «إذن، ادخل»، وظلت ممسكة بالباب مفتوحًا حتى دخل سِبتيموس، يتبعه عن قرب ألثر. لكن ما إن عبر ألثر عتبة الباب حتى هبت ريح عاتية فجأة دفعت ألثر على الفور خارج الباب وأعادته إلى الشارع.

فهمهم يقول وهو يقوم بعد أن سقط على الأرض: «يا للإزعاج! لقد تذكرت الآن، فالحفل كان في البيت المجاور».

قالت أونا في حيرة: «أمر غريب! لقد اشتدت الريح في الخارج فجأة»، وصفقت الباب بغضب، تاركةً ألثر يحلق في الخارج، ثم التفتت بعد ذلك نحو سِبتيموس الذي كان واقفًا في المدخل المظلم، يتمنى في سره أن يكون في الخارج الآن، في الشمس مع ألثر.

وقالت له: «لا تقف هكذا، هيا لتنزل إلى المعمل».

8

المعمل



مر سِبتيموس من فوق كيس ورقي كبير مملوء بالجزر، وسار وراء أونا في المدخل المظلم. كان سِبتيموس في السابق لا يُسمح له إلا بدخول الغرفة الأمامية الضيقة التي تطل على الشارع، لكن مع توغله الآن وراء الخادمة في الأعماق المظلمة للصالة، اندهش أن وجد البيت يبدو وكأنه ممتد بلا نهاية.

توقفت أونا براكيت بجانب باب قصير وأشعلت شمعة، وسرعان ما وجد سِبتيموس نفسه يتبع خطاها نازلًا سلمًا خشبيًّا شديد الانحدار، ثم سار في سرداب تنبعث منه رطوبة ورائحة معتقة. كان

السرداب طويلًا وضيقًا، سقفه منخفض ومقبب، ويتردد بين جدرانه صدًى مخيف لصوت سحب زوارق التجديف من مخزن المراكب. وكان السرداب مملوءًا على آخره بما يبدو أنها أغراض تراكمت على مدار سنوات طويلة؛ فهناك أكوام من الحوامل الثلاثية علاها الصدأ، ومصابيح المختبرات الكيميائية، وأكوام من الصناديق الخشبية مكدسة على آخرها بأوراق قديمة مصفرة، وأكوام من الأجهزة العلمية المحطمة، بل كان هناك أيضًا زوج من الزحاليق القديمة معلق على الجدار.

تقدمت أونا بخطوات واسعة وسِبتيموس يهرول وراءها، إلى أن وصلت إلى نهاية السرداب، ثم مرت من مدخل صغير. وبسرعة، تلاشى ضوء الشمعة مع اختفاء أونا وراء منعطف، ووجد سِبتيموس نفسه في ظلام دامس، لا يعلم بالتحديد أي اتجاه يسلكه، لكن هذا لم يُزعجه؛ فالخاتم التنيني الذي يلبسه في سبابته بدأ يومض – كما هي عادته – وسرعان ما كان يُرسل قدرًا كافيًا من الضوء جعله يرى مرة أخرى أين هو بالضبط.

اخترق الظلام صوت أونا الحاد مع رجوعها لتتبين أين اختفى سِبتيموس وهي تقول له: «أين أنت؟ أنا منشغلة ولديَّ أعمال أخرى»، ثم قالت بحدة بعد أن لاحظت وميض الضوء الصادر عن يده: «أنا لا أسمح للفتيان بحمل الشموع هنا».

رد سِبتيموس معترضًا: «لكن ...».

فقاطعته: «بل في الواقع، أنا لا أسمح للفتيان بالنزول إلى هنا. ولو كان الأمر بيدي، لما كنت سأسمح لأحدهم أساسًا بالدخول إلى البيت. فلا يأتي من ورائهم سوى المتاعب والمشاكل».

«لكن ...».

«والآن، أطفئ هذه الشمعة التي معك واتبعني».

فدس سِبتيموس يده اليمنى في جيب ردائه، وتابع خطى أونا براكيت وهي تسير في نفق ضيق مبطن بالطوب. كان النفق يلتف متعمقًا في طريقه أسفل شوارع القلعة، ويأخذهما أسفل البيوت والحدائق المجاورة، بينما كان ضوء الشمعة يتراقص يمينًا ويسارًا ويهتز مع هبوب الرياح الباردة عليهما على امتداد النفق، وتنقل معها رائحة التربة والعفونة الرطبة. ومع تقدمهما في الطريق، خيم برد قارس، وبدأ سِبتيموس يرتجف وهو يتساءل في سره إلى أين بالتحديد تأخذه أونا.

وفجأة، توقفت أونا أمام باب خشبي ثقيل يسد الطريق، ثم اختارت من بين مجموعة مفاتيح تتدلى من حزامها – أضخم مفتاح ودفعته في ثقب الباب الذي كان للدهشة يتوسطه. وما كاد سِبتيموس ينظر حوله ليرى ماذا تفعل أونا، حتى دوى أزيز قوي من خلف الباب.

وفجأة، قفزت أونا براكيت للوراء فاصطدمت بسِبتيموس وهبطت بثقلها على قدمه.

«آي!».

«تراجع إلى الوراء!» ودفعته دفعة قوية أعادته طائرًا إلى النفق قبل سقوط الباب على الأرض في أقل من ثانية لينفتح أمامهما كالجسر المتحرك.

ثم قالت له بحدة: «انتظر هنا! ليس مسموحًا لك بأن تتقدم أكثر من ذلك، وأنا سأخبر السيدة مارشا بأنك تريد مقابلتها»، وعبرت الباب كما لو كان بالفعل جسرًا متحركًا، لكن سبتيموس دخل وراءها إلى المعمل.

كان معمل البروفيسور ويزل فان كلامف أغرب مكان رآه سبتيموس في حياته، علمًا بأنه رأى منذ أن صار تلميذًا لمارشا بعض أغرب الأماكن الأخرى.

كان المعمل غارقًا في زرقة خفيفة، وهو عبارة عن غرفة طويلة ضيقة، سقفها مقبب، وتحتوي على غابة من القوارير والقنينات والدوارق والأقماع التي تبقبق، وجميعها موصلة بأنبوب زجاجي ضخم يمتد في مسار ملتفٍ وهو مرفوع عاليًا بطول المعمل، وينبعث من نهاية هذا الجهاز غاز أزرق يبقبق، يعتقد البروفيسور فان كلامف أنه يُبعد **الظلال** بمسافة آمنة، مانحًا المكان بأكمله رائحة مميزة تذكِّره بقرع العسل المحترق.

نظر سبتيموس وسط الضباب الأزرق، يحاول أن يحدد مكان مارشا، واستطاع بصعوبة أن يلمح بعيدًا في نهاية الغرفة هيئة مارشا الطويلة وهيئة البروفيسور القصيرة الممتلئة. كانت مارشا ممسكة بأنبوب زجاجي طويل مملوء بسائل أسود لامع، وكانت تقف فزعةً إثر ارتطام الباب بالأرض وبدأت تنظر عبر البخار الأزرق لتتبين الأمر، ثم علتها الدهشة وهي ترى سبتيموس يظهر فجأة وراء أونا، وقالت له من مكانها: «ماذا تفعل هنا؟ إنك اليوم في عطلة، أنا لا أريد أن أسمع شكاوى من والدتك مرة أخرى».

فصاح وهو يراوغ ببراعة أونا التي تحاول الإمساك به، وانطلق وسط الضباب متجهًا نحو مارشا: «إنها چينا!».

فردت مارشا تسأله مشوشة الذهن: «چينا من؟ عم تتحدث؟»؛ فرأس مارشا كان يدور من كَمِّ المعادلات الرياضية التي كان البروفيسور فان كلامف يشرحها لها توًّا، محاولًا أن يوضح لها لماذا يستغرق صُنع **واقي الظلال** كل هذا الوقت، فقد كان منشغلًا يبين لها القوالب شديدة التعقيد التي استُخدمت في بناء كل قطعة ربط داخلية من **واقي الظلال** عندما دق سبتيموس جرس الباب وذهبت أونا على مضض لتفتح. ولقد أسعد مارشا حينها خروج أونا من المعمل، فأونا تلازمهما دائمًا كأنها ذبابة كبيرة مزعجة، وهو ما يجعل مارشا تقاوم بصعوبة رغبتها الملحة في ضربها ضربة قوية كما يُضرب الذباب.

صاح سبتيموس بعد أن وصل إلى الساحرة العظمى في اللحظة التي كانت أونا على وشك الإمساك به: «لقد رحلت!»، ثم اختبأ وراء مارشا، تاركًا إياها واقفةً بينه وبين الخادمة التي بدا عليها الانزعاج والتوتر.

ردت مارشا وهي تقف حائرة وسط وصلة الرقص التي تدور بين سبتيموس وأونا حولها، قائلة: «عظيم، هذا خبر سار. لقد اعتقدت أن سارة سوف تؤخر إرسالها إلى المركب التنينية، فلم يتبق على عيد منتصف الصيف سوى يومين».

فقال سبتيموس: «ليس هذا ما أقصده، إنها لم ترحل إلى العمة زيلدا، لقد تم اختطافها».

فسقط الأنبوب الزجاجي من يدها، وهي تصيح قائلةً: «ماذا تقول؟»، وشهق البروفيسور وأونا في فزع؛ فالأنبوب كان يحتوي على **الملجم** المستخدم في صناعة **واقي الظلال**.

قالت مارشا وهي تنظر إلى الراسب الأسود اللامع الذي يغطي الآن حذاءها الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان، وكذلك إلى البروفيسور ڤان كلامف الذي جثا على ركبتيه محاولاً باستماتة أن يجمع **الملجم** الثمين الذي صنعه: «أهذه دعابة يا سِبتيموس؟».

فردَّ بنبرة كئيبة: «ليت الأمر كذلك!».

ثم قالت أونا براكيت بمرارة وهي تجثو لتنضم إلى البروفيسور ومعها مكشطة معدنية كبيرة متوجهة إلى حذاء مارشا: «إنها ليست سوى مزحة، أو على الأرجح أكذوبة».

قالت مارشا ببرود أعصاب: «ابتعدي عن حذائي، أنا لا أريد فركه بهذا الشيء»، ثم ثبتت أونا بنظرة ثاقبة، وقالت بإصرار: «على أية حال، سِبتيموس لا يكذب».

فردَّت أونا عليها وهي تكشط **الملجم** بغضب: «الدليل واضح.. انظري لما حدث.. تتركين الفتى يدخل إلى المعمل فينكسر شيء.. كنت أعلم أن هذا سوف يحدث».

ثم قالت مارشا، وهي تحاول أن تبتعد لتفاجأ بأن حذاءها ملتصق بالأرض: «چينا.. اختطفت؟ كيف حدث هذا؟ ومن فعلها؟».

قال سِبتيموس الذي بدأ يتوتر ويريد مغادرة المكان: «إنه سايمون.. لقد خطفها على حصانه. لابد أن نتبعها، لابد أن نرسل بعض المتعقبين و...».

قالت مارشا: «لا تفعلي هذا يا أونا.. سايمون من الذي تتحدث عنه؟».

«سايمون أخي.. هيا هيا يا مارشا، أرجوكِ أسرعي».

«سايمون هيب؟».

«نعم.. ولقد حاولت منعه، وقمت **بتثبيت** حصانه، لكن...».

ردت مارشا سعيدةً بتلميذها: «أحقًا فعلت هذا؟ حصان بأكمله؟ هذا إنجاز رائع، وإذا كنت تستطيع أن **تثبت** حصانًا فأنت تستطيع أن **تثبت** أي شيء بعد ذلك. لكن، **أتغلب** عليك؟».

«لا.. في الحقيقة نعم.. ليس بالضبط.. لكن ليس هذا هو موضوعنا الآن»، ثم تحول صوت سِبتيموس إلى صياح يائس وهو يقول: «الموضوع أن چينا مخطوفة الآن ونحن لا نفعل شيئًا!».

وضعت مارشا ذراعها حول كتف سِبتيموس وقالت له: «لا تقلق، فسايمون أخو چينا، وهي في أمان معه، لا داعي فعلًا لهذا القلق. أعتقد أن لدغة العنكبوت جعلتك منفعلًا بعض الشيء، وهذا الانفعال من الأعراض الجانبية لسم العنكبوت **الشيطانية** كما تعلم. وعلى أية حال، أعتقد أنه حان الوقت لأن نرحل الآن».

ثم وجهت مارشا كلامها إلى ويزل فان كلامف الذي كان يحدق بأسف إلى الطينة السوداء التي تجمعها أونا بمشقة وتضعها في برطمان: «سأذهب الآن يا ويزل، وسأنتظر منك القطعة الليلة».

شهق البروفيسور: «الليلة؟ لكن يا مارشا، لقد ظننت أنك فهمت أن الموضوع معقد، وكم أنه من الصعب تصور شكل القالب».

«لقد صنعت القالب يا ويزل، لقد جعلتني أراه، فكل ما عليك أن تفعله الآن هو أن تصنع مزيدًا من هذه الخلطة وتسكبها فيه. وأنا لا أرى في ذلك أية معضلة».

بدا القلق على البروفيسور، وقال: «لكن أونا سوف تخرج الليلة في حفلة للرقص الريفي».

ردت مارشا بحدة قائلة: «هنيئًا لها.. كُفَّ أنت فحسب عن الارتجاف وسوف تنجز يا ويزل».

نظر ويزل فان كلامف بتوتر إلى أونا براكيت التي ارتسم على وجهها تعبير ساخط ناقم، ثم تمتم قائلًا: «لكن... لكن لو...»، ثم همس قائلًا: «أقصد لو... لو صنعت الملجم على عجل، فهناك احتمال أن يظهر الظل هنا في المعمل».

ردت عليه مارشا بشكل قاطع: «في هذه الحالة سأكون على يقين من أن أونا سوف تتولى أمره. سوف أحضر في المساء لأخذ القطعة».

فسألتها أونا ببرود: «وفي المساء هذا، يعني متى يا سيدة مارشا تقريبًا؟».

ردت مارشا بنبرة أبرد كانت ستُدخل الهلع التام في نفس أي شخص آخر بخلاف أونا براكيت: «تقريبًا هذه هي عندما أحضر. والآن، هل لك أن تقوديني أنا وتلميذي إلى الخارج يا سيدة براكيت؟».

ابتسمت أونا لأول مرة، أو بالأحرى تحرك ركنا فمها لأعلى لتتكشف أسنانها وهي تشع بريقًا أزرق في ضوء المعمل، وقالت: «إنه لمن دواعي سروري».

9

العقار رقم ثلاثة عشر



تبع سِبتيموس خطوات مارشا وتحليق ألثر في طريق السحرة عائدين إلى البرج، وكان ينصت بإمعان إلى الحديث الدائر بينهما.

كان ألثر يقول: «لو كنت مكانك يا مارشا لقمت بعملية **بحث** سريع في الحقول الواقعة شمال القلعة، فمن غير الممكن أن يكون سايمون قد ابتعد أكثر من ذلك، ولابد أنه لا يزال يقطع طريقه وسط الحقول متجهًا إلى البلاد الحدودية، وأنا أراهن بحياتي.. أقصد أراهن... أراهن بذيل حصاني أن هذه هي وجهته. وبوسعكِ أن تقومي بجولة في أنحاء الحقول في لمح البصر، ولولا أن ذهابي لن يُجدي نفعًا لذهبت بنفسي؛ فالحقول كانت مكانًا لا يروقني

مطلقًا عندما كنت على قيد الحياة، فالروائح التي تنبعث منها كثيرة وبها العديد من الحيوانات ذات القرون المدببة التي تأخذك على حين غرة، وهي أمور لم تكن تستهويني. فلو ذهبتُ فسيتم إعادتي كلما حاولت. وبصراحة يا مارشا، **عملية الإعادة** هذه تسلبني قوتي، وأنا لا أزال أشعر بدوار منذ أن تم **إعادتي** آخر مرة».

لكن مارشا لم تقتنع، فأحس سِبتيموس بالإحباط.

قالت مارشا لألثر، وهي تواصل سيرها بخطوات سريعة على امتداد طريق السحرة، تاركة سِبتيموس يتبعها لاهثًا: «اسمع يا ألثر، ليس لديّ أدنى استعداد لأن أترك القلعة إذا كانت الأميرة غير موجودة بين جدرانها. أنت تعلم ما الذي حدث المرة السابقة عندما خرجت أنا وهي منها – لقد دخلها دومدانيال على الفور. فمن الذي يضمن لي أن هذا لن يتكرر ثانيةً؟ كما أنه ليس هناك داعٍ للذهاب وراء جينا، فسرعان ما ستعود. وأنا لا أظن حقيقةً أن هناك أيّ شيء يستدعي القلق، فكل ما نعرفه يقينًا أن جينا خرجت لركوب الخيل مع أخيها...».

فقاطعها ألثر قائلًا: «مع أخيها بالتبني».

«حسنًا، مع أخيها بالتبني إذا كنت ترغب في تعقيد الأمور، على الرغم من أن شعور جينا بالانتماء لأسرة هيب لا يختلف عن شعور بقية الأولاد يا ألثر؛ فهي تعتبرهم إخوتها، تمامًا كما يعتبرونها أختهم».

رد ألثر قائلًا: «فيما عدا سايمون».

قالت مارشا معترضة: «أنت لست متأكدًا من ذلك».

«بل أنا متأكد».

«لا تكن أخرق إلى هذا الحد يا ألثر، فمن أين جئت بكل هذا التأكيد؟ على أية حال، چينا ذهبت في جولة على الحصان مع أخيها بالتبني، وكل ما نعرفه أنه لم يتركها تنزل عن ظهر الحصان عندما طلب منه سبتيموس ذلك. وإذا سألتني فسأقول لك إن الأمر كله ليس سوى أن سايمون رفض الانصياع لأمر أخيه الأصغر، وهو ما لا يثير الدهشة كثيرًا، كما أنه يشعر بالغيرة من سبتيموس؛ لأنه أصبح تلميذي، وبالتالي فمن الصعب أن يُنتظر منه عمل ما يُمليه عليه أخوه، أليس كذلك؟».

رد ألثر عليها بنبرة رزينة وقال: «إن سبتيموس يا مارشا يعتقد أن چينا اختطفت».

«اسمع يا ألثر، إن سبتيموس ليس في حالته المعتادة اليوم، لقد لدغته عنكبوت من العناكب **الشيطانية** صباح اليوم، وأنت تدرك كيف يُمكن أن يتسبب ذلك في الشعور بالاضطهاد. أتتذكر يوم أن لدغتك إحداها عندما كنت تدخن تلك المؤذية التي كانت تحرك الدخان وتتسبب في مخاطر صحية في محل الفطائر بمنطقة العشوائيات؟».

«أتقصدين تلك الفأرة المجنونة؟».

«نعم هي.. لقد قضيت بقية اليوم معتقدًا أنني أحاول أن أدفعك من النافذة».

«فعلًا؟».

«نعم. حتى إنك حبست نفسك في مكتبك وأغلقت النوافذ تمامًا، ثم تلاشى كل ذلك في المساء، وأنا متأكدة من أن سبتيموس هو أيضًا سيكون على ما يُرام بحلول المساء، وچينا سوف تعود بعد أن تكون قد

قضت رحلة لطيفة بالحصان مع أخيها، وسوف تندهش جميعًا حينها كيف أننا حمّلنا الأمور أكثر مما ينبغي».

نفد صبر سبتيموس، وما عاد يحتمل سماع المزيد، فتسلل منهما وهو في حالة من الغضب بعد أن أدرك أنه لا مفر من أن يتحرك هو، وبدون مساعدة مارشا، وكان هناك شخص يريد مقابلته.

•

واصلت مارشا وألثر طريقهما، غير مدركَين أن سبتيموس تركهما.

كان ألثر يقول: «.. كما أن سايمون هيب لا يمكن الوثوق به».

«هذا هو كلامك أنت يا ألثر، لكن ليس هناك دليل على ذلك، أليس كذلك؟ فهو في نهاية الأمر من أسرة هيب .. أعلم أنهم أسرة غريبة، وبعضهم يفتقدون الذكاء، لكنهم - بلا شك - أسرة فاضلة؛ فهم ينتمون لقبيلة عريقة من السحرة».

رد ألثر قائلًا: «ليس كل السحرة على خُلق يا مارشا كما لا يخفى عليكِ. وأنا أريد فعلًا أن أعرف ماذا كان سايمون يفعل طوال العام الماضي؟ ولماذا عاد هكذا فجأة ومباشرة قبل عيد منتصف الصيف؟ وأنا لا أزال أعتقد أن سايمون هو الذي خانك في مستنقعات مرام».

«هراء! ما الذي يدفعه ليفعل هذا؟ بل إنه كان ذلك الجرذ الرسول المزعج؛ فالجرذان لا يمكن الوثوق بها يا ألثر، خاصة لو كان جرذًا مغرورًا. وبمناسبة الحديث عن الإزعاج، أنا لا أنوي أن أواصل العمل بتوصيتك، فويزل رجل مسنٌّ ومزعج، كما أن خادمته تثير اشمئزازي، إنها دائمًا تحوم حولنا وتراقب كل شيء. وصُنع **واقي الظلال** يستغرق وقتًا

طويلًا، وكل مرة أعود بقطعة إلى البيت أمرُّ بوقت عصيب في محاولة تركيبها، وأنا حتى الآن لم أتمكن من تركيب القطعة الأخيرة بالشكل الصحيح».

فردَّ: «إن هذه المعدات **الواقية** معقدة في صُنعها يا مارشا. على أية حال، ليس أمامك خيار آخر، فعائلة ويزل هي التي تصنعها أجيالًا وراء أجيال، ولقد اخترعوا **الملجم** ولا أحد سواهم يعرف تركيبته. ولقد خلصني والده «أوتو» من **طيف** شرير جدًا، واستغرق الأمر حينها سنتين. إنها أمور تستغرق وقتًا طويلًا يا مارشا.. لابد أن تتحلي بالصبر».

ردت مارشا بحدة: «ربما، أو ربما من الأفضل أن أشتري من «دار المخطوطات» شيئًا بسيطًا فحسب».

قال ألثر بشكل قاطع: «لا، إن **واقي الظلال** هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُخلصك نهائيًا من **الظل**، وهي مهمة لا تتناسب مع الأعمال التي تقوم بها «دار المخطوطات»، فضلًا عن أن هناك أمرًا في رئيس كتبة النصوص الهرمسية يثير انزعاجي».

«في الحقيقة يا ألثر أنت اليوم في حالة ذهنية تشك في كل شيء، وأي شخص سيظن أنك أيضًا أصابتك لدغة عنكبوت».

أدرك ألثر أن حديثه مع مارشا لن يقوده إلى أي شيء؛ فهو يعلم تمامًا أن مارشا كثيرًا ما تكون عنيدة في بعض الأوقات، ولقد دخل معها في معارك عديدة في الماضي عندما كان هو الساحر الأعظم وهي تلميذته، وحينها لم يكن هو الذي دائمًا يفوز. أما الآن وقد صار شبحًا، فلا فرصة له مطلقًا للفوز؛ فمارشا هي الساحرة العظمى الآن، وإذا رأت أن رأيها هو

الأصوب - وهو دائمًا ما يكون كذلك - فمعنى ذلك أنه سيضطر للاستسلام.

فقال متجهمًا: «سوف أرحل الآن يا مارشا»، وهنالك فقط أدرك أن سبتيموس ما عاد يتبعهما، فسألها: «أين ذهب الفتى؟».

فردت على الفور: «لقد قلت لك إنه اليوم في إجازة، أعتقد أنه ذهب لزيارة والدته. والآن، بعد إذنك يا ألثر، فأنا لديَّ بعض الأعمال التي يجب أن أقوم بها.. سوف أراك لاحقًا».

رد عليها ألثر بحنق: «ربما»، ثم راقبها وهي تنطلق بخطوات واسعة متجهة نحو القوس العظيم وعباءتها الأرجوانية تنساب خلفها، وبالكاد كان يراها مع مرورها وسط الظلال التي يلقيها القوس العظيم، بينما كانت تتبعها غشاوة غائمة. تنهد ألثر؛ **فالظل** يزداد قوة يومًا بعد يوم، حتى إن ألثر يستطيع الآن إذا أغمض عينيه ووجَّههما إلى جانبي مارشا - أن يرى حدود هيئة متثاقلة تسير مع خطواتها الواسعة خطوة بخطوة وهي تعبر من أسفل «القوس العظيم». إن الأمر لا يحتمل التأخير، وكلما أسرعت مارشا في الانتهاء من صنع **واقي الظلال** كان ذلك أفضل.

ارتفع ألثر عاليًا في الهواء، وحلق بأسرع ما في وسعه في طريق السحرة، محاولًا التخلص من الإحساس المنذر بالشر الذي تملكه. ومن فرط انشغاله وهو يمر بسرعة فائقة من أمام «دار المخطوطات السحرية وشركة مراجعة التعاويذ» - لم يلحظ هيئة سبتيموس هيب في عباءته الخضراء وهي تختفي مع دخولها من الباب.

وقف سِبتيموس ساكنًا لوهلة داخل «دار المخطوطات» يكيِّف عينيه على ظلمة المكان. كان يقف في المكتب الأمامي الصغير الذي يتردد عليه العملاء لتسجيل طلبات شراء تعاويذ جديدة، أو لجلب تعاويذ قديمة غير مستقرة لمراجعتها، أو لطلب نسخ من الوصفات السحرية والتعاويذ والرقى، حتى الشعر الغريب.

ولدهشة سِبتيموس، كان المكتب خاليًا، ومن ثم توجه نحو الباب الصغير القابع في نهاية الغرفة ونظر حوله؛ كانت حركة العمل في مكتب المخطوطات تسير بنشاط وفي هدوء، والأصوات الوحيدة التي كان سِبتيموس يسمعها هي خربشة ريش الكتابة على الورق وسعال وعطس مكتوم، فنزلات البرد الصيفية التي تنتشر دائمًا في أجواء المكتب تلازم المكان لفترة. كان هناك واحد وعشرون كاتبًا منهمكين في عملهم وسط جو مظلم، كل منهم يجلس إلى مكتب مرتفع، يضيئه مصباح خاص به يتدلى من السقف، يكشف ما يقوم به الكاتب من أعمال، والذي يتطلب جهدًا شاقًا.

قال سِبتيموس بصوت مسموع: «بيتل.. بيتل، هل أنت هنا؟».

نظر الكاتب الأقرب لسِبتيموس وأشار له بالقلم إلى الركن البعيد من الغرفة.

«إنه في الخارج هناك؛ لقد وصلتهم توًا تعويذة **غير مستقرة**، وهو يحاول أن يُدخلها في صندوق. اذهب إليه إن شئت، لكن لا تقترب كثيرًا من الصندوق».

رد سِبتيموس على الرجل قائلًا: «أشكرك»، ثم مرَّ على أطراف أصابعه بين صفوف المكاتب، جاذبًا أنظار بعض الموظفين الذين أصابهم الضجر، ثم تسلل من الباب إلى الخارج في الفناء ليجد مشهدًا تعمُّه الفوضى العارمة.

كان بيتل يصيح قائلًا: «أمسكها! إنها تهرب!».

كان بيتل -وهو فتى ممتلئ ذو شعر أسود ويكبر سِبتيموس بثلاث سنوات- يجاهد بشق النفس مع شيء غير مرئي ويحاول أن يُدخله في صندوق أحمر ضخم يقبع في وسط الفناء، مكتوب عليه «صندوق خطر غير مسموح بفتحه». كان بيتل يصيح في اثنين من الكتبة بدا عليهما الشحوب، وكانا طويلي القامة وهزيلين، ويبدو كأنهما سينكفئان على وجهيهما مع أقل نسمة هواء تهف عليهما.

سأله سِبتيموس: «أتريد أي مساعدة؟».

رفع بيتل بصره ونظر إلى سِبتيموس بامتنان.

«بكل سرور يا سِب. إنها من النوع الجامح؛ فهي على ما يبدو من الكائنات المتحررة من المستنقع من النوع الخفي، أخرجها شخص أحمق من حفرة أمس **وأعاد إليها الحياة**، بعد أن كانت تنام في دولاب سالمةً منذ زمن بعيد.. أنا لا أفهم لماذا لا يترك الناس هذه الأشياء في حالها.. ابتعدي أيتها...».

كان الكائن قد رفع الصندوق وقلبه على رأس بيتل، فاندفع سِبتيموس نحوه ورفع من فوقه الصندوق، ثم وقف بيتل حائرًا للحظة، وهو يُحدق إلى أنحاء الفناء الصغير المحاط من كل الجوانب بجدار مرتفع مبني من

الطوب، محاولاً أن يستنتج أين يمكن أن يجد هذا الكائن، بينما بدا الذعر على الكاتبين، وانزويا في الركن الأبعد من الصندوق.

قال بيتل لاهثًا: «لابد أن تُدخلها الصندوق يا سِب، إن عملي مرهون عليها».

وقف سِبتيموس ساكنًا لوهلة، وأخذ يراقب صدور أي صوت حتمًا سيظهر بمجرد أن يتحرك الكائن. وفجأة، لمح حركة موجية على طوب الجدار، فاندفع إلى الصندوق وانطلق به جريًا نحو الركن الذي انزوى به الكاتبان بجُبن.

وطرح سِبتيموس الصندوق أرضًا.. طراخ!

فصاح الكاتب الأطول متأوهًا بعد أن ضرب طرف الصندوق أصابع قدمه.

بينما صاح سِبتيموس يقول بنبرة انتصار: «لقد أمسكتها!».

وواصل الكاتب صراخه متألمًا، وأخذ يدور حول نفسه وهو يقفز على قدمه السليمة، ممسكًا بقدمه المصابة.

«أنا آسف يا فوكسي»، هكذا اعتذر سِبتيموس للكاتب، وهو يستند بقوة إلى الصندوق؛ حتى يضمن عدم خروج الكائن المتحرر من المستنقع، بينما همَّ الكاتب بالدخول إلى المكتب وهو يعرج مستندًا إلى ذراع الكاتب الآخر، ثم بدأ سِبتيموس يساعد بيتل في زج الغطاء أسفل الصندوق المقلوب. وبحرص، عدلا الصندوق، وبسرعة لفه بيتل بشبكة تثبيت، ثم ربطه بشكل آمن ووضعه خارج البوابة الخلفية، إلى أن تأتي فرقة جمع القمامة.

قال بيتل بامتنان: «أشكرك يا سِب، أنا مدين لك بذلك، إن احتجت مني أي شيء في أي وقت فلا تتردد».

رد سِبتيموس قائلاً: «في الواقع، أريد منك خدمة».

قال بيتل مبتهجًا، وهو يضع ذراعه في ذراع سِبتيموس، ويقوده إلى مطبخ صغير في آخر الفناء يحتفظ فيه دائمًا بإبريق ماء مغلي على الموقد: «أنا تحت أمرك».

فقال سِبتيموس: «لقد حضر أخي سايمون إليكم صباح اليوم، فهل بإمكانك أن تقول لي ماذا كان يريد؟».

أخذ بيتل فنجانين من على الرف، وأسقط في كل منهما مكعب فوّار لصنع مشروب **الفواكه الفوارة**، وهو المشروب المفضل لكل منهما، وهو يُصنع من تعويذة **فوارة** دائمة كانت «دار المخطوطات» قد جددتها لشخص لم يأتِ قطُّ لتسلُّمها. وكان المشروب في الواقع مثلجًا رغم أنه يحتاج لتفعيله إلى ماء مغلي.

قال بيتل وهو يقدم لسِبتيموس الفنجان ويجلس على المقعد الخشبي إلى جواره: «تفضل».

«أشكرك يا بيتل»، ثم رشف سِبتيموس رشفة بملء فمه من **الفواكه الفوارة** وابتسم، بعد أن كان قد نسي كم أن هذا المشروب مذاقه جميل، فمارشا تعترض على تناول المشروبات **الفوارة**، خاصة تلك المصنوعة عن طريق التعاويذ، وهو ما يجعل تناول المشروب الممنوع مع بيتل من حين لآخر ممتعًا، ويكسبه مذاقًا أجمل.

ثم قال بيتل في حيرة: «أنا لم أر أيًا من إخوتك هنا يا سِب، أقصد أن معظمهم يعيشون في الغابة الآن، أليس كذلك؟ لقد سمعت أن سلوكهم أصبح جامحًا نوعًا ما. خرجوا مع «ساحرات ويندرون» وتحولوا إلى كائنات ولڤرين أو ما شابه ذلك».

فرد عليه سِبتيموس قائلًا: «ليس الأمر بهذا السوء يا بيتل، كل ما في الموضوع أنهم يعشقون الغابة، وأنا جدي شجرة ويعيش في مكان ما بها.. هذه أمور طبيعية في عائلتنا».

همهم بيتل الذي من فرط دهشته استنشق خطأً رشفة من المشروب: «ماذا تقول؟ جدك شجرة؟!».

قال سِبتيموس وهو يضحك: «احترس يا بيتل! إنك تنثر المشروب على ملابسي»، ثم شرح له الأمر وهو يجفف كُمَّ ردائه: «كان جدي من المتحولين، وصار الآن شجرة».

أطلق بيتل صفارة انبهار قصيرة.

«لكن ما عاد هناك العديد من المتحولين اليوم يا سِب. وهل تعرف أين هو؟».

«لا. لكن أبي طالما خرج إلى الغابة ليبحث عنه، لكنه لم يعثر عليه بعد».

«كيف عرف؟».

«عرف ماذا؟».

«عرف أنه لم يعثر عليه! أقصد، كيف يمكنك أن تحدد أي شجرة هي أبوك؟».

رد سِبتيموس الذي كثيرًا ما حيره هذا السؤال: «لا أعلم»، ثم قال عائدًا إلى الخدمة التي طلبها منه: «اسمع يا بيتل، لابد أنك رأيت سايمون. لقد حضر مبكرًا هذا الصباح، أنا وچينا رأيناه وچينا سوف تقول لك...»، ثم توقف فجأة بعد أن لاحت في ذهنه صورة لچينا الآن وهي مذعورة وتنطلق كالرعد على ظهر حصان سايمون في طريقها إلى... إلى أين يا تُرى؟

رد بيتل قائلًا: «الشخص الوحيد الذي حضر صباح اليوم هو الرحال».

«قلت من؟».

«الرحال. هذا هو الاسم الذي يُطلقه على نفسه. الكل هنا يعتقدون أنه مخبول، لكنني أعتقد أنه مخيف يا سِب. وأنا أعلم أن هذا هو رأي فوكسي الأب أيضًا، رغم أنه لم ينطق بذلك قطُّ. هذا الرحال كثيرًا ما يأتي ومعه لفافة لفوكسي الأب، أنت تعرفه، إنه والد فوكسي، و«رئيس كتبة النصوص الهرمسية»، ويقضي مع الرحال ساعات طويلة في «الغرفة الهرمسية»، ثم يرحل بعد ذلك، وهو لا ينطق بكلمة واحدة مع أي شخص. إنه فعلًا غريب، حتى إن فوكسي الأب يعلو وجهه دائمًا شحوب مفزع بعد رحيله».

فسأله سِبتيموس: «هل عينا هذا الرحال خضراوان، وشعره يشبه شعري؟ هل كان يرتدي عباءة سوداء طويلة، ولديه حصان أسود ضخم ربطه بجانب الباب؟».

«بالضبط، هذا هو الرحال.. لقد أكل الحصان كيس التفاح الذي جلبته معي لوجبة الغداء، على الرغم من أنني لم أجرؤ على أن أذكر

ذلك، لكنه لا يبدو أنه أخوك؛ إنه لا يشبه أسرة هيب، أقصد أن أسرة هيب لا تروِّع الآخرين، ولا تفزعهم. ربما بهم لوثة، لكنهم لا يُخيفون».

فقال سِبتيموس: «لكن سايمون مخيف بالفعل.. مخيف جدًا.. لقد أخذ چينا.. اختطفها».

بدا بيتل مذهولًا، ثم قال لاهثًا: «الأميرة؟ الرحال اختطف الأميرة؟ أنا لا أصدق ذلك».

رد سِبتيموس قائلًا: «هذه هي المشكلة، ما من أحد يريد أن يصدق.. ولا حتى مارشا نفسها».

١٠
الارتحال



كان سِبتيموس في غرفته يعد حقيبته، وغرفته هذه صغيرة مستديرة الشكل، تقع في أعلى برج السحرة، وأصبحت في حالة دائمة من النظافة والترتيب بعد عشر سنوات تدريب قضاها سِبتيموس في جيش الشباب. وعلى الرغم من الرعب والمخاطر التي لاقاها في تلك السنوات، وبعد أن تم تسريح جيش الشباب وعاد إلى أسرته، فإن كرهه لكل شيء تعلمه وهو جندي في الجيش بدأ يزول، لقد تخلص الآن من الفوضى العارمة التي حاصرته بعد ذلك من باب التمرد، فبعد فترة قصيرة، بعد أن كانت غرفته تشبه مقلب قمامة البلدية، صارت الآن نظيفة ومرتبة، وتحمل ملامح أخرى من حياته السابقة؛ فحوائطها المستديرة

وأسقفها بألوانها الزرقاء الداكنة رسمها سِبتيموس بدقة بالغة بأشكال البروج التي كان لابد أن يحفظها عن ظهر قلب من أجل تمارين جيش الشباب الليلية، وهو الآن يحتفظ في دولابه بحقيبة ظهر للطوارئ، مجهزة - بشكل صارم - وفقًا لقوانين جيش الشباب.

وتحتوي على:

بوصلة (1)
نظارة مُعظمة (1)
زجاجة مياه (1)
فراش يُلف ويُحمل (1)
جوارب (3)
سلة للقمامة (1)
كبريت (1)
حجري صوان إضافيين (2)
مادة ملتهبة تضرم بها النار (طحالب، حزمة منها مجففة)
مطواة جيش الشباب (1)
مِقلاع (1)
سلك (1)
حبل (1)

وفضلًا عن هذا، فقد انشغل سِبتيموس الآن بإضافة الأغراض التي تعكس حياته الجديدة باعتباره «تلميذًا للساحرة العظمى»، وهي:

الوصفة السحرية للاختفاء (1)
الوصفة السحرية للبحث (1)
الوصفة السحرية للتجميد السريع (1)
عبوة الهرب مزدوجة المفعول (1)

كما أضاف بعض الأغراض التي يعتقد أنها قد تفيد، وهي:

الكتاب الصغير للنجاة ومهارات البقاء حيًا
بقلم رام سيري (1)
الحلوى الذكية، عبوة لا تنتهي منها (1)
مفرقعات النعناع، أنابيب (3)

وبذلك، لم يعد هناك حيز لإضافة أي شيء آخر في الحقيبة، وإن كان هناك شيء واحد أخير أراد سِبتيموس أن يأخذه معه، وهو يكسر كل القواعد؛ لأنه غير ضروري وثقيل أيضًا، ورغم ذلك فقد دسه في جانب من الحقيبة؛ إنه الصخرة الخضراء المتقزحة التي أعطتها له جينا في بداية تعرُّفه إليها.. وأخيرًا، ربط إيزيم الحقيبة بصعوبة، ورفعها على ظهره، وكانت أثقل مما كان يظن.

وما إن نزل السلم متوجهًا إلى الباب الأمامي حتى نادته مارشا: «أهذا أنت يا سِبتيموس؟» فقفز من هول المفاجأة.

ورد عليها بحذر: «نعم».

كانت مارشا جاثيةً على ركبتيها بجوار **واقي الظلال**، أمامها لوحة ورقية كبيرة بها رسوم معقدة تتفحصها عن قرب. ولوهلة خاطفة ومرعبة، لمح سِبتيموس هيئة ضبابية ضخمة منحنية فوق مارشا، تتفحص هي أيضًا اللوحة، لكن عندما اقترب وأمعن النظر، تلاشى **الظل**، رغم علمه بأنه لا يزال موجودًا، ويحوم خلفها، ويُحدق في صمت إلى الخطط التي تُعدها مارشا للقضاء عليه. أنزل سِبتيموس الحقيبة الثقيلة على الأرض، وقد خالجه شعور بتأنيب الضمير وهو يترك مارشا هكذا وحدها مع مرافقها **الشيطاني**.

سألته مارشا: «ما الفلانكة؟».

«ماذا قلتِ؟».

«فلانكة. إن الشرح يقول هنا صِل القطعة «أ» بالقطعة الطويلة الرأسية «ب»، مع الحرص على أن يكون الثقبان «س» و«ص» مصطفين مع الثقبين المقابلين لهما «ع» و«ن» في الفلانكة المقابلة ليدك اليسرى، وأنا لا أرى أي فلانكة بائسة في أي مكان هنا»، ثم أخذت مارشا تعبث بتوتر في صندوق كبير يحتوي على قطع غيار أعطاها لها البروفيسور فان كلامف لتساعدها في صُنع **واقي الظلال**.

قال سِبتيموس: «إنها ليست في الصندوق، إنها تلك القطعة البارزة، انظري! إنها هنا»، ثم مرر أصابعه على حافة بارزة مقوسة تمتد بطول حافة **واقي الظلال**، فبدا له ملمس **الملجم** ناعمًا كالحرير وباردًا كالزجاج.

قالت مارشا بتذمر: «حسنًا، لمَ لمْ يذكر ذلك؟» وكانت تُسقط القطعة «أ» – وهي قطعة مثلثة الشكل ومقوسة وطويلة – في **واقي الظلال**، مع حرصها على أن يصطف الثقبان «س» و«ص» مع الثقبين «ع» و«ن»، ثم قالت وهي تنفض الغبار عن ردائها وقد بدت مبتهجة: «أشكرك يا سِبتيموس، إن شكله بدأ يبدو جميلًا، أليس كذلك؟ لم يتبق إلا قطعة واحدة تُركب في الجانب هنا، ثم اللمسة الأخيرة، وهي **السدادة**، و...»، ثم التفتت مارشا حولها تحاول أن تلمح **الظل**، وقالت: «وحينها، أنت الذي سوف يرحل أيها المخلوق المسكين».

نظر سِبتيموس إلى **واقي الظلال**، وهو يفكر في وصف مارشا لهذا الشيء بأنه جميل، فلم يبد له وصفها بأنه الوصف المناسب، ربما قد يناسبه أكثر وصفه بالغريب، أو ببساطة بالقبيح تمامًا بكتلته التي تنبثق من الأرض وتهيمن على الغرفة بسوادها اللامع وهيئتها الغريبة التي تُذكّره بشجرة جوفاء كثيرة العقد. فمجموعة الألواح المقولبة بشكلها العجيب هذا، والتي صنعها البروفيسور فان كلامف بغاية الدقة، تُظهر – وهي مركبة مع بعضها – شكلًا شبه مخروطي، مفتوحًا من أعلى، له فتحة طويلة وضيقة تمتد من أعلى الجسم لأسفله، وهي الفتحة التي سوف تحشر مارشا نفسها عبرها هي **وظلها** – لأن **الظل** لابد أن يتبع، سواء أراد أم لم يُرد – ويدخلان معًا **واقي الظلال**، ثم يأتي شخص آخر، غالبًا أحد

السحرة الكبار (حيث مارشا ترى أن مسئولية ذلك تفوق قدرة تلميذها الشاب)، ويركب القطعة الأخيرة – وهي السدادة – في الثقب الموجود بأعلى الجسم، ثم تخرج مارشا بعد ذلك من الجسم، متحررة أخيرًا من الظل الذي سيُترك حبيسًا في الداخل، مثل الجرذ الذي وقع في المصيدة. والباقي بعد ذلك أبسط، سوف تقوم به فرقة جمع القمامة.

قالت مارشا وقد تذكرت فجأة حديثها معه صباحًا: «انتظر يا سِبتيموس، ما الذي جاء بك إلى هنا الآن؟ لقد قلت لك إن اليوم إجازة، ومن المفترض أن تكون الآن في القصر مع والدتك».

فقال وهو يرفع حقيبته على ظهره: «أنا ذاهب للبحث عن چينا، بما أنه لا أحد سواي سوف يقوم بذلك».

تنهدت مارشا، ثم قالت بهدوء: «اسمع يا سِبتيموس، چينا سرعان ما ستعود، ثق بكلامي. كل ما في الأمر أنك متوتر قليلًا بعد لدغة العنكبوت، وهذا أمر طبيعي جدًا».

رد سِبتيموس عليها بعزة نفس قائلًا: «أنا لست متوترًا».

فقالت له: «سِبتيموس، أعلم أنك تعتقد أنني لا أصدقك».

فردَّ قائلًا: «أنا واثق من أنك لا تصدقينني».

«.. لكن، حتى يهدأ بالك يا سِبتيموس، لقد قمت بعملية بحث عن بُعد في الحقول التي تلي النهر، وهناك حصان وراكبان في طريقهما إلى البوابة الشمالية، ومن المؤكد أنهما چينا وسايمون، وهما عائدان بعد أن أمضيا الصباح في الخارج، كما أنني أرسلت بوريس».

فسألها سِبتيموس: «بوريس؟».

«بوريس كاتشبول. لقد انتقل إلى هنا أمس، إنه ساحر ثانوي جديد. صحيح أن سنه كبيرة على أن يبدأ تعلُّم السحر الآن، لكنه متحمس جدًّا. وهذا هو جزء من «خطة الفرصة الثانية» التي تنفذها الآن. لقد كان يُدرب الشباب في الجيش باعتباره «متعقبًا»، حتى إنه وصل إلى منصب «نائب الصياد»، أتصدق ذلك؟».

«كاتشبول المسنُّ؟».

«نعم، أتعرفه؟».

«إنه رجل بشع!».

«إنه ليس بهذا السوء، فيما عدا رائحة أنفاسه، وهو أمر مؤسف. لابد أن أتحدث معه في هذا الأمر يومًا. على أية حال، دع الماضي لحاله، وما ينبغي علينا القيام به الآن هو أن نرحب به، وسوف نفعل ذلك الأسبوع القادم في «عشاء السحرة للتعارف»، وأنت بصفتك التلميذ فسوف تحضر بالطبع».

بدا على سِبتيموس الاكتئاب والضجر.

فقالت مارشا على الفور: «إنه جزء من عملك يا سِبتيموس»، ثم نظرت إليه، إلى تلميذها المكتئب، وهو يقف لدى الباب بظهر منحنٍ من ثقل الحقيبة التي يحملها وبدت لها عيناه الخضراوان حزينتين، فقد اختارت أخته أن ترحل في يوم إجازته الذي لا يتكرر كثيرًا، وهو أمر صعب عليه، فمارشا تعلم أنه مرتبط جدًّا بچينا بعد كل التجارب التي قاما بها معًا في مستنقعات مرام.

«اسمع يا سِبتيموس، إذا كنت تود أن تأخذ حقيبة المغامرات هذه أو أيًا كان هذا الذي تحمله وتخرج من القلعة تنتظر عودة چينا فلا بأس، هيا اذهب، إنه يوم جميل ويُمكنك أن تسير إلى الجسر ذي الاتجاه الواحد وتنتظر عودتها».

رد عليها بريبة: «حسنًا».

ثم قالت له بابتسامة تشع حبًا وحنانًا: «أراك لاحقًا إذن. ولا تنس أن تأخذ چينا مباشرة إلى القصر. ما رأيك لو قضيت الليلة هناك حتى تستطيع أن تقضي بعض الوقت معها ومع والديك؟ وبالمناسبة يمكنك وأنت هناك أن تؤكد أمر رحيل چينا غدًا إلى مستنقعات مرام، والمركب جاهز منذ أسبوع لدى رصيف القصر وأنا أخشى ألا تذهب في ميعادها. إن والدتك تميل بالفعل إلى أن تترك الأمور حتى آخر لحظة»، ثم تنهدت وقالت: «لعلمك، أنا متأكدة أن الملكة كانت عندما تقوم بزيارة منتصف الصيف كانت ترحل قبل الموعد بأيام، إلا أن الغريب في الأمر أنني لا أستطيع أن أتذكر أبدًا عندما كانت تذهب إلى هذه الزيارة، أقصد أنها كانت بلا شك تذهب على متن المركب الملكي، لكن لا أنا ولا ألثر نتذكر ذلك.. وكيف كان يتسنى لها معرفة الطريق في المستنقعات. أحيانًا يا سِبتيموس أشعر بالقلق على چينا؛ فهناك الكثير من الأمور كانت والدتها ستعلّمها لها لو كانت على قيد الحياة. فمن ذا الذي يمكنه أن يقوم بهذا الدور اليوم؟ كيف سيتسنى لها أن تتعلم كيف تكون ملكة؟».

رد سِبتيموس قائلًا: «أعتقد أن علينا جميعًا مساعدتها، وهذا هو ما أحاول فعله الآن».

قالت مارشا وهي تخفف عنه: «نعم بالطبع، هذا هو ما تفعله. هيا اذهب الآن واستمتع بيومك. بلّغ چينا تحياتي الحارّة عندما تراها، وقل لها إنني أتمنى لها من كل قلبي زيارة ممتعة للمركب التنينية في عيد منتصف الصيف».

بدا كل كلام مارشا طبيعيًا تمامًا حتى إن سِبتيموس بدأ يداخله اعتقاد بأن چينا بخير وهي في طريق عودتها الآن.

ورد عليها سِبتيموس وقد بدا أكثر ابتهاجًا: «سوف أفعل. حسنًا، ألقاكِ غدًا».

قالت مارشا، بعد أن انفتح له الباب الأرجواني الضخم لجناح الساحرة العظمى: «هيا.. إلى إجازتك».

رد سِبتيموس: «وداعًا»، ثم وقف على السلم الحلزوني الفضي، وبدأت درجاته تتحرك بسِبتيموس بعيدًا عن الأنظار بسرعة مذهلة وبهدوء، أغلق الباب الأرجواني نفسه، ثم أقدمت مارشا على شيء لم تفعله من قبل؛ تجولت في الطابق العلوي من جناحها ودخلت بدون استئذان غرفة سِبتيموس، ثم توجهت إلى النافذة، وانتظرت حتى يظهر وهو يخرج من البرج، وأخذت تراقبه وهو يعبر فناء برج السحرة ويبتعد في هيئة صغيرة ترتدي زيًا أخضر وتحمل حقيبة ثقيلة على ظهرها، بينما شعره الأشعث الذهبي الباهت يجعل من السهل رؤيته حتى وإن كان ذلك من الطابق الحادي والعشرين. ومع اختفائه وسط الظلال التي

يلقيها القوس العظيم، تركت مارشا النافذة وخرجت من الغرفة، وهي تغلق الباب برفق وراءها.

استخدم سبتيموس الطريق المختصر المؤدي إلى البوابة الشمالية؛ وهو ممر مرتفع يشق السور المحيط بالقلعة، ضيق وغير مسور، تحفُّه المخاطر خاصة إذا كنت تهاب الارتفاعات، كما هو الحال مع سبتيموس. تنحدر حافة الجهة اليُمنى من الطريق انحدارًا رأسيًا لمسافة 20 قدمًا وتنتهي عند أسطح المباني أو الأفنية الداخلية، ويصل هذا الانحدار إلى 50 قدمًا في الجزء الذي يمتد عند سفحه «شارع العشوائيات» الذي يؤدي إلى منطقة العشوائيات، وهي عبارة عن شبكة متصلة من المباني تكون السور الشرقي للقلعة وتزحف لثلاثة أميال على امتداد النهر، وهي مكان يعجُّ بالضوضاء والحركة، وتخترقه متاهات من الممرات والغرف التي يعيش ويعمل فيها العديد من سكان القلعة، وكانت أسرة هيب تعيش في إحدى هذه الغرف قبل انتقالها المفاجئ إلى القصر.

أما الجانب الأيسر من الطريق فيتكون من الأحجار السميكة للشرفات المنفرجة التي تعلو سطح السور. وقد ظل سبتيموس أثناء سيره على امتداد الطريق ينظر بثبات إلى تلك الأحجار الصفراء المتآكلة للسور القديم يذكّر نفسه بألا ينظر لأسفل.

ولقد حدث ذات يوم أن أخطأ سبتيموس ونظر بيمينه عندما وصل إلى الجزء من الطريق الذي يعلو شارع العشوائيات، وعلى الفور شعر وكأن صاعقة كهربائية قد صعقت جسده كله، بدءًا من قدميه إلى أعلى رأسه،

فجعلته يترنح بشكل خطير، حتى إنه اضطر لأن يجلس على الأرض، ويُغمض عينيه، ثم أخذ يزحف إلى أقرب سُلم يخرج به من هذا الطريق. إلا أنه يؤمن بفكرة قهر المخاوف – وهو ما يجعله دائمًا يصعد هذا الطريق الممتد فوق السور حتى يصل إلى البوابة الشمالية، بدلًا من استخدام الأزقة الضيقة الطويلة الأكثر أمانًا.

ولأنه اليوم كان يشق الطريق مسرعًا، فلم ينتبه إلى خوفه من الارتفاعات، لقد كان منهمكًا تمامًا في التفكير في جينا وفي رسم خطواته التالية. وعلى الرغم من أنه بدأ يتساءل في سره عما إذا كانت مارشا محقة وأن جينا بالفعل في طريق عودتها الآن إلى القصر، حدثه هاجس بأن جينا تواجه متاعب.

وإذا كانت جينا تواجه مشكلة، فهو سيساعدها مهما يكلفه ذلك.

II

رحلة چينا



كان سبتيموس محقًا بالفعل؛ فراكبا الحصان اللذان عثرت عليهما مارشا أثناء عملية البحث عن بُعد كانا چيك وبيتي چاچو اللذين يديران سوقًا صغيرًا للخضراوات في الحقول، وكانا في طريقهما لزيارة والدة بيتي في منطقة العشوائيات.. ولكن بعيدًا في الآفاق، كان هناك حصان أسود آخر يجري بين بساتين أشجار التفاح في تلال «الأراضي المنخفضة»، أحد راكبيه فتاة صغيرة السن شعرها أسود، وترتدي طوقًا ذهبيًا حول رأسها، والآخر طويل

القامة، عيناه وحشيتان، شعره الذهبي الطويل ينسدل طائرًا خلف رأسه وهو يدفع رجلي حصانه الذي أُصيب بالإرهاق.

كان سايمون في تلك الأثناء مستغرقًا في أفكاره، فقد أدهشه أن الأمور سارت بسهولة ويسر، فعندما توجه إلى القصر بحصانه كان يتوقع على الأقل أن يجد من يستوقفه لدى البوابة التي كانت بلا حراس، وبالتالي - هكذا قال في سره بابتسامة عريضة - فإن اللوم كله يقع على أسرة هيب. ولأن سايمون لم يكن يتوقع حقيقة أن يخطف چينا بهذه السهولة، خالجه شعور بالخوف من النجاح الذي حققه في مهمته؛ فهو يخشى احتمال أن يجد چينا شخصًا مثيرًا للمتاعب لعلمه بمدى عنادها، وهو يتذكر عندما كانت تجتاحها نوبات غضب عنيفة وهي طفلة صغيرة، رغم أنه كان ينجح دائمًا في جعلها تضحك وتنسى، أيًا كان هذا الذي يزعجها.

هز سايمون رأسه بحنق ليصفّي ذهنه من أية ذكريات جميلة يحملها تجاه أخته بالتبني التي عاش معها وأحبها طوال السنوات العشر الأولى من حياتها، ثم قال بحزم في سره إن هذا كان في الماضي، قبل أن تقتحم مارشا أوفرستراند حياتهم يوم عيد ميلاد چينا العاشر وتدمر كل شيء، لتنتهي بذلك حياة أسرته بالشكل الذي عرفه، ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير بانخداع والديه في هذا الفتى القادم من جيش الشباب واعتقادهما بأنه ابنهما السابع الغالي. وفوق كل هذا، خطف منه

ذلك المدعي الشيء الوحيد الذي كان يرغبه ويتمناه في حياته؛ التلمذة على يد الساحر الأعظم؛ ولذلك ما عاد يهمه الآن أمر أي شخص، سوى لوسي جرينج.

كان سايمون قد خطط أنه لو فشل في خطف چينا فسيقوم بخطف لوسي ويهرب معها بعيدًا. لكن العمل لابد أن يأتي في المقدمة، فسايمون تلميذ ذو ضمير حيٍّ في عمله، ولقد ظل طوال العام الماضي منشغلًا بتنفيذ أوامر سيده، وهو نفسه لم يكن يسعى لخطف چينا، لكن الأوامر هي الأوامر، ولابد أن تُنفذ. أما لوسي فسوف تضطر للانتظار بعض الوقت - رغم أن سايمون في هذه اللحظة تحديدًا كان يفضل أن تكون لوسي جرينج هي التي تجلس فوق ظهر حصانه، وتضحك وهما ينطلقان بين بساتين أشجار التفاح، بدلًا من هذه الأميرة بوجهها المتحجر، والتي تجلس كالصخرة أمامه.

كانت چينا - وهي التي لم تخرج قطُّ من القلعة فيما عدا الشهور القليلة التي أمضتها في مستنقعات مرام - تنظر إلى الحقول حولها بدهشة، لا تصدق كل الذي تراه من خضراوات والتنوع الذي تمر به. ولو كانت مع أي شخص آخر الآن غير سايمون لاستمتعت تمامًا بهذه الرحلة. لم تكن الشمس قاسية رغم حرارتها، فمنذ طلوعها في السماء الصافية في الصباح الباكر أقبلت بعض السحب من الغرب وخففت من

وطأة حرارتها، وسمح سايمون لرعد بأن يبطئ من سرعته، ومن حين لآخر كان الحصان يسير ببطء عند وصولهم إلى طريق مائل ميلًا بسيطًا. وكان من الصعب على چينا أن تمنع نفسها من الاستغراق في النظر حولها والاندهاش من مدى جمال الريف.

ولأن چينا ترفض أن تمنح سايمون فرصة الاستمتاع برؤية مدى الذعر الذي يتملكها، جلست مشدودة معتدلة، مستخدمةً مهارتها في ركوب الخيل كي تتوافق مع حركة الحصان وهو يشق طريقه عبر مسارات لا تعد ولا تحصى، كلها مترية تتخلل الحقول التي تمتد لأميال وأميال على الجانب الآخر من النهر.

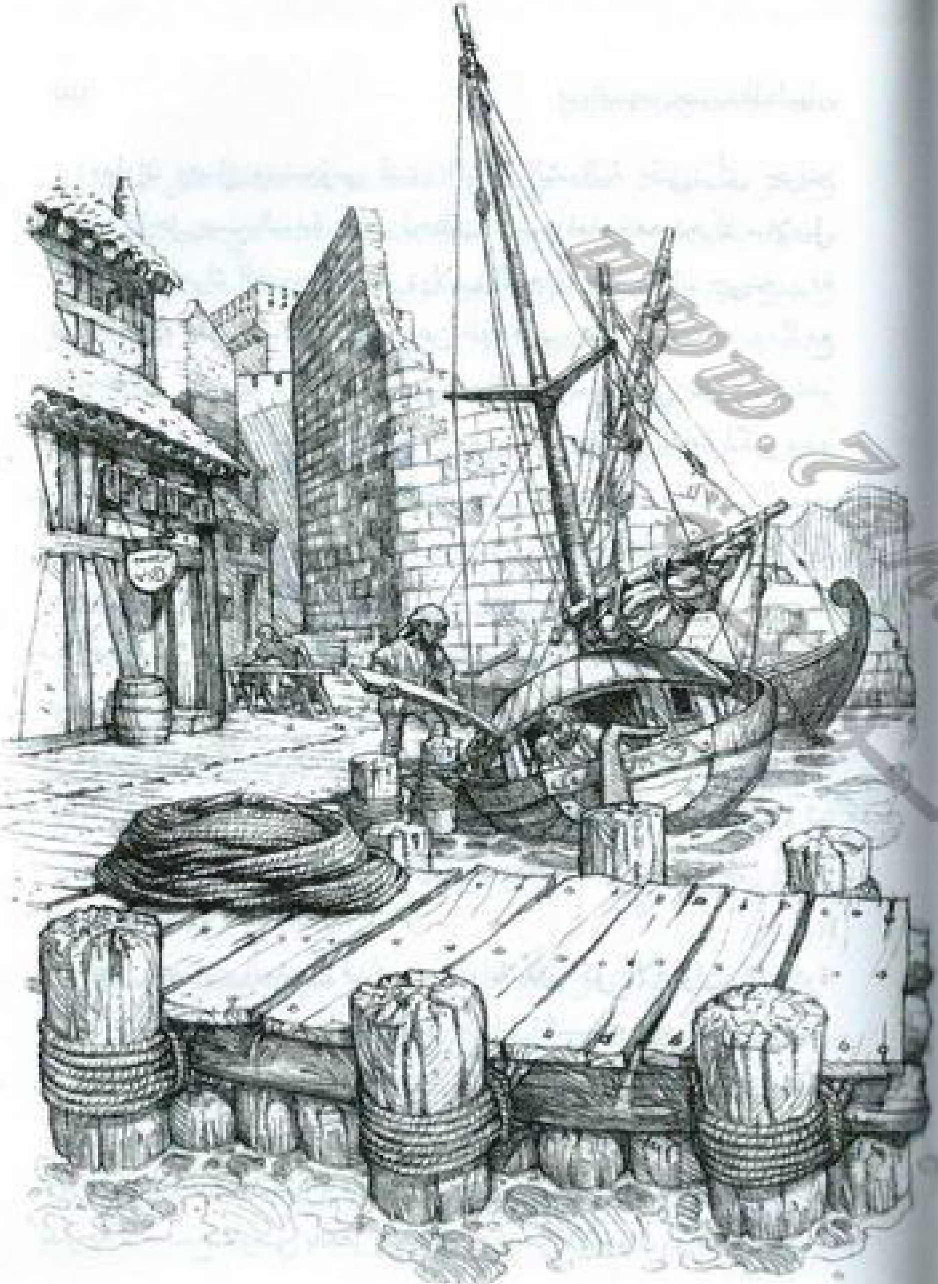
ولقد توقفوا مرة واحدة بجانب مجرى مائي عند أطراف مرج مزروع بنباتات جافة؛ لسقي الحصان والسماح له بأن يرعى، وقدم سايمون لچينا بعض الطعام، لكنها رفضته؛ فلم تكن جائعة، ومثل الحصان شربت هي أيضًا من المجرى المائي. وعندما قرر سايمون أنه قد حان وقت التحرك، انطلقت چينا حينها جريًا لتهرب منه وعبرت جدول المياه الضحل، ثم فوق طريق ضيق، وفي نهاية الطريق رأت بيتًا صغيرًا وسيدة عجوزًا تنام على كرسي في الظل بالخارج، لكنها سمعت، بعد أن بدأت تجري بسرعة على الطريق المترب وقْع خطوات رعد وهو ينطلق وراءها، وفي لحظة واحدة، كان سايمون قد أمسك بها ورفعها بقوة على السرج مرة أخرى، ولم يتوقفوا بعد ذلك قطُّ.

ومع انقضـاء سـاعات النهار، بـدأت تظهر في آفاق المروج الخضـراء التـي تكسـو السـهول الفيضـية للنهر تـلال الأراضـي المنخفـضـة بانحداراتها الخفيفة، ثم تحولت محاصيل الفاكهة الرقيقة والبساتين التي تغطي الحقول الصـغيرة وحدائق الأسـواق - إلى جوانب تلال مكسـوة بالكرْم، ومازال رعد يواصـل انطلاقه، متسـلقًا الطريق الذي بدأ يأخذهم لأعلى بعد أن أصـبحت التلال أكثر ارتفاعًا، وبـدأت تنبثق أمامهم ألوان زرقاء وأرجوانية ضبابية ترمز إلى الجبال الحدودية.

أدركت چينا الآن أن سايمون لن يدعها تذهب. ولقد قضت معظم النهار آملةً أن تنتهي هذه المزحة التي يلعبها سايمون - رغم غرابتها - في آخر الأمر، وأنه سوف يدور فجأة برعد ويعود جريًا به وبها إلى القلعة، حتى إنهـا كـانت قد قررت في سرهـا كيف ستوبخه عندما يعود بهـا، ومرة أو مرتين شعرت أنه على وشك الإقدام على فعل ذلك، لكن رعد ظل يواصل جريه، وبدأت خطواته الآن تتحول لسير لا لعدْو، بعد أن زاد انحدار التلال، وازداد الجو صفوًا وبردًا.

ظلت چينا صامتة لا تنطق بكلمة واحدة حتى انتهاء فترة العصر عندما وصلوا إلى محاجر الإردواز الكئيبة التي تقع عند سفوح تلال أرض الأشرار التي تنتشر فيها الأغنام. وحينها، كسرت أخيرًا حاجز الصمت المطبق بينهما، وسألته: «لماذا خطفتني يا سايمون؟ إلى أين نحن ذاهبان؟».

لم يرد عليها. لكن بعد أن نظرت چينا إلى كتلة الجبال الحدودية المتعرجة أمامها، كانت قد علمت رده على سؤالها الثاني، وتوجست خيفة من سماع رد السؤال الأول.



12

ساحة مراكب چانيت مارتن

مع *اقتراب سبتيموس من البوابة الشمالية*، سمع أصوات شجار عالية.

كانت لوسي جرينج تصيح قائلة: «لن تستطيع أن تمنعني يا أبي! لن تستطيع أن تحبسني أكثر من ذلك. أنا لست طفلة.. ولعلمك، إذا أردت أن ألحق بسايمون فسأفعل!».

ثم جاء همس جرينج وهو يقول مزمجرًا: «على جثتي!».

«سوف يسعدني ذلك!».

ثم صاحت السيدة جرينج: «كُفَّا أنتما الاثنان من فضلكما! أنا متأكدة من أن لوسي لا تنوي فعلًا الهرب من البيت، أليس كذلك يا حبيبتي؟».

«بالطبع سوف أهرب من البيت يا أمي، وفي الحال!».

صاح جرينج: «لا، لن تفعلي ذلك!».

«بل سأفعل!».

«لا، لن تفعلي».

وما إن وصل سِبتيموس لدى البوابة الشمالية حتى رأى جرينج ينطلق داخل بيت البوابة. وبعد لحظات، سمع قعقعة مع تحرك سلاسل الجسر المتحرك الضخمة حول دولاب العجلة، حيث كان جرينج يرفع الجسر، وهو صوت تحفظه لوسي عن ظهر قلب، بما أنها تسمعه يوميًا مع كل شروق وغروب. أخذ سِبتيموس يراقب لوسي وهي تفر جريًا نحو الجسر وتهرب من السيدة جرينج – وهي امرأة قصيرة القامة لكن يبدو عليها أنها تتمتع بلياقة بدنية عالية، وتشبه زوجها جدًا.

صاحت السيدة جرينج وهي تجري وراء ابنتها: «انتظري! انتظري! سوف تقتلين نفسك هكذا!».

صرخت لوسي قائلة: «وكأن أمري يعنيكما في شيء!»، كانت ضفائرها تنسدل طائرةً خلفها وهي تنطلق على الجسر المتحرك الذي بدأ يرتفع ببطء، وفي نيتها أن تقفز منه لتعبر الفجوة الآخذة في الاتساع بين الجسر والضفة المقابلة. أخذت السيدة جرينج تجري وراء ابنتها، ثم شنت هجمةً طائرةً محترفةً على لوسي، جعلتها تطرح أرضًا على ألواح الجسر الخشبية السميكة.

غطى الصوت المدوي في بيت البوابة على كل الأصوات الصادرة عن المشهد الدرامي في الخارج. وبإصرار، ارتسمت معه تكشيرة على وجه جرينج الذي واصل رفع الجسر، غير مدركٍ أن ابنته وزوجته الآن تخوضان معركة ضارية، تحارب فيها لوسي للوصول إلى طرف الجسر، لكن ميله لأعلى كان يزداد مع كل ثانية، وسرعان ما صار شديد الانحدار بدرجة لا تسمح للوسي بالقفز إليه بأي حال من الأحوال، وأصبح كل ما

كان في وسعها أن تفعله في تلك اللحظة هو أن تحافظ على ثباتها في موقعها، بأصابعها المتشبثة في حلقة حديدية مثبتة في الخشب، بينما السيدة جرينج تتشبث بفردة حذاء لوسي الطويل اليسرى مثل سمكة البطلينوس الملتصقة بالصخر.

وفي بيت البوابة، قام جرينج الذي يتصبب عرقًا بلف السلاسل لفة أخرى، تحركَ معها الجسر المتحرك أكثر فأكثر، وبدأ الآن يميل لأعلى جهة السماء. وفجأة، فقدت لوسي قدرتها على الثبات في هذا الوضع، وأفلتت أصابعها من الحلقة، وما كان إلا أن انزلقت هي ووالدتها على المنحدر شبه الرأسي. ومع سقوطهما عليه على هيئة كومة مليئة بالكدمات ومتناحرة على حصى أرض البوابة – انغلق الجسر المتحرك بقعقعة مدوية وبصدمة مكتومة هزت الأرض. أما جرينج الذي أصابه الإرهاق من فرط المجهود الذي بذله فقد سقط منهارًا على الأرض، وقرر في سره أنه من الآن فصاعدًا سيعامل الفتى المسئول عادة عن رفع الجسر بطريقة ألطف؛ فهو غير مستعد لأن يكرر ذلك مرة أخرى بهذه السرعة.

تسلل سِبتيموس من أمام البوابة مبتعدًا؛ فالوقت ضيق لا يسمح له بأن ينتظر إلى أن تفض أسرة جرينج خلافاتها ويتم إنزال الجسر مرة أخرى. وقرر أن يتوجه إلى ساحة مراكب جانيت مارتن، حيث تدير جانيت خدمة نقل الركاب عبر النهر، هذا لو تصادف أن وجدها هناك. وهكذا، انطلق سِبتيموس وقد قرر الاستناد إلى احتمال أنها ستكون موجودة.

وبعد نصف ساعة، كان قد وصل إلى النفق الذي يمر أسفل سور القلعة ويؤدي إلى ساحة مراكب چانيت مارتن التي تقع على رصيف للمراكب بجانب الخندق المائي، خارج السور مباشرة، شق سِبتيموس طريقه وسط النفق الذي تنبعث منه رطوبة وتتساقط من سقفه قطرات ماء، وسرعان ما خرج إلى ضوء الشمس مرة أخرى، وإلى مجموعة من المراكب في حالة فوضوية. بدأ سِبتيموس يسير بحرص بين مجموعات من الأشرعة والحبال والمراسي وأعداد لا حصر لها من اللوازم الأساسية المستخدمة في بناء المراكب، وبدا له في أول الأمر أن المكان مهجور، إلى أن تسللت إليه أصوات تأتي من حافة الخندق المائي، فتوجه إليها.

وإذا بصوت مألوف تمامًا يصيح قائلًا: «سِب! مرحبًا يا سِب! ما الذي جاء بك إلى هنا؟»، كان صاحب الصوت هو نكو هيب، والذي كان قد لاحظ وهو واقف عند مقدمة مركب طويل وضيق - الرداء الأخضر الذي لا يخطئه أحد بين فوضى ساحة المراكب. كان نكو أطول قليلًا من أخيه سِبتيموس وأقوى منه بنيانًا. وخلافًا لبشرة وجه أخيه الشاحبة - نتيجة أسابيع طويلة يقضيها داخل برج السحرة بلا إجازات - كان وجه نكو المبتسم قد كسته الشمس باسمرار داكن، بينما كان شعره الأشقر الطويل ملبدًا من مياه البحر المالحة، وخصلاته الملفوفة قد شبكتها الرياح، ويتخللها عدد من الشرائط المجدولة بألوان زاهية، كانت هذه الشرائط هي آخر صيحات موضة هذا الصيف بين شباب «المراكبية» في الميناء، ولقد اعتاد نكو استخدامها بحماس مع مجموعة من أربطة للمعصم تتماشى معها. وهو مثل سِبتيموس وجميع أفراد أسرة هيب،

تتميز عيناه باللون الأخضر الداكن الذي يكتسبه الأطفال السحرة عندما يبدءون التعرض للسحر، على الرغم من أن نكو غير معنيٍّ بأن يصبح ساحرًا، وإن كان يستطيع أن يتصرف ببعض التعاويذ في حالة الضرورة، فهو مثل كل أفراد أسرة هيب - فيما عدا سِبتيموس - كان قد تعلم السحر وهو طفل على يد والديه.

وكان إلى جوار نكو شاب طويل القامة له شعر سلكي أحمر ساطع، ويعلو وجهه تعبيرات متذمرة، علم سِبتيموس أنه روبرت جرينج، أخو لوسي جرينج. أما چانيت مارتن، مشيدة المراكب، فكانت عند العوامة تؤمِّن المركب بحبل.

صاح سِبتيموس بابتهاج وهو يجتاز قافزًا كومةً من الألواح وبعض الدلاء القديمة ويجري نحو أخيه: «نكو. لقد عدت!»، واندهش أن وجد نفسه تغمره كل هذه السعادة والراحة برؤية نكو، وهو لا يساوره أدنى شك في أن نكو سوف يصدقه في موضوع چينا. ابتسمت چانيت مارتن لسِبتيموس؛ فهي مغرمة بكل أفراد أسرة هيب، ولقد بدأ نكو في الآونة الأخيرة يساعدها هي وروبرت في ساحة المراكب، تاركًا في نفسها انطباعًا رائعًا.

كانت چانيت ضئيلة الحجم، تبدو قوية الشخصية، وهي ترتدي الآن ثوبًا أزرق فضفاضًا رثًّا فوق ملابسها، ووجهها لطيف يكسوه لون كستنائي داكن، وشعرها مضفر بالنمط المعتاد للبحارة في ضفيرة طويلة رفيعة رمادية تتدلى على ظهرها. وچانيت تعشق المراكب، فحبها لها لا يمثل

حياتها فحسب بل الهواء الذي تستنشقه، وهي تقيم في الكوخ الصغير المتداعي القابع بمدخل ساحة المراكب التي نادرًا ما تغامر وتغادرها.

وعلى الرغم من أن هناك ساحات أخرى للمراكب في القلعة، فإن ساحة جانيت مارتن هي الأفضل. ولقد عينت روبرت جرينج تلميذًا لها يوم أن بلغ الحادية عشرة من عمره وكان ذلك - وكما تحب أن تذكر دائمًا لكل من يعنيه الأمر - أفضل شيء قامت به في حياتها؛ فروبرت مشيد مراكب موهوب، لديه عين لماحة في مسألة تصميم المراكب، كما يمتلك حاسة فطرية ترشده كيف سيستقر كل مركب يبنيه على المياه أثناء إبحاره، وكيف سيتجاوب مع جميع الأجواء.

وتكاد تكون فرحة جانيت بنكو على نفس قدر سعادتها بروبرت، وأول مشروع قام به نكو كان مساعدة روبرت في بناء *موريل* جديد لسالي مولن التي أعطت مركبها العزيز عليها لأسرة هيب العام الماضي ليفروا به. وجانيت ترى أن لنكو عينًا ثاقبة لمّاحة، ومهارة فائقة.

كما أنه بحار بطبيعته، بل في واقع الأمر أفضل من روبرت جرينج، وهو ما جعل جانيت توجه سؤالها الآن لنكو، مما أثار انزعاج روبرت، قائلة: «إذن، كيف أبحر المركب؟».

رد روبرت بتذمر، مُصرًا على ألا يترك الكلمة لنكو:

«مثل الكلب في دلو الماء».

بُهت وجه جانيت؛ فهذا المركب هو المشروع المحبب إلى قلبها ومع ذلك فإن العمل فيه من البداية غير موفق. نظرت إلى نكو تنتظر رأيه.

فقال مُقرًا: «لم يبحر جيدًا، ولقد جنح مرتين، ثم انكسر الصاري بعد ذلك، ولا بد أن آخذه إلى الميناء للصيانة».

ردت قائلة: «أكان الأمر بهذا السوء؟ يبدو أنني بدأت أفقد لمستي».

قال روبرت: «بالطبع لا، إنها مجرد مشاكل عابرة، وسوف نكتشفها».

تنهدت جانيت، ثم قالت: «حسنًا.. أما الآن، فأنتما تحتاجان أيها الفتيان إلى أن يعود كل منكما إلى بيته ويزور أسرته.. هيا اذهبا.. وأنا سوف أرتب الأمور هنا».

قال روبرت: «كما تشائين، إذن يا جانيت أنا ذاهب الآن. فأنا بالفعل أحتاج لبعض الهدوء والسكينة بعد أن تحملنا كل هذا الصرير والأنين من المركب الذي كنا عاكفين على العمل فيه».

شعر سِبتيموس أنه ملزم بأن ينبه روبرت فقال له: «في الحقيقة.. في الحقيقة يا روبرت.. إن الموقف في بيت البوابة ليس... ليس من المواقف التي يمكن أن يُطلق عليها هادئة، فهناك بعض المشاكل».

نظر روبرت إلى سِبتيموس بريبة؛ فروبرت أخذ عن أبيه عدم ثقته بأسرة هيب، ورغم أنه يقر بأن نكو شخص لا بأس به، فإن الأمر مختلف مع هذا التلميذ الساحر بمنظره المنمق وهو يرتدي رداءه الفاخر الأخضر الزاهي وحزام التلامذة الأنيق.

فرد عليه بحذر قائلًا: «صحيح؟ وما هذه المشاكل؟».

«في الحقيقة، إن سايمون...».

انفجر روبرت قائلًا: «كنت أعلم ذلك! كنت أعلم أن الأمر سيكون متعلقًا بأخيك اللعين هذا! وأنا سوف أنال منه هذه المرة.. سوف أنال منه».

«إنه ليس...».

إلا أن روبرت كان قد انطلق مندفعًا يعبر ساحة المراكب.

ثم أكمل سِبتيموس جملته بشكل غير مقنع: «... موجودًا هناك الآن»، حيث سقط روبرت بعد أن زلت قدمه في دلو، ليختفي بعد ذلك في النفق بأسرع مما كان يتصور.

شعر نكو بأن أخاه يبدو عليه الانزعاج فسأله: «ما الأمر يا سِب؟».

قال سِبتيموس مُهمهمًا بكلام غير مفهوم: «سايمون خطف جينا ولا أحد يريد أن يصدقني، حتى مارشا».

«ماذا قلت؟».

«سايمون خطف جينا و...».

«فهمت يا سِب، سمعت ما قلته. تعال نجلس واحكِ لي الموضوع».

تسلق نكو الرصيف وصعد إلى البر، ثم وضع ذراعه حول كتف سِبتيموس، وجلس الأخوان وهما يؤرجحان أقدامهما في الخندق المائي، بينما أخذ سِبتيموس يحكي لنكو القصة بأكملها. ومع تطور أحداثها بدأ قلق نكو يتزايد. وأخيرًا، انتهى سِبتيموس من حكايته، ثم قال: «.. أراهن أنك أيضًا لا تصدقني».

«بل أصدقك بالطبع».

نظر سِبتيموس إلى نكو مندهشًا وقال: «فعلًا؟».

«فعلًا، فأنا أعلم أن بعضهم يبحثون عن جينا. وكنت سأخبر أمي بذلك لتكون أكثر حرصًا. يبدو أنني تأخرت كثيرًا..».

فسأله سِبتيموس: «من تقصد عندما قلت بعضهم؟ أتقصد أن سايمون ليس هو فقط المتورط في الأمر؟».

«ربما لسايمون علاقة بهؤلاء الأشخاص، وهو أمر لن يدهشني كثيرًا، لكن عندما كنت أنا وروبرت في الميناء لشراء شراع جديد – وهو ما يذكرني الآن بضرورة أن أخبر جانيت بأن الشراع الجديد لا يصلح على الإطلاق ولن يحتمل أكثر من خمس دقائق – قضينا حينها وقتًا طويلًا في «حانة المرسى الأزرق» بجانب أرصفة الميناء – وهو مكان تستطيع أن تحصل فيه على كل ما تريد – قابلنا هناك صديقة ألثر القديمة أليس تينلز التي تعمل في إدارة الجمارك الآن...».

فقاطعه سِبتيموس متسائلًا في سره إلى أين ستأخذه ثرثرة نكو هذه، وقال له بنفاد صبر: «نعم نعم، ثم ماذا؟».

«وقالت لنا أليس إن هناك شخصًا في الميناء يبحث عن جينا».

«من هو؟».

«لا أعلم.. إنه الغريب ذو الشعر الأسود، هكذا أطلقت عليه أليس، ولقد جاء من البلاد البعيدة. سفينته لا تزال راسيةً في المياه، في انتظار إفراغ مكان لها على رصيف الجمارك، لكنه أخذ مركبًا أقله إلى البر، ثم ظل يسأل كل ما يخطر على البال من أسئلة عن الأميرة».

فسأله سِبتيموس: «أسئلة من أي نوع».

«أسئلة، أسئلة معتادة، هل مازالت على قيد الحياة؟ أين يمكن أن أجدها؟ أسئلة من هذا القبيل، لكن أليس موّهته، وهي تجيد ذلك بالفعل».

راح سِبتيموس يحدق إلى مياه الخندق الآسنة، ثم قال باكتئاب: «إذن، هذا هو الموضوع. أراهن أن سايمون أخذ چينا إلى هذا الغريب ذي الشعر الأسود».

رد نكو، والذي له رأي سيئ في أخيه الأكبر، وقال: «على الأرجح أنه دفع مالًا كثيرًا لسايمون»، فقال سِبتيموس: «أستطيع أن أتكهن من هو هذا الغريب ذو الشعر الأسود».

فسأله نكو مندهشًا: «فعلًا؟».

فهمس سِبتيموس قائلًا: «إنه دومدانيال».

«لكنه مات».

«لقد اختفى.. ابتلعه المستنقع.. لكن هذا لا يعني أنه مات، أليس كذلك؟ وهو حسبما أعرف عنه، يجب أن يكون تحت سطح الأرض».

رد نكو قائلًا: «لا أعلم يا سِب، لكنني لا أظن أن حتى سايمون نفسه يُقدِم على عمل كهذا.. أليس كذلك؟».

نظر سِبتيموس في عيني نكو وقال: «اسمع يا نكو، ما من أحد يريد أن يصدقني أن چينا في خطر ولذلك لا أتوقع أنك أيضًا سوف تصدقني، وأنا الآن لا يعنيني رأي أي شخص، أنا ذاهب لأعيد چينا»، ثم وقف سِبتيموس ورفع حقيبته على كتفه، وقال: «أنا ذاهب الآن، أخبر مارشا

إلى أين ذهبت، وأخبر أمي وأبي أيضًا.. إلى اللقاء». واستدار سِبتيموس ليرحل.

فقال له نكو معترضًا: «اصبر أيها الأحمق، فأنا بالفعل أصدقك، كما أنك لن تذهب وحدك، فكيف يمكنك العثور عليها؟».

رد سِبتيموس قائلًا: «سأتصرف وسأعثر عليها».

«نعم نعم.. ربما قد تعثر عليها في يوم من الأيام، هذا إن كنت محظوظًا.. اسمع، أنا أعرف شخصًا هو أفضل متعقب قابلته في حياتي. إنه سيقودنا مباشرة إليها. سوف أحضر مركبًا من چانيت ونذهب للبحث عنه. اجلس أنت هناك، وضع هذه الحقيبة المعبأة بالصخور على الأرض».

لكن سِبتيموس لم يتحرك.

«هيا، اذهب.. افعل ما أقوله لك، ولا تنس أنني أكبر منك، مفهوم؟».

فهمهم سِبتيموس قائلًا: «لست أكبر مني إلى هذا الحد يا نكو»، لكنه رغم ذلك ذهب وجلس.

13
الغابة



سحب سبتيموس ونكو المركب إلى شاطئ يغطيه الحصى في خليج صغير عند أطراف الغابة، يعرفه نكو جيدًا؛ لأنه المكان الذي دائمًا ما يقف فيه مركبه عندما يأتي لزيارة إخوته.

وكان الفتيان قد أبحرا لخمسة أميال في اتجاه مصب النهر بدءًا من القلعة، ولقد أصرت جانيت على أن يبحر نكو بمركب صغير مخصص للأنهار من الأنواع الجيدة وله كابينة في حال إذا اضطرا إلى المبيت فيبيتان فيها، وإن كان نكو قد أملَ أن يصلا مباشرة إلى الغابة ويعثرا على معسكر الفتيان قبل غروب الشمس، فهو حتمًا غير مستعد لأن يسير في الغابة ليلًا؛ لأنها مع سقوط الظلام تصير مكانًا محفوفًا بالمخاطر، حيث تبدأ مجموعات من حيوانات الولڤرين مع دخول الليل – التجول بين الأشجار، كما تبدأ العديد من الأرواح غير

الهادئة والكائنات الشريرة الحوم في الهواء، فضلًا عن أن بعض أشجارها هي من أكلات اللحوم وتتحول في المساء إلى فخاخ؛ حيث تنقض أغصانها على ضحاياها وتلتف حول أجسامهم، ثم تمتص دماءهم حتى يلقوا حتفهم، وبحلول الصباح يكونون قد تحولوا إلى هياكل عظمية مصفاة من الدماء ومعلقة بين الأشجار.

وصل الأخوان إلى الشاطئ مع انتهاء فترة العصر، وعلم نكو أنه لا يزال أمامهما خمس ساعات أخرى على رحيل ضوء النهار، وهو وقت كافٍ للوصول إلى المعسكر بأمان.

أما سبتيموس فلم يكن قد دخل الغابة منذ أن كان «عبدًا مطيعًا» في جيش الشباب، فقضى فيها حينها العديد من الليالي المرعبة كجزء من التدريبات الليلية المعروفة بمهمات «الإنجاز أو الموت»، والتي لابد على الفتيان الجنود أن يتحملوها، والتي تشمل إيقاظهم في منتصف الليل واصطحابهم إلى مكان محفوف بالمخاطر – وكثيرًا ما كان ذلك المكان هو الغابة.

وهناك ليلتان قضاهما سبتيموس في الغابة لن ينساهما أبدًا طوال حياته؛ إحداهما عندما قام أقرب أصدقائه – وهو الفتى 409 – بإنقاذ حياته، بعد أن وقع سبتيموس في شرَك مجموعة من حيوانات الولڤرين كانت على وشك الانقضاض عليه، فأسرع إليه 409 وأخذ يصيح بأعلى صوت حتى إن زعيم حيوانات الولڤرين ارتبك لوهلة. وفي تلك اللحظة تحديدًا، جذب 409 سبتيموس بعيدًا في الأمان. أما الليلة الأخرى البشعة فقد بلغ فيها اليأس بسبتيموس حينها أنه ما كان سيهمه كثيرًا لو

أن مجموعة من الولفرين انقضت عليه بالفعل وافترسته، وكان ذلك عندما سقط 409 من على متن المركب في مياه النهر أثناء توجههم إلى الغابة. فالنهر ليلتها كان عنيفًا وتتدفق مياهه بسرعة، وضربت موجة عنيفة مركب جيش الشباب الذي كان محملًا بأكثر من طاقته، فزلت قدم 409 وسقط من على متنه، ومنذ ذلك اليوم لم يره أحد. وأخذ سبتيموس حينها يتوسل إلى القبطان كاديت ليعودوا وينقذوه لكنه رفض، فالفتى 409 كان هو أيضًا مجرد عبد مطيع، وتدريبات الإنجاز أو الموت الهدف منها هو التخلص من «الضعفاء والجبناء والأغبياء»، كما كان يقول الكابتن كاديت، وإن كانت هذه التدريبات حقيقة لا تقضي عادة إلا على سيئي الحظ فقط.

بعد أن اطمأن نكو من أنه ربط المركب بالشكل السليم الذي يسمح له بأن يتأرجح ارتفاعًا وانخفاضًا مع حركة المد والجزر، وأن كل شيء على متنه مخزن في مكانه، أخرج قطعة ورق بالية من جيبه.

وقال وهو يريها لسبتيموس: «هذه هي الخريطة، سام هو الذي رسمها».

نظر سبتيموس إلى الخطوط المتعرجة المرسومة بشكل عشوائي على قصاصة الورق كأنها آثار قوقعة كانت تسير على لوح زجاجي، ثم قال: «ياه!»؛ حيث بدت له الخريطة غير مجدية، رغم أن نكو بدا واثقًا بها تمامًا.

قال نكو يطمئنه: «لا تقلق، أنا أعرف الطريق.. هيا بنا، اتبعني».

في بداية الرحلة لم يمانع سبتيموس من السير في خطى نكو، بما أن السير في أطراف الغابة يكون سهلًا، كانت الأشجار لاتزال متباعدة، وبعض ضوء الشمس كان بين الأغصان البعيدة فوقهما، ثم سلك نكو بثقة طريقًا ضيقًا وسار بخطوات سريعة فيه، وهو يلتف بين الأشجار على امتداد مسار متعرج يتلوى كالثعبان.

ومع تعمق نكو وسط الغابة، باتت الأشجار أضخم وأكثر قربًا من بعضها، وخفت ضوء الشمس وتحول إلى ظلال خضراء داكنة، وبدأ يخيم عليهما صمت مطبق. ظل سبتيموس يسير ملاصقًا لخطى نكو مع ازدياد ضيق المسار الذي يسيران فيه ومع ازدياد كثافة النباتات. وكان كلاهما ملتزمًا الصمت، فنكو كان يحاول أن يتذكر الطريق، وسبتيموس كان غارقًا في أفكاره، ويتساءل في سره ما الذي يفعله هنا بتعمقه في السير في الغابة على الرغم من أنه انطلق أساسًا ليتوجه إلى الحقول، لابد أن جينا تبعد عنه الآن بأميال وأميال على الجانب الآخر من النهر، وها هو ذا الآن يسير في الاتجاه المعاكس تمامًا، لمجرد أن نكو استطاع أن يقنعه بذلك. وبعد قليل، كسر سبتيموس حاجز الصمت وقال: «أمتأكد أنهم لن يمانعوا في أن يساعدونا؟».

رد نكو قائلًا: «بالطبع لن يمانعوا، إنهم إخوتنا في نهاية الأمر، والإخوة يتحدون معًا، فيما عدا سايمون بالطبع».

كان سبتيموس متحمسًا لمقابلة إخوته، ورغم أنه عاد وانضم إلى شمل معظم أسرته منذ عام ونصف العام، فإن إخوته سام وإد وإريك وجوجو كانوا طوال ذلك الوقت في الغابة يعيشون حياتهم البرية. ولقد

وعده سايلاس بأن يأخذه لزيارة إخوته، لكن الظروف حالت دون تحقيق ذلك؛ فإما أن مارشا تكون منشغلة جدًا ولا تستطيع أن تدعه يذهب، وإما أن يلتبس الأمر على سايلاس فيأتيه في غير اليوم المتفق عليه.

سأل سبتيموس نكو: «حدثني عنهم».

فقال: «سام صياد مدهش، يستطيع أن يصطاد أي شيء يريده، حتى إنني كنت أتساءل في سري عندما وصلنا إلى الشاطئ عما إذا كنا سنجده هناك، فالشاطئ أحد الأماكن التي يصطاد فيها. إد وإريك يعشقان الضحك، ودائمًا يُعدان المقالب لمن حولهما وكل منهما يأخذ مكان الآخر، فلا يزالان يشبهان بعضهما لدرجة أنني لا أستطيع في أغلب الأوقات أن أميز بينهما. أما چوچو فهو شخص هادئ بطبعه لكنه ذكي، إنه يحب الأعشاب وما إلى ذلك – مثل أمي أعتقد».

قال سبتيموس وهو يحاول بلا جدوى أن يكوّن لهم صورة في خياله: «رائع»؛ فهو لم يعتد بعد فكرة أن تكون له أسرة كبيرة، بعد أن قضى السنوات العشر الأولى من حياته بلا أية أسرة على الإطلاق.

ثم قال نكو: «لكن الشخص الذي جئنا من أجله كما قلت لك هو المتعقب؛ الفتى الذئبي».

«أهذا هو الفتى الذي عثروا عليه في الغابة؟».

«نعم. وهو يعيش معهم الآن، ويعتقدون أنه عاش مع حيوانات الولفرين لفترة من الوقت، لكنها على الأرجح طردته بعيدًا عنها بعد أن كبر حجمه وأصبح لا يُشتم منه رائحة صغار الحيوانات. وعندما قابله الأولاد مصادفةً أول مرة كان مفترسًا، حتى إنه عض سام في ساقه، وأصاب إريك بجروح

بالغة. كانت أظافره بشعة، صفراء وطويلة ومقوسة كالمخالب، لكنه أصبح مروضًا إلى حد ما بعد «الصقيع الكبير» الأخير، عندما قدم له إد وإريك طعامًا، وهو الآن أفضل كثيرًا عن ذي قبل. لكن رائحته لا تزال منفرة بعض الشيء، وإن كان هذا هو حالهم جميعًا، ثم بعد فترة تجد نفسك قد اعتدت هذه الرائحة. لكن هذا الفتى الذئبي – بلا شك – أفضل متعقب على وجه الأرض، إنه سيقودنا مباشرة إلى چينا، هذا أمر لا شك مطلقًا فيه».

فسأله سبتيموس متوجسًا: «هل له أسنان كبيرة وفرو؟».

«تمام.. إن له أنيابًا صفراء ضخمة والشعر يغطي يديه».

«حقًا؟».

التفت نكو إلى سبتيموس وابتسم له ابتسامة عريضة قائلًا: «خدعتك!».

مر بعض الوقت، ثم وصلا إلى ساحة بلا أشجار، واقترح نكو أن يتوقفا لعدة دقائق لينظر في الخريطة. فأنزل سبتيموس حقيبته، وعلى الفور شعر بأنه أصبح خفيفًا تمامًا لدرجة أنه قال في سره إنه قد يحلّق وسط الأشجار.

ثم سأل نكو وهو يقدم له الأنبوب الأرجواني الذي يحتوي على **مفرقعات النعناع**: «أتريد نعناعًا؟».

فنظر نكو بريبة إلى الأنبوب.

ثم سأله متوجسًا: «ما تأثيره؟» فنكو يعلم تمامًا ذوق سبتيموس في الحلوى، وهو لم ينس يوم أن أفرط في تناول ثمرة موز متجددة ذاتيًا ظلت تظهر في فمه كلما بصقها.

رد سبتيموس: «لا شيء، مجرد نعناع».

«حسنًا».

«افتح يدك»، ووضع سبتيموس في يده كرات خضراء متناهية الصغر، ثم تراجع نكو برأسه إلى الوراء ، وألقى في فمه **مفرقعات النعناع** وكأنه يتجرع دواء.

فحذره سبتيموس على الفور قائلاً: «لا..».

«ممم- ررر آآآه!».

«.. لا تضعها كلها مرة واحدة في فمك».

فهمهم نكو قائلاً: «يا للهول! لقد صعدت إلى أنفي». وعلى الفور، انطلقت من أنفه ثلاث كرات من **مفرقعات النعناع**.

«إنها بالفعل تفعل ذلك أحيانًا، والخدعة هنا أن تبقيها في فمك وتتركها تنفجر.. إنها فعلاً منعشة، أليس كذلك؟».

«أظن أن عيني سوف تجحظان وتخرجان من وجهي».

«على أية حال إني أحبها»، ثم أخذ سبتيموس بضع كرات منها لنفسه وأعاد الأنبوب إلى الحقيبة، ثم قال: «حسنًا.. ألا تريد إذن بعض **الحلوى الذكية**؟».

رد عليه نكو وعيناه تذرفان الدمع: «لابد أنك تمزح».

جفف نكو عينيه، ثم فتح خريطة سام ونظر فيها، وأخذ ينظر حوله إلى الساحة الخالية من الأشجار.

ثم سأل سبتيموس: «هل تستطيع أن ترى صخرة مرتفعة؟ من المفترض أن تكون في مكان ما هناك»، وأشار بشكل عام إلى مجموعة من الأشجار، ثم قال: «إن الصخرة تبدو على هيئة الطائر».

رد سبتيموس الذي تساوره الشكوك منذ أول لحظة في خريطة سام، وقال: «لا أرى شيئًا.. نكو، هل ضللنا الطريق؟».

قال نكو: «بالطبع لا».

«إذن، أين نحن الآن؟».

فغمغم نكو قائلاً: «لا أعلم بالضبط.. من الأفضل أن نواصل السير إلى أن أجد أي شيء أتعرّف إليه».

ومع توغلهما في أعماق الغابة أكثر فأكثر، ازداد شعور سبتيموس بالانزعاج ؛ حيث بدأت الأشجار تتشابك، وبعضها كانت جذوعها ضخمة للغاية وبدت قديمة جدًا وأحس أن الأجواء حولهما بدأت تتغير، فالأشجار بات شكلها غريبًا وبدت له كل واحدة منها مختلفة عن الأخرى، فبعضها كان لها حضور طيب وبعضها الآخر كان غير ذلك، ومرة أو مرتين شعر بأن هناك شجرة تتحرك خلسةً مع مرورهما بجوارها، وتخيل أنها تلتفت وتُحدق بهما أثناء سيرهما. ولقد اختفى الآن ضوء الشمس تمامًا، وحل محله ضوء أخضر باهت، يتسرب بين الأغصان المتشوجة بإحكام في بعضها فوقهم. ولقد أصبح السير أسهل كثيرًا الآن بعد أن بدت الأرض في الضوء الخافت أقل تشابكًا، وصارا يسيران في

معظم الوقت على طبقة سميكة من أوراق الأشجار المتساقطة. كان سِبتيموس يسمع بين حين وآخر صوت اشتباك أو خشخشة لكائنات صغيرة تفر بعيدًا، وهي أصوات لم تخِفه؛ لعلمه بأنها مجرد جرذان أشجار أو حيوانات ابن عرس التي تعيش في الغابة لكن في مرة أو مرتين سمع طقطقة صادرة عن أغصان أو شيء أكبر يصطدم بالأرض بعيدًا عنهما، أم أنه كان سيصطدم بهما؟

بدأ سِبتيموس يشعر بالانزعاج، لقد دخلا الغابة منذ عدة ساعات، وسرعان ما سيخفت ضوء النهار متحولًا إلى شفق. ومع مواصلته السير وراء نكو، لم يجد أي علامة يمكن تعقبها، وبدأ يتساءل في سره عما إذا كانا بالفعل قد ضلا الطريق. لكن على الرغم من ذلك، ظل نكو يشق الطريق بإصرار، وسِبتيموس من باب الإحساس الكامل بالمسئولية ظل يتبعه، إلى أن وصلا إلى ساحة صغيرة خالية من الأشجار.

وهنالك توقف سِبتيموس – ولقد أدرك الآن أنهما حتمًا قد ضلا الطريق، ثم قال: «نكو، لقد مررنا بهذا المكان من قبل.. منذ ساعة.. انظر! لقد شاهدت حينها هذه الشجرة المجوفة ذات الفطر النفاث».

توقف نكو وعاد ينظر إلى خريطة سام، وقال: «مستحيل أن نكون قد ضللنا الطريق، انظر! نحن هنا الآن». ونظر سِبتيموس إلى حيث يشير أصبع نكو القصير.

«هل تقصد هذه النملة المهروسة؟».

«ماذا تقصد بالنملة المهروسة؟»، ثم أخذ نكو يتفحص الخريطة التي كان من الصعب رؤيتها في هذا الضوء الخافت، وبعد عدة لحظات من

التحديق بعيون شبه مغمضة في الخريطة التي أصبح من الصعب رؤية خطوطها، قال نكو: «أتقصد هذه النملة؟».

قال سِبتيموس: «لقد ضللنا الطريق، أليس كذلك؟».

«مستحيل، لا أظن ذلك.. انظر! أنا أوافقك الرأي في أن هذه العلامة ربما هي بالفعل لنملة، لكن هذا لا يمنع أننا في هذا المسار هنا. وإذا ما تابعنا السير على امتداده.. هنا.. انظر! سوف نصل إلى المعسكر. صدقني يا سِب، كدنا نصل».

وهكذا، انطلق الأخوان مرة أخرى، وكان سِبتيموس يتبع نكو على مضض، وبعد فترة قال: «لقد كنا هنا منذ قليل يا نكو.. إننا ندور في حلقة مفرغة».

فتوقف نكو واستند إلى شجرة، وقد بدا عليه الإرهاق، ثم قال: «أنت مُحقٌ يا سِب، أنا آسف.. لقد ضللنا بالفعل الطريق».

14
التيه



ما إن تغرب الشمس في الغابة حتى يحل الظلام سريعًا.
جلس سِبتيموس ونكو مكتئبيْن على شجرة ملقاة على الأرض، وكان سِبتيموس يحمل البوصلة في راحة يده، محاولًا أن يرى الاتجاه الذي تشير إليه الإبرة المغناطيسية. ولقد أوشك ضوء النهار على الاختفاء الآن، وعلى الرغم من أن الخاتم التنيني بدأ يشع وميضًا، فإن يد سِبتيموس التي ترتعد من الخوف أعاقت هذا الوميض؛ حيث بدأ يتسرب إليه إحساس مألوف بالخوف ينتابه دائمًا مع دخول الليل في الغابة.

ثم همس قائلًا لنكو: «إنه وقت الشفق في الغابة الآن يا نكو، ينبغي علينا أن نظل ساكنين لفترة؛ فهذا ليس وقتًا مناسبًا للحركة؛ لأنه الوقت الذي تتبدل فيه الأحوال».

في تلك الأثناء، بعيدًا عن هنا، في القصر تحديدًا، كان سايلاس وسارة يراقبان غروب الشمس من على سطح القصر وقد أدركا في النهاية أن سايمون لن يعيد چينا؛ فانطلقا في حالة من الهلع إلى برج السحرة لمقابلة مارشا، ولقياها وهي تسير في طريق السحرة متجهةً إلى البروفيسور ويزل ڤان كلامف.

وفي أعماق الغابة، تحديدًا في مركزها تمامًا، كان سِبتيموس ونكو جالسيْن معًا في صمت. شعر سِبتيموس بالشمس وهي تتوارى خلف التلال، وبدأ برد يتسرب في الأجواء، بدأت معه مرحلة الانتقال من النهار إلى الليل. ومع اقتراب حلول الظلام أكثر فأكثر، تحولت الغابة إلى مكان للمخلوقات الليلية، وبغريزة تُنذر بالخطر، تعرَّف سِبتيموس ذلك الإحساسَ الغريب بثقل الأجواء الذي يصاحب دخول الليل في الغابة.

غمغم نكو ببؤس قائلًا: «أنا آسف حقًا يا سِب».

همس سِبتيموس قائلًا: «صه! لا تتحدث إلا للضرورة القصوى».

جلس نكو صامتًا، يحاول الالتزام بالهدوء. وهو في الأساس لا يحب الغابة كثيرًا، حتى في ضوء النهار، فهو يكره الإحساس الذي يعتريه فيها بأنه لن يستطيع الفرار بسرعة؛ إحساس بأنه وقع في فخ وسط جذوع

أشجار وأغصان لا حصر لها، كلها متشابكة ببعضها البعض - على الرغم من أنه ما دام في وسعه أن يتحرك ويرى طريقه، فهو يستطيع أن يتحملها، لكن بالكاد. أما الآن، وقد بدأ يحيط بهما ظلام ثقيل، فقد تملكه هلع متزايد، جعله يريد الصراخ بصوت عالٍ، وهو لم ينتبهْ هذا الشعور من قبل إلا مرة واحدة عندما كان محبوسًا في ماسورة قمامة القلعة، لكن يومها كانت معهم مارشا، وبسرعة خلصتهم من حبسهم، أما اليوم فهو بمفرده.

همس نكو قائلًا: «عندما كنت تأتي هنا للتدريبات الليلية، ماذا كانوا يعلمونكم؟ أقصد، ما الذي كان مطلوبًا منكم؟».

«ذات مرة، في التدريب على مصارعة الحيوانات بدون سلاح، كان مطلوبًا منا أن نحفر حفرة لحيوانات الولفرين، وننتظر طوال الليل حتى يسقط فيها أحدها. لكن مر الوقت ولم يسقط أي ولفرين - في حفرتنا نحن على الأقل - وخسرنا ثلاثة فتيان في الحفرة المجاورة، بعد أن أظهروا بسالة في صراعهم مع الولفرين، لكنه هو الذي فاز في نهاية المطاف وكانت الأصوات التي كنا نسمعها أثناء هذا الصراع بشعة فعلًا. وفي بعض الأوقات الأخرى، في تدريبات قراءة البوصلة، كانوا يربطون فتى في شجرة وكان مطلوبًا منا أن نعثر عليه قبل أن يؤكل، ولكن ليس في كل مرة كنا نصل في الوقت المناسب..».

قال نكو وهو يرتجف من شدة الخوف: «يا للهول! ليتني لم أسأل.. كنت أظن أنهم يعلمونكم مهارات للحفاظ على الحياة».

رد سِبتيموس قائلًا: «كانوا يفعلون ذلك أيضًا، منها مثلًا: لا تعترض طريق أي شيء يجري أسرع منك وعدد أسنانه أكبر من عدد أسنانك.. واحذر الأشجار آكلة اللحوم؛ لأنك لا تستطيع أن تميز هذا النوع إلا بعد فوات الأوان.. نعم نعم، تذكرت الآن، فأهم شيء هو...».

«هو ماذا؟».

«ألا تبقى في الغابة بعد حلول الظلام».

فهمهم نكو قائلًا: «شيء لطيف جدًا».

ثم همس سِبتيموس قائلًا: «أعتقد أنه من الأفضل أن نحاول إيجاد مكان آمن نقضي فيه ليلتنا. وأفضل مكان هو فوق شجرة».

«تقصد فوق شجرة آكلة للحوم؟».

«نكو، اهدأ أرجوك».

«آسف يا سب».

«فكما قلت لك، من الأفضل لنا أن نتسلق شجرة الآن.. ونحن وحظنا بعد ذلك إن كانت آكلة لحوم أم لا».

«أي أنك لا تستطيع أن تفرق بينهما!».

«ليس في المساء.. فأنت وحظك.. هذا هو خلاصة الوضع في الغابة ليلًا يا نكو.. على أية حال، إذا تمكنا من تسلق أي شجرة فسنكون في مأمن من حيوانات الولفرين، لكن لابد أيضًا أن نحذر من جرذان الأشجار المصاصة للدماء».

«أطربني».

«كما أن بعض الأشجار القديمة موبوءة بأوراق أشجار طفيلية، لقد قضيت ذات مرة ليلة بأكملها على شجرة مع القائد كاديت، وعندما استيقظت في الصباح اعتقدت أنه خبأ نفسه للتمويه، لكن اتضح أنه كان مغطى من رأسه إلى أخمص قدميه بهذه الأوراق الطفيلية». وضحك سِبتيموس بصوت خافت، وقال: «إنه يستحق ذلك».

همس نكو قائلًا: «كفى! أرجوك كُفَّ عن هذا. لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك، ممكن؟ دعنا الآن نبحث فحسب عن شجرة ليحفظنا الله».

رفع سِبتيموس حقيبته الثقيلة على ظهره وانطلق الفتيان، هذه المرة نكو هو الذي كان يسير في خطى سِبتيموس. كان الخاتم التنيني يلمع ببريق ساطع، فدس سِبتيموس يده في جيبه ليخفي ضوءه؛ لعلمه أن الضوء يلفت انتباه كل الكائنات من على بُعد أميال، وسوف يجذب على وجه الخصوص **أشباح الغابة**. كان سِبتيموس يسير بتروٍّ وهدوء بين الأشجار، يتبعه نكو بكل حرص وهدوء. لكن حركة نكو كانت أثقل من سِبتيموس، ومهما حاول كانت قدماه كل حين وآخر تطأن غصنًا فيطقطق، أو تطأن أوراق أشجار فتخشخش. كان سِبتيموس يدرك أنهما سرعان ما سيسمعهما أي كائن أو شيء، وكل ما يحتاجان إليه على الفور هو أن يتسلقا أي شجرة ليحتميا فيها. فأخذ يتفحص باستماتة كل شجرة يمران بها، أملًا العثور على أغصان منخفضة تساعدهم في تسلق الشجرة، لكنه فشل، فهما الآن في وسط الجزء القديم من الغابة، حيث ترتفع هنا كل الأشجار والأغصان عاليًا فوق سطح الأرض.

وفجأة، شعر سِبتيموس بقبضة مثل الكماشة تمسك ذراعه.

«آآي!».

«صه!».

التفت سِبتيموس فرأى نكو لا يزال ممسكًا بذراعه ويُحدق بعينين مفتوحتين على آخرهما في الظلام.

«سِب، ما... ما هذا الذي أراه هناك؟ لقد رأيت شيئًا لونه أصفر ويلمع».

تفحص سِبتيموس الظلام مستخدمًا خدعة جيش الشباب بمسح المكان من جميع الاتجاهات، ورأى ما كان يخشاه؛ إنهما محاطان الآن ببحر من العيون الصفراء.

غمغم سِبتيموس قائلًا: «الجرذان».

فهمس نكو قائلًا: «جرذان؟ طمأنتني.. فلوهلة اعتقدت أنها حيوانات ولفرين».

«إنها بالفعل حيوانات ولفرين. وبالجملة».

رد نكو بنبرة بائسة: «لكنك قلت إنها جرذان».

ازدرد سِبتيموس ريقه وقال: «اصمت يا نكو.. أنا أحاول أن أفكر.. هل من الممكن أن تعطيني **الوصفة السحرية للتجميد السريع** من حقيبتي؟ بسرعة..».

«ألا تستطيع - بعد - أن تقوم بالتجميد السريع بدون **وصفة سحرية**؟».

«لا.. أسرع!».

حاول نكو أن يفتح حقيبة سِبتيموس، لكنَّ يديه كانتا ترتعدان من شدة الخوف، ولم يتمكن حتى من العثور على إبزيم الحقيبة في هذا

الظلام. وكان سِبتيموس ساخطًا من نفسه، فكان ينبغي عليه أن يُخرج الوصفة السحرية من الحقيبة من قبل ليكون مستعدًا بها حال احتياجهما إليها، لكنه يكره الغابة مساء مثل نكو تمامًا، وذهنه بشكل أو بآخر كان متوقفًا عن التفكير.

همس نكو بنبرة هلع متزايدة: «لا أستطيع أن أفتح حقيبتك الغبية هذه.. ألا تستطيع أن تثبتها كما فعلت مع الحصان؟».

«يا له من اقتراح! أتريدني أن أجعلها تقف بانتظام في صف حتى أثبت كلاً منها بالدور؟».

«ألا تستطيع أن تثبتها جملةً؟».

«لا».

تفحص سِبتيموس أزواج العيون الصفراء فوجدها تستعد للاقتراب والانتشار. علم سِبتيموس بذلك أنها بدأت أسلوبها المعتاد في محاصرة فريستها، وإذا طال بقاؤه هنا هو ونكو أكثر من ذلك فسوف يقعان في شرَكها وسط دائرتها.

فهمس قائلًا: «اجرِ حالًا!».

لم يكن نكو في حاجة لتكرار الجملة. وعلى الفور، كان سِبتيموس قد انطلق وسط الأشجار يتبعه نكو مباشرة، وهما ينحنيان برأسيهما ويقفزان حول جذوع الأشجار الضخمة، وفوق أوراق الأشجار المتساقطة، وينزلقان على أوراق الأشجار الزلقة كلما انعطف سِبتيموس عند منعطف ضيق متعرج. ومع ذلك، كلما نظر نكو للخلف، رأى نفس العيون الصفراء

تتعقبهما بسهولة، حيث بدأ قطيع الولڤرين ينخرط في عمله الليلي الروتيني في مطاردة فريسته، متطلعًا لوجبة شهية هذا المساء.

وفجأة، زلت قدم سِبتيموس في جُحر جرذ وطُرح أرضًا.

قال نكو لاهثًا، وهو يجذبه ليقف على قدميه: «انهض يا سِب».

قال سِبتيموس وهو يتأوه: «آه! كاحلي..».

لم يكن هناك وقت للتعاطف الآن، فقال له نكو: «هيا.. هيا يا سِب.. انهض وواصل الجري.. هناك مجموعة من الولڤرين خلفنا لو كنت قد نسيت».

بدأ سِبتيموس يسير وهو يعرج، لكن مهما حاول لم يكن يتمكن من مواصلة الجري، فكاحله ظل يلتوي كلما حاول الوقوف عليه. فتوقف بجانب شجرة وأنزل حقيبته من على ظهره.

قال نكو لاهثًا والذعر يملأ قلبه: «ماذا تفعل؟».

قال سِبتيموس: «ليس هناك أمل يا نكو، لا أستطيع أن أجري الآن.. انطلق أنت وانجُ بنفسك، وسأحاول أن أجد **الوصفة السحرية للتجميد السريع** قبل أن تقترب مني أكثر من ذلك».

رد نكو بحدة: «لا تكن أحمق، أنا لن أذهب بدونك».

«بل سوف تذهب.. أراك لاحقًا».

«لا، لن تبقى وحدك، ستأكلك أيها الأحمق».

«أرجوك اذهب يا نكو».

«لا!».

ومع كلمة نكو الأخيرة، كان آخر ولڤرين في المجموعة قد أغلق الدائرة حولهما، وأصبح الفتيان محاصرينً تمامًا. لقد وقعا في الفخ. فتراجع نكو وسِبتيموس للوراء يحتميان في جذع شجرة ضخم وخشن. وببطء وخلسة، أخذت حلقة العيون الصفراء المخيفة تحكم دائرتها حولهما أكثر فأكثر، بينما أخذ الفتيان يحدقان إلى المشهد أمامهما، غير مصدقيْن أن هذا بالفعل هو ما يحدث لهما الآن. وهما وإن كانا مثل كل سكان القلعة- تنتابهما كوابيس تصور لهما هذه اللحظات تحديدًا- فإن الواقع الفعلي أغرب كثيرًا مما كان يراودهما في أحلامهما. إنها لحظات تكاد تكون جميلة، لو نظرنا إليها من حيث قدرتها على إذهاب العقول. وخيم صمت الانتظار وكأن جميع الكائنات الليلية توقفت عما تفعل وأخذت تراقب المشهد الذي حضر ليعرض نفسه هذه الليلة فقط في الجزء الخاص بها من الغابة.

نجح نكو أخيرًا في فتح الحقيبة بعد أن ركلها، فانحل الإبزيم، وتبعثرت محتوياتها على الأرض. فجثا هو وسِبتيموس على ركبهما يفتشان بين المحتويات، ويبحثان بهلع عن **الوصفة السحرية للتجميد السريع**.

همس نكو قائلًا: «ما كل هذه القمامة التي كانت في حقيبتك؟! صف لي شكل **الوصفة السحرية**، كيف تبدو؟».

«إن محتويات حقيبتي ليست قمامة.. **والوصفة السحرية** عبارة عن كتلة جليدية».

«لكن أين هي؟ أين هي؟ أين هي؟ أين هي؟».

«انتظر! أنا أشتم رائحتها».

وملأت الأجواء رائحة أنفاس حيوانات الولڤرين الكريهة التي هي مزيج من رائحة اللحم المتعفن واللثة الملتهبة؛ حيث إن حيوانات الولڤرين التي تعيش في الغابة تعاني آلامًا مزمنة مع أسنانها. رفع نكو وسِبتيموس رأسيهما ونظرا أمامهما، والرعب يملأ قلبيهما، فوجدا أنفسهما يحدقان إلى عيني زعيم الولڤرين، وهو الذي يعطي إشارة الانقضاض.

انطلقت زمجرة طويلة بدأت من مكان ما في أعماق أحشاء القائد، وبذلك كانت الإشارة قد انطلقت، فبرقت العيون الصفراء التي تحيط بهما، وانقبضت العضلات وبدأ اللعاب يسيل، ثم بدأت حيوانات الولڤرين - وقد تناست للحظة آلام أسنانها - تمسح بألسنتها على خطامها، وظهرت أسنانها الطويلة الصفراء والسوداء.

ارتفع صوت الزمجرة أكثر فأكثر، وفجأة تراجع الزعيم برأسه إلى الخلف مُطلقًا عواءً يجمد الدم في العروق.

وانقض القطيع.

وانقضت الشجرة.

لكن الشجرة وصلت إليهما قبله.

15
الشجرة



وجد سِبتيموس ونكو نفسيهما يُرفعان بسرعة فائقة عاليًا في الهواء؛ فقد أمسك بالفتيين غصنان طويلان معوجان كانا يحومان فوق رأسيهما ينتظران اللحظة المناسبة. وكان طرف كل غصن منهما ينتهي بخمسة أغصان أصغر تشبه أصابع اليد، كانت تتحرك بمهارة، ثم التفت بإحكام حولهما كأنهما قفصان خشبيان أحاطا بالفتيين بالكامل، وأمسكت بهما بقبضة من حديد. وبعد أن خطفت الشجرة سِبتيموس ونكو بسرعة مذهلة، أبطأت من سرعتها وهي ترفعهما لأعلى وأعلى، وتسحبهما من بين أوراقها وأغصانها، وتأخذهما إلى مركزها مباشرة.

أغمض سِبتيموس عينيه بقوة وهما يُرفعان عاليًا في جو الليل البارد، بينما ظلت عينا نكو مفتوحتين على أقصى اتساع لهما في ذهول وهما

يتحركان لأعلى وسط الشجرة الضخمة، إلى أن ارتفعا بعيدًا عن قطيع حيوانات الولڤرين بلونها البني المائل إلى الاحمرار. ألقى نكو نظرة على حلقة العيون الصفراء التي تحيط بالشجرة، وتحدق بعيون لا تُغمض لها جفون على وجبة عشاء الليلة - والتي كان من المفترض أنها ستكون وجبة شهية - وهي تُنتزع من بين فكوكها.

أما الشجرة، ومثل كل الأشجار، فكانت تتحرك ببطء ولوجهة محددة. فلمَ العجلة وأنت لا يزال أمامك مئات من الأعوام الأخرى تعيش فيها حياتك؟ ولمَ العجلة عندما تكون لك هيئة ترتفع عاليًا في السماء لثلاثمائة قدم وتكون أنت ملك الغابة؟ وبعد ما بدا لهما دهرًا، أنزلتهما الشجرة بين تفريعة أغصان عند قمتها، وبدأت الأغصان التي كانت تقبض عليهما تفك أسرهما، وأخذت تحوم فوقهما وكأنها تخطط لحركتها التالية.

همس نكو بصوت يرتجف من شدة الذعر: «هل ستأكلنا الآن يا سِب؟».

فهمس سِبتيموس الذي لا يزال يُغمض عينيه: «لا أعلم». وكان سِبتيموس يشعر بمدى ارتفاعهما عن الأرض، لكنه لا يجرؤ على أن ينظر لأسفل.

«لكنها رفعت أيديها عنا، لعلنا نستطيع أن نهرب الآن والفرصة لا تزال أمامنا..».

هز سِبتيموس رأسه بحزن وأسى، لقد شل الارتفاع حركته، وباتت الحركة بالنسبة له كمن يفكر في الوصول إلى القمر. اختلس نكو نظرة

أخرى لأسفل، ورأى من خلال فجوة بين أوراق الشجرة حلقة حيوانات الولڤرين التي كانت عيونها تلمع من شدة الجوع، وتنتظر على أمل أن فريستها ستظهر مرة أخرى – أو تُطرح أرضًا – وتوفر لها وجبة لعشاء الليلة، ثم خطر على بال نكو فجأة أن هذا الموقف لا بد أن تعرض له قطيع الولڤرين هذا من قبل، فلا بد أنه حدث ذات مرة أن ضحية مسكينة سحبتها شجرة أكلة للحوم من وسط حلقتها، ثم تمكنت الضحية من الفرار من براثن الأغصان الخانقة، لتجد نفسها تسقط وسط الحلقة مرة أخرى. تخيل نكو مدى بشاعة هذا المصير، حتى أدرك فجأة أن هذا هو بالضبط نفس المصير الذي يتعرضان له الآن، وبدأ يتأوه.

غمغم سِبتيموس قائلًا: «ما خطبك يا نكو؟».

«لا، لا شيء على الإطلاق.. نحن على وشك أن تأكلنا إما شجرة أكلة للحوم وإما قطيع من الولڤرين.. وأنا مازلت غير مستقر الرأي حتى الآن أيهما أفضل».

تحامل سِبتيموس على نفسه كي يفتح عينيه، فوجد أن الأمر ليس مخيفًا بهذه الدرجة التي كان يظنها، وإن كان لم يتمكن أساسًا من رؤية الكثير؛ فغياب القمر جعل الظلام دامسًا، والأشجار بأوراقها التي تزداد كثافة في الصيف حجبت أي رؤية للأرض من هذا الارتفاع الشاهق، فقال: «لكن كما ترى، لم يأكلنا أحد حتى الآن».

فغمغم نكو قائلًا: «حتى الآن».

لكن، بينما كان نكو يتكلم، بدأ الغصنان اللذان كانا يحومان فوقهما ينزلان نحوهما مرة أخرى. تشبث نكو بكُمِّ سِبتيموس، ثم همس بإلحاح

وهو يقول له: «هيا يا سِب.. إما الآن وإما فلا.. لا بد أن نخرج من هنا. وأنا واثق من أننا نستطيع أن ننتهز الفرصة الآن؛ فالشجرة حركتها بطيئة، لقد تمكنت منا؛ لأننا كنا منشغلَيْن بالولڤرين ولم نلحظ توجهها نحونا. وإذا ترجلنا بسرعة الآن فلن تتمكن من الإمساك بنا».

فهمس سِبتيموس وهو مقتنع بأن الشجرة تستطيع أن تسمع حديثهما: «لكن حينها سوف تنال منا حيوانات الولڤرين».

«لكنها قد تستسلم في نهاية الأمر، هيا يا سِب، إنها فرصتنا الأخيرة»، وبدأ نكو يزحف على امتداد غصن الشجرة.

كان آخر شيء يمكن أن يفكر فيه سِبتيموس الآن هو أن يُقدِم على أي حركة؛ فهو في نهاية الأمر يرتفع عن سطح الأرض بثلاثمائة قدم على الأقل، لكن نظرًا لعدم وجود أي خيار فعلي آخر أمامه أغمض عينيه شبه إغماضة؛ حتى يقطع الطريق على أي فرصة تجعله يشعر بارتفاعه الشاهق عن سطح الأرض. وببطء، بدأ يتحرك على امتداد الغصن وراء نكو. وكان نكو قد وصل إلى تفريعة الغصن التي خطط أنه سينزل من عندها مترجلًا، ثم التفت ومد ذراعه لسِبتيموس.

«هيا يا سِب، أنت أبطأ من هذه الشجرة نفسها. هيا.. الأمر بسيط».

لم يرد عليه سِبتيموس، وكانت يداه مبللتَيْن من شدة الخوف وشعر بدوار.

قال له نكو مشجعًا: «لا تنظر لأسفل. انظر إليَّ فحسب.. هيا.. هيا.. لقد كدت أن تصل».

نظر سِبتيموس إلى نكو، وفجأة بدأ رأسه يترنح، وبدأ طنين غريب وكأنه قادم من بعيد يدوي في أذنه، ثم أفلتت قبضتا يديه المبللتين الغصن الناعم، فسقط.

كان سقوطه أسرع من رد فعل نكو الذي كان في لحظة جالسًا على الغصن يراقب زحف سِبتيموس نحوه، وفي اللحظة التالية وجد نفسه جالسًا يراقب المكان خاليًا. وكل ما سمعه بعد ذلك هو صوت ارتطام سِبتيموس وسط الشجرة بعيدًا في الأسفل، تبعه عواء انطلق من أحد حيوانات الولڤرين المنتظرة في الأسفل.

ثم كان هناك صمت طويل، ولم يسمع نكو بعد ذلك أي صوت سوى خشخشة أوراق الشجر والأغصان وسكون الغابة. جلس نكو متسمرًا في مكانه، عاجزًا عن الحركة. لكن لا بد أن يبدأ النزول، ولا بد أن يحاول الوصول إلى سِبتيموس، إلا أن الذعر كان يملأ قلبه مما قد يجده في انتظاره في الأسفل. بدأ نكو، ببطء وعلى مضض، يقوم برحلة النزول الطويلة إلى سطح الأرض. لكن بينما كان يترجل الشجرة هابطًا، باغته غصن طويل، التف حول خصره وأمسكه بسرعة. فقاومه نكو محاولًا التخلص منه، لكنه كان يحكم التفافه حوله كما لو كان شريطًا حديديًا. وبغضب، ركل نكو الشجرة بقدمه.

وصاح قائلًا: «دعيني! لا بد أن أنقذ أخي!»، وفي نوبة غضب عارمة أخذ نكو يُقطع في أوراق الشجرة التي تحيط به.

فقال صوت خفيض وبطيء: «آه». لكن نكو لم يسمع شيئًا.

وأخذ يصيح وهو يلكمها ويضربها بهلع، ويقول: «أنا أكرهك أيتها الشجرة اللعينة! أنتِ لن تأكليني، ولن تأكلي سِبتيموس.. جربي هذا وستندمين بعد ذلك»، وانطلق نكو يركل الشجرة وهو يصيح فيها ويسبها بكل ما يتذكره من سباب تعلمه حديثًا في الميناء ومن روبرت جرينج، حتى إنه اندهش أن وجد نفسه يعرف كل هذا الكم من الشتائم، كما اندهشت الشجرة التي لم تسمع من قبل ألفاظًا بذيئة بهذا الشكل.

تجاهلت الشجرة بهدوء نوبة غضب نكو، وظلت تمسكه بإحكام، بينما واصلت ما كانت قد بدأت تفعله منذ أن سقط سِبتيموس. وبينما كان نكو يواصل صياحه فيها، إذا بالأغصان المجاورة له تشق طريقًا بينها، وظهر سِبتيموس مرة أخرى إلى جواره، ملفوفًا بإحكام في شرنقة من أوراق الشجر والأغصان. أطبق على نكو الصمت، وعلا وجهه الشحوب، وقال في سره: إن هذا هو ما تفعله العناكب في فريستها، لقد حدث منذ أسبوع أنه كان جالسًا على متن أحد المراكب وأخذ يراقب عنكبوتًا وهي تلف ذبابة، تحاول أن تقاومها، في شرنقة من خيوط الحرير، ثم أخذت تمتص دمها وهي حية إلى أن صفّته تمامًا.

ثم قال نكو لاهثًا: «سِب، هل أنت بخير؟» لكن سِبتيموس لم يرد عليه، كانت عيناه مغمضتين ويبدو شاحبًا كالموتى، ثم طرأت على ذهن نكو فكرة مفزعة، وهمس قائلًا: «سِب، هل بدأت الشجرة تأكلك؟»، ثم حاول أن يصل إلى سِبتيموس، ولكن منعه الغصن الملتف حوله بإحكام.

ثم سمع صوتًا خفيضًا يقول: «نكو».

رد نكو متسائلًا في سره لماذا يبدو صوت أخيه غريبًا هكذا: «سِب؟».

«نكو، أرجوك كفاكَ مقاومةً، وإلا ستجد نفسك قد سقطت. إن المسافة طويلة وحيوانات الولفرين لا تزال تنتظرك. أرجوك ابق ساكنًا».

أخذ نكو يُحدق إلى سِبتيموس، متسائلًا في سره كيف تمكن من أن يتحدث دون أن يحرك شفتيه.

«سِب، كف عن هذه الحركات الحمقاء لو سمحت».

«نكو، اسمعني، هذا ليس سِبتيموس الذي يتحدث إليك. سِبتيموس اصطدم رأسه، وهو يحتاج إلى أن يرتاح الآن».

شعر نكو بتجمد الدم في عروقه، ووجد نفسه لأول مرة منذ دخوله الغابة يتملكه بالفعل رعب ما بعده رعب؛ فهو على الأقل كان يعرف مع حيوانات الولفرين حدود الموقف، كذلك هو الأمر مع الشجرة آكلة اللحوم – فجميعها تريد أن تأكله. صحيح أنه ليس موقفًا لطيفًا أو ودودًا، لكنه على الأقل مفهوم، أما الموقف مع هذا الصوت الشبحي الخفيض فهو مختلف تمامًا؛ فهو لا يعرف أي شيء عنه، وبدا وكأنه يحيط به من كل مكان، والأغرب من كل ذلك أنه يعرف اسمه.

فهمس نكو: «من أنت؟».

«ألا تعلم من أنا؟ لقد ظننت أنك جئت خصيصًا لزيارتي»، وبدت على الصوت نبرة إحباط، ثم واصل قائلًا: «فأنا ما عدت أرى أي شخص الآن، ولا أحد يأتي لزيارتي. كنت أعتقد أن ابني سوف يبذل مجهودًا

ويأتي ليزورني. لكنني أظن أنه مازال كعادته لا يريد أن يزعج نفسه؛ ولذلك عندما رأيت أصغر أحفادي اعتقدت تلقائيًا...».

قاطعه نكو في ذهول: «أحفادك؟».

رد الصوت قائلًا: «نعم، أنت وسِبتيموس. وأنا أستطيع أن أتعرف إليكما من بين كل الناس. فأنتما تشبهان سايلاس تمامًا في شبابه».

وفجأة غمر نكو شعور جارف بالراحة.. إنه لا يكاد يصدق أن الحظ حالفهما إلى هذا الحد.

ثم سأل الشجرة: «أنت.. أنت جدي بنيامين، أليس كذلك؟».

رد الصوت قائلًا: «بالطبع أنا جدك، من كنت تظنني؟».

سأل نكو: «شجرة آكلة للحوم».

«أنا؟ أنا شجرة آكلة للحوم؟ وهل يبدو عليَّ ذلك؟».

«في الحقيقة لا أعلم، فأنا لم أر واحدة من قبل».

«إذن، دعني أقُل لك، إنها بعيدة الشبه عني تمامًا. إنها أشجار جرباء، لا تهتم حتى أن تحافظ على نظافتها، ورائحتها تبدو كاللحم المتعفن، وأوراقها شريرة وسوداء، ويغطيها الفطر. إنها تسيء إلى سمعة الغابة».

«يا إلهي! إنها لمعجزة! أنا لا أصدق ما يحدث.. أنت جدي بنيامين!»، ثم رجع نكو للوراء بابتهاج واطمئنان، وحل جده الغصن الذي كان يمنعه من الحركة.

ثم قالت له الشجرة: «أنت لا تنوي بالطبع النزول الآن، أليس كذلك؟ إن حيوانات الولفرين هذه ستظل لفترة منتظرةً.. ابق ساكنًا هكذا لوهلة، وسوف أعد لك سريرًا.. لا تتحرك».

قال نكو بصوت خافت غير مصدق نفسه: «حسنًا، كما تشاء يا جدي، لن أتحرك»، وجلس على الغصن وهو يشعر وكأنه كتلة هلامية، ولأول مرة منذ أن وطئت قدماه الغابة بدأ يشعر بالاسترخاء.

انشغلت الشجرة في نسج أغصانها إلى سطح مستوٍ وتغطيتها بطبقة لينة من أوراقها، ثم قال الجد الشجرة بفخر بعد أن انتهى من عمله: «ها هو ذا السرير. وكما ترى، ليس هناك أية مشكلة في إعداده. فمن يريد منكم، يستطيع أن يأتي وقتما يشاء ويمكث مع جده بعض الوقت، وسايلاس أيضًا، ووالدتكما العزيزة.. في أي وقت».

ثم رفعت الشجرة سِبتيموس بحرص إلى السرير ووضعته عليه، وهو لا يزال ملفوفًا في الشرنقة التي حافظت عليه.

ثم قالت الشجرة لنكو: «لعلمك، لقد تمكنت من إنقاذه في الوقت المناسب، فلو كنت تأخرت ثانية واحدة، لنالت منه حيوانات الولڤرين؛ فقد قفز أحدها عاليًا ونهشه، وكاد أن يقع في براثنها».

زحف نكو على السرير ووصل إلى سِبتيموس، ثم بدأ يحل الشرنقة من حوله، ورأى كدمة كبيرة بدأت تظهر في رأسه في مكان ارتطامه بغصن الشجرة أثناء سقوطه.

فهمهم سِبتيموس قائلًا: «آي.. ابتعد يا نكو».

غمرت السعادة قلب نكو وهو يسمع صوت سِبتيموس من جديد، وقال له: «مرحى يا سِب.. أنت بخير. أنا لا أصدق نفسي من فرط سعادتي».

اعتدل سِبتيموس وجلس، وعيناه مشوشتان، ثم نظر إلى نكو. وعلى الرغم من أن الكدمة التي أصابت رأسه كانت تؤلمه، فإنه لم يكترث؛ لعلمه أنهما أصبحا الآن بمأمن. فهو عندما سقط من فوق الشجرة، اصطدم رأسه وفقد وعيه لوهلة، لكن حينما تم رفعه برفق بين أوراق الشجرة، ردّه صوت الشجرة العميق الذي أحاط به من كل جانب إلى وعيه، وحينها سمع الحوار الذي دار بين جده ونكو. في أول الأمر، ظن أنه يحلم، لكن بعد أن فتح عينيه ورأى أمارات السعادة والراحة تعلو وجه نكو، أيقن أن ما سمعه كان حقيقة وليس حلمًا.

ثم همهم سِبتيموس، وهو يبتسم بوهن ابتسامة عريضة.

قال له نكو بحماس: «إنه جدنا بنچي يا سِب.. لقد أصبحنا في أمان!»، ثم قال له بعد أن لاحظ الشحوب الذي يعلو وجهه: «لكن لا بد أن تنام الآن.. سوف تكون على ما يُرام غدًا»، ثم استلقى نكو على السرير إلى جوار سِبتيموس، وتشبث به بإحكام؛ حتى يضمن عدم سقوطه مرة أخرى.

أرسل القمر نورًا تسلل من بين أوراق الأشجار، وأخذ الجد بنچي يتأرجح مع نسيم الليل، مغرقًا الفتيين في نوم هادئ وسكينة. لكن لم يكد يغط الفتيان في النوم، حتى انطلق عواء تردد صداه بين أنحاء الشجرة.

«أروووووو!».

وتبع ذلك دمدمة لسعال بشع.

«كح.. كح.. كح!».

علم نكو أنها حيوانات الولفرين، فسأل سِبتيموس: «إنها لا تستطيع أن تتسلق الشجر، أليس كذلك؟».

فأومأ له سِبتيموس برأسه، ثم تمنى لو لم يفعل.

وفي شيء من الذعر، نظر نكو وسِبتيموس لأسفل من بين ثنايا السرير على حيوانات الولفرين. بدت المجموعة بأسرها وكأنها أصيبت بلوثة عقلية، لقد أخذت تلف وتدور جريًا حول الشجرة، وهي تعوي وتنبح، وباستماتة تفرك أنوفها بأرجلها.

فهمهم نكو قائلًا: «ما هذا الذي تفعله هذه الحيوانات؟».

وفجأة انفجر سِبتيموس ضاحكًا، وقال: «انظر! لقد أكلت حقيبتي..».

فقال نكو: «في الواقع، ما ظننت أن مذاقها بهذا السوء».

ثم أردف سِبتيموس وهو يضحك: «.. لقد عثرت على **مفرقعات النعناع**!».

16

أرض الأشرار



في حين كان سِبتيموس ونكو قد ضلا طريقهما في غياهب الغابة، كان سايمون هيب يتوجه بجينا إلى أعماق أرض الأشرار.

وكان رعد يسير باضطراب في مسار ضيق يلتف حول محاجر للإردواز لا تعد ولا تحصى، بعضها قديم ومهجور، وبعضها الآخر يبدو عليه آثار أعمال حديثة، وإن كانت هي أيضًا تبدو مهجورة بشكل يبعث على الخوف.

كان منظر الأرض المكسرة والصخور المشقوقة يبعث في الأجواء إحساسًا بالنقمة وشعرت چينا بانخفاض معنوياتها، ثم انجرف إليها من على ارتفاع بعيد فوقها أنين حزين قادم من قمم التلال البائسة؛ فالرياح الشرقية كانت تهب نحوهم وبدأت سحب رمادية كثيفة تتكتل في السماء، حجبت ضوء الشمس وأرسلت بردًا في الأجواء. لف سايمون جسمه بعباءته السوداء الطويلة، بينما أخذت چينا ترتعد من فرط البرد؛ فلم تكن ترتدي ما يحميها سوى ردائها الصيفي الخفيف.

قال سايمون متذمرًا: «كفّي عن الارتجاف بهذا الشكل».

ردت چينا بحدة: «ليس معي عباءة مثل عباءتك».

قال سايمون ساخرًا: «أنت لن تقبلي واحدة مثلها، **فالسحر الأسود** الذي تحتوي عليه كثير على الأنسة المثالية الصغيرة هنا».

ردت چينا معترضةً: «لا ينبغي عليك أن تأخذ مثل هذه الأمور بسخرية يا سايمون».

فقال لها: «ومن قال إنني أسخر؟».

توقفت چينا عن الكلام، وظلت ترتعد..

فقال سايمون وقد ملّ منها: «هيا، خذي هذه وكفاكِ تدقيقًا في الأمور»، ثم أخرج عباءة من حقيبة السرج وناولها إياها فأخذتها چينا، وهي متوقعة أنها ستكون غطاء خشنًا يخص الحصان، فاندهشت وهي ترى بين يديها أجمل عباءة رأتها في حياتها، كان لونها أزرق قاتمًا فخمًا، ومنسوجة بدقة من أنعم الأصواف الممشطة المأخوذة من بطن الماعز الجبلي، ولها حافة من الحرير الذهبي. كان سايمون ينوي إهداءها للوسي

جرينج؛ حيث كان يخطط لتركها عند بيت البوابة، مرفقةً بورقة مندسة في بطانتها، لا أحد سوى لوسي يستطيع أن يعثر عليها. لكن عندما وصل سايمون مبكرًا إلى البوابة الشمالية صباح اليوم، وهو يغطي وجهه بعباءته السوداء؛ تجنبًا لأن يلمحه جرينج، رأى سايلاس في الطريق يسير بوجاهة حاملًا صندوق لعبة «الفيش المتحركة»، وكان آخر شخص يود سايمون أن يراه في تلك اللحظة هو والده، وهو ما جعله يغير اتجاهه على الفور ويتخذ مسارًا مختصرًا إلى طريق السحرة. ولم يلحظه سايلاس في تلك الأثناء؛ لانشغاله بإعداد الخطط والاستراتيجيات لمباراة اليوم. وهكذا، أصبحت العباءة الجميلة التي اختارها سايمون للوسي وكلفته من المال قدرًا لا بأس به، **تلف الآن**، وللأسف الشديد، جسد الأنسة المثالية الصغيرة.

لفّت چينا عباءة لوسي بإحكام حول جسدها، وبدأت أخيرًا تشعر بالدفء، لكنها كانت مرهقة للغاية وهي تجلس أمام سايمون فوق ظهر الحصان المنهك. ظلت محاجر الإردواز الكئيبة تمتد بطول الطريق بلا نهاية، وبدأ رعد يصعد بشق النفس مسارًا منحدرًا له ميل ثابت، ولقد بات الآن أضيق، ويحده من جانب جرف صخري شديد الانحدار من صخور الإردواز ينبثق عاليًا في السماء، ويحده من الجانب الآخر خور عميق، يجري في أعماقه نهر، مياهه قاتمة، وتنتشر فيه الصخور المسننة والدوامات الخادعة. وتساءلت چينا في سرها عما إذا كان سيأتي وقت ويتوقف فيه سايمون؛ فقد بدا عليه أنه لا يبالي بها ولا بالحصان. بدأ رعد يصيبه الإرهاق بسرعة، ومرة أو مرتين زلت رجله على الركام المتداعي

الذي يغطي جوانب التلال الرمادية لصخور الإردواز، وكاد يرسلهما معه إلى النهر في الأسفل.

أخيرًا، تحدث سايمون وقال: «توقف يا رعد، توقف يا فتى». فأبطأ رعد من سرعته إلى أن توقف وهز رأسه، وهو يصهل من شدة إرهاقه. نظرت چينا حولها وقد انتابها القلق فجأة بعد أن توقفوا أخيرًا.

وعلى الفور ترجل سايمون من فوق ظهر الحصان وأخذ اللجام، ثم قال لچينا: «يمكنك أن تنزلي الآن، لقد وصلنا».

وبحرص، نزلت چينا من فوق ظهر الحصان وهي محبطة، وكانت مترددة؛ أتنطلق وتفر منه أم تنتظر. المشكلة أنه لا يبدو أن هناك أي مكان يمكن اللجوء إليه، لكن سايمون قرأ أفكارها، وقال لها بحدة: «لا تفكري في أن تُقدمي على أي خطوة حمقاء وتحاولي الهرب.. فما من مكان هنا يمكنك أن تلجئي إليه، إلا إذا كنت تريدين أن تجدي نفسك في جحر إحدى الديدان الأرضية».

ردت عليه چينا قائلة: «لا تحاول أن تخيفني، فأنت تعلم مثلي تمامًا أنها لا تخرج إلا ليلًا».

حقًا، هل تفعل ذلك؟ معذرة، لقد نسيت بالطبع.. فالأميرة الصغيرة تعلم كل شيء، أليس كذلك؟ حسنًا، يمكنني أن أتركك في الخارج إن شئتِ هذه الليلة، فهناك مجموعة لطيفة من جحور الديدان، إن كنت تحبين أن تذهبي وتلقي نظرة عليها».

لكن چينا لم يغرها عرض سايمون كي تتحداه، لقد سمعت ما يكفي من الحكايات عن الديدان الأرضية الرمادية الضخمة التي تعيش في

تلال الإردواز وتصطاد فرائسها من العابرين ليلًا، وإن كان سكان القلعة يعتقدون أن هذه القصص التي تُحكى عنها ليست سوى خرافات يحكيها العاملون في المناجم هناك؛ حتى يبعدوا عنها الناس بما أنهم أحيانًا يعثرون فيها على أنقى أنواع الذهب. لكن چينا تعلم الحقيقة؛ ولذلك وقفت بجوار رعد بعباءة لوسي، وأخذت تحدق بثبات إلى الأرض، وهي تصر في سرها ألا تمنح سايمون متعة أن يراها خائفة.

أمسك سايمون باللجام.

ثم قال لچينا: «اتبعيني»، وقاد الحصان لأعلى ممر متعرج شديد الانحدار، بينما هي تتبعه وهي تنظر وراءها؛ كي تطمئن على خلو الطريق من أية ديدان أرضية، فقد خالجها شعور بأن سايمون لن يهرع لإنقاذها إذا حدث ذلك.

وفجأة، انتهى الممر إلى نهاية غير متوقعة عند واجهة صخرية.

ثم قال سايمون وقد علت وجهه تكشيرة ساخرة: «أخيرًا، وصلنا إلى البيت»، نظرت چينا إليه، وهي تتساءل في سرها: هل فقد سايمون عقله، سوف يفسر ذلك الكثير.

همهم سايمون قائلًا: «**تفتح بأن يأمرك سيدك، توميس**».

أنصتت چينا بعناية لكلمات سايمون وارتجفت من شدة الخوف؛ لقد أيقنت - بعد أن اعتراها إحساس مرعب - أنها كلمات **لتعويذة معكوسة**. فتراجعت للوراء، غير راغبة في أن تكون على مقربة من أي **سحر أسود**.

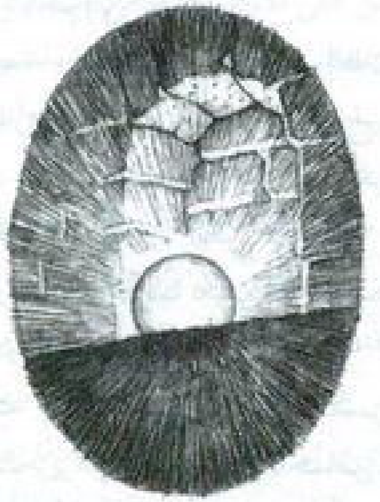
وفجأة، **تحول** جزء من واجهة الصخرة إلى سدادة حديدية ضخمة مستديرة الشكل، أخذت تتحرك للأمام والخلف كي تفتح الطريق

لسيدها. ألقت چينا نظرة للوراء، فقد خطر على بالها لوهلة أن تلتفت وتجري، لكن منظر الوادي الموحش وهو غارق في الظلام، وزئير الريح عبر قمم التلال لم يشجعاها، ثم نظرت لأعلى فرأت ما جعل قلبها يكاد يقفز من جوفها؛ فقد خُيِّل إليها أنها لمحت عاليًا من ثقب أسود تام الاستدارة، يقع في منتصف الطريق الصاعد نحو أحد البروز – زوجين من العيون الحمراء الباهتة لدودة أرضية تحدق إليها.

قال سايمون وهو يحرك لجام رعد بنفاد صبر: «أوَ تدخلين أم تريدين البقاء عندك؟».

كان عليها الاختيار بين سايمون والدودة الأرضية، وسايمون بالطبع هو الذي فاز. لكنه فوز مؤقت. أخذت چينا نفسًا عميقًا وسارت وراء سايمون ورعد نحو الواجهة الصخرية.

17
الجحر



انغلق *الباب الحديدي مقعقعًا*، وعلى الفور كانوا قد غرقوا في ظلام دامس. حاولت چينا أن تحافظ على هدوئها، وذكَّرت نفسها بكلام سايلاس الذي كان يقوله لها دومًا عندما تجد نفسها خائفة من الظلام: تذكري، *ما دمتِ لا تستطيعين أن تري شيئًا، فليس هناك شيء يمكنه أن يراكِ*.

وبينما كانت چينا تكرر هذه الكلمات في سرها، أخرج سايمون شيئًا من جيبه ووضعه بين راحتيه، ثم تنفس فيه وهو يهمهم بكلمات لم تتبينها

چينا، وبدأت يداه تومضان باخضرار غريب، ثم قال وهو يلقي بذلك الشيء على الأرض: «إلى البيت يا سلوث(*)». فتحركت كرة تشع ضوءًا أخضر إلى الأمام وهي تقفز، وتضيء لهم النفق الناعم المستدير بضوء خافت يكفي لأن يرشدهم إلى الطريق.

قال سايمون بحدة، وصوته يتردد صداه في الظلام: «اتبعيني.. ولا تزعجي نفسك وتهدري وقتك في البحث عن مخرج، فليس هناك منفذ للخروج.. وفي حال إن كنت تتساءلين أين نحن، نحن في جحر قديم»، ثم ضحك ضحكة خافتة، وقال: «لكن لا تقلقي يا أختي الصغيرة العزيزة، فالدودة الأرضية التي كانت تعيش هنا رحلت».

شهقت چينا: «دودة أرضية؟».

«نعم. وإذا كنتِ لا تصدقينني فاذهبي والمسي جدران الجحر، وستجدينها ناعمة كالحرير من أثر كل تلك الأحماض الرائعة التي تفرزها الدودة الأرضية، لدرجة أنها لا تزال لزجة حتى الآن .. إنها لطيفة، أليس كذلك؟».

وكان لا بد لچينا أن تتحقق من كلام سايمون. وبحرص شديد، مررت أصبعها على امتداد الصخرة، فشعرت على الفور باشمئزاز. كانت الصخرة ملساء فقد كانت ناعمة كالثلج، وتغطيها مادة لزجة جيلاتينية التصقت بأصبعها. قاومت چينا رغبتها الملحة في القيء، وأخذت تنظف

(*) الكلمة تعني باللغة الإنجليزية «المخبر السري».

المادة اللزجة من على أصبعها بعباءة لوسي، وإن كان التخلص منها يكاد يكون مستحيلًا، وكأن هذه المادة ترتبط برباط مقدس مع جلد الإنسان.

وبأصبع يدها ممدودًا بعيدًا عنها، سارت چينا خلف رعد الذي أخذت حوافره تقعقع وتنزلق على الأرض بينما كان سايمون يقوده وسط الفراغ الأسطواني المظلم لجحر الدودة الأرضية. وبدا ملمس الجحر، كما قالت چينا في سرها وهي تواصل السير في منعطفاته الملتوية كالثعابين، كأنها تسير داخل الدودة الأرضية نفسها.

كانت الدودة طويلة، لكن في آخر الأمر وصلوا إلى نهاية النفق المغطى بالمادة اللزجة، ثم تعثر رعد في كهف ضخم مستدير.

قال سايمون وقد لمح نظرة الرعب على وجه چينا في ضوء الكرة الأخضر: «وهذه هي غرفة الدودة التي كانت تنام فيها نهارًا وتمكث فيها أثناء البيات الشتوي»، ثم واصل كلامه مستمتعًا تمامًا بتعبيرات چينا، لدرجة جعلته لا يريد الكف عن حديثه، فقال: «وإذا نظرتِ إلى الجدران فسترين علامات الأحجام المختلفة لفقرات الدودة على الجدران.. كلها ملساء تمامًا من أثر الأحماض التي تفرزها بالطبع». وبإعجاب شديد، ضرب سايمون بيده على جانب الكهف ضربة خفيفة، ولاحظت چينا أن المادة اللزجة لا تثير انزعاجه إطلاقًا.

«دعيني أشرح لكِ، فالدودة تحتاج لمكان تلتف فيه حتى تخرج من الجحر وهي في الاتجاه الصحيح، كي لا تفوتها لقمة لذيذة مثلك عندما تمر بها.. إنها تنام في الجحر حتى يحل الظلام ثم تنطلق

للصيد. فلكِ أن تتخيلي إذنْ كل تلك الديدان الرائعة التي كانت ملتفة حول نفسها في جحورها بينما كنا نحن منطلقين بالحصان وسط المحاجر ظهر اليوم».

ارتعدت چينا رغم محاولتها منع نفسها.

«أما حظيرة رعد فهي في هذا المكان هناك، أليس كذلك أيها الفتى؟»، وأخذ سايمون يربت على ظهره بحنان وقاده عبر غرفة الدودة إلى مساحة مفروشة بالقش، وكان هناك معلف معلق على الجدار ومكان للسقي محفور في الصخور، تغذيه مياه متساقطة من ينبوع يعلوها.

رفع سايمون الكرة الخضراء من على الأرض ووضعها على حافة بارزة في الجدار حتى يسقط ضوءها على الحصان ويحوله إلى لون أخضر غريب، ثم قال: «اعتبري نفسك في بيتكِ إلى أن أُعِدَّ رعد للنوم»، ثم رمى لچينا بساطًا صغيرًا، أخرجه من إحدى حقائب السرج.

فسألته چينا: «أهذا... أهذا هو إذن المكان الذي تعيش فيه؟»، ثم وضعت البساط على أرض الكهف بعيدًا عنه بقدر المستطاع، وهي تبذل كل ما في وسعها كي تتجنب لمس المادة اللزجة.

رد سايمون بحدة، بصوت غاضب انطلق فجأة وأخذ يتردد صداه في غرفة الدودة: «أوَ تظنين أن شخصًا مثلي يعيش هنا، في مقلب القمامة هذا؟ أهذا هو رأيك فيَّ؛ شخص فاشل يعيش مثل أي متشرد؟».

قالت چينا بتلعثم: «لا.. لا».

نظر إليها سايمون ببرود، ثم ذهب - لحسن حظها - يرعى حصانه، وقد بدا لها أن أعصابه تهدأ كلما كان مع الحصان. أخذت چينا تراقبه وهو يأخذ اللجام والسرج الثقيل من فوق ظهر رعد ويعلقهما، ثم أخذ يفرك جسم الحصان وغطاه بعد ذلك بلحاف. وما إن استقر رعد حتى حوَّل سايمون انتباهه لچينا ثانية وتقدم نحوها بخطوات واسعة، ثم قال وهو يحدق إليها وهي ممددة على الأرض: «دعيني أقل لك إذن إن هذا المكان هو بداية حدود نفوذي. فأنت لا تدركين مدى نفوذي.. لا تدركين على الإطلاق». نظرت چينا إليه فرأت في عينيه نفس البريق المجنون الذي رأته عندما التفتت تنظر إليه وهما في «درب النشالين»، ثم قال لها بقسوة: «انهضي.. لقد حان الوقت لأن تشاهدي مدى نفوذ وسطوة أخيك العزيز».

لم تتحرك چينا من مكانها وقالت: «لا.. أشكرك يا سايمون.. فأنا مرهقة فعلًا».

«أوَ تظنين أنني سأترك زائرتي ذات المقام الرفيع تنام في الحظيرة؟»، ثم أمسك بذراعها بقوة وجذبها بعيدًا عن البساط.

وصاح للكرة الخضراء قائلًا: «**تعال!**» وعلى الفور، قفز سلوث من فوق الحافة البارزة، وأخذ يقفز حول قدمي سايمون كأنه جرو صغير متحمس، فركله سايمون وأرسله طائرًا إلى الممر الضيق الذي يخرج من غرفة الدودة، ثم جرَّ سايمون چينا أمامه، وهو يدفعها بقسوة داخل النفق.

سارت چينا بخطوات متعثرة على امتداد الطريق، وهي تنزلق على الصخر الناعم الذي يغطي الأرض، حتى وصلا إلى أول سلم درجاته شديدة الانحدار قُدّت في أحجار الإردواز.

قال سايمون بحدة: «**اصعد!**» فقفز «**سلوث**» على أول درجة وبدأ يتسلق السلم، بينما دفع سايمون چينا وقال لها: «أنت أيضًا، اصعدي».

بدأت چينا تصعد الدرجات، وكان هناك حبل سميك مثبت في الجدار، فأمسكت به وهي تصعد بإرهاق، وظلت تصعد وتصعد، وهي تتبع الكرة التي لا تكل ولا تمل. كان سايمون يتبعها عن قرب، بينما كانت تسمع أنفاسه المتسارعة مع مواصلة صعودهم لأعلى وأعلى. وسرعان ما بدا الهواء منعشًا، فارتفعت معنويات چينا قليلًا مع إدراكها أنهم يصعدون إلى العالم الخارجي مرة أخرى. وأخيرًا، وصل سلوث إلى آخر درجة، وهنالك أمسك سايمون بكتف چينا بقوة، ثم قال لها: «انتظري هنا».

ركل سايمون سلوث بعيدًا، ومر بخطوات واسعة من خلال ممر مقنطر، واختفى في الظلام. وقفت چينا على أعلى درجات السلم، وجسدها يرتعد من شدة البرد والإرهاق، فلفّت العباءة بإحكام، ونظرت وسط الظلام، لكنها لم تر شيئًا على الإطلاق رغم شعورها ببعض قطرات الأمطار المتناثرة تضرب وجهها، فأخرجت لسانها لتلتقطها وتتذوق طعم الهواء الطلق.

مرت عدة دقائق، ثم عاد سايمون ومعه مصباح، كان عبارة عن أنبوب زجاجي طويل مملوء عن آخره بيرقات دودية مضيئة اغترفها على عَجلٍ

من برميل اليرقات الدودية وسكبها في الأنبوب. ولأنها طازجة، بعد أن خرجت توًا من البرميل، كانت تشع ضوءًا ساطعًا.

أشار سايمون لچينا من عند المدخل، لكنها لم تتحرك من مكانها، فقال لها: «يمكنك أن تمكثي عندك طوال الليل إن شئتِ، لكنني لا أنصحك بذلك؛ فهناك غرفة لكائنات المأجوج أسفل الدرجات.. ألم تلاحظي ذلك؟».

ولأن چينا تتذكر هذه الكائنات منذ أن قابلتها على متن سفينة دومدانيال، قررت في سرها مرة أخرى على مضض – أن سايمون هو أهون الشرّين.

ومن ثم، تبعت خطاه عبر المدخل.

18

الحجرة المظلمة



قال سايمون، *تاركًا لنفسه لحظات* يتقمص فيها دور الأخ الأكبر المتباهي أمام أخته: «مرحبًا بكِ في مرصدي.. فهذا هو مكاني.. ادخلي وألقي نظرة عليه».

تقدمت چينا، وما إن مرت عبر الممر المقنطر حتى خالجها على الفور شعور مخيف. أخذت تحدق إلى الظلام؛ بدا لها المكان باردًا وغريبًا، وعلمت أن هناك وجودًا **شيطانيًا** في الأجواء. ورغم كل جهود يرقات الديدان

المضيئة لم تتمكن چينا من أن تلمح أي شيء، سوى قرص أبيض ضخم، كان يلمع كالقمر وبدا وكأنه يطفو فوق سطح الأرض. دفعها سايمون نحو القرص، لكنها قاومته.

قال سايمون، وهو يدفعها للأمام ويربكها بأن يبدو لها للحظات بالصورة التي عرفتها عنه سابقًا: «سوف تعجبك.. إن كل الأطفال يحبونها».

فردت چينا قائلة: «أنا لست طفلة، أنا...».

«بالطبع بالطبع، أنا أعلم ذلك.. أنت الأميرة بجلالة قدرها.. لكنك على أية حال ستحبينها.. سوف أنزع الغطاء عن العدسة وسوف ترينها.. إن هذه هي الحجرة المظلمة الخاصة بي».

تسمرت چينا في مكانها. تُرى، أين سمعت تلك الكلمات من قبل؟ ألم تكن عندما كان هذا الفتى البشع تلميذ دومدانيال، يتفاخر بأن لديه حجرة مظلمة؟ ثم سمعت ضجيجًا غريبًا قادمًا من فوق رأسها، فنظرت لأعلى، ورأت بصعوبة سقفًا مقببًا يرتفع عاليًا يتدلى منه قائم خشبي طويل معلق في شيء ما يوجد في منتصف السقف.. لكن ما هذا؟

وفجأة، انطلق هتاف سايمون الحاد: «كفّي عن أحلام اليقظة وانظري إلى القرص»، فنظرت لأسفل إلى القرص الأبيض الضخم الموجود أمامها. ولدهشتها، رأت بالتفصيل الدقيق صورة للخور الذي مرت به منذ قليل.

قال سايمون وهو يتصنع الابتسام: «إنه رائع، أليس كذلك؟ من المؤكد أنه أفضل من كل تلك السفاهات السحرية التي كانت العمة زيلدا تقوم بها. أيتها الأخت العزيزة، إن هذا هو العالم الحقيقي».

فهمت چينا من كلامه أنه يتحدث عن تلك الليلة التي وقفت فيها أسرة هيب بأسرها على جسر متقلقل ورأوا انعكاسًا لصورتهم في نور القمر، عندما طلبت العمة زيلدا – وهي من الساحرات البيضاوات – من القمر أن يُظهر لهم صورة أسرة الجندي الفتى الصغير، وهو الفتى 412. قررت چينا أنه من الحكمة ألا تنبس بكلمة الآن.

أمسك سايمون القائم، وبدأ يدور ببطء حول القرص الأبيض، فدار القائم معه مُصدرًا صريرًا رفيعًا قادمًا من مكان بعيد من فوق رأسيهما عندما بدأت العدسة التي تكبر المشهد الظاهر على القرص الأبيض للحجرة المظلمة تدور دائرة كاملة. ومع دوران القائم، كان المشهد أمامهما يتغير، ورغمًا عنها، انبهرت چينا بما تراه أمامها؛ إنها لم تر من قبل شيئًا كهذا، فقد كانت الصورة تبدو ساطعة ومفصلة بدقة بالغة، لكنها صورة صامتة صمتًا غريبًا.

قال سايمون وهو يتحرك ببطء شديد؛ حتى يتيح الفرصة لچينا كي تلاحق المشاهد المتغيرة أمامها: «كما ترين إذنْ، أنت لا تستطيعين أن تخفي عني أي سر.. فأنا أستطيع أن أرى *كل شيء*.. أستطيع أن أرى القلعة، وأستطيع أن أرى قصرك الثمين، إنني أستطيع أيضًا أن أرى مارشا المجنونة في برج السحرة مع ذلك التلميذ مُحدث النعمة الذي يعتقد أنه أخي.. أنا أرى كل شيء».

أخذت چينا تحدق إلى المشهد؛ كان مشهدًا جميلًا، لكن كل شيء يبدو فيه صغيرًا جدًا وبعيدًا جدًا. ولم تفهم كيف يستطيع سايمون أن يرى كل شيء.

ثم رأت على مسافة بعيدة، بعد أرض الأشرار والحقول، مشهدًا للقلعة يرسمه في الأفق ضوء الشمس وهي تغرب خلفها. ورأت، وهي تحدق إلى الصورة، طيور النورس وهي تحلق في صمت في السماء، ورأت مراكب تتحرك ببطء في النهر، ثم لمحت بالكاد صورة القصر بينتها البساتين الممتدة إلى النهر، وشعرت فجأة باشتياق رهيب لأن تجد نفسها الآن في بيتها مرة أخرى.

سألها سايمون بنبرة ساخرة: «أتريدين أن تشاهدي لقطات أقرب؟ أتحبين أن تشاهدي كم أنهم يشتاقون إليكِ الآن؟».

فلم تتفوه بكلمة، ثم فتح سايمون درجًا في المنصة أسفل القرص الأبيض وأخرج عدسة مكبرة نحاسية ضخمة، ثم أمسك بها فوق القرص، وطقطق بأصابعه وهمهم قائلًا: «**بالتكبير قم نرَ حتى المجهول**!».

وفجأة، كبر حجم كل ما كان يظهر على القرص الأبيض.

قال سايمون: «كما ترين، أنا أرى كل شيء بوضوح الآن. فالعدسة المكبرة هذه كانت لدى «رئيس كتبة المخطوطات الهرمسية» في «دار المخطوطات»، إنه يجمع كل الأغراض التاريخية القديمة، ويعلم أنها كانت ملكًا لأول ساحر في العالم يمارس **السحر الأسود**. هل تعلمين مَنْ كان ذلك الساحر أيتها الأخت الصغيرة؟ هل علموكِ ذلك في دروس التاريخ التي تتعلمها الأميرات، أم ليس بعد؟».

لم ترد چينا عليه؛ فقد انتقل إليها في الآونة الأخيرة حنق سبتيموس بمجرد أن يسمع كلمة **العالم الآخر** تُذكر، ونظريته في ذلك أن مجرد الكلام عنه يمكن أن يستدعيه.

قال سايمون: «إذن، سوف أقول لك من هو، إنه ليس إلا حتب رع.. أول ساحر أعظم في الوجود.. وهو الذي جلب مركبك التنينية النفيسة إلى هنا.. لا تندهشي هكذا.. فنحن - المنتمين **للعالم الآخر** - الورثة الحقيقيون للقلعة. وبالمناسبة، لا تجعلي تفكيرك يأخذك إلى أنك سوف تزورين مركبك التنينية الثمينة مرة أخرى؛ لأنك لن تفعلي ذلك».

قهقه سايمون مسرورًا بالتأثير الذي أوقعه على جينا بما بدا عليها من شحوب، بينما أصرت داخلها أن تتحاشى نظراته، وأخذت تحدق بتركيز إلى المشهد الذي يُظهره القرص.

تابع سايمون نظراتها، ثم عاد ليحول انتباهه للحجرة المظلمة. وفجأة، تغير سايمون، وكأن هناك زرًا يحوله إلى ذلك الأخ العزيز مرة أخرى.

وقال، وهو يحرك **العدسة المكبرة** على القرص، ويبحث عن مشاهد ويجعلها تقفز فجأة بتفاصيلها الدقيقة: «والآن، هذه هي الغابة.. انظري! هناك مركب يرسو عند الشاطئ في المكان الذي يصطاد فيه سام، وأنا أشتاق إليه.. لكن الغابة فيما عدا ذلك ليس بها الكثير، فأشجارها كثيفة جدًا، رغم أنني في المساء أستطيع أحيانًا أن أرى عيون حيوانات الولفرين.. دعينا الآن نذهب من النهر إلى القلعة.. هذه هي ساحة مراكب جانيت مارتن.. والآن، أين هو أخي الصغير نكو؟ لقد عاد اليوم مع روبرت، هل كنت تعلمين ذلك؟ لا، لا أظن.. وهذه هي البوابة الشمالية بالطبع، وجرينج هذا الأحمق يتشاجر الآن مع ابنه الأبله.. لكن أين هي لوسي؟ آه.. ها هي، إنها تجلس عند الخندق المائي.. إنها تنتظر.. لكن انتظارها سوف يطول قليلًا.. وهذا هو برج السحرة الآن..

انظري إلى تلك النافذة هناك.. إنها مارشا، في مكتبها **وظلها** يصاحبها بكل إخلاص كما ينبغي أن تفعل كل **الظلال** المخلصة.. انظري كيف يراقبها؟ والآن دعينا ننتقل إلى مكان تعرفينه جيدًا، ما رأيك؟ ها هو.. إنه القصر.. ما أحلى الرجوع إلى البيت! أليس كذلك؟ وإن لم أكن مخطئًا، فهذان الشخصان الموجودان على السطح هما والداي العزيزان المخدوعان، أتعتقدين أنهما ينظران إلى غروب الشمس، أم أنهما يتساءلان متى سيعود ابنهما ووريثهما بالكتكوتة الصغيرة؟».

صاحت جينا قائلة: «اصمت يا سايمون! أنا أكرهك.. أنا أكرهك!».

ثم اندفعت بعيدًا عن صورة سايلاس وسارة وهرعت متوجهة إلى السلم، لكن سايمون كان أسرع منها، وفي ثانية كان قد أمسكها بقوة وأعادها إلى أسره.. لكن ليس قبل أن كانت جينا قد رأت شيئًا مختبئًا في الظل تمنت لو لم تره؛ رأت جمجمة بيضاء تبتسم لها ابتسامة عريضة من فوق كرسي عرش خشبي مزخرف.

قال سايمون بابتسامة: «أعتقد أنكما تقابلتما من قبل.. دعيني أقدم لك رأس سيدي دومدانيال».

19
الشيكولاتة



لم تتمكن چينا – *بأي حال من الأحوال* – من أن تنام، ليس بسبب البرودة في غرفة الحجز، ولا بسبب السرير الصغير القاسي، أو اللحاف الخفيف الخشن، ولا لأن ملابسها المبللة تسرب البرد إلى جسدها – إنما بسبب التفكير في منظر الجمجمة وهي تحدق إليها بلا عينين لدى الباب، فكلما أغمضت عينيها تسللت إليها صورة الجمجمة البيضاء لتوقظها من النوم فزعة.

يئست چينا من محاولة النوم، فلفت جسدها بعباءة لوسي، وذهنها منهمك في التفكير، وهو يعيد شريط الأحداث التي مرت عليها اليوم.

لقد كان من الصعب عليها حتى اللحظة التي رأت فيها الجمجمة – أن تصدق أن سايمون يقصد إيذاءها، فهو في عقلها الباطن كان لا يزال حتى تلك اللحظة أخاها الأكبر؛ الأخ الذي كانت تعتمد عليه؛ فهو الذي كان دائمًا يساعدها عندما تقع في أي مأزق، وهو الذي كان يشرح لها الواجبات المدرسية. لكن شعورها هذا كان قبل أن يرفع سايمون الجمجمة ويهزها برفق بين ذراعيه، ويشرح لها كيف أنه أنقذ هيكل دومدانيال العظمي من مستنقعات مرام ليلة «حفل عشاء التلميذ» وأنه أصبح الآن تلميذ دومدانيال. «ما رأيك إذن في هذا أيتها الأميرة الصغيرة؟ وأنا خلافًا لتلميذه السابق الذي كان عديم الجدوى، أنفذ له كل رغباته بالحرف الواحد. ورغبته الخاصة جدًا هي تخليص القلعة من أية تدخلات ملكية، منها أنت نفسك. إنه يعتبر نفوذ الملكة عبثًا لا يتحمله أي ساحر أعظم. وهذا رأيي أنا أيضًا. وإذا كنا نريد عودة السحر الأصيل إلى القلعة، بدلًا من تلك التعاويذ الصغيرة التافهة التي تقوم بها مارشا، فلا بد من رحيل *أحد*». ونظر سايمون إلى چينا حينها بعينين يعلوهما برود رهيب لا يزال محفورًا في ذهنها.

جلست چينا على حافة السرير تفكر، وتساءلت في سرها لماذا لم يتخلص منها سايمون حتى الآن، فقد كان في وسعه بسهولة أن يدفعها في الخور، أو حتى يتركها في الخارج للديدان الأرضية. لكنها كانت بالفعل تعلم السبب، فرغم كل الذي قاله سايمون، أراد أيضًا أن يتفاخر بنفسه أمام أخته الصغيرة، وبما أن هذا هو ما فعله الآن، فغدًا سيتغير الوضع، وربما يتركها حينها للديدان الأرضية، أو لكائنات المأجوج.

ارتجف جسدها. لقد سمعت توًا صوتًا يتسلل عبر الجدار وانتفض قلبها؛ إنه صوت غريب، ثابت، يشبه الغطيط، وهي تعلم ما هذا الصوت؛ إنه صوت الجمجمة. بدأ الصوت يعلو أكثر فأكثر، فضغطت بيديها على أذنيها لتمنع عنها هذا الصوت البشع. وإذا بها فجأة تدرك حقيقة الأمر؛ إنه صوت غطيط سايمون، وهو ما يعني أنه نائم وهي مستيقظة. لا بد إذن أن تحاول الهرب.

حاولت چينا أن تخرج من الباب الحديدي؛ وكان مغلقًا بالمزلاج، لكن هناك فجوة صغيرة بينه وبين الجدار، وتساءلت في سرها عما إذا كان في وسعها أن تحشر شيئًا من خلال هذه الفجوة، وتحاول رفع المزلاج. نظرت في أنحاء الغرفة، لكن سايمون بالطبع لن يكون ساذجًا إلى هذا الحد كي يترك لها منشارًا في الغرفة، وضعت يدها في جيبها تبحث عن أي شيء تستطيع أن تستخدمه، وهي تقول في سرها: لو كان سِبتيموس في مثل هذا الموقف لوجد معه ما يصلح تمامًا؛ فهو دائمًا يحمل معه مطواة جيش الشباب، وهي مطواة لها استخدامات عديدة، معظمها يتعلق بحوافر الخيول.. كم أنها تشتاق إليه.

وعلى إثر تفكير چينا في سِبتيموس، تذكرت **الوصفة السحرية** للشيكولاتة التي أعطاها إياها صباح اليوم. تُرى، أين وضعتها؟ ها هي، مبللة ولزجة، وملتصقة في قاع جيب ردائها. أخرجت چينا **الوصفة السحرية**، ثم وضعتها في راحة يدها ونظرت بعينين شبه مغمضتين لتتمكن من قراءة المكتوب عليها:

خذني، ورجني،

واليك ما سوف أقوم به:

سوف أحول ما تريد إلى شيكولاتة

فقالت في سرها إن الأمر يستحق المحاولة.

حاولت أن تتذكر كلام سِبتيموس عندما كان يشرح لها طريقة تفعيل **الوصفة السحرية**، فقوست كلتا يديها حول **الوصفة السحرية**، ورجتها لأعلى وأسفل بأقصى ما في وسعها حتى **تفعّلها**. وفي تلك الأثناء، همست بالكلمات المكتوبة على المربع البني الصغير وركزت جل تفكيرها على الشيء الذي ترغب في تحقيقه. وبالفعل، بدأت **الوصفة السحرية** تنشط؛ حيث أخذت تدفأ وتنعم بين راحتيها، وكأنها قطعة شيكولاتة حقيقية. وبعد ذلك، وكما قال لها سِبتيموس، بدأت تطنُّ كأنها ذبابة صغيرة محبوسة في قبضة اليد. انتظرت چينا حتى صارت **الوصفة السحرية** ساخنة ومن الصعب تحملها، وبسرعة وضعتها على هدفها الذي تريد أن تحوله إلى شيكولاتة، وهو باب غرفة الحجز، رغم أنها لم تصدق في قرارة نفسها أن **وصفة** سِبتيموس **السحرية** يمكنها أن تحول بابًا حديديًا سميكًا إلى شيكولاتة. لكن لدهشتها، شعرت أن الباب المعدني الصلب تحول وهي تحشر الوصفة السحرية فيه إلى سطح أملس معتدل البرودة، بعد أن كان ملمسه باردًا كالثلج، كما أن الجو في الغرفة أصبح معبأ برائحة الكاكاو. وبتردد، رفعت بعد ذلك **الوصفة السحرية** من على الباب، فوجدتها قد عادت إلى درجة البرودة المعتدلة، فأعادتها إلى

جيبها ونظرت إلى الباب. في أول الأمر، لم يبد منظره مختلفًا، لكن بعد أن أمعنت النظر إليه، رأت المفصلات التي كان يعلوها الصدأ وحتى الجزء المرفرف فوق ثقب الباب قد تحول إلى شيكولاتة رائعة المنظر. وهكذا، وجدت جينا نفسها أمام كمٍّ هائل من الشيكولاتة لم تر مثله قط في حياتها، لكنها وجدت نفسها أيضًا لسوء الحظ، وعلى نحو غير مسبوق، لا ترغب في تناولها.

ثم سرعان ما اكتشفت أن كتلة ضخمة بهذا الحجم من الشيكولاتة سمكها ثلاث بوصات، جمدتها برودة طقس الليل، لم يكن من السهل تحريكها، وأخذت تدفع فيها بكل ما أوتيت من قوة لكن الكتلة ظلت صامدة في مكانها كما لو كانت لا تزال كتلة من الحديد. فقررت أن تبدأ في بشرها لترقيقها، لكنها اكتشفت أنه عمل شاق وسوف يستغرق منها الليل بطوله.

جلست جينا في حالة من اليأس التام على حافة السرير، وبدأت تأكل بعض قطع من الشيكولاتة التي بشرتها وهي تتساءل في سرها كيف ستتصرف الآن - كانت الشيكولاتة من أفخر الأنواع، حتى إنها كانت أفضل من الشيكولاتة التي يبيعها المتجر الكائن في آخر طريق السحرة. وبعد دقائق قليلة، بدأت الشيكولاتة تساعدها على التفكير بشكل أدق، وأدركت أنها تحتاج إلى أداة حادة لتشق بها ثقبًا في الباب. لكن سايمون كان واعيًا تمامًا ألا يترك أي شيء حاد في الغرفة، ورغم ذلك، عندما بدأت جينا تفتش حولها، سرعان ما اكتشفت أن سايمون فاته بعض الأشياء، لقد نسي أن يفكر في «سوست» السرير.

قلبت جينا مرتبة السرير الرفيعة، وبسرعة حلت إحدى «السوست» الأقل ثباتًا، وأصبح بحوزتها الآن قطعة معدنية حادة مدببة. فهمّت تنجز مهمتها بشق ثقب كبير في الباب يكفي لأن تحشر نفسها فيه وتمر عبره. ولسعادتها، استمر غطيط سايمون يدوي خلال الجدران.

وبعد أن مرت ساعة، كانت «السوستة» قد شقت مستطيلًا كبيرًا أسفل الباب، وكل ما كان عليها أن تفعله الآن هو أن تدفعه، متمنية ألا يُحدث سقوطه على الأرض صوتًا مدويًا. وبحرص شديد، دفعت جينا إحدى حواف المستطيل، فتحركت بسهولة. وبهدوء تام، وضعت جينا كتلة الشيكولاتة السميكة على الأرض، ثم كسرت قطعة من غطاء ثقب الباب ودسته في جيبها لتأكله في حالة شعورها بالجوع لاحقًا. وبعد ذلك، حشرت نفسها في الفتحة ومرت منها، ثم وقفت ونظفت بردائها راحتيها المغطاتين بالشيكولاتة.

كان سايمون لايزال يغط بصوت عالٍ، وبدا لجينا صوت غطيطه وهو يتردد صداه حول الغرفة المستديرة مريحًا على نحو غريب، فعلى الأقل هو غطيط بشري. سارت على أطراف أصابعها، ومرت بالقرص الأبيض الموجود في الحجرة المظلمة، وهي تلقي نظرة أخيرة على المشهد الباهر للخارج الذي يظهر على القرص. لاحظت حينها أن سايمون نسي **العدسة المكبرة** ملقاة على القرص، فأخذتها ودستها في ردائها. وهكذا، لن يستطيع سايمون أن يعثر عليها بسهولة.

ثم عثرت بعد ذلك على اليرقات الدودية المضيئة، فسايمون لم يُحكم وضع الغطاء على البرميل؛ مما أدى إلى انبعاث ضوء أصفر ساطع من عند فتحة الغطاء. وكاد هذا البرميل الخشبي - أو وعاء يرقات الديدان المضيئة - يكون مملوءًا حتى حافته بمئات الآلاف من يرقات الديدان المضيئة المتناهية في الصغر والتي تزحف هنا وهناك. أخذت چينا مصباحًا من صف المصابيح الفارغة المتراصّة بشكل منظم بجانب البرميل، ثم أخذت مغرفة وملأت الأنبوب الزجاجي باليرقات الدودية المضيئة الملتوية. ولم يسعدها استخدام مثل هذا النوع من المصابيح، إلا أنه لم يكن أمامها أي خيار آخر، وهي تتذكر أن سارة هيب ترفض استخدام هذه المصابيح؛ لأن اليرقات بعد أن يتم وضعها فيها، لا تعيش سوى ساعات محدودة، وكما تقول سارة إنه أمر بشع أن تُقتل كل هذه الكائنات لمجرد راحة الفرد الشخصية، وهي تستخدم الشموع التقليدية من النوع الجيد.

همست چينا وهي تغترف من اليرقات: «أنا آسفة جدًا أيتها اليرقات».

وبعد أن ملأت المصباح، تركت غطاء البرميل مفتوحًا؛ حتى تعطي الفرصة لليرقات لأن تهرب، ثم رفعت المصباح، ولأول مرة رأت بوضوح المرصد الذي اتخذه سايمون لنفسه ليقيم فيه وكان عبارة عن غرفة ضخمة مستديرة الشكل، جدرانه - وهي محفورة بشكل عشوائي في جبال الإردواز - تميل لأعلى للجهة الداخلية إلى أن تتقابل عند عدسة الحجرة المظلمة، وكانت ثمة بلاطة زجاجية بيضاء سميكة مُركبة في السقف تسمح بمرور نور القمر منها، وأدركت أن معظم المرصد يقع

أسفل سطح الأرض. زحفت چينا بهدوء تام مارّة بالغرفة المعدنية الخاصة **بالصواعق الرعدية**، ثم بأرفف مرتبة بدقة تحتوي على أكوام من كتب **السحر الأسود والسحر المعكوس والتعاويذ واللعنات**، ثم جالت ببصرها بعيدًا عن مجموعة من القوارير غريبة الشكل رأت فيها كائنات قبيحة لونها باهت تطفو في سائل أصفر، وكانت تنطلق كل حين فقاعة غازية من هذه القوارير وتملأ الغرفة برائحة كريهة. وفي ركن بعيد، كان هناك دولاب صغير يقبع بواجهة زجاجية تبرق بضوء أزرق باهت، وكان مغلقًا بمجموعة من المزاليج الباهرة، وبداخله ثعبان أسود صغير.

كان غطيط سايمون هيب يتردد عبر باب خشبيٍّ ضخم، قام بطلائه باللون الأرجواني وغطاه برموز **شيطانية**. ومع مرور چينا من الباب، وطئت قدمها على سلوث، وتمكنت بشكل أو بآخر أن تكتم صوت صرختها وتحوله إلى صرير مكتوم، لكن غطيط سايمون توقف فجأة، فتسمرت چينا في مكانها، وهي تحبس أنفاسها. تُرى، هل استيقظ؟ هل تهرب والفرصة مازالت أمامها؟ لكن، هل سيسمع سايمون وقْع قدميها حينها؟ ماذا تفعل؟ وما أفزعها حقًا أن سلوث على التوّ واللحظة بدأ يقفز، وكل قفزة كان يصاحبها ارتطام يتردد صداه في أنحاء المرصد. فأمسكت چينا سلوث في لمح البصر، وبعد عدة ثوانٍ كان يقبع في أعماق وعاء يرقات الديدان المضيئة» بعد أن ألقته چينا فيه، ثم أحكمت غلق غطاء الإناء بالقُفل، واعتذرت لليرقات للمرة الثانية هذه الليلة.

مرت چينا بعد ذلك بالجمجمة التي لا تكلُّ عن المراقبة، وهي تغمغم **بتعويذة الحماية** التي تعلمتها من مارشا منذ فترة، وتتساءل في

سرها ماذا فعل سايمون ببقية العظام، ولم يساورها شك أثناء مرورها بها في أن الجمجمة تراقبها بعينين موجودتين في أعماقها، ومن ثم، لم تجرؤ على النظر إليها.

وما إن عبرت چينا من أمام الجمجمة حتى أخذت تجري، وانطلقت خلال الممر المقنطر وهرعت على السلم شديد الانحدار ونزلته بكل ما في وسعها من سرعة، وكأن دومدانيال نفسه يلاحقها، حتى إنها كانت بين حين وآخر تلتفت وتنظر وراءها؛ لتتأكد أنه بالفعل لا يتعقبها.

وعندما وصلت إلى نهاية الدرج، توقفت لتنصت ما إذا كان هناك خطوات أقدام، فلم تسمع شيئًا. ارتفعت معنوياتها بعض الشيء وتقدمت خطوة للأمام، فإذا بقدمها تلتوي، فسقطت مرتطمة بالأرض، وسقط المصباح من يدها، وتبعثرت اليرقات الدودية على الأرض. وقفت چينا على قدميها مرة أخرى ونظفت ما علق بردائها، لتكتشف أن ما علق هو تلك المادة اللزجة التي تفرزها كائنات المأجوج. فاعترتها رجفة وشعرت بالغثيان وهي تمر من فوقها، تبعها إحساس بالهلع. وبسرعة، أخذت تجمع كل ما عثرت عليه من اليرقات، وهرعت في صمت، حاملةً إياها في راحة يدها المقوسة، تشق الطريق بطول النفق متوجهة إلى حظيرة رعد.

وصلت چينا بأمان إلى غرفة الدودة، من دون أن تسمع أي صوت يدل على تعقُّب كائنات المأجوج لها، كان رعد يقف في هدوء عند معلفه، يمضغ التبن الذي تركه له سايمون، ثم رفع رأسه ينظر لأعلى عندما ظهرت چينا من النفق.

همست چينا قائلة: «مرحبًا يا رعد»، نظر إليها للحظات، ثم حول انتباهه إلى التبن ثانيةً.

عظيم، إنه يتذكرني، هكذا حدثت چينا نفسها. فسارت نحوه ببطء وربتت على عُرفه، شعرت بأنها ستقسو على الحصان عندما تخرج به مرة أخرى إلى أجواء الليل الباردة، ولكن لا مفر.

أخذت اللجام من فوق الخطاف، وبرفق شديد اقتربت منه، لكنه بدا غير متحمس للخروج، وهز رأسه ثم نخر بصوت عالٍ.

فهمست له چينا قائلة: «صه! صه! يا رعد.. لا تقلق.. لا تقلق»، ثم ربتت على أنفه برفق، وأخرجت غطاء ثقب المفتاح الذي تحول إلى شيكولاتة من جيب ردائها وقدمتها له بيد ممدودة، فبدأ يقضم قطعة الشيكولاتة برفق، ونظر إلى چينا نظرة تعلوها دهشة ـ أكدت لچينا أن سايمون لم يسبق له أن قدم الشيكولاتة لحصانه، وهي كذلك لم يحدث أن قدمت الشيكولاتة قطُّ لحصانها، إلا أنه لم يكن لديها أي خيار آخر.

وعلى أمل الحصول على مزيد من الشيكولاتة، سمح رعد لچينا بأن تركَب له اللجام وتضع السرج فوق ظهره. وبينما كانت على وشك الخروج به، خطر على بالها فكرة، فاغترفت من حصى الأرض بملء يدها وحولتها باستخدام **الوصفة السحرية** مرة أخرى إلى شيكولاتة، ثم دست معظمها في جيبها، تاركةً واحدة في يدها أخذت تلوح بها أمام أنف رعد المرتعش، ثم قالت له وهي تداهنه برفق: «هيا يا رعد.. هيا يا فتى.. هيا ننطلق من هنا».

20

الدودة الأرضية



«**تفتح بأن يأمرك سيدك نوميس**». نطقت چينا هذه الكلمات مجبرةً، وهي التي لم تتفوه من قبل بأي كلمة من كلمات أي **تعويذة معكوسة**، وتمنت ألا تكرر ذلك أبدًا، ولكن الآن ليس أمامها سوى هذا الخيار. فجحر الدودة تغلقه بإحكام سدادة ضخمة من الحديد لا يمكن تحريكها، وإذا حولتها إلى شيكولاتة، فلن تستطيع – بلا أدنى مجال للشك – الخروج قبل الصباح. فحبست أنفاسها، آملةً أن تكون قد قالت كلمات **التعويذة** بالشكل الصحيح.

وبالفعل، لم تخيّب ذاكرتُها أملَها. ولسعادتها، تأرجحت السدادة الحديدية بلا صوت إلى الخارج، وتسرب إلى جحر الدودة نور خافت لقمر أوشك على الأفول، صاحب ذلك رياح وبعض قطرات من المطر.

همست چينا؛ لتشجع الحصان الذي يتحرك على مضض تحت إغراء قطعة شيكولاتة؛ كي يخرج إلى ظلام الليل قائلة له: «هيا يا رعد هيا.. هيا يا فتى». لم يكن منظر المحجر بالظلام الذي يخيم عليه بالمشهد البهيج، وكانت ثمة ريح حزينة تعوي وتجتاح الخور، تصاحبها بداية تساقط أمطار باردة. أحكمت چينا لف عباءة لوسي حول جسمها وهي ترتعد من برودة هواء الليل الذي يضرب فيهما، ثم سارت وهي تقود رعد في الممر شديد الانحدار الذي يبدأ من عند الجحر وينزل إلى المسار الممتد بطول جانب الخور.

همست چينا للحصان الذي كان ينظر بقلق حوله، ويحرك أذنيه وهو يتسمع الأصوات الليلية: «لا تتحرك يا رعد.. لا تتحرك»، ثم قفزت على السرج، وهي تتساءل في سرها كيف يتصرف رعد مع راكبه الجديد. لكن الحصان لم يعترض؛ ربما لأنه اعتاد چينا طوال الرحلة الطويلة التي قاموا بها اليوم، وعندما قالت له چينا: «تحرك يا رعد.. تحرك»، وضغطت بكعبيها برفق على جانبيه، تحرك بتروٍّ متوجهًا مرة أخرى إلى المسار الذي صعده بشق النفس منذ عدة ساعات.

شعرت چينا بالارتياح وهي في صحبة هذا الحصان الضخم. وعلى الرغم من أنه ملْك سايمون، بدا كأنه حيوان هادئ الطباع، وسار بخطوات واثقة على امتداد المسار، بينما جلست چينا معتدلة على ظهره، تتفحص

الواجهة الصخرية القابعة وراءها؛ تحسبًا لأي حركة فجائية، ثم قالت في سرها – وهي تشجعه على أن يسير بخطوات أسرع – إنها كلما أسرعت بالتوجه إلى الخور كان ذلك أفضل.

لكن ما إن التفًا عند أول انحناء للطريق حتى توقف رعد فجأة؛ فالطريق كان يعوقه طين منجرف؛ هتفت چينا لاهثة: «يا للهول!».

ولم يكن هناك أي وسيلة لتجاوز هذا العائق؛ فالطريق كانت تعترضه كومة هائلة من الركام حاد الحواف وكتلة ضخمة من صخور الإردواز. وكان على يمينهما كتلة صخرية صماء، بينما امتد النهر على يسارهما عند قاع الخور، وكان يتدفق بسرعة خطيرة.

لا بد إذن أن يعودا مرة أخرى.

حاولت چينا أن تتحايل على رعد كي يدور للخلف لكنه رفض، وهز رأسه، فأخذ اللجام يصلصل.

قالت له چينا تهدئه: «صه يا رعد! هيا بنا أيها الفتى، دُر للخلف وهيا بنا»، لكنه لم يتحرك، فنزلت بهدوء من فوق ظهره، وقلبها يكاد يقفز من جوفها، ثم جعلته يدور إلى الخلف بحصاة شيكولاتة، ثم صعدت بسرعة على السرج مرة أخرى. وهكذا، وبقلب مثقل، بدأت چينا تعود من نفس المسار إلى حيث كانت؛ إلى الجحر.

كان طريق الصعود شاقًا، وإذا كان يصعده رعد الآن في مواجهة الرياح، إلا أنه رغم ذلك بدا سعيدًا؛ لأنه سيعود إلى البيت. وما إن وصلا إلى الممر الصغير المؤدي إلى الجحر حتى توقف متوقعًا أن چينا سوف تنزل من فوق ظهره وتسير به إلى أن يدخلا في دفء حظيرته.

«لا يا رعد، نحن لن نعود إلى البيت الآن.. تقدم»، لكنه هز رأسه وهو يصلصل مرة أخرى بلجامه.

همست چينا بأعلى همس تجرؤ أن تصدره، والرعب يملؤها خشية أن يسمعها سايمون بشكل أو بآخر، قائلة: «أرجوك اسكت يا رعد.. تقدم»، ثم ركلته ركلة جادة حازمة، فتحرك على مضض. نظرت وراءها؛ فهي لا تستبعد احتمال أن تجد سايمون يظهر فجأة من الجحر، لكن السدادة الحديدية كانت لاتزال مفتوحة ولا يظهر من الفجوة سوى فراغ مظلم خالٍ.

وبعد أن مرًا بالجحر، بدأ المسار يستوي؛ مما سهل الطريق على رعد، لكن الرياح بدأت تشتد، صاحبتها أمطار غزيرة، وتلبدت السماء بغيوم أبرقت في صمت، فأنار البرق الأسطح البارزة في الخور، وبعد لحظات وصل إليهما صوت رعد مدوٍّ.

تحركت چينا ورعد بخطوات سريعة، ثم خفت نور القمر وغرق الجحر في الظلام، لا ينيره سوى البرق المتراقص في السماء، أخذت الريح تعوي في الأسفل عند الخور، والأمطار تضرب چينا ورعد وتصفع وجهيهما، لكنهما واصلا التحرك بعيون شبه مغمضة ومثبتة بحرص شديد على خطواتهما، إلى أن استرعى انتباه چينا حركة قادمة من مكان مرتفع في الصخور أمامهما. فنظرت لأعلى، على أمل أن يكون ذلك مجرد سحابة تسوقها الريح لكن الأمر كان أخطر من ذلك.

لقد رأت الرأس الرمادي بشحمه ولحمه لدودة أرضية.

لكن الديدان الأرضية تستغرق وقتًا طويلًا كي تخرج من جحورها، ولقد لمحت الآن الدودة في اللحظة التي انبثق فيها رأسها من الجحر وسط ظلام الليل. وهي تعلم من قصص الرحالة التي كان سايلاس يحكيها لهم أن الجزء الأخطر في الدودة ليس رأسها بل ذيلها؛ فذيل الدودة الأرضية سريع ومميت، والدودة الأرضية حين تلمحك تحرك ذيلها مثل الريق وتسقطه على رأسك، ثم تلفُّه حولك وتسحقك.. ببطء شديد جدًا جدًا.. رغم أنه في بعض الأحيان - كما كان سايلاس يقول - قد تصطحبك إلى غرفتها إذا كانت لا تشعر بالجوع، لتخزنك لفترة وأنت على قيد الحياة حتى تظل طازجًا؛ فهي تفضل اللحم الطازج الذي لا يزال محتفظًا بحرارته.

وتذكرت چينا الآن رجلًا كان يزور أسرة هيب من آن لآخر، وكان معروفًا بين أصغر أفراد الأسرة باسم «دان ذي اللعاب السائل»، ودان هذا كانت له نظرات غريبة تبث الخوف في قلوب أصغر الإخوة، لكن سايلاس طلب منهم أن يعاملوه بلطف ورقة. ووفقًا لسايلاس، فإن دان كان من عمال المحاجر ولم يكن لعابه حتمًا يسيل إلى أن حدث ذات يوم أن أخذته دودة أرضية واحتفظت به في غرفتها لثلاثة أسابيع، وما مكنه من البقاء على قيد الحياة طوال هذه الفترة سوى أنه كان يلعق المادة اللزجة التي تفرزها الدودة ويأكل الجرذان، وتمكن في نهاية الأمر من الفرار في ليلة بعد أن أغرى الدودةَ قطيعٌ من الغنم كان يخوض في المحجر، بالإضافة إلى راعي غنم عديم الخبرة. ومنذ حينها، تبدل حال دان ولم يعد كما كان، بعد الأسابيع الثلاثة التي قضاها في جحر الدودة.

وبلا شك، كانت چينا لا تود أن ينتهي بها الأمر مثل «دان ذي اللعاب السائل»، أو ربما لما هو أسوأ من ذلك. فنظرت لأعلى على الدودة، تحاول أن تقيّم الوضع؛ حتى تقرر: أتسرع بالحصان وتمر من أمامها أم تتوقف وتدور لتعود مرة أخرى. لكنها علمت أنها لو دارت وعادت فسوف تجد نفسها حبيسة بين الدودة والانجراف الأرضي، وبين هذا وذاك هناك جحر سايمون، وسايمون على الأرجح سيكون الآن قد استيقظ من نومه وبدأ يبحث عنها. لا خيار إذن. ولا بد أن تمر من أمام الدودة قبل أن يتحرر ذيلها من الجحر.

«هيا يا رعد..» هكذا قالت چينا للحصان بصوت خفيض وبنبرة ملحة، وهي تلكزه بكعبيها، لكنه ظل يسير ببطء وسط الريح والأمطار. نظرت چينا إلى الدودة مرة أخرى، كان جحرها يقبع في مكان مرتفع، ولا يزال على مسافة بعيدة، تقريبًا عند سطح الأعمال التي تتم في المحجر القديم وتعلو الطريق. بات رأس الدودة الأرضية الآن بأكمله خارج الجحر، ورأت چينا عينيها الحمراوين الباهتتين مثبتتين عليها هي ورعد.

صاحت چينا في أذن الحصان، وهي تركله ركلة قاسية: «انطلق يا رعد.. أم تريد أن تأكلك الدودة الأرضية؟» ثم ضربته باللجام، فما كان منه إلا أن أعاد أذنيه للوراء وانطلق كالصاروخ، وهو يجري على امتداد المسار وكأنه يريد أن يقول لها إنها إذا كانت ترغب في الانطلاق بسرعة، فسوف يُريها كيف تكون السرعة إذن.

ومع انطلاقه جريًا نحو الدودة، علمت چينا أن الدودة رأتهما مقبلَيْن نحوها، فقد بدأت تتدفق من جحرها بسرعة فائقة كأنها سيل من الوحل الرمادي السميك الذي لا ينتهي تدفقه.

صاحت چينا بإلحاح ليسمعها رعد وسط عويل الريح والأمطار، مع تحركه بتثاقل الآن على امتداد الطريق، وقد اقترب أكثر من الدودة: «*انطلق يا رعد.. انطلق!*»، بينما كانت الدودة لا تزال تتدفق من جحرها، وهي تنزلق لأسفل على الكتلة الصخرية بسرعة مذهلة، حتى إن چينا أدركت فجأة أنها غير واثقة إذا كان رعد سيستطيع أن ينجح في المرور من أمامها قبل أن تصل إلى الطريق أم لا. مالت چينا للأمام فوق ظهر الحصان كالفرسان، حتى تحد من مقاومة الريح، وهي تحدِّث رعد في أذنه، وتواصل تشجيعه: «*انطلق يا رعد.. انطلق أيها الفتى.. انطلق!*».

عاود رعد انطلاقه، ووصلت سرعته الآن إلى أقصى مداها، وكأنه هو أيضًا يعلم أن حياتهما مرهونة عليه. ومع وصول الدودة إلى سفح المنحدر، واقتراب رعد منها، نظرت چينا لأعلى لتتبين ما إذا كان ذيلها قد خرج من الجحر أم لا يزال قابعًا بداخله. لكنها لم تر له أي أثر حتى الآن، وإن كانت تعلم أنه قد ينطلق كالصاروخ في أي لحظة. وما إن بدأت تركز على الطريق حتى رأت أن رأس الدودة قد وصل إليه.

فصاحت في رعد: «انطلق يا رعد!»، ومع انزلاق الدودة عبر الطريق لتسده عليهما، صرخت چينا: «اقفز يا رعد!».

فقفز وطار بها في الهواء ليعبر من فوق هذا الشيء البشع بلونه الرمادي المنزلق تحتها. ومع هبوط رعد على الجانب الآخر من مكان الدودة

ومواصلته جريه قُدمًا، انطلق ذيلها من الجحر بسرعة فائقة وهو يضرب في الهواء كالسوط بصوت مدوٍّ.

شعرت چينا بالريح وهي تصفر، وسمعت ارتطامًا عندما شق الذيل سطح صخرة خلفهما، وكان من المستحيل على چينا ألا تنظر خلفها – فرأت الذيل قد أخطأهما بما لا يزيد على عدة أقدام.

تابعت العينان الحمراوان الباهتتان فريستهما على امتداد الطريق، وأخذت الدودة تجمع الذيل استعدادًا لضربة أخرى، وهو يلف في الهواء عاليًا كأنه ربق ضخم، لكن مع ارتطامه للمرة الثانية بالطريق، كان رعد قد انحرف عند كتلة صخرية مرتفعة، واختفى هو وچينا عن نظرها.

طراخ! وهنالك سمعت چينا شيئًا يهبط وراءها فوق ظهر الحصان.

فأدارت جسمها للوراء وهي على السرج تستعد لمقاومة الذيل بكل ما أوتيت من قوة.. لكنها لم تر شيئًا. كل ما كان في وسعها أن تراه مع انطلاق رعد هو الاختفاء السريع للكتلة الصخرية شديدة الانحدار وسط هذا الظلام الدامس.

ثم سمعت صوتًا خافتًا وراءها يقول بنبرة متذمرة بعض الشيء: «أف! أنتِ تنطلقين بتمكن شديد.. لقد كدت... لقد كدتِ تصيبينني بأزمة قلبية».

وبذعر، قالت چينا، وكاد رعبها من هذا الصوت الرقيق والغريب يفوق رعبها من الدودة الأرضية: «مممممنن.. هذا؟».

قال الصوت وقد بدا عليه الإحباط: «إنه أنا ستانلي.. ألا تتذكرينني؟»، فنظرت چينا وسط الظلام مرة أخرى. نعم، إنها ترى بالفعل شيئًا وراءها،

إنه جرذ، جرذ رسول صغير يزحف فوق ظهر الحصان، ويحاول باستماتة أن يتعلق في السرج.

سألها الجرذ، وهو يتردد مثل الكرة فوق ظهر رعد المنطلق جريًا: «هل... هل من الممكن أن تتوقفي للحظة حتى أستطيع التقاط أنفاسي؟ أعتقد أنني هبطت على سندويتشاتي».

نظرت چينا إليه.

وعاد الجرذ يتوسل قائلًا: «لو سمحتِ.. أبطئي.. أبطئي من سرعة الحصان.. قليلًا».

فقالت چينا وهي تشد اللجام: «على مهلك يا رعد.. أبطئ من سرعتك أيها الفتى».

فخفض رعد من سرعته لتصبح خببًا.

رفع الجرذ نفسه ليجلس وهو لا يزال متشبثًا بقوة في السرج، وقال: «أخيرًا.. هكذا أفضل»، ثم قال: «أنا بطبيعتي لست من الجرذان التي تهوى ركوب الخيل، وإن كنت أعتقد أنها أفضل من الحمير، فأنا لا أحب الحمير، ولا أصحاب الحمير، إن معظمهم مجانين مثل الثعابين.. أرجوك لا تسيئي فهمي، أنا لا أقصد بذلك الخيول أو أصحابها، إنهم بعيدون تمامًا عن الجنون، أو معظمهم في أغلب الأحوال، وإن كان لا بد أن أذكر هنا أنني عرفت بعضًا منهم كانوا...».

وتذكرت چينا فجأة من هو هذا الجرذ، وقالت لاهثة: «الجرذ الرسول! أنت الجرذ الرسول! الجرذ الذي أنقذناه من جاك المجنون وحماره».

فقال وقد علت وجهه ابتسامة عريضة: «تمام، لكن خادمك ما عاد الآن جرذًا رسولًا.. لقد اشتبكت مع مكتب الجرذان في ذلك العهد البائد، وانتهى بي الأمر حينها في قفص تحت سطح الأرض لأسابيع.. لم يكن ذلك لطيفًا قط.. لقد تم إنقاذي بعد ذلك وإعادة تدريبي مع...»، ثم التفت الجرذ ينظر حوله كأنه يريد أن يتأكد من أن أحدًا لا يسمعه، ثم واصل قائلًا وهو يهمس: «مع «جهاز مخابرات الجرذان»..».

قالت چينا: «مع من؟».

نقر الجرذ جانب أنفه نقرة ذات مغزى عميق وقال: «إنه عمل يستلزم السرية التامة.. فكلما كان هناك التزام بالكتمان تمت عملية الإصلاح بشكل أسرع، وهلم جرًا».

ردت چينا: «نعم، بالطبع»، وهي لا تفهم قصده مطلقًا، لكنها لا تريد أن تدخل الآن في حوار مطول يشرح لها فيه كل ذلك!

ثم قال: «إنه أفضل شيء قمت به في حياتي. وما كدت انتهي من تدريباتي الأسبوع الماضي حتى فوجئت أن أول مهمة لي تخص الساحرة العظمى.. لقد كانت صفعة قوية.. ولقد اندهش زملائي الجرذان في الدورة التدريبية».

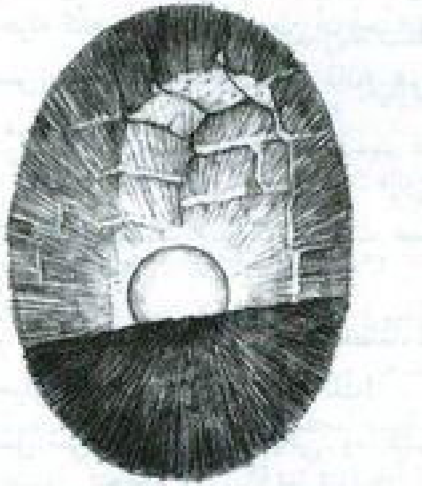
قالت چينا: «هذا فعلًا لطيف.. وما مهمتك إذن؟».

«البحث والإعادة لها الأولوية المطلقة».

«ياه! لكن من ذا الذي تبحث عنه وتريد إعادته؟».

رد ستانلي بابتسامة عريضة: «أنت».

21
أرض الأغنام



بدأ الفجر ينبلج عندما زلت حوافر رعد وانزلق عند آخر منحنى في ممشى مغطى بصخور طفلية، ورأت چينا من فرط سعادتها أنهم بعد كل هذه المعاناة وصلوا أخيرًا إلى أطراف أرض الأشرار. لم ير ستانلي شيئًا؛ فقد كان متشبثًا بحافة السرج مغمض العينين تمامًا؛ لاقتناعه بأن ثلاثتهم قد يسقطون في أي لحظة من فوق جانب الممر إلى الصخور في الأسفل.

توقفت چينا للحظة ونظرت بعيدًا في أنحاء حقول أرض الأغنام الشاسعة والمنبسطة الممتدة أمامهم. كان المنظر خلابًا، وذكرها بأول يوم قضته عند العمة زيلدا بعد أن استيقظت من النوم وجلست عند عتبة الباب وهي تشاهد المستنقع وتستمع لأصوات كائناته. فبعيدًا عند الأفق، تراءت مجموعة من السحب الساطعة يشير لونها الوردي إلى مطلع الشمس، وكان الضوء الرمادي الرقيق الذي يصاحب ظهور أول خيوط الفجر يحجب رؤية الحقول، ويمتد الضباب فوق القنوات ومناطق المستنقعات من الحقول، ويملأ الأجواء هدوءًا وسكينةً.

قالت چينا للحصان ضاحكة وهي تربت على عنقه: «لقد نجحنا يا رعد.. لقد نجحنا يا فتى».

هز الحصان رأسه وهو ينخر ويتنفس في الهواء الذي تنبعث منه رائحة الملح، ويهب عليهم من جهة البحر عند الجانب الآخر من أرض الأغنام. قادت چينا رعد إلى طريق عريض مغطى بالنجيل، ثم تركته حرًّا ليرعى، بينما تمدد ستانلي بعرض السرج، وهو يغط بصوت عالٍ، فقد استغرق أخيرًا في النوم من شدة الإرهاق.

جلست چينا على حافة الطريق، مستندة بظهرها إلى سفح جرف من صخور الإردواز، تشعر بجوع شديد، فأخذت تعبث في حقيبة السرج فعثرت على رغيف خبز قديم، وعلبة فواكه مجففة صغيرة وثمرة تفاح ذابلة. التهمت چينا كل هذا، وشربت من ينبوع، ماؤه مثلج ينبثق عند سفح الجرف، ثم جلست وأخذت تحدق إلى الضباب الذي بدأ يتقشع

رويدًا رويدًا ليفصح عن أشكال مستديرة مغطاة بالصوف لأغنام ترعى وتنتشر عبر المراعي والمروج.

أدى هذا الهدوء الآمن الذي لا يخترقه سوى هذا الصوت المنتظم لرعد وهو يمضغ النجيل، وصياح يطلقه من حين لآخر طائر من طيور المستنقع يمر وحيدًا - إلى شعور چينا بالنعاس. وحاولت أن تقاوم رغبة في النوم اجتاحتها، لكن ذلك كان مستحيلًا. فكورت نفسها، والتفت في عباءة لوسي وراحت في سُبات عميق خالٍ من الأحلام.

وفي اللحظة التي استغرقت فيها چينا في النوم، كان سايمون قد استيقظ، وجلس على سريره، شاعرًا بآلام في جسمه وإحساس بالتوتر، ولا يعلم تحديدًا سبب ذلك. وفجأة، تذكر چينا. لقد خطفها بالأمس. لقد نجح، لقد نجح في تنفيذ ما طُلب منه، ثم قال في سره إن سيده سيسعده ذلك عندما يستيقظ. لكن سايمون كان قد اعتراه إحساس مزعج في جوفه لا يريد أن يزول؛ فهو مضطر الآن لأن ينفذ الجزء الثاني من المهمة، ولا بد أن يأخذ چينا إلى عرين كائنات المأجوج. فتوجه إلى المرصد شارد الذهن، ولاحظ أن سلوث ليس في موقع الحراسة لدى باب غرفته.

فصاح بغضب، متوقعًا حضور الكرة قافزة: «سلوث! سلوث!»، ولكن لا حياة لمن تنادي. سار سايمون حافي القدمين عبر أرض الإردواز الرطبة الباردة ليعد لنفسه كأسًا من النيكاوا كي يهدئ أعصابه. وبحرص، سكب

في كأس طويلة سائلًا بنيًا موحلًا يحتوي على عفن لولبي يطفو على السطح، ثم كسر فيه بيضة نيئة وتجرع الكأس التي كان مذاقها كريهًا.

وأخذ - بعد أن دب في جسمه بعض النشاط - ينظر حوله في الغرفة باحثًا عن سلوث، وحين يعثر عليه سيجعله يندم حقًا على تركه موقع الحراسة.

«ما هذا؟ ما الذي يحدث هنا؟»، واندفع إلى باب غرفة الحجز، بعد أن رأى كتلة الشيكولاتة التي شقتها چينا ملقاة على الأرض، ولم يكن سايمون بالطبع في حاجة لأن يفتح الباب ليعلم أنه لن يجد چينا، لكنه فتحه على أية حال، وهو يضربه بعنف وحنق في الحائط، فأحدثت الضربة صوتًا مدويًا وعلى الفور كان الباب قد تفتت إلى آلاف قطع الشيكولاتة من أفضل الأنواع.

راح سايمون يرغي ويزبد، وهو يرى كل آماله تتلاشى أمام عينيه بمشهد غرفة الحجز الخاوية، فألقى بنفسه على الأرض وقضى عدة دقائق في حالة كانت سارة هيب عادة تطلق عليها «وقت نوبات الغضب»، قبل أن ينهض أخيرًا ويبدأ في التفكير مرة أخرى. إن چينا لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيرًا، وهو سوف يرسل سلوث يبحث عنها ومعه **بطاقة تعريف لها.**

صاح سايمون وهو يستشيط غضبًا بأعلى صوت لديه: «سلوث! سلوث! إذا لم تأتِ في الحال فسوف تندم على ذلك.. سوف تندم غاية الندم!».

لكن سلوث لم يرد.. وقف سايمون وسط هدوء المرصد وابتسم.. لقد علم الآن ما الذي حدث، فجينا أخذت معها سلوث، الطفلة البلهاء اعتقدت أن سلوث ليس سوى مصدر ضوئي محمول. وهو سوف يعثر على كليهما في الجحر في الأسفل. وإذا بصوت غريب قادم من وعاء يرقات الديدان المضيئة يقطع أفكاره التي كان مستغرقًا فيها. فتوجه نحو الصوت فوجد الغطاء مغلقًا. ما أغرب ذلك! إنه لا يتذكر أنه أغلق الوعاء، لقد كانت اليرقات جميعها في غاية الرعب لدرجة تمنعها من أن تفكر في الهرب، لكن ماذا فعل بالمفتاح؟ وما هذا الصوت؟ وضع سايمون أذنه على الإناء وسمع صوت القفز الذي لا يخطئه. صوت قفز؟ إنه سلوث!

وبعد أن يئس من البحث عن المفتاح، أخذ عتلة ورفع بها الغطاء، فاندفع سلوث من البرميل كما تندفع السدادة الفلين من الزجاجة، ممطرًا سايمون بمئات من يرقات الديدان المضيئة اللزجة. صاح سايمون يقول: «حسنًا! لا تراجع إذن! لقد انتهى أمرها الآن! الحق بجينا يا سلوث.. هيا!»، ثم دفع سايمون سلوث - الكرة الخضراء اللزجة - عبر المرصد وتبعه وهو يقفز مارًا بالجمجمة، ثم بالمدخل المقنطر، وانطلق بعد ذلك على السلم في رحلة النزول الطويلة. وصل سلوث وسايمون إلى أسفل درجات السلم، وانزلقا على المادة اللزجة التي تفرزها كائنات المأجوج، ثم انطلقا جريًا على امتداد الممر المؤدي إلى غرفة الدودة.

قال سايمون لاهثًا وهما يقتربان من الغرفة: «لا بد أنها ستكون هنا يا سلوث.. سوف تكون هنا والرعب يملؤها.. أو ربما أنها وفرت عليّ الأمر وعثرت على أحد كائنات المأجوج اللطيفة، فسوف يجنبني ذلك أزمات ومتاعب كثيرة يا سلوث .. احترس أيها الأحمق»، وانحنى سايمون برأسه مع ارتداد سلوث فجأة نحوه، ثم صاح قائلًا: «كفى.. افعل ما قلته لكَ فحسب.. هذا ليس وقتًا للمزاح». حاول مرة أخرى، لكنه ارتد من جديد وضرب سايمون في أنفه. خطف سايمون سلوث وهو يستشيط غضبًا، وسار بخطوات واسعة ليدخل غرفة الدودة، وإذا به يصطدم بالطبقة السميكة من المادة اللزجة التي تكسو الدودة الأرضية.

ولّى سايمون مدبرًا من فرط ذهوله، ولكن كيف حدث ذلك؟ بحق السماء، كيف دخلت الدودة الأرضية إلى هنا؟ ثم خطرت فكرة مرعبة على باله، وصرخ: «حصاني! لقد أكلت حصاني!».

* * *

استيقظت جينا من نومها فزعةً من حلم مزعج، ثم اعتدلت وجلست مرتبكة، وهي تشعر بالبرد والرطوبة، لتجد نفسها محاطة بدائرة من الأغنام تنظر إليها بفضول، وهي تمضغ بكسل الأعشاب من حولها. نهضت جينا تمطت، فقد أهدرت وقتًا كبيرًا في النوم، ولا بد أن تتحرك الآن بسرعة

وتصل بشكل أو بآخر إلى العمة زيلدا. ومن ثم، صعدت فوق ظهره وجلست على السرج، بينما كان ستانلي لايزال يواصل غطيطه.

هزت چينا الجرذ وهي تناديه: «ستانلي».

فهمهم وهو ينظر إليها بعينين شبه مغمضتين يملؤهما النعاس: «همممم..».

«ستانلي، أريد أن أرسل رسالة إلى العمة زيلدا. أنت تعلم أين تقيم و...».

رفع ستانلي رِجلًا في اعتراض وقال: «دعيني أشرح لك حتى لا نختلف معًا، فأنا ما عدت أوصِّل رسائل الآن.. ومهما يكن الأمر، فأنا بكل تأكيد لن أقوم بمهمة من مهام الجرذان الرسل الآن. إن رخصتي سُحبت مني بعد تلك المهمة المزعجة جدًا التي قمت بها للساحرة العظمى، وبكل تأكيد ليس لديّ أي رغبة في أن أجازف بالدخول في دائرة اختصاصات الجرذان الرسل مرة أخرى.. أبدًا.. لا يـا سيـدي، أقصد يا سيدتي».

ردت چينا معترضة: «لكن غدًا يوافق عيد منتصف الصيف يا ستانلي وأنا...».

«وإذا كنت تظنين أنني سأخرج إلى تلك المستنقعات التعسة مرة أخرى فأنت للأسف مخطئة تمامًا. لقد كانت معجزة أنني خرجت منها حيًا بعد آخر رحلة لي فيها، بعد أن كانت أفعى المستنقع ترصدني لعشائها، وتلك الجنيات الصغيرة السمراء بأسنانها الصغيرة وهي تنهش

وتنهش وتنهش في أرجلي، ناهيك عن نواح نواحة المستنقع وهي تلاحقني، وتصرخ في أذني وتقودني إلى *الجنون*.. إنه مكان مروع. أنا لا أفهم ما الذي يجعل شابة مثقفة مثلك تريد أن تطأ بقدميها مرة أخرى هذا المكان الموبوء، وإذا أخذتِ بنصيحتي لقلت...».

فقاطعته چينا وهي تتنهد: «أي أن ردَّك «لا»، أليس كذلك؟».

«بلى، أقصد، أقصد بلى أرفض»، وجلس على السرج ينظر حوله، ثم قال: «إن المكان لطيف هنا، أليس كذلك؟ لقد كنت أحضر إلى هنا في الإجازات مع أمي عندما كنت صبيًا. كان لنا بعض الأقارب يعيشون في الخنادق التي تمتد خارج المستنقعات في اتجاه البحر. هناك تلال رملية رائعة عند الشاطئ ومناسبة للوصول إلى الميناء إذا كنتِ ستركبين متطفلة في عربة يجرها حمار».. وهنالك ارتعد ستانلي.. ثم واصل كلامه قائلًا: «أو من الأفضل أن يكون حصانًا سريعًا.. ولقد قضينا أوقاتًا جميلة في اللهو في الأنحاء عند الميناء في صباي، كان وقتها هناك العديد من الجرذان، وأنتِ لن تصدقي كل ما كان يدور هناك، أتذكر...».

وهنا بدأت فكرة تختمر في رأس چينا، فقاطعته قائلة: «هل معنى ذلك أنك تعرف الطريق إلى الميناء يا ستانلي؟».

رد ستانلي بعزة نفس: «بالطبع.. فأنا بصفتي عضوًا في «جهاز مخابرات الجرذان» يمكنك الاعتماد عليّ كي أوصلك إلى أي مكان، فأنا أعرف الطرق تمامًا كما لو كنت أنا الخريطة نفسها، بل أفضل من الخريطة في واقع الأمر، إن كل الطرق محفورة في رأسي هنا»، ثم نقر على جانب من

رأسه.. واستطرد في كلامه قائلًا: «أستطيع أن أذهب إلى أي مكان.. أي مكان».

قالت چينا معلقة: «فيما عدا مستنقعات مرام».

«في الواقع نعم.. إن الجرذان المتخصصة في المستنقعات هي التي تقوم بذلك. إنها مجنونة.. وكما قلت لك، أنا لن تطأ أرجلي هذا المستنقع المؤذي مرة أخرى».

قالت چينا، وهي تلكز رعد لكزة رقيقة بكعبيها: «حسنًا.. هيا، ارحل من هنا الآن».

قال ستانلي: «حسنًا إذن، إذا كان هذا هو ما تريدينه»، وقفز من فوق السرج وحط بشكل أخرق على العشب.

أوقفت چينا الحصان ثم قالت لستانلي: «ما هذا الذي فعلته يا ستانلي؟».

فردَّ متذمرًا: «فعلت ما طلبته مني، أن أرحل من هنا الآن».

ضحكت چينا وقالت: «أنا كنت أكلم *الحصان* أيها الأحمق.. تعال».

«ياه! ظننت أنكِ غضبت لأنني رفضت أن أصطحبكِ إلى المستنقعات».

«لا تكن أحمق يا ستانلي.. هيا.. عُد واصعد فوق ظهر الحصان وأرشدني إلى الطريق المؤدي إلى الميناء، وأنا من هناك أستطيع أن أتذكر الطريق المؤدي إلى العمة زيلدا».

«أنت متأكدة؟».

«نعم، أرجوك يا ستانلي».

مهد ستانلي لقفزته بأن قطع مسافةً جريًا، ثم قفز في الهواء وهبط بخفة خلف چينا.

كان ذلك صباح يوم صيف جميل، وامتدت أمامهم أرض الأغنام، وعند الأفق البعيد كان في وسع چينا أن ترى الخط الرفيع للبحر بلونه الأبيض البراق وهو يتلألأ مع سقوط خيوط شمس الصباح الباكر على المياه.

شق رعد بچينا وستانلي فوق ظهره طريقًا صلبًا ممهدًا بالحصى، أخذهما وسط المراعي، وقادهما، مرورًا بحدود غير مرئية، بين زرائب للخراف ومساحات من النباتات القصبية تظهر من حين لآخر، وجسور خشبية عريضة تعبر قنوات تتدفق مياهها من المستنقعات إلى البحر. تركت چينا الحصان يسير متمهلًا ويتوقف متى أراد أن ينتزع بعض النجيل الشهي ويمضغه في الطريق. بينما بدأت حرارة الشمس تبخر آخر الضباب الذي لا يزال معلقًا فوق سطح القنوات، شعرت چينا أن رطوبة ملابسها تبخرت، وأخيرًا بدأت تشعر بالدفء.

لكن بعد أن غادرتها برودة أرض الأشرار، بدأت تفكر بذهن صافٍ، فكان أول ما فكرت فيه هو سايمون. تُرى، ماذا يفعل الآن؟ ثم نظرت وراءها في قلق، كانت الصخرة السوداء شديدة الانحدار الموجودة في محاجر الإردواز تبرز من أرض الأغنام المنبسطة كأنها جرف صخري ينبثق من البحر، بينما ألقت سحابة رمادية منخفضة تمر فوقها بظلال

عميقة على الأجواء. ولم يرق جينا أن أرض الأشرار بدت كأنها لا تزال قريبة جدًا، فقد كانت تحتاج إلى أن تكون على مسافة أبعد تمنحها الأمان.

فقالت وهي تحث الحصان على المضي قدمًا بخطوات سريعة، وتقاوم أن تجعله يركض ركضًا هينًا: «أسرع يا رعد»؛ فهي تعلم أنه بلا شك قد أصابه الإرهاق، ومازال أمامهم رحلة يوم بطوله للوصول إلى الميناء. كان ستانلي يجلس خلفها متأنقًا وهو متعلق بالسرج برجلٍ واحدة وكأنه فارس خبير في ركوب الخيل. التفتت جينا مرة أخرى وراءها لتتفحص أرض الأشرار، وفجأة خالجها شعور مزعج بأن هربها تم اكتشافه.

22

معسكر هيب



أشرق صباح *اليوم التالي في الغابة* على نكو وسبتيموس وهما يقفان عند قدمي الجد بنچي - أو بالأحرى قدمه - بينما كانت أشعة شمس الصيف الساطعة تتخلل أوراق شجرة جدهم وتلقي بضوء أخضر باهت على سطح أرض الغابة، وعلى البقايا الممضوغة لحقيبة ظهر سبتيموس.

قال سبتيموس متذمرًا: «لقد ضاعت أدواتي.. ضاعت بأكملها.. أكلت حيوانات الولفرين كل شيء». فرد نكو على سبتيموس لافتًا نظره: «كل شيء عداي أنا وأنت، وهو على الأرجح أهم ما في الأمر».

لم يكن سبتيموس منصتًا لنكو، لقد كان منبطحًا يتفحص الأرض عند قاعدة الشجرة.

قال نكو بتجهم: «لو كنت مكانك لما أخذت أعبث بيدي بين أوراق الأشجار هكذا».

«ولمَ لا؟ فأنا أبحث عن شيء».

«فكّر يا سِب.. تخيل العديد من حيوانات الولڤرين، وهي تهيم في الأنحاء بحثًا عن وجبة عشاء.. ويتزايد حماسها.. ثم تأكل مفرقعات النعناع.. ماذا تظن أنك ستجد في المكان الذي كانت فيه؟».

«لا بد أنها هنا.. مستحيل أن تكون قد أكلتها.. لا أعلم يا نكو، ماذا ستترك؟».

«روثها».

قفز سِبتيموس على التوّ مشمئزًا وهو يقول: «يع ع!».

«وهي تخبئه أسفل أوراق الشجر».

«يع.. يع!»، ثم أخذ يمسح يديه في ردائه، وتراجع للوراء، فوطئت قدماه على ما كان يبحث عنه، فقال مبتهجًا: «يا إلهي! لقد وجدتها!».

فسأله نكو بفضول: «ما هذا الذي وجدته؟ وما الذي يجعله بهذه الأهمية؟».

كان سِبتيموس يمسك في يده الصخرة الخضراء المتقزحة التي حزمها بغاية الحرص مع بقية الأغراض وهو يحضر حقيبته قبل الرحيل.

قال نكو، وقد تذكر فجأة سبب وجودهما في الغابة: «ياه! تذكرت...».

قال سبتيموس: «چينا أعطتها لي».

«أعلم، أتذكر ذلك».

سكت الأخوان لفترة، وأخذ سِبتيموس يحدق بتركيز إلى الصخرة، ثم صاح فجأة: «أنا أكره حيوانات الولڤرين، انظر ماذا فعلت! لقد شرختها». أمسك سِبتيموس الصخرة برفق وأعطاها إلى نكو ليراها.

ثم قال: «انظر! هذا هو الشرخ»، كانت الصخرة يعلوها شرخ مسنن يجري بطول أعرض منطقة فيها.

قال نكو: «كان من الممكن أن ينتهي الأمر بها لما هو أسوأ من ذلك، فهي على الأقل لم تتكسر. أعتقد أن أحد حيوانات الولڤرين هو الذي شرخها. أراهن أنها لم تؤثر كثيرًا على أسنانه».

قال سِبتيموس وهو يضع الصخرة في أحد جيوب حزامه: «بل أتمنى أن تكون قد كسرت كل أسنانه».

استغرق سِبتيموس ونكو وقتًا طويلًا ليودعا جدهما، وهما يعدانه بكل الوعود بأنهما سيأتيان ببقية أفراد الأسرة لزيارته. وأخيرًا، انطلقا يشقان طريقهما وسط الغابة بحثًا عن معسكر إخوتهم.

فيما بعد، وما إن بدأ كاحل سِبتيموس يؤلمه وهو يتساءل في سره عما إذا كانا قد ضلا الطريق مرة أخرى حتى وجدا أنفسهما مصادفةً في طريق عريض.

هتف نكو بنبرة انتصار: «أعلم الآن أين نحن!».

فردّ عليه سِبتيموس بنبرة متوجسة: «حقًا؟».

«حقًا.. اتبعني فقط يا سِب».

رد سِبتيموس ساخرًا وهو يقول: «ترى، ألم أسمع هذه الجملة من قبل؟».

قال نكو محرجًا: «لا تكن وغـدًا.. انظر! انظر هناك.. هل ترى المعسكر؟».

كان نكو وسِبتيموس يقفان عند قمة سطح يميل ميلًا بسيطًا، والطريق ينحدر أمامهما، وهو يلتف بين الأشجار ثم يقود إلى مساحة صغيرة مقطوعة الأشجار، ينبثق منها خط رفيع من الدخان يرتفع ببطء وسط سكون أجواء الصباح الباكر. وبينما كان سِبتيموس يراقب المشهد، خرجت هيئة طويلة ونحيلة لأحد إخوته من بين ما بدا أنها كومة ضخمة من أوراق الشجر، وتمطّى وتثاءب في دفء الشمس.

صاح نكو: «إريك! مرحبًا يا إريك!».

نظر إريك لأعلى بعينين مازال النعاس يملؤهما.

قال نكو: «هيا يا سِب، لقد حان الوقت لتقابل بقية أفراد الأسرة».

بعد عشر دقائق، وجد سِبتيموس نفسه يجلس وحيدًا بجانب حفرة تشتعل فيها نار المعسكر. فما كاد نكو يقدمه لإخوته سام وجوجو وإد وإريك - وكأنه الساحر الذي أخرج الأرنب من القبعة - إلا وكانوا جميعًا قد اختفوا بعد ذلك، آخذين معهم نكو. وقالوا لسِبتيموس حينها إنهم ذاهبون لتفحص الشباك التي ألقاها سام في النهر لاصطياد الأسماك القادمة مع حركة مد الصباح، ويستطيع هو أن يستغل هذا الوقت في حراسة النار التي تظل مشتعلة ليل نهار.

أخذ سِبتيموس يحدق إلى النار وهو يتساءل في سره عما إذا كانت كل اللقاءات الأسرية بعد طول غياب تتم على هذا النحو؛ فقد ظن أن بقية إخوته، رغم التوتر الشديد الذي اعتراه من فكرة أنه سيقابلهم، سيسعدون بلقائه. لكن ما حدث أنهم أخذوا يحملقون فيه كأنه ضفدع حبيسة في برطمان، ومما زاد الأمر سوءًا أنه أدرك أنهم لا يحملقون فيه هو، بل في ملابسه الخضراء الأنيقة، وفي حزام تلميذ الساحرة العظمى الفضي الذي يرتديه، والذي كان يتلألأ في الشمس بشكل جعله يشعر وكأنه يتباهى بنفسه أمامهم، فشد عباءته بسرعة وغطى بها الحزام، لكنه ندم على الفور وقال في سره بتجهم إنه جعل نفسه بهذا الشكل يبدو أحمق - كأنه منزعج من منظره، أو كأنه شخص خجـول يشعر بالبـرد، أو بالخوف، أو... - وإذا بهم بعد ذلك، واحدًا تلو الآخر، ينعرون في وجهه وهو واقف ملفوف في عباءته، وفسر سِبتيموس ذلك بأنه تحية، رغم أنه من السهل جدًا تفسيره بأنهم يسخرون منه، بل في واقع الأمر كلما أمعن سِبتيموس في التفكير تأكد من ذلك.. أطرق برأسه ووضعه بين راحتيه، وهو يقول في سره إن إخوته من المؤكد يعتقدون الآن أنه في غاية الغباء والبلاهة.

وبينما كان سِبتيموس جالسًا يحدق إلى النار، ويتساءل في سره لماذا ترك نكو يأتي به إلى هنا في الوقت الذي كان من المفترض أن يذهب فيه للبحث عن جينا - أدرك أن هناك شخصًا قادمًا نحوه، وعندما التفت وجده أحد إخوته.. لكن، تُرى أي أخ فيهم هو؟ فسِبتيموس عندما كان

غارقًا في هذا الموقف المحرج الذي وجد نفسه فيه، لم ينتبه إلى اسم أي واحد منهم.

قال الفتى وهو ينخس النار بعصا: «مرحبًا».

رد سبتيموس متمنيًا في سره لو كان معه هو أيضًا عصا: «مرحبًا».

ثم سأله أخوه: «هل أنت أخونا الذي مات؟».

«ماذا قلت؟».

«أخونا الذي مات.. أتذكر أن أمي كانت تتحدث عنك أحيانًا مع أبي عندما تظن أننا لا نسمعها.. لقد كنت ميتًا، ثم اتضح أنك حي.. يا له من موقف غريب!»، ثم أخذ الفتى ينخس النار مرة أخرى.

رد سبتيموس يوافقه الرأي: «نعم، فعلًا موقف غريب»، ثم نظر إليه بطرف عينه؛ إنه بلا شك ليس سام، فسام، وهو لا يصغر سايمون كثيرًا، أصبح رجلًا الآن، له شعر خفيف ينسدل على وجهه، وصوت عميق، كما أنه تذكر أنه لاحظ أن إريك وإد يجدلان شعرهما على هيئة ضفائر طويلة كالحبل الملفوف؛ أي أن هذا الفتى لا بد أنه چوچو. وهو أكبر قليلًا من نكو، وأطول أيضًا، لكنه أنحف كثيرًا، وشعره، وهو مثل شعر أسرة هيب، ملبد وغجري، بخصلات ذهبية ملفوفة، يحيط بها رباط رأس مجدول بدقة مصنوع من شرائط جلدية متعددة الألوان، ولمح الفتى نظرة سبتيموس إليه، وقال بابتسامة: «أنا چوچو».

قال سبتيموس وهو يلتقط عصا قريبة وينخس النار هو أيضًا: «مرحبًا».

نهض چوچو ومدَّ جسمه، ثم قال: «راقب أنت النار، وأنا سأصنف السمك. لقد ظفر سام بصيد وفير ليلة أمس.. وجلبت ماريسا بعض الخبز صباح اليوم».

سأله سبتيموس: «ماريسا؟».

«إنها من «الويندرون»، «ساحرات الويندرون» كما تعلم. لقد صنعت لي ذلك». وبفخر، لمس چوچو الشريط الجلدي الذي يلفه حول رأسه.

فيما بعد، كان سبتيموس جالسًا بجانب النار يشوي سمكة على عصا فوق نار ضئيلة يتطاير منها شرر وتطقطق وهي تنضج ما فوقها، وكان سام يقسم كل سمكة يتم شيها إلى ستة أجزاء، ثم يضع كل جزء منها على قطعة من خبز ماريسا، ويمرر قطع الخبز بعد ذلك عليهم. لقد كان أشهى طعام تذوقه سبتيموس في حياته.. ومع جلوسهم في صمت ومودة أثناء تناولهم الطعام، بدأ سبتيموس أخيرًا يشعر بالاسترخاء ويستمتع بوجوده وسط إخوته. وعلى الرغم من أن أحدًا فيما عدا چوچو لم يتحدث مع سبتيموس بكلمة واحدة، فإنهم أوكلوا إليه مهمة يقوم بها، فعلى ما يبدو كان هو المسئول اليوم عن الطهي، فكان سام يمرر له سمكة يشويها على النار كلما انتهى الجميع من تناول واحدة، وسرعان ما شعر سبتيموس وكأنه قضى جل حياته يشوي السمك على نار المعسكر مع إخوته، بل في واقع الأمر لولا انشغاله وقلقه على چينا، لكانت هذه الأمسية من أروع ما تكون.

ولم يبدأ نكو يحكي لهم عن موضوع چينا وسايمون إلا بعد أن انتهوا أخيرًا من طعامهم.

قال سام: «ساي يخطف چينا؟ لا أظن أنه يُقدِم على فعلة كهذه. ما أقصده أنه ليس لأنه اختلف مع أبي عند العمة زيلدا بسبب أنه لم يعين تلميذًا سوف يخطف چينا.. في الحقيقة، أنا لا أفهم لماذا تعتقدان أنه تحول فجأة إلى شرير».

قال إد وإريك وهما يوافقانه الرأي: «فعلًا».

ثم قال إد بعد لحظة تفكير: «وإن كان سايمون يود فعلًا أن يكون تلميذًا حقيقيًا، أليس كذلك؟».

رد إريك: «بلى. كان لا يكف عن الحديث في ذلك طوال الوقت.. حتى إن الموضوع بات فعلًا مملًا».

قال چوچو: «لقد قال لي ذات مرة إن السبب في أن مارشا أوفرستراند لم تعين بعد تلميذًا لها أنها كانت تنتظره. قلت له حينها إنه مجنون فركلني».

قال سام: «لكنه كان معتادًا أن يساعد چينا في واجباتها المدرسية وفي كل شيء. حتى إن معاملته لها كانت ألطف من معاملته لأي واحد منا.. فما الذي يجعله فجأة يريد خطفها؟ إنه أمر غير منطقي».

شعر نكو بالتوتر تمامًا كما شعر سِبتيموس من قبل عندما رفض الجميع أن يصدقوا أن سايمون خطف چينا.

أطبق على الإخوة الستة صمت متجهم وهم يحدقون إلى النار وإلى بقايا عظام الأسماك المتناثرة في الرماد، وسرعان ما نفد صبر سِبتيموس، فسألهم: «أين الفتى الذئبي؟».

قال چوچو: «إنه نائم. وهو لا يستيقظ إلا عندما يوشك الظلام أن يحل، كحيوانات الولڤرين».

قال سِبتيموس بالحاح: «أحتاج أن أتحدث إليه».

رد چوچو ساخرًا: «لن يرد عليك، إنه لا يتحدث مطلقًا.. ماذا تريد منه؟».

قال نكو: «نحن نحتاج إلى مساعدته. لقد قلت لسِب إنه يستطيع أن يتعقب أثر چينا».

رد چوچو وهو يشير إلى ما بدا أنه كومة ضخمة من أوراق الشجر: «إذن، هذه خيمته».

قال نكو وهو ينهض من جلستهم حول النار: «هيا بنا يا سِب، دعنا نوقظه»، ثم قال له نكو بصوت خفيض وهما يتوجهان إلى خيمة الفتى الذئبي: «الفكرة يا سِب أن سام والأولاد يعيشون بوتيرة أبطأ الآن منذ أن أقاموا في الغابة، إنهم لا يتحدثون كثيرًا، وهذا هو نمط الغابة، كما أنهم لا يفعلون أي شيء على عَجلٍ.. هم في الواقع لا يعنيهم كثيرًا أمر العالم الخارجي، ويكادون يكونون مثل كائنات الغابة الآن؛ ولذلك إذا أردت القيام بأي عمل - كلقاء الفتى الذئبي - فعليك أن تفعله بنفسك».

فأومأ له سِبتيموس برأسه، فهو مثل نكو، اعتاد نمط حياة القلعة، واعتاد أن يُعهد إليه بأعمال يقوم بها، كما اعتاد أن يكون بين أناسٍ يتوقعون منه أن يقوم بهذه الأعمال. إن العيش بنمط حياة الغابة - كما قال في سره - قد يقوده إلى الجنون.

وهمَّ سِبتيموس ونكو يعبران المعسكر، بينما تمدد إخوتهما حول النار، وأخذوا يلقون فيها بكسل عصيًا وأوراق شجر ويراقبون اشتعالها وهي تتوهج ثم تخمد. لم يكن معسكر هيب متسعًا، فهو يتكون من أربعة عُرُش في منطقة صغيرة مقطوعة الأشجار، تتجمع حول حفرة النار. هذه العُرش التي يُطلق عليها الأولاد خيامًا - صنعوها من أغصان طويلة ورفيعة قطعوها من أشجار الصفصاف الموجودة بجانب النهر، ثم قوسوها ليصنعوا منها حلقات يغرسونها في الأرض، وهي ما إن تُغرس في الأرض من جديد حتى تستمر في النمو بعد ذلك، وبما أنهم في فصل الصيف الآن، وفرت لهم هذه الأغصان محصولًا غزيرًا من أوراق الشجر ملكًا لهم، كما أنهم نسجوا فيها مزيدًا من الأغصان والأعشاب الطويلة وكل ما يعثرون عليه، وينامون داخل هذه الخيام على أكوام سميكة من أوراق الشجر، مغطاة ببطاطين خشنة نسجتها لهم جيلين، وهي طبيبة ومعلمة سارة في الماضي، وتعيش في بيت شجرة في الأنحاء هنا، وكانت قد زودتهم بهذه البطاطين عند أول إقامة لهم في المعسكر، وبالإضافة إلى ذلك أصبح لديهم الآن فراء وبطاطين ناعمة بألوان زاهية صنعتها لهم شابات «ساحرات ويندرون» المحليات.

كانت خيمة سام هي الأكبر والأمتن، بينما تَشَارَك إد وإريك في نفس الخيمة، وهي خيمة واسعة وفوضوية، أما چوچو فخيمته نظيفة ومرتبة، مخروطية الشكل، مغطاة بأعشاب مضفرة بشكل بديع، ولقد ساعدته ماريسا في بنائها.

بدت خيمة الفتى الذئبي كأنها كومة من أوراق الشجر، وكانت تقبع عند أطراف المعسكر في مواجهة الغابة. دار نكو وسِبتيموس حولها مرتين يبحثان عن مدخل لها، ثم فوجئ سِبتيموس بزوجين من العيون البنية البراقة تحملقان فيه من بين أوراق الشجر.

فسرت في جسده رجفة غريبة وقال لاهثًا: «ياه!».

ضحك نكو وقال: «ما بك يا سِب؟ تبدو وكأنك رأيت شبحًا.. إنه الفتى الذئبي، وهو يفعل ذلك طوال الوقت، فهو لا يدعك تراه قبل أن يراك هو، وغالبًا كان يراقبنا منذ وصولنا».

بدا سِبتيموس شاحبًا، وأخذ قلبه يخفق بشدة؛ فمنظر الفتى الذئبي وهو يحملق فيه كاد يفزعه بنفس القدر الذي أفزعته به حيوانات الولڤرين ليلة أمس.

ثم غمغم سِبتيموس ببعض كلمات الغابة.

وفجأة، مالت كومة أوراق الشجر على أحد الجوانب وانبثقت هيئة صغيرة ونحيلة، تغطيها الأوساخ والأغصان، ووقف الفتى الذئبي متوترًا كأنه عدَّاء متأهب للسباق. وبشكل تلقائي، تراجع نكو وسِبتيموس مبتعدَيْن عن حدوده.

همهم نكو هامسًا: «لا تنظر إليه نظرات مباشرة، ليس في أول الأمر.. فهو يفزع».

لم يتمكن سبتيموس من أن يمنع نفسه من اختلاس نظرة خاطفة. ولسعادته، بدا الفتى الذئبي أقرب الشبه بالفتيان عن الذئاب، كما أن رائحته لم تكن كريهة إلى هذا الحد، بل هي أقرب لرائحة التربة الرطبة لا لحيوانات الولفرين، فهو بلا شك من البشر. كان الفتى الذئبي يرتدي رداءً قصيرًا ليس له لون محدد، مربوطًا حول خصره بحزام قديم جلدي وكان شعره البني طويلًا وملبدًا ويبدو بالنمط المألوف في الغابة. وما إن انتهت عيناه البنيتان البراقتان من تفحص المكان حتى التفتتا تنظران إلى نكو وسبتيموس، وإلى سبتيموس خاصةً، وأخذ ينظر إليه من رأسه إلى أخمص قدميه باندهاش، وشعر سبتيموس من جديد بالحرج من ملابسه المنمقة، وتمنى - وهذا ليس للمرة الأولى - لو كان قد تمرغ في الطين قبل أن يأتي إلى معسكر هيب.

قال نكو بعد قليل: «مرحبًا.. هل أنت بخير؟».

أومأ الفتى الذئبي برأسه، وهو لا يزال يُحدق إلى سبتيموس.

قال نكو بصوت بطيء وهادئ: «لقد جئنا نطلب منك مساعدة».

أخيرًا رفع الفتى الذئبي بصره عن سبتيموس، ونظر بإمعان إلى نكو نظرةَ احترام.

«نحن نحتاج إليك كي تساعدنا في العثور على شخص؛ شخص تم اختطافه».

لم يبدِ الفتى الذئبي أي رد فعل.

فسأله نكو: «هل تفهمني؟ إن الأمر جد خطير. إنها أختنا، ولقد تم اختطافها».

اتسعت عينا الفتى الذئبي من فرط الدهشة، وأصبح نكو وسبتيموس هما من يحدقان إليه الآن، ينتظران منه ردًا.

وأخيرًا، جاء رد الفعل، وببطء، ببطء شديد، أومأ لهما الفتى الذئبي برأسه.

23
الفتى الذئبي



قال جوجو لسبتيموس ونكو: «من الأفضل أن تتحدثا مع مورونيا قبل أن ترحلا»، فقد عاد الفتيان إلى المعسكر بودعان سام وجوجو واد واريك بينما كان الفتى

الذئبي واقفًا وراءهما، يُحدق إلى سِبتيموس الذي كان يتحرك بانزعاج؛ فهو دائمًا يحسُّ بمن يراقبه.

قال نكو: «إن مورونيا مخيفة.. وما الذي سنتحدث أساسًا معها فيه ؟».

قام جوجو بتثاقل ووقف، بينما كان الآخرون يستلقون على ظهورهم، محدقين بكسل إلى الجزء الأزرق الساطع من السماء الذي يتخلل ضوءه أوراق الأشجار.

قال جوجو: «إنها الساحرة الأم، وهي تعرف كل شيء. وأراهن أنها تعلم الآن أين ذهبت جينا».

قال سِبتيموس: «ربما من الأفضل لو ذهبنا لمقابلتها، وأبي كان يقول إن مورونيا موهوبة في قدرتها على استشفاف الأمور».

قال نكو: «هذا لا يمنع من أنها مخيفة، وهي دائمًا تحتضنك كأنها ستسحقك».

قال جوجو: «هيا بنا.. سأخذكما إليها. وهي في طريقكما على أية حال».

وهنالك، انطلق «كورس» ساحرًا من الإخوة الثلاثة المتمددين حول النار:

« سيذهب ليقابل مااااريبيييسا، سيذهب ليقابل مااااريبيييسا، سيذهب ليقابل...».

قال جوجو متذمرًا: «اخرسوا». وانطلق من منطقة الأرض الخالية من الأشجار وهو يستشيط غضبًا متوجهًا إلى حيث توجد الأشجار.

وقال نكو لبقية إخوته: «إلى اللقاء إذن».

«وداعًا».

«سلام».

«نراكم لاحقًا».

قال سِبتيموس: «وداعًا».

«مع السلامة».

«نراكم لاحقًا».

«سلام».

ثم لحق نكو وسِبتيموس بجوچو الذي كان ينتظرهما خلف شجرة بعيدًا عن مرمى بصر إخوته. وانطلقوا جميعًا معًا، يتبعهم الفتى الذئبي مُصدرًا ضجة، وشقوا طريقهم بين الأشجار. كان چوچو بالطبع يعلم الطريق جيدًا، وأخذهم إلى مسار ضيق لكنه يُستخدم كثيرًا، قادهم بعد نصف ساعة من السير فيه إلى حلقة ساحرات ويندرون الصيفية.

كانت الحلقة الصيفية هذه تتكون من حلقة من الخيام المخروطية المصنوعة من الجلد، ومبنية مثل خيمة چوچو، وقد أقيمت الحلقة على سطح التل الوحيد الموجود في الغابة بأسرها، وهو تل صغير لا يصل ارتفاعه إلى سقف الغابة نفسها، لكنه جيد الإضاءة وهواؤه طلق، ويمنح الساحرات رؤية واضحة لكل ما يجري حولهن.

ومع متابعة الفتيان الأربعة المسار المتعرج حول التل وهو يصعد بهم إلى الخيام، تسللت إليهم همهمة ثابتة لثرثرة جادة. وفجأة، سمعوا صوتًا ينادي: «چوبي چو! مرحبًا!».

رد چوچو بابتسامة عريضة علت وجهه وهو يقول: «ماريسا!».

علق نكو ساخرًا، مع ظهور فتاة طويلة القامة عند سطح التل، شعرها بني طويل، أخذت تلوح لهم وهي تضحك: «أهكذا تسميك؟ چوبي چو».

فردَّ چوچو قائلًا: «وما المشكلة في هذا؟».

أجابه نكو بابتسامة بلهاء: «أبدًا، ليس هناك أي مشكلة، كنت أسأل فقط».

نزلت ماريسا جريًا من على التل لتقابلهم.

قال چوچو: «ماريسا، هذان أخواي نكو وسِبتيموس».

قالت ماريسا وهي تضحك: «ماذا تقول؟ أمازال لديك إخوة آخرون يا چوبي؟ ترى، كم أخًا تحتاج إليه؟».

«لا أحتاج إلى المزيد، هذا بكل تأكيد. لقد جئت بهما ليقابلا موروونا».

«عظيم.. إنها تنتظركم. سوف آخذكم إليها.. إنها فوق، في الحلقة».

كانت موروونا مولد، الساحرة الأم لمجموعة «ساحرات الغابة»، تجلس على بساط لدى مدخل أكثر الخيام أناقةً في الحلقة، وقد كانت ضخمة ومؤثرة، ترتدي رداءً صيفيًا أخضر فضفاضًا، مربوطًا عند الخصر بوشاح أبيض، وكان شعرها الطويل الذي يعلوه بعض الشيب معقوصًا للخلف برباط رأس جلدي أخضر، وكانت عيناها الزرقاوان الثاقبتان اللتان تميزان الساحرات قد أخذتا تراقبان الفتى الذئبي، وچوچو ونكو وسِبتيموس - وسِبتيموس خاصةً - وهم يعبرون الحلقة متوجهين نحو خيمتها.

قالت موروونا: «أشكرك يا ماريسا»، ثم التفتت إلى الفتيان وابتسمت، وقالت: «مرحبًا بك يا سِبتيموس أنت ونكو في الغابة. لقد سمعت عنكما

الكثير من والدكما العزيز سايلاس. أنتما تشبهانه كثيرًا.. يبدو فعلًا أنني أينما أتحرك الآن في الغابة أجد نفسي أمام نسخ لسايلاس - منها الصغيرة، ومنها ما هو غير ذلك، جميعها لها نفس العيون الخضراء الرائعة أيضًا.. اجلسوا أيها الأولاد إلى جواري لعدة دقائق، أنا لن أطيل عليكم، فأمامكم رحلة خطيرة ستقطعونها».

ألقى نكو نظرة إلى سبتيموس، وكأنه يسأله ماذا تقصد بقولها رحلة خطيرة؟

رد عليه سبتيموس بأن رفع حاجبيه لأعلى، لكن دون أن يرفع نظره عن موروينا. فسبتيموس أحب الساحرة الأم، لكنه يعلم أن وراء مظهرها الحنون يقبع شيء له نفوذ قوي لا يمكن التنبؤ به. وكان سكان القلعة - إلى أن ترأست موروينا «مجموعة ساحرات الغابة» - يخافون من ساحرات ويندرون، ولكن منذ أن صارت موروينا هي الساحرة الأم، تغيرت ساحرات ويندرون على الرغم من أن أحدًا لا يعلم السبب سوى سايلاس هيب؛ فقد حدث ذات ليلة منذ عدة سنوات، عندما كان سايلاس لا يزال شابًا ولديه طفل واحد، وكانت موروينا ساحرة شابة وجميلة - أن أنقذها سايلاس من قطيع من حيوانات الولفرين. وفي المقابل، عرضت عليه موروينا أن يطلب منها أي شيء وهي ستلبيه له، لكنه طلب منها، وللأسف، أن تكف ساحرات ويندرون عن اقتناص فرائسها من سكان القلعة. وبعد عدة سنوات، عندما أصبحت موروينا مولد هي الساحرة الأم، نفذت ما طلبه منها سايلاس وحافظت بذلك على وعدها - لكن لا

يستطيع أحد أن يجزم كم ستدوم هذه الهدنة الظاهرية، مع الأخذ في الاعتبار أنه من الحكمة ألا يُغضب أحد مجموعة ساحرات الغابة.

بدأت موروينا تتحدث بصوت خفيض رنان، والكل يصغي إليها بانتباه فقالت: «أمامكما رحلة طويلة وأنا أتنبأ بأنكما ستواجهان بعض المتاعب، هناك ثلاثة أمور لا بد أن تعلماها؛ الأول هو أنكما ستبحثان عن أختكما وبالفعل سوف تجدانها في الميناء. والثاني هو أن ثمة رجلًا غامضًا طويل القامة غريبًا عن البعض لكن ليس عن الكل، هو أيضًا سوف يبحث عن أختكما في الميناء»، ثم توقفت موروينا، وانتظر الفتيان في أدب حتى تخبرهما بالأمر الثالث، لكنها ظلت صامتة، مستغرقة في التفكير وناظرة إلى تغير شكل توزيع أوراق الأشجار في مواجهة السماء.

وفي نهاية المطاف، تحدث سبتيموس قائلًا: «بعد إذنك أيتها الساحرة الأم، ما الأمر الثالث الذي ينبغي علينا أن نعلمه؟».

قالت موروينا وهي تسحب نفسها بسرعة من أفكارها التي استغرقت فيها: «ماذا قلت؟ الأمر الثالث؟ نعم نعم.. لا تذهبا إلى السيرك».

وهنالك، انفجر نكو في الضحك. فوكزه سبتيموس على الفور وقال: «نكو، لا تكن وقحًا، ليس هناك ما يدعو للضحك».

همهم نكو بصوت هامس، بينما أخذت كتفاه تهتزان من فرط الضحك: «بل.. إنه مضحك تمامًا»، ثم سقط على النجيل وانبطح على بطنه ويداه فوق رأسه، وهو لا يكف عن الضحك بصوت عالٍ.

قال سِبتيموس بقلق: «أعتذر عن تصرف أخي أيتها الساحرة الأم. فقد كادت حيوانات الولڤرين تأكله ليلة أمس، مما أثر على عقله»، ثم وجه سِبتيموس ركلة لنكو لكنها لم تُجدِ، فنكو انتابته نوبة ضحك هستيرية وأخذ يضحك ملء شدقيه.

ابتسمت موروينا وقالت: «لا تشغل بالك يا سِبتيموس، لقد اعتدت الآن عجائبَ شبابِ أسرة هيب. ربما ما كنت سأفهم تصرفات نكو قبل أن يأتي إخوتك ويعيشوا في الغابة عندنا، ولكن الآن ما عاد هناك شيء يثير دهشتي ما دام متعلقًا بأسرة هيب. إنهم أبناء أبيهم. وكل ما يفعله نكو أنه يضحك، ولا ضرر في ذلك».

وقفت موروينا. وعلى الفور، نهض سِبتيموس وچوچو والفتى الذئبي باحترام، بينما كان نكو لا يزال ممددًا على النجيل وكتفاه تهتزان من فرط الضحك.

ثم قالت موروينا: «حسنًا أيها الفتيان، سنلتقي ثانية».

ثم مدت يدها في جيبها وأخرجت حزمة صغيرة من أوراق الشجر، وضعتها في راحة يد سِبتيموس وهي تضغط عليها، ثم قالت له: «هذه ستخلصك من الكدمات التي أصبت بها ليلة أمس إثر سقوطك، ومن تورم كاحلك».

قال سِبتيموس: «أشكرك أيتها الساحرة الأم»، ثم أوقف نكو على قدميه، كانت الدموع تنهال من عينيه من فرط الضحك، ولا يقوى حتى على الوقوف معتدلًا، ثم قال سِبتيموس للساحرة الأم: «سوف آخذ أخي

بعيدًا الآن أيتها الساحرة الأم. أعتذر لوقاحته.. وأشكرك كثيرًا على نصائحك».

ابتسمت موروينا وقالت: «اهتم بما تبحث عنه يا سِبتيموس وسوف تعثر عليه.. وداعًا أيها الفتيان.. أتمنى لكم رحلة موفقة»، ثم استدارت واختفت في خيمتها.

همَّ نكو بالخروج من الحلقة من أقصر طريق وألقى بنفسه على الأرض، ثم أخذ يتدحرج ويتدحرج، مندفعًا بسرعة على المنحدر المغطى بالنجيل، ولا يزال جسده يهتز من نوبة الضحك التي انتابته. وبعد لحظات، كان سِبتيموس قد لحق به.

قال سِبتيموس مؤنبًا: «نكو، لا أحد يضحك مطلقًا في وجود «الساحرة الأم لساحرات ويتدرون».. أبدًا».

همهم نكو من بين ضحكاته، وقال: «أنـا... أنا آسف يا سِب.. فالموضوع كله كان في بداية الأمر.. جادًا للغاية.. وسحريًا.. وجلسنا جميعًا ننتظر و... واعتقدت أن الأمر الثالث سوف يكون... سوف يكون شيئًا خطيرًا.. وإذا بها تقول... تقول...»، وأكمل سِبتيموس الجملة قائلًا: «لا تذهبا إلى السيرك!» وإذا به هو أيضًا يستسلم، وأخذ يضحك بأعلى صوت ويتدحرج إلى سفح التل مع نكو.

وعندما انضم إليهما چوچو والفتى الذئبي عند سفح التل، قال چوچو متذمرًا: «لقد تصرفت بدون احترام مع الساحرة الأم.. إن ماربسا غاضبة جدًا، وهي تقول إنه ما كان عليَّ أن آتي بكما».

قال نكو، وقد كفّ الآن عن الضحك بعد أن أصابته نوبة فواق: «لا تكن.. هك.. لا تكن أحمق.. هك.. يا چوچو».

ثم سألهما چوچو متمنيًا رحيلهما: «هل سترحلان الآن؟ سوف أصطحبكما إلى المركب».

أومأ له نكو وسِبتيموس برأسيهما، فكلاهما يود الآن الانطلاق من الغابة والعثور على چينا قبل أن تنقضي ساعات اليوم.

نظر چوچو في اتجاه الفتى الذئبي وقال: «ألا تزالان تريدان اصطحابه، أم أنه سيبقى؟».

نظر سِبتيموس إلى الفتى الذئبي ليجد عينيه البنيتين الداكنتين تحدقان به مرة أخرى.. وتمنى لو أن يكف عن التحديق إليه هكذا، فمن المفترض أن يكون قد اعتاد الآن ملابس التلميذ التي يرتديها، وهي ليست بهذه الغرابة.. تُرى، أم أنها بالفعل غريبة؟!

رد سِبتيموس قائلًا: «بل سيبقى معكم».

قال نكو: «لكن يا سِب نحن نحتاج إليه، لقد جئنا أساسًا من أجله. لن نستطيع أبدًا العثور على چينا بدونه. لقد مر على آثارها أكثر من يوم، وليس هناك سوى الفتى الذئبي الذي يستطيع أن يقتفي الآثار الباردة».

فرد سِبتيموس قائلًا: «لكننا نعرف الآن مكان چينا، إنها في الميناء».

سكت نكو لوهلة.

ثم قال مندهشًا: «أنت لم تصدق بالطبع كلام هذه الساحرة المجنونة، أليس كذلك؟».

«نكو، إنها ليست مجنونة».

«إنها من طائفة الساحرات على أية حال، والأسوأ من ذلك أنها من ساحرات ويندرون. لقد اعتادت هؤلاء الساحرات من قبل أن يختطفن الأطفال الرضع، وإذا تبين لهن أن الطفل ذكر يتركنه في الخارج لحيوانات الولڤرين، وإذا حدث وضللتَ الطريق وسألت إحداهن فسينتهي بك الأمر في «حفرة الساحرات»، لقد قضت خالة «بو تندرفوت» ذات مرة أسبوعين في حفرة من حفر الساحرات و...».

«من هي بو؟».

«إنها أقرب الصديقات لقلب چينا، أنت تعرفها، إنها تلك الفتاة اللطيفة ذات الشعر البرتقالي».

«اسمع يا نكو، ركز الآن، نحن نريد أن نعثر على چينا، أمازلت تتذكر هذا؟ وهذا هو ما جاء بنا إلى هنا. وأنا أصدق موروينا، وحتى مارشا تقول إن موروينا لديها القدرة على استشفاف الأمور، رغم أنها ترى أن العرافات عديمات الجدوى.. وأنا أعتقد أن چينا الآن في الميناء».

رد نكو متبرمًا: «أنا لا أفهم ما الذي يجعلها تذهب إلى هناك.. إنه مقلب قمامة».

«لا بد أن سايمون أخذها إلى هناك ليسلمها إلى ذلك الغريب الذي قلت إنه يسأل عنها، والذي قالت عنه موروينا أيضًا إنه يبحث عنها.. لا بد أن نذهب إلى هناك بأسرع ما يمكن».

تنهد نكو وقال: «كما تشاء إذن.. هيا بنا إلى الميناء».

قادهما چوچو في الطريق إلى الشاطئ حيث يرسو المركب. وعلى الرغم من كلام سِبتيموس، ظل الفتى الذئبي يتبعهم. وما إن حل نكو وثاق المركب وبدأ چوچو يدفعه من على الشاطئ إلى المياه حتى قفز الفتى الذئبي قفزة سريعة في الهواء هابطًا على متنه في اللحظة التي جرف فيها التيار المركب ليقوده إلى منتصف النهر.

صاح نكو مع تأرجح المركب بشكل خطير: «احترس! ما هذا الذي تفعله؟»، إلا أن الفتى الذئبي جثم عند مؤخرة المركب كالحيوان المفترس، وأخذ يحدق إلى سِبتيموس الذي طفح به الكيل في نهاية المطاف.

وصاح قائلًا: «كفاك تحديقًا إليّ!».

لكنّ عيني الفتى الذئبي ظلتا تحدقان إليه دون أن يرمش لهما جفن ولو مرة واحدة، تتفحصان سِبتيموس عن قرب إلى أن وجد سِبتيموس نفسه يشعر برجفة غريبة تسري في جسده بعد أن بدأ يدرك الأمر.. لقد كان في هذا المكان من قبل.. على متن مركب.. في النهر.. كان بالقرب من الغابة.. وكان مع الفتى الذئبي.

وفجأة، شعر ببرودة تسري في جسده، وذهب يجلس القرفصاء إلى جوار الفتى الذئبي، وأصبح هو الآن الذي يُحدق إليه .. وهمس قائلًا: أربعة صفر تسعة؟».

أومأ له الفتى الذئبي برأسه، ثم نطق لأول مرة منذ أربعة أعوام، وقال بابتسامة عريضة علت وجهه: «وأنت أربعة واحد اثنان».

أبحر المركب في النهر مع حركة الجزر، بينما جلس الفتى الذئبي وسِبتيموس عند مؤخرة المركب، وكل منهما يلف ذراعه على كتف الآخر، وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة عريضة.

قال نكو متأملًا: «إنه يذكرني بك عندما عثرنا عليك. أتذكر أنك كنت ترفض طوال الوقت أن تنطق بكلمة واحدة، وكل ما كنت تفعله أنك كنت تحدق إلينا كأننا مجانين؛ كان شعورًا مخيفًا».

قال سِبتيموس: «سامحني على ذلك».

«لا داعي للاعتذار، فلم يزعجنا ذلك، لقد أحببناك. الفكرة أننا لم نفهم لماذا كنت ترفض الحديث معنا.. لا بد أنه أمر متعلق بجيش الشباب.. من المؤكد أن الحياة فيه كانت مرعبة».

قال الفتى الذئبي ببطء شديد، بعد أن بدأ يعتاد سماع صوته: «نعم، هذا صحيح.. كان من المستحيل أن تثق بأحد هناك، لكنني كنت أثق بـ 412».

ثم خيم الصمت على المركب، شغل نكو نفسه بضبط الأشرعة، بينما أخذ سِبتيموس يحدق إلى النهر. وبعد قليل، تحدث سِبتيموس قائلًا: «لقد حاولت أن أجعلهم يعودون لإنقاذك، لكنهم رفضوا.. رفضوا.. وضحك حينها القائد كاديت وقال لنا ماذا كنا نتوقع إذن؟ إنها مهمة الإنجاز أو الموت، وأنت كنت أول من كان مصيره الموت

في تلك المهمة، لقد كان متحمسًا جدًا لذلك، وحاولت أن أقفز لإنقاذك لكن القائد كاديت ضربني وطرحني أرضًا، ولم أعد إلى وعيي إلا عندما وصل المركب إلى البر وألقوني في المياه.. أنا آسف، كان ينبغي عليَّ إنقاذك».

لم ينطق الفتى الذئبي لوهلة، ثم قال: «لا، بل كان ينبغي عليَّ أنا أن أنقذك أنت. فأنا هربت من الجيش وأنت بقيت فيه. لقد سبحت حينها إلى البر واختبأت. وفي اليوم التالي رأيتك في الغابة، لكنني خشيت أن يراني أحد، ولذلك ظللت مختبئًا، وكان ينبغي عليَّ حينها أن أنقذك، لكننا أصبحنا حُرَّيْن، وليس أنا فقط».

قال سبتيموس: «لا تشغل بالك، فلو فعلت، لما تمكنت من أن أعرف من أنا، كما أننا أصبحنا الآن حُرَّيْن».

همهم الفتى الذئبي: «حُرَّيْن..»، وهو يُحدق حالمًا من فوق جانب المركب وهو يشق طريقه وسط هدوء المياه الخضراء، متوجهًا إلى الميناء.

24
الميناء



كان يومًا حارًا طويلًا. وشقت چينا وستانلي ورعد طريقهم على امتداد الشاطئ. كان البحر هادئًا يتلألأ بزرقة براقة في ضوء الشمس، وامتدت التلال الرملية أميالًا وراء أميال. انتهت چينا في التو من سقي رعد بآخر رشفة من مياه الينبوع التي ملأت بها الزجاجة صباح اليوم. وعندما أمالت الزجاجة لتشرب هي وستانلي، اكتشفت أن كل ما تبقى فيها ليس سوى بضع قطرات ساخنة صدئة لها مذاق معدني. وبتوتر، ألقت الزجاجة بعنف في حقيبة السرج، وتساءلت في سرها، وليست للمرة الأولى، عما

إذا كانت فكرة ستانلي أن يصلا إلى الميناء بالسير على امتداد الشاطئ فوق ظهر الحصان كانت بالفعل صائبة أم لا.

فسرعان ما اكتشفت چينا أن قطع الطريق على امتداد الرمال الناعمة أمر شاق جدًا على الحصان؛ ولذلك نزلت إلى خط المد حيث يستطيع السير على الرمال الثابتة التي غادرتها مياه المد، لكن مع مجيء فترة الظهيرة، تقدمت مياه المد على الشاطئ، وبات رعد يتقدم بمشقة وسط الرمال الجافة الناعمة التي تنجرف من جهة التلال الرملية.

كانت الشمس تهبط فوق خط الأفق، عندما دار رعد وهو يسير متثاقلًا عند سفح آخر تل رملي، وتمكنت چينا، لسعادتها، من أن ترى الميناء على مبعدة منهم، وخلفه السماء قد بدأت تتلون بلون أحمر. شعرت چينا بالإرهاق، وباحتراق بشرتها من أثر الشمس، لكنها مع ذلك واصلت غمر رعد الذي تثاقلت خطواته بفيض من الكلمات المشجعة، وهي تحثه على أن يصل بهما إلى مقصدهما.

أما ستانلي فدب في جسمه النشاط، وقال معلنًا، وهو يعتدل في جلسته فوق السرج وراء چينا وينظر بابتهاج حوله: «أنا دائمًا أتحمس كل مرة أصل فيها إلى الميناء، وتقع عيناي عليه.. ولو حدثتك عن كَمِّ الأنشطة التي يمكن القيام بها هناك، وكَمِّ الجرذان التي يمكن مقابلتها.. لكن هذا بالطبع لا ينطبق على هذه المرة، فأنا هذه المرة أمامي مهمة لا بد أن أنجزها.. لكن، من كان يتصور ذلك؟ جرذ من «جرذان جهاز المخابرات» يقوم بمهمة البحث والإعادة للقصر *الملكي*! يا لها من بداية رائعة لمستقبلي الجديد! ليت داوني وأختها الحمقاء تتعظان».

فسألته چينا وهي تميل للأمام تربت على عنق رعد: «من هي داوني؟».

«إنها زوجتي.. أو هكذا كانت.. إنها تعيش مع أختها مابيل الآن.. وبيني وبينك، لقد بدأت داوني تندم على تركها البيت.. ها! إن مابيل ليست من النوع الذي يسهل العيش معه، بل لو سألتني لقلت لك إن العيش معها مستحيل تمامًا»، ثم ألقى نظرة على چينا متسائلًا في سره أيستمر في سرد بعض القصص عن أخبار مابيل، ثم قرر أنها لن تكون مثيرة، فچينا بدت مرهقة ومنشغلة البال أيضًا، فقال لها: «لقد كدنا نصل إلى الميناء».

ردت چينا بنبرة الواثقة من نفسها خلافًا لما تشعر به حقًا: «عظيم»؛ فقد أدركت من شكل ظلال التلال الرملية التي بدأ طولها يزحف بسرعة على الشاطئ، ومن النسيم البارد القادم من البحر أنه ليس هناك أمل في الوصول إلى كوخ العمة زيلدا قبل أن يحل الظلام. ومن ثم، سوف تضطر لأن تقضي الليلة في الميناء.. لكن أين؟ ولقد سبق لها أن سمعت من نكو العديد من القصص والحكايات عن المستوى المتدني للحياة في الميناء، فالمهربون واللصوص والنشالون كلهم ينتظرون للاحتيال على الغرباء ما إن يحل الظلام.. فماذا تفعل إذن؟

ثم قالت لرعد: «هيا يا رعد، نريد أن نصل قبل أن يحل الظلام».

قال ستانلي بابتهاج: «لا تأملي ذلك، فأمامنا ساعة حتى نصل، إن لم يكن أكثر».

فهمهمت چينا قائلة، وهي تنظر بتوتر وراءها بعد أن اعتراها إحساس بأن هناك من يتعقبها: «شكرًا يا ستانلي».

حلَّ الظلام، وبدأ رعد يسير على امتداد شاطئ البلدة المغطى بالحصى، متوجهًا نحو مزلاق السفن الجنوبي الذي يقع عند الأطراف الخارجية للميناء. وأخذت حوافره ترتطم بالأرض الحجرية مُصدرة صريرًا يزعج چينا بعد أن كان يسير على الرمال الناعمة. كانت أطراف الميناء مظلمة وهادئة هدوءًا مخيفًا، والمخازنُ المتداعية تصطف في الشوارع الضيقة وترتفع عاليًا في كبد السماء، جاعلةً الشوارع تبدو كأنها خور عميق؛ مما منحها شعورًا غير مريح ذكَّرها بأرض الأشرار. وكان معظم المباني مهجورة، لكن مع ارتداد صوت حوافر رعد بين الجدران المبنية بالطوب وسماع صداها، كانت چينا تلمح بين حين وآخر ظلاً يطل عليهم من فتحة هناك ترتفع عاليًا عن الشارع ويراقبهم وهم يشقون الطريق.

وكز ستانلي چينا في ظهرها.

فصرخت: «آ آه!».

«لا تفزعي هكذا، إنه أنا».

«أنا آسفة يا ستانلي. فأنا مرهقة والمكان هنا مخيف، ولا أعلم أين سأقضي الليلة هنا، فأنا لم أمكث وحدي هنا من قبل»، ثم خطر على بالها أنها لم تمكث أساسًا في أي مكان آخر وحدها من قبل.

قال ستانلي وقد بدا عليه خيبة الأمل: «إذن، لماذا لم تذكري ذلك من قبل؟ لقد ظننت أننا سنتوقف عند القائد ريف أو ما إلى ذلك من الشخصيات ذات المقام العالي والنفوذ».

فغمغمت چينا: «لا».

«ومع ذلك، أنا واثق من أنه سيسعده تمامًا أن يجد شخصًا في مثل مقامك ينزل عنده. أنا واثق من أنه سيشرفه ذلك».

ردت چينا عليه بحزم: «لا يا ستانلي، فأنا لا أريد أن يعرف أحد أنني هنا. فأنا لا أعرف من الذي يمكن أن أثق به».

قال ستانلي: «طبيعي.. أرى أن السيد هيب أثر فيك وجعلك مهزوزة بعض الشيء. وأنا لا ألومك، فهو شخصية مزعجة تمامًا.. إذن، في هذه الحالة أقترح عليك الذهاب إلى فلوري باندي، إنها تدير نُزلًا منعزلًا تمامًا بجانب أرصفة الميناء، ولديها خلفه حظائر للخيول. يمكنني أن آخذك إليها إن شئت».

«ياه! أشكرك يا ستانلي»، وشعرت چينا على الفور وكأن حملًا ثقيلًا رُفع عن كاهلها؛ فهي لم تكن تدرك كم القلق الذي كان يسيطر عليها؛ لأنها لا تعرف أين يمكن أن تقضي هذه الليلة.

ثم حذرها ستانلي قائلًا: «لكن عليك أن تعلمي، فهو ليس بالمكان الذي يمكن أن أعده من الأماكن الأنيقة. فسوف تضطرين لأن تتحملي قدرًا من القاذورات.. بل قدرًا معتبرًا في واقع الأمر. كما أنه ليس بالمكان الأمين - على حسب علمي بفلوري.. لكنها شخصية لا بأس بها».

ولأن چينا كانت مرهقة إلى حد أنه ما عاد يعنيها أي شيء، قالت له: «خذني فحسب إلى هناك يا ستانلي».

قاد ستانلي چينا وسط منطقة المخازن بشوارعها الضيقة، إلى أن وصلا إلى الجانب النشط في المنطقة التجارية من البلدة الموازي لرصيف الميناء. كان هذا المكان هو الذي تتوقف عنده السفن الشاهقة بعد قضائها شهورًا في البحار، وهي محملة بالأعشاب والبهارات العجيبة، والحرير والأقمشة الفاخرة، وسبائك الذهب والفضة، والزمرد والياقوت، ولآلئ جزر البحر الجنوبي. ومع اقتراب رعد من المنطقة الموازية لرصيف الميناء، كان في وسع چينا أن ترى سفينة ضخمة، مقدمتها منحوتة نحتًا رائعًا، عبارة عن تمثال نصفي لامرأة لها شعر أسود سواد الليل، يجري تفريغ شحنتها. كانت المنطقة الموازية للرصيف تضيئها مصابيح زيتية تلقي بظلال ممتدة تتراقص يمينًا ويسارًا على البحارة والحمالين وعمال التفريغ وهم ينطلقون صعودًا وهبوطًا على المعابر الخشبية، منشغلين بتفريغ البضائع من السفن، كأنهم نمل يتحرك ذهابًا وإيابًا من وإلى مساكنه.

وتوقف رعد عند أطراف الجموع المنشغلة، لا يستطيع أن يجد طريقًا يمر منه بين هذه الحشود واضطرت چينا إلى الانتظار حتى ينفض الازدحام قبل أن تواصل السير بالحصان، مبهورة بالمشهد الذي يجري أمامها. جلست على ظهر الحصان وراقبت أربعة بحارة يجاهدون بشق الأنفس لحمل صندوق ذهبي ضخم على المعبر الخشبي. وكان وراءهم مباشرة عامل من عمال التفريغ، يحمل زَهرية مزخرفة، يكاد يصل

ارتفاعها إلى ضعف طول قامة الرجل، وينسكب منها مع كل خطوة يخطوها عدد من العملات الذهبية، بينما كان يجري وراءه صبي صغير يلتقط بمرح وابتهاج هذه العملات، ويدسها في جيوبه.

وبعد أن وصلت الكنوز إلى البر، تم حملها على طول المنطقة الموازية للرصيف، حيث اختفت في مخزن ضخم تضيئه الشموع من خلال أبوابه الضخمة المفتوحة على مصاريعها. راقبت چينا تدفق سيل الكنوز إلى المبنى، ولاحظت امرأة مهيبة ترتدي رداء أزرق طويلًا، على أكمامه الشريط الأصفر المجدول الخاص برئيسة موظفي الجمارك، تقف لدى الباب، وبجوارها اثنان من الموظفين يجلسان على مقعدين مرتفعين، كل منهما أمامه نفس القائمة الآخذة في الامتداد بشكل سريع. ومع دخول بضاعة ثمينة جدًا، توقف الحمّالون للحظة إلى أن أشارت رئيسة موظفي الجمارك للموظفين بالقطع التي سيسجلونها. كان يقاطعها من آن لآخر رجل طويل القامة شعره أسود، يرتدي ثيابًا فخمة عبارة عن عباءة مستوردة من الحرير الأحمر القاتم.

بدا أن صبر رئيسة موظفي الجمارك - بشكل أو بآخر - قد نفد من مقاطعات الرجل المتكررة، ولم تتركه يعطلها عن سيل التعليمات التي توجهها للموظفين. تكهنت چينا بأن الرجل هو صاحب السفينة، وهو يجادل في تقييم رئيسة موظفي الجمارك لشحنته.

كان تكهن چينا صائبًا؛ فالسفن الرابضة في الميناء، بعد أن يتم تفريغها وتخزن كل البضائع بأمان في المخزن الذي تُحجز فيه إلى أن يتم دفع الرسوم المفروضة عليها، يأخذ مالك السفينة قائمة، بينما تحتفظ

أليس نيتلز- رئيسة موظفي الجمارك- بالقائمة الأخرى، وبمفتاح المخزن أيضًا، إلى أن تتفق مع المالك على الرسوم الواجب دفعها، ويتم بالفعل دفعها.. وقد يستغرق هذا الأمر دقيقتين وقد يمتد إلى ما لا نهاية، حسب مدى احتياج المالك لتخليص شحنته من الميناء، ومدى عناده. وهناك ستة مخازن من التي تُخزن فيها البضائع إلى أن يتم دفع رسومها الجمركية تحتوي على بضائع مُهمَلة وفاسدة - مرت چينا ببعضها هذا الصباح- وهذه البضائع هي شحنات محل نزاع، تم تفريغها من سفن دخلت الميناء منذ مئات السنين.

بدأ تدفق البضائع من السفن يتباطأ، كما بدأ موظف الحسابات يدفع يوميات العمال. وفي تلك الأثناء، كانت چينا قد استرعت انتباه البعض بعد أن تباطأت الحركة وأصبح العمال أقل انشغالاً وفي وسعهم الالتفات حولهم. أما في داخل المخزن، ولسعادة أليس نيتلز، فقد رفع الرجل الأجنبي طويل القامة عينيه عن شحنته التي تدخل المخزن، بعد أن حوّل انتباهه إلى الهيئة الباهرة رغم صغرها، بطوقها الذهبي الذي يحيط شعرها الأسود وهو يتلألأ في ضوء المصابيح، وبردائها الأحمر بحوافه الذهبية وهو يبرق، بينما كانت هذه الهيئة الصغيرة تجلس معتدلة فوق ظهر حصان أسود، وتتدلى فوق كتفيها عباءة زرقاء داكنة فاخرة.. همهم الرجل ببعض الكلمات إلى أليس نيتلز، فبدا عليها الاندهاش، ثم أومأت له برأسها دون أن ترفع عينيها عن فيل ذهبي ضخم يُحمل أمامها، تركها الرجل وتوجه نحو الباب.

وفي تلك الأثناء، بدأت چينا تدرك أنها تجذب انتباه عمال التفريغ، فنزلت على الفور من فوق ظهر رعد وبدأت تقوده وسط حشد العمال المتدافعين، بينما أخذ ستانلي يرشدها إلى الطريق وهو جالس على رأس رعد باحثًا عن منفذ وسط الزحام، وكان يقول: «اتجهي قليلًا إلى اليسار.. لا لا.. إلى اليمين قليلًا.. يمينًا.. ياه! انظري! هناك منفذ.. هناك.. لقد فاتك.. لا بد أن تلتفتي الآن لنعود إليه».

فقالت له چينا بحدة: «أف! أرجوك اصمت قليلًا يا ستانلي»؛ إذ شعرت فجأة بالانزعاج؛ لقد أدركت أن هناك شخصًا يتعقبها، وكل ما كانت تريده الآن هو أن تمر وسط هذا الزحام، وتقفز فوق ظهر رعد لتنطلق به بعيدًا.

فهمهم ستانلي قائلًا: «فقط كنت أريد أن أساعدكِ».

تجاهلت چينا ستانلي، وأخذت تشق الطريق قُدمًا وهي تسحب الحصان، وتقول: «أرجوكم.. معذرة، هل تسمحون لي بالمرور.. شكرًا.. أرجوكم.. ». وأوشكت چينا على المرور وسط الزحام، وأصبح في وسعها الآن أن ترى مساحة خالية أمامها، ولم يتبقَّ سوى أن تمر عبر هذه المجموعة من البحارة المنشغلين في فك أحد الحبال، وحينها ستستطيع الانطلاق. فلماذا يصر رعد على التقهقر الآن في الوقت الذي تحتاج فيه هي أن تتقدم للأمام؟ فقالت له بتوتر: «هيا يا رعد.. هيا»، ثم شعرت فجأة بأن هناك من يشد اللجام، فالتفتت لترى ما الذي يؤخر رعد.

وهنالك، لهثت چينا وهي ترى يدًا ضخمة تمسك اللجام بقوة، نظرت متوقعةً أن ترى أحد البحارة تملكه الغضب لأن رعد وطئت رجله حبله،

وإذا بها تجد نفسها تحدق إلى الغريب ذي الشعر الأسود الذي رأته واقفًا إلى جوار رئيسة موظفي الجمارك.

قالت چينا للرجل بحنق: «ارفع يدك عن الحصان.. ابتعد».

لكن الغريب ظل قابضًا على اللجام وهو يحدق بإمعان إلى چينا، ثم سألها بصوت خفيض: «من أنتِ؟».

قالت چينا على الفور، مُصرة في سرها ألا تظهر له مدى رعبها: «هذا ليس من شأنك.. اترك حصاني».

فرفع الرجل قبضته عن اللجام دون أن يرفع نظره عن وجهها، وظل محدقًا إليها بتعبير قوي يعلو وجهه، وجدته چينا مزعجًا فالتفتت تنظر بعيدًا باضطراب، وبسرعة قفزت فوق السرج، وهي تركل رعد ركل الجري السريع، تاركةً الغريب يلاحقها ببصره عند المنطقة الموازية للرصيف.

صاح ستانلي وهو يتعلق بقوة في أذني رعد: «إلى اليسار من هنا.. قلت إلى اليسار».

وانطلق رعد كالصاروخ إلى اليمين.

فهمهم ستانلي قائلًا: «لا أفهم ما الذي يحشرني في كل هذا»، لكن چينا لم يكن يعنيها أي اتجاه يسلكه رعد، فأي اتجاه لا بأس به ما دام سيأخذها بعيدًا عن ذلك الغريب طويل القامة.

25

بيت الدمية



قال ستانلي بكبرياء: «*أنا لم أضل الطريق*، العضو في جهاز مخابرات الجرذان لا يضل أبدًا. أنا فقط أعيد تقييم الاتجاه».

فردت چينا قائلة: «إذن، أنجز وقيم بسرعة، قبل أن يلحق بنا مرة أخرى ذلك الرجل الموجود عند رصيف الميناء.. أنا متأكدة من أنه يتبعنا».

كان ستانلي وچينا في منتصف شارع «ممشى الحبال»، المتفرع من شارع «صف الحانات» في أقذر منطقة بالميناء. نزلت چينا من على ظهر الحصان بعد أن أصر الجرذ على أن البيت المتهدم تمامًا والموجود

أمامهما هو نُزل فلوري باندي. لكن للأسف لم يكن البيت هو نزل فلوري، بل كان بيتًا من ممتلكات «مجموعة ساحرات الميناء» سيئات السمعة، وهن بلا أدنى مجال للشك لسنَ من الساحرات البيضاوات، ولا يتقبلن برحابة صدر أن يدق على بابهن جرذ في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل، وتمكن ستانلي بالكاد أن يفلت من التحول إلى ضفدع - فلم ينقذه من هذا الموقف إلا تدخل چينا السريع بنصف كراون فضية، أعطتها للساحرة في مقابل شراء تعويذة الضفدع.

غمغم ستانلي، وهو يرتجف قليلًا، ويُمرر أصابعه على وجهه؛ ليتأكد أن جسمه لا يزال مغطى بفرو الجرذان لا بجلد الضفادع: «أنا لا أفهم ذلك، أنا متأكد أن هذا هو نُزل فلوري».

قالت چينا وقد علاها بؤس شديد: «ربما كان كذلك، ربما حولتها الساحرات أيضًا إلى ضفدع».

كان الشارع مزدحمًا بالمارة، منهم من هو قادم ومنهم من هو ذاهب، فهناك عرض مسائي متأخر هذه الليلة سيقدمه سيرك في حقل متاخم للميناء، وكان المارة المتوجهون إلى السيرك، وسط ضجيج ثرثرتهم، يتدافعون وهم في طريقهم مرورًا بچينا ورعد وستانلي، ومن بين هذه الثرثرة، تسلل صوتان مألوفان إلى أذني چينا.

«لكنها قالت لا تذهبا *إلى السيرك*».

«هيا هيا.. سنمرح هناك.. أتصدق كل هذا الكلام السفيه الذي تحدثت به؟».

علمت چينا من هما صاحبا هذين الصوتين، فتفحصت الوجوه وسط هذا الزحام، لكنها لم تر شيئًا. فصاحت: «سِبتيموس؟ نكو؟».

قال صوت من خلف امرأة عملاقة جدًا تسير نحو چينا، وتحمل سلتين ضخمتين للرحلات: «يا له من أمر غريب يا سِب! لقد خُيل إليّ أنني سمعت شخصًا يصيح باسمينا».

«ربما كانا شخصين آخرين لهما نفس اسمينا».

«لا أحد غيرنا يُسمى بمثل هذه الأسماء الغريبة، خاصة اسمك أنت».

«في الحقيقة، اسم نكو هو الأغرب، فعلى الأقل إن لاسمي معنى».

والآن، أصبحت چينا متأكدة؛ لقد رأت شعر سِبتيموس الذهبي يطل من خلف إحدى سلتي الرحلات، فانطلقت كالسهم للأمام وأمسكت به.

وصاحت قائلة: «سِبتيموس! لا أصدق نفسي يا سِب.. إنه أنت بالفعل.. يا إلهي!».

قال سِبتيموس لاهثًا: «چين؟ لكن... إنه أنت بالفعل يا چين.. ياه! أنت بخير.. وسالمة.. وأنت بالفعل هنا.. أنا لا أصدق نفسي!».

ثم انقضت چينا على سِبتيموس تحتضنه بقوة وهي تؤرجحه، وقفز نكو فوقهما وهو يكاد يسحقهما.

«يا لها من فرحة! لقد عثرنا عليكِ.. عثرنا عليكِ.. هل أنتِ بخير يـا چين؟ لكن ما الذي حدث؟».

قالت لهما چينا وقد لاحظت الفتى الذئبي: «سوف أحكي لكما فيما بعد.. هل هو معكما؟».

وكان الفتى الذئبي متقهقرًا في الخلف بعيدًا عن الشمل الذي تجمَّع، وبدت عليه الحيرة والارتباك.

قال نكو بابتسامة: «نعم.. سوف نحكي لكِ فيما بعد».

ثم قال ستانلي لنكو الذي من شدة حماسه وطئت قدمه على ذيله: «لو سمحت، هل لك أن ترفع قدمك من على ذيلي؟» نظر نكو للأسفل، بينما نظر ستانلي لأعلى وقال: «إنك تؤلمني، فقدمك ثقيلة جدًّا».

قال نكو وهو يحرك حذاءه الطويل: «أنا آسف.. ياه! انظري يا چين، إنه الجرذ الرسول».

قال ستانلي مصححًا: «بل الجرذ *العميل السري*.. أنا أذهب إلى أي مكان وأفعل أي شيء».

فعقبت چينا قائلة: «فيما عدا العثور على نُزل فلوري باندي».

رد الجرذ معلنًا، وهو يشير إلى مبنى مزخرف بشكل مزعج، حوائطه الطوب مطلية بألوان مختلفة، وملاصق لبيت الساحرات، وتعلو بابه لافتة ضخمة مرسومة يدويًّا ومكتوب عليها:

«بيت الدمية

وجبات طعام ومبيت للنزلاء الفطناء

الدفع مقدمًا..

«لقد زينته بعد آخر مرة جئت فيها، كما أنها غيرت الاسم.. اتبعوني».

* * *

بعد عشر دقائق، كان الفتى السائس قد أخذ «رعد» إلى الحظيرة خلف البيت، وقالت لهم الممرضة ميريديث – وهي امرأة شعثاء، عيناها محملقتان ونظراتها مجنونة – إنها تسلَّمت العمل من فلوري منذ وقت ليس ببعيد. عدت الممرضة ميريديث النقود التي أعطتها لها چينا ثلاث مرات ودستها بقوة في جيب عميق بمريلتها التي يصعب وصفها بأنها نظيفة.

وبدأت چينا ونكو وسبتيموس والفتى الذئبي وستانلي الآن يتبعون خطى الممرضة بهيئتها الضخمة ويصعدون سُلمًا متربًا.

قالت لهم الممرضة، وهي تحشر نفسها لتلتف عند ركن ضيق تمامًا: «سوف تضطرون لأن تأخذوا الغرفة الملحقة. إنها الوحيدة الشاغرة. أنتم محظوظون. فأنا منشغلة جدًّا هذا المساء، بما أن السيرك حضر إلى البلدة. فأنا معروفة جدًّا لجمهور السيرك، حقًّا أنا مشهورة».

ردت چينا بأدب، وهي تمر بحرص من فوق دمية كبيرة ملقاة على إحدى درجات السلم: «فعلاً؟». كان البيت ممتلئًا بدُمى من جميع الأشكال والأحجام، منها ما هو حبيس في صناديق زجاجية، ومنها ما هو مكوَّم عاليًا فوق أرجوحة شبكية مكدسة تتدلى من السقف ومثبتة في الحائط بمسامير، هذا عدا أعدادًا لا حصر لها من الدمى التي تصطف فوق السلم، وكان نكو بالطبع قد داس على اثنتين منها على الأقل حتى الآن، بينما كان سبتيموس يبذل قصارى جهده كي يتجنب حتى النظر إليها، فمنظرها كان يجعله يرتجف وكأن هناك شيئًا ميتًا في نظراتها، وكلما مرَّ بدمية منها تملكه شعور غريب بأن هناك شيئًا يراقبه.

وبعد أن داس نكو على دمية أخرى، قالت الممرضة ميريديث بحدة: «ابتعد عن صغاري! جرب أن تكرر ذلك أيها الشاب، وستجد نفسك في الخارج فورًا».

غمغم نكو: «أنا آسف»، وهو يتساءل في سره ما الذي يجعل چينا تريد أن تقيم في مثل هذا المكان؟ وأخيرًا، وصلوا إلى سطح البيت، لكن ما إن وصلوا حتى سمعوا على الفور طَرقًا شديدًا على الباب الخارجي رجَّ السلم فانحنت الممرضة ميريديث لدى الدرابزين، وصاحت للخادمة الموجودة في الطابق السفلي والتي تقيم في خزانة أسفل السلم:

«كامل العدد يا مورين، قولي لهم أن ينصرفوا».

هرعت مورين لتفتح الباب، ونظرت چينا للأسفل من باب الفضول؛ تريد أن ترى من هذا الشخص المعتوه الذي يريد أن يقيم في بيت الدمى. لكن ما إن فتحت الخادمة الخجول بهيئتها النحيلة الباب حتى شهقت چينا وقفزت للوراء في الظل، لقد رأت الوجه الذي كانت تخشى أن تراه واقفًا لدى عتبة الباب؛ إنه ذلك الغريب الذي كان لدى رصيف الميناء.

همس نكو قائلًا: «ما خطبك يا چين؟».

«الـ... الرجل الذي يقف لدى الباب.. لقد تتبعني من رصيف الميناء إلى هنا.. إنه يتعقبني..».

«من هو يا چين؟».

«لا.. لا أعلم.. لكنني أظن أن الموضوع لا بد أن يكون له علاقة بسايمون».

قالت الممرضة ميريديث بحدة: «أنا لا يهمني من هو يا آنستي، لكنه لن يقيم هنا الليلة».

ثم سمعوا صوت مورين الهزيل قادمًا من الطابق السفلي بعيدًا وهي تقول: «أنا آسفة يا سيدي، العدد كامل الليلة».

كان صوت الرجل الغريب لاهثًا ومتوترًا وهو يقول: «أنا لا أريد الإقامة يا آنسة، أنا أريد أن أسأل عن شخص. لقد قيل لي إن هناك فتاة شابة وحصانها يقيمان...».

صاحت الممرضة للخادمة تقول: «قولي له أن ينصرف بعيدًا عن هنا يا مورين!».

فقالت مورين بنبرة اعتذار وهي تغلق الباب بحزم: «أ... آسفة يا سيدي، انصرف من هنا».

لكن ما أثار فزع چينا أن الرجل الغريب واصل الطَّرْق على الباب، إلا أن الممرضة ميريديث لم تهتم، وصاحت بغضب تقول: «اذهبي واسكبي دلوًا من ماء غسيل الأطباق القذر على رأسه يا مورين!»، فذهبت مورين تنفذ ما أُمرت به، بينما التفتت الممرضة ميريديث إلى آخر زبائنها، وقالت: «اتبعوني لو سمحتم»، ثم تسلقت نافذة طويلة وخرجت منها.

تبادلت چينا ونكو وسبتيموس نظرات خاطفة في اندهاش.. يتبعونها خارج النافذة، لماذا؟!

فأطلت برأسها من النافذة وقالت لهم: «أنا لن أنتظركم طوال الليل.. هل ستأتون أم لا؟ لأنكم إن لم تأتوا، سأذهب وأحضر السيد الذي حضر توًا وأعطيه الغرفة.. أنتم أطفال غير حافظين للجميل».

وعلى الفور، تسلقت چينا النافذة وهي تقول: «لا لا، لا تعطيها له. نحن قادمون»، ثم واصلوا طريقهم إلى الغرفة الملحقة عبر المرور بجسر خشبي ضيق، يمتد بين الفراغ الذي يفصل بين «بيت الدمية» والبيت المجاور له. ولم يتمكن سبتيموس من المرور عليه إلا وهو ممسك بالفتى الذئبي دون أن ينظر إلى الهوة السحيقة التي تفصل بين البيتين. وعند نهاية الجسر، فتحت الممرضة ميريديث نافذة أخرى.

«إنها هنا، احشروا أنفسكم لتمروا من أمامي واقفزوا إلى الغرفة. فأنا لن أظل هنا طوال الليل معلقة بين النوافذ».

قال سبتيموس في سره إن مروره محشورًا من أمام ميريديث على جسر ضيق يهتز مع كل خطوة - لهو أكثر رعبًا من حصار حيوانات الولفرين. لكن چينا شدته ثم دفعه نكو إلى أن سقط وساقاه تتخبطان ببعضهما البعض في الغرفة الملحقة من خلال النافذة المفتوحة، ولبث ممددًا على الأرض وهو يرتجف محدقًا إلى السقف الملطخ. ومن ثم، قرر سبتيموس في سره أن الأمر بات محسومًا الآن، فهو مضطر لأن يمكث في هذه الغرفة طوال حياته؛ لأنه - لا محالة - لن يستطيع أن يكرر العودة سيرًا على هذا الجسر.

وما إن أصبحوا جميعًا في الغرفة حتى أطلت عليهم الممرضة ميريديث، ثم قالت: «تعليمات النُّزل معلقة على الباب، وعند أي إخلال بها سوف تطردون من هنا على الفور، مفهوم؟».

فأومئوا لها جميعهم برءوسهم.

ثم واصلت الممرضة ميريديث كلامها بنبرة سيدة الأعمال وهي تقول: «الإفطار يُقدم فقط بين الساعة السابعة والسابعة وعشر دقائق، هناك ماء ساخن بين الساعة الرابعة والرابعة والنصف في فترة العصر فقط، كما أنه غير مسموح بإشعال نار أو بالغناء أو الرقص. وعلى المقيمين في الغرفة أن يتذكروا أنهم رغم كونهم ضيوفًا على بيت الدمى، فهم في واقع الأمر يقيمون في ملك «مجموعة ساحرات الميناء»، وهم يتحملون مسئولية ذلك. وإدارة بيت الدمية لا تتحمل أي عواقب تطرأ من خلال هذا الاتفاق.. وقبل أن أنسى، أتريدون تناول الجرذ على العشاء؟ لا أظن أنكم ستحصلون منه بعد طهوه إلا على قدر بسيط من الحساء، لكن مورين تستطيع أن تتصرف إن شئتم. فكلتانا مولعة بحساء الجرذان.. سوف آخذه معي، أليس كذلك؟».

قالت چينا لاهثة، وهي تمسك الجرذ بقوة: «نعم، أقصد، أشكرك، هذه لفتة لطيفة جدًا، لكننا لسنا جائعين».

«يا للخسارة! إذن، ربما تريدون أن تتناولوه على الإفطار.. تصبحون على خير»، ثم صفقت النافذة وراءها، وعادت إلى «بيت الدمية» عبر الجسر وهي تتأرجح عليه.

قال نكو مكشرًا: «أممم! المكان لطيف جدًا يا چين».

26

سلوث



كان *الوقت مبكرًا جدًا من صباح اليوم التالي*، وما كادت السماء من جهة شرق شارع «ممشى الحبال» تتحول إلى اللون الوردي حتى وصل سلوث وهو كرة خضراء مضيئة وأخذ يتدحرج بصخب على امتداد منتصف الطريق مُصدرًا ضجيجًا، ثم توقف خارج بيت «مجموعة ساحرات الميناء».

توقف سلوث لوهلة، وهو يقفز في مكانه يلتقط أنفاسه اللاهثة، وكان سعيدًا؛ فهو يعلم أنه كاد يصل إلى مقصده. وهو منذ أن ألقاه سيده في الخارج مع **بطاقة التعريف**، يتعقب بإخلاص ليس فقط آثار قدمي چينا، بل أيضًا وتيرة الرحلة نفسها التي قامت بها، فكان يُسرع أينما كانت تُسرع چينا ويتوقف حيثما تقف؛ وهذا هو سبب انتظار الكرة الخضراء

للحظة في هذا المكان الذي وقفت فيه چينا تحديدًا، تشكك في قدرة ستانلي على تحديد الاتجاهات منذ فترة لم تتجاوز عدة ساعات.

فهكذا يعمل «الكرة المتعقبة»، وهي طريقة فعَّالة تمامًا، وإن كان ذلك لا يخلو من بعض المتاعب التي تطرأ من آنٍ لآخر، مثلما حدث ظهر اليوم عندما غطت الأمواج المتلاطمة الطريق الذي سلكته چينا مبكرًا بعد أن ارتفعت مياه المد عشرة أقدام؛ مما أدى إلى تعطل سلوث بعض الوقت، ومما زاد من هذا التعطل أن الرمال غطته بعد ذلك، وسلوث يعلم أن سيده لن يسعده هذا التأخير؛ ولذلك كان قلقًا، يريد مواصلة مهمته بأسرع وقت. فأخذ يشق طريقه وهو يقفز على الأرض إلى أن وصل إلى باب بيت «مجموعة ساحرات الميناء»، وهنالك شعر فجأة برغبة ملحة في أن يتحرك من جديد، وما إن حاول الانطلاق حتى انفتح الباب وامتدت في لمح البصر يد واختطفته.

صاحت الساحرة بنبرة انتصار: «أمسكته!» تملك سلوث الغضب، وأخذ يقاوم الساحرة، لكنها كانت تمسكه بإحكام.

لمح سلوث وجهًا آخر لساحرة أكبر سنًا يعلوه هو أيضًا الذهول، وقالت الساحرة عندما أظهرت لها ليندا صيدها: «*بماذا أمسكتِ يا ليندا؟*»، ثم ارتسمت على وجهها علامات الذعر، وواصلت قائلة: «باه! إن «المجموعة» في الطابق العلوي.. أتريدين أن نُقتل جميعًا؟».

قالت الساحرة الأخرى الأصغر سنًا بحدة: «ما هذا الذي تتحدثين به؟ أنت غاضبة فحسب بعد أن أفلت منك الجرذ مبكرًا هذا اليوم.. على أية حال، إن الكرة أصبحت ملكي الآن، إليكِ عني».

«ليندا، لصالح (المجموعة)، دعيه يرحل. إنه ملك السيد، وهو (كرة متعقبة) في مهمة الآن.. اتركيه في الحال!».

أسقطت الساحرة الكرة من بين يديها وكأنها كانت ممسكة بثمرة بطاطس ساخنة، ثم هز سلوث «الكرة المتعقبة» نفسه وعاد إلى الشارع وهو يقفز على الأرض، ثم أخذ طريقه إلى «بيت الدمية»، بينما أخذت الساحرتان تراقبانه بانبهار وهو يقفز قفزتين سريعتين في المكان الذي مرت به چينا. وفي القفزة الثالثة، حشر نفسه في صندوق الخطابات ليختفي داخله.

قالت الساحرة الأكبر سنًا: «يا خسارة! إنه لم يأتِ لأحد هنا، كان من الممكن أن نحتفظ به للسيد، وكان رصيدنا حينها سيرتفع عنده».

قالت ليندا وهي تتنهد وتصفق الباب بعنف: «ألا ترين أننا لا نكون أبدًا في المكان المناسب في الوقت المناسب؟».

همست چينا: «نكو؟ نكو؟».

«ماذا!!!؟».

«نكو، هناك من يَطْرق على النافذة».

همهم نكو وهو شبه نائم في سريره الأخرق الواقع في ركن الغرفة القذرة: «إنه ليس إلا صوت تلك الممرضة المجنونة. عودي إلى النوم».

اعتدلت چينا وجلست على سريرها الذي لا يختلف عن سرير نكو، ولفّت عباءة لوسي حول جسدها، ثم أخذت تحدق إلى الظلام، وقلبها يخفق بشدة، وعادت تنصت مرة أخرى. بدا لها الصوت وكأن الممرضة تلعب بالكرة وتنططها خارج نافذتهم. لكن ما الذي يجعلها تفعل ذلك؟ إنها لا تبدو من النوع الرياضي. وبعد أن انقشعت غشاوة النوم عن عينيها، تذكرت.. إنه سلوث.

قفزت چينا من على السرير، وسقطت مباشرة على كتلة سِبتيموس النائمة وهي ملفوفة في بطانية على الأرض. لكن سِبتيموس لم يتحرك. فزحفت ببطء نحو النافذة، وهي منحنية على مستوى منخفض آملة ألا يراها سلوث، على الرغم من أنها تعلم علم اليقين أن الموقف لن يختلف سواء رآها سلوث «الكرة المتعقبة» أم لا، فهي تعلم أنه هنا.

ثم تحسست بيدها شيئًا لينًا؛ شيئًا حيًا وفتحت فمها لتصرخ، لكن قبل أن تنطلق صرختها كانت ثمة يد قد التفت حول وجهها وكتمت الصرخة، فامتلأ أنف چينا برائحة التربة المبللة ووجدت زوجين من العيون يحدقان إليها.

همس الفتى الذئبي الذي كان ممددًا أسفل النافذة ينصت إلى صوت سلوث منذ خمس دقائق: «صه! هناك شيء في الخارج.. لقد رأيت واحدًا مثله من قبل في الغابة».

همست چينا: «أنا أعلم، لقد جاء ليبحث عني».

فسألها الفتى الذئبي، وعيناه تتلألأان في الوميض الأخضر الذي يتسلل عبر السخام الذي يعلو النافذة: «أتحبين أن أمسكه لك؟» كان سلوث في الخارج يزداد سطوعًا كل ثانية؛ لقد عثر على طريدته، وهو الآن يستجمع قواه كي **يضع البطاقة** عليها. ومتى انتهى من ذلك سوف يعود إلى سيده، بعد إنجاز مهمته. وهكذا، سوف تصبح الطريدة من الآن فصاعدًا **حاملة البطاقة**، وسوف يعرف سيده بعد ذلك أين يعثر عليها.

سألت چينا الفتى الذئبي بريبة، وفي ذهنها أن سلوث سوف يكون أسرع كثيرًا منه: «أتستطيع فعلًا أن تمسك به؟».

قال الفتى الذئبي بابتسامة عريضة أظهرت أسنانه الصفراء وهي تومض باخضرار شرير في وسط الضوء الآخذ في السطوع: «هذا سهل.. شاهدي بنفسك».

وبسرعة تفوق سرعة الساحرات، فتح الفتى الذئبي النافذة وفي لمح البصر كان قد أطبق بيده على سلوث، ثم صفق النافذة بقوة.

صاح سبتيموس، وهو يعتدل جالسًا كالسهم المستقيم، وعيناه مفتوحتان على آخرهما، ولا يزال يحلم: «أمسكه!».

ثم همهم نكو: «ما كل هذا؟ ما الذي يحدث هنا؟ چين؟ ما الذي جعله يتحول إلى اللون الأخضر؟».

لقد بدا منظر الفتى الذئبي غريبًا جدًا؛ حيث أخذ الضوء الساطع المتقطع الصادر عن الأسير سلوث يومض بين يديه باخضرار مائل

للاحمرار، راسمًا شكل عظام يديه أسفل الجلد بلون داكن، بينما كان باقي جسده يتحول إلى لون أخضر، مع ازدياد سطوع الضوء الصادر عن سلوث أكثر فأكثر، وهو يحاول أن يستجمع قواه ليهرب.

كان «الكرة المتعقبة» يستشيط غضبًا؛ فهو يوشك على الوصول، ومع ذلك لا يزال بعيدًا تمامًا. ولو حدث أنه أخفق في **وضع البطاقة** على طريدته، فما فائدته إذن «السيده»؟ إنه لن يزيد حينها على كونه كرة تنس قديمة صلعاء، وسلوث يعرف تمامًا ماهية كرات التنس القديمة الصلعاء، فهو نفسه كان يومًا إحدى هذه الكرات، وهو مدين بحياته لسيده سايمون، ولن يخذله أبدًا، ولا شيء سيمنعه من **وضع البطاقة** على طريدته.. لا شيء.

ومع ذلك، كان الفتى الذئبي يبذل قصارى جهده، حيث ظل قابضًا على سلوث بين يديه القويتين النحيلتين كأنه في قبضة من حديد. بينما كان سلوث يستجمع كل طاقته، ورويدًا رويدًا بدأ يسخن أكثر فأكثر. إنها مناورة تحمل مخاطر، لكن «الكرة المتعقبة» مستعد للمجازفة بأن يعرض نفسه للذوبان؛ فهو يفضل أن يسيل ويتحول إلى بركة صغيرة من المطاط على أن يخيِّب ظن سيده فيه.

ثم قال سبتيموس، والنعاس لا يزال يداعبه وجعله يتوهم أنه في عنابر جيش الشباب مع الفتى 409: «لماذا تحولت يداك إلى اللون الأخضر يا 409؟».

«لا أعلم.. إنه شيء من الأشياء.. وچينا طلبت مني أن أقبض عليه، وهذا هو ما فعلته.. الطريف أنه يزداد سخونة».

همست چينا قائلة: «إنه سلوث، كرة سايمون المتعقبة، لقد أرسله ليعثر عليَّ.. ماذا سنفعل به؟».

وعلى الفور، كان سِبتيموس قد أفاق من نومه وهو يقول: «إياكِ أن تجعليه يلمسكِ يا چين، إن عليه بطاقة تعيين للهوية.. لا تجعليه يلمسك مهما حدث.. مفهوم؟».

قالت چينا وهي ترتجف: «أنا لا أريد أن يلمسني.. إنه بشع».

«ما دام لم يلمسك، فلن يستطيع العودة إلى سايمون وإخباره عن مكانكِ.. فأنت مازلت في أمان.. هل أنتِ بخير؟».

لم يبدُ على چينا بأي حال من الأحوال أنها بخير، لقد علاها الشحوب وكان جسدها يرتعش ويكسوه لون أخضر.

ثم أخذ الفتى الذئبي من فرط ألمه يتأوه: «آه.. آي.. أوه.. آي!».

سأله نكو: «ما خطبك؟ هل أنت بخير؟».

«أوه! إنه يزداد سخونة.. لا أتحمل.. لا أستطيع أن أمسكه..آ آه!»، وهنالك أسقط الفتى الذئبي «الكرة المتعقبة» من بين يديه، بعد أن احترقت كفاه تمامًا.

كان سلوث يومض وميضًا ساطعًا حتى إن النظر إليه كان مؤلمًا – بعد أن وصل إلى أقصى درجات السخونة – وانطلق كالصاروخ نحو چينا، ثم قفز لأعلى ولمس ذراعها. فصرخت چينا من الألم والدهشة، ثم انطلق

نحو النافذة، وحطم الزجاج، ثم أحرق كل ما في طريقه حتى وصل إلى الجسر الخشبي فاخترقه ليهبط بعيدًا في الأسفل وسط كومة قمامة متعفنة تابعة لبيت الساحرات وهو يئز بصوت عالٍ، ثم مكث للحظات بين كومة عميقة من أوراق الشاي وعظام الأرانب ورءوس الضفادع، وانتظر إلى أن برد.

وبنشوة الانتصار، انطلق من كومة القمامة، واهتز ليخلِّص نفسه من طبقة أوراق شجر الشاي التي تغطيه وانطلق عائدًا إلى سيده سايمون هيب.

27

في بيت «مجموعة ساحرات الميناء»



خيم صمت ذاهل على الغرفة الملحقة، كسره بعد عدة دقائق قول سِبتيموس لاهثًا: «الجسر، إنه يحترق!».

التفت نكو محوِّلًا انتباهه بعيدًا عن جينا التي بدأت تتابع نظرات سِبتيموس،

وهي جالسة بيد مطبقة على البقعة الصغيرة المحترقة التي أحدثها سلوث في ذراعها. كانت ألسنة النار تتراقص يمينًا ويسارًا من الثقب المتفحم الذي أحدثه سلوث في الجسر، وبينما كانوا يراقبون هذا المشهد إذا بالجسر الخشبي القديم الجاف يتحول إلى كرة نار ويسقط مرتطمًا بالأرض من على ارتفاع ستة طوابق.

قال سِبتيموس: «يا للهول!».

غمغم نكو: «أيتها الجرذان الخائنة».

قال ستانلي معترضًا: «الموضوع ليس له أي علاقة بالجرذان. إنه بسبب السيد هيب، لو سألتني.. وأنا لا أعرف الآن ماذا ستفعل معنا الممرضة عندما تجد جسرها تحول إلى كتلة من اللهب».

علق نكو قائلًا: «فلتفعل ما تفعله، فهذا أقل ما نواجهه الآن.. فهل نسيتم أين نحن؟».

قال سِبتيموس بنبرة مكتئبة: «محبوسون فوق مركز قيادة «مجموعة ساحرات الميناء»..».

غمغم نكو: «بالضبط».

وخيم عليهم الصمت مرة أخرى، ثم دس الفتى الذئبي يديه المحترقتين أسفل إبْطيه، وأخذ يقفز راقصًا من قدم إلى أخرى، محاولًا إلهاءَ ذهنه عن الآلام الحادة التي يشعر بها، وتغاضت جينا عن قلقها وتوجهت إليه.

وسألته: «أتؤلمك؟» فأومأ لها برأسه، وهو يجز على أسنانه.

فقالت چينا: «يستحسن أن نضمدها لك، ضع يديك هنا»، ثم حلت وشاحها الذهبي من حول خصرها، وشقت طرفه بأسنانها أولًا، ثم أكملت شقه إلى نصفين.

وأخذ سبتيموس ونكو يراقبانها وهي تلف بحرص وشاحها الحرير الذهبي حول يدي الفتى الذئبي، بينما كان ذهن كل منهما مستغرقًا في أمر آخر، يحاولان التفكير في طريقة للخروج من هذا البيت؛ بيت الساحرات.

ثم قال سبتيموس بصوت خفيض: «أنصتوا!».

همس نكو قائلاً: «ما هذا الذي ننصت إليه؟»، ورفعت چينا والفتى الذئبي رأسيهما ينظران بقلق، ما هذا الذي سمعه سبتيموس؟

غمغم سبتيموس قائلًا: «هل تسمعون شيئًا؟».

ثم خيم عليهم صمت يشوبه التوتر بينما بدءوا جميعًا ينصتون.. لكن إلامَ يُنصتون؟ هل هناك صوت لخطوات أقدام؟ هل هو صوت سايمون هيب عند النافذة، أم أنها ميريديث وقد اكتشفت أن جسرها احترق وتحول إلى رماد؟ وبعد عدة دقائق، همس نكو قائلًا: «أنا لا أسمع شيئًا يا سب».

«بالضبط، ليس هناك أي صوت».

رد نكو معترضًا: «ما هذا الذي تفعله يا سب؟ لقد خُيل إلينا أنك سمعت صوتًا.. إياك أن تكرر هذا المزاح مرة أخرى!».

«هذا هو الغريب في الأمر.. ألا ترون ذلك؟ لقد سقط الجسر مرتطمًا بصوت مدوٍّ في فنائهن الخلفي والساحرات لم يتحركن.. ولم تسمع لهن

صوتًا.. لا شيء.. نحن في الفجر الآن ولا بد أنهن ذهبن إلى فراشهن؛ فمارشا تقول إن الساحرات اللاتي يمارسن **السحر الأسود** بصفة عامة ينمن طوال النهار ويمارسن أعمالهن أثناء الليل.. أي أننا نستطيع أن نخرج الآن.. هكذا بمنتهى البساطة».

«فعلًا، إنه أمر في غاية البساطة أن نشق طريقنا للخروج وسط بيت قديم يُسمع له صرير مع كل خطوة، وفيه فخاخ مزروعة في كل مكان، وساحرات ينتظرن هذه اللحظة لاختطافك وتحويلك إلى ضفدع، حتى إن *الأسهل* من ذلك كله هو الخروج بعد ذلك من بابهن الأمامي الذي أراهن أنه **مسدود** بشيء شرير، *فليس هناك أسهل من هذا!*».

نظرت چينا إلى نكو وهي على وشك الانتهاء من تضميد جراح يد الفتى الذئبي، وقالت: «لا داعي لكل هذا التذمر يا نكو.. فنحن على أية حال ليس أمامنا خيار آخر.. فلا بد أن نخرج عبر بيت الساحرات، إلا إذا كنت ترغب في القفز لتعبر فجوة عرضها عشرون قدمًا لتعود إلى ذلك البيت المخيف المملوء بالدُّمَى».

وبعد عدة دقائق، كانوا جميعًا يقفون خارج الغرفة الملحقة في دهليز قذر تعشش فيه العناكب في كل مكان. كان نكو مختفيًا بعد أن استخدم **تعويذة الخفاء الصامت**، ولقد تمكن في نهاية الأمر - بمساعدة سبتيموس - من أن يستخدمها بالشكل الصحيح.. «لا يا نكو، إنه **لا يراني أحد، ولا يُسمع مني همس ولا كلمة**، كما يجب أن تتخيل تأثير الكلمات أيضًا؛ فهذا لن يُجدي لو أخذت تكرر فيها هكذا مثل الببغاء اللحوح». وحتى

الآن، يبدو أن مفعول التعويذة يعمل بالشكل الصحيح - لقد تمكنوا على الأقل من الخروج من الغرفة دون تفعيل **صرير** الباب. أما چينا وسبتيموس، فعلى الرغم من أنهما يحملان معهما **تعويذة الخفاء** التي لم تكن من النوع الصامت - فإنهما قررا ألا يستخدماها، بعد أن بدا لهما أنه ليس من العدل أن يتركا الفتى الذئبي وحده مرئيًا في مواجهة الساحرات.

وقفوا جميعًا حائرين خارج باب الغرفة الملحقة لا يعرفون أي اتجاه يسلكونه؛ لقد كان من الصعب اكتشاف أي الطرق هي التي تؤدي إلى أعلى وأيها هي التي تؤدي إلى أسفل؛ فساحرات الميناء من كبرى المتحمسات لمسألة تطوير البيوت - رغم أن كلمة التطوير ليست هي الكلمة التي سيستخدمها معظم الناس في وصف نتيجة مجهوداتهن. فعلى مر السنين، حولت «مجموعة ساحرات الميناء» البيت إلى متاهة من الدهاليز بنهايات مسدودة، والسلالم اللولبية التي تنتهي بك عمومًا إما وسط الهواء وإما إلى سقوطك في الخارج من نافذة ما، كما أن هناك أبوابًا تُفتح على غرف أخذت منها الساحرات أرضياتها ولم تعدها بعد ذلك، وهناك مواسير تبرز من الجدران وتتساقط منها قطرات المياه، ومع كل خطوة تخطوها على الأرض يهددك لوح خشبي متعفن بالقفز في وجهك وإرسالك إلى الطابق الأسفل. ويُضاف إلى أعمال التطوير هذه، هناك **المُتلفات والمؤذيات والمزعجات** التي تجتاح البيت وصُممت بحيث تطرح أرضًا أي دخيل غير حريص.

وبالفعل، كانت هناك **مزعجة** زرقاء صغيرة تتدلى بخيط من السقف مباشرة خارج باب غرفتهم، كانت هذه المزعجة عبارة عن كائن منظره لا يسر؛ بعين واحدة، مليء بالأشواك مغطى بقشر السمك، مهمته الوحيدة في الحياة هي منع أي شخص من أن يفعل أي شيء يريد أن يفعله، لكن ليس قبل أن ينظر مباشرة في عين ذلك الشخص. وچينا لم تلحظ وجود **المزعجة** وسارت متوجهةً نحوها، فتراجعت فورًا للوراء، لكن بعد فوات الأوان، بعد أن كانت قد نظرت لأعلى ووقعت عيناها على عينها الخرزية المحدقة بها. وهنالك، بدأت **المزعجة** تؤدي مهمتها بابتهاج، فأخذت تقفز حول چينا، وهي تثرثر بطريقتها الطفولية: «أهلًا.. أهلًا يا حلوة.. أهلًا.. هل ضللت الطريق؟ أنا أريد أن أساعدك يا حلوة..».

فغمغمت چينا بأعلى صوت، وهي تحاول أن تعبر فوقها: «اصمتي.. اصمتي».

«لا.. لا.. لماذا *هذه القسوة يا حلوة*.. أنا أريد أن أساعدك».

«سِب، هل تستطيع أن تجعل هذه **المزعجة** تكف عن **إزعاجي** قبل أن أخنقها؟».

«أحاول أن أفكر في طريقة.. لا بد أن تهدئي يا چين. حاولي أن تتجاهليها».

«أيها الفتى الشرير.. يا شرير.. يا شرير».

قالت چينا بتوتر: «سِب، ما الذي يؤخرك؟ خلصني منها فحسب، ممكن؟ في الحال!».

«لا تتخلصي مني يا حلوة، أنا أساعدك».

«اصمتي!».

«چين، لا تجعليها تستفزك يا چين، فهذه هي الطريقة التي تعمل بها، إنها توترك إلى الدرجة التي تمنعك من أن تفعلي أي شيء.. أمهليني لحظة.. لقد خطرت على بالي فكرة».

«يا خبر! الولد الشرير خطرت على باله فكرة.. يا خبر!».

«سوف أقتلها يا سِب، فعلًا».

«*يا خبر!* بنت سيئة.. عيب، لا تقولي هذا الكلام البذيء، يا خبر!».

كان سِبتيموس منشغلًا يعبث في حزامه، ثم قال: «اثبتي في مكانك يا چينا، سوف أجد في الحال **التعويذة المعكوسة**»، ثم أخرج **تعويذة** مثلثة ومدها على راحة يده برأسها الحاد متجهة نحو **المزعجة**.

نظرت إليها **المزعجة** بارتياب، ثم سألته بغضب: «ما هذا الذي معك أيها الولد الشريييير؟»، فلم يرد سِبتيموس عليها.. وأخذ نفسًا عميقًا، ثم ترنم ببطء وهدوء؛ حتى لا يوقظ الساحرات، وقال:

«**أيتها المزعجة، كُفي عن الإزعاج وانسي ما خُلقتِ من أجله**».

قالت **المزعجة** بوهن: «يا للهول! أشعر بشيء غريب».

همهم سِبتيموس قائلًا: «عظيم، يبدو أن **التعويذة** أثرت فيها. أعتقد أنه من الأفضل الآن أن أختبرها».

قالت چينا، وقد قلّ إحساسها بالحرارة والانزعاج: «كن حذرًا يا سِب».

ثم أجبر سِبتيموس نفسه، وهو يهمهم في سره **بتعويذة الدرع الواقية**، على أن ينظر إلى **المزعجة**.

فقالت **المزعجة** بابتهاج: «صباح الخير.. أنا في خدمتكم، ماذا تأمرون؟».

همست چينا قائلة: «إن مهاراتك تزداد يومًا بعد يوم في ممارستك هذه الأعمال **السحرية** يا سِب».

علت وجه سِبتيموس ابتسامة عريضة؛ فهو يعشق الإحساس بأن يرى التعويذة التي يستخدمها تعمل بالشكل الصحيح، وكانت **المزعجة** تنتظر الآن بفارغ الصبر وهي تتدلى من السقف أن يُطلب منها شيء، فسألها سِبتيموس بأدب: «هل يمكن أن ترشدينا إلى الطريق؟».

ردت **المزعجة**: «بكل سرور، اتبعوني»، ثم حلت نفسها من الخيط وهبطت بخفة أمامهم على أرجلها الأربع الرفيعة الطويلة، ثم جرَت بخطوات سريعة، ولدهشة الجميع قفزت من باب مسحور مفتوح.

قال سِبتيموس: «بسرعة.. يُستحسن أن نتبعها. أنت الأول يا نكو؛ حتى تظل في **صمت**».

وهكذا، ساروا جميعهم خلف **المزعجة** ونزلوا سُلمًا طويلًا وخطيرًا جدًا، أخذهم مباشرة من وسط البيت، وكان يتحرك ويتأرجح من شدة الحِمل الذي لم يعتده من قبل - فليس هناك ساحرة واحدة تجرأت يومًا على استخدامه - وبوصولهم إلى الطابق الأرضي، كان جسم سِبتيموس يرتجف.

وما إن تركوا السلم متوجهين نحو الظلام، حتى كان في استقبالهم أصوات هسهسة شريرة. فهسهس الفتى الذئبي ردًا عليها.

همست چينا قائلة: «ما هذا الصوت؟».

همهم سِبتيموس قائلًا: «إنها قطط.. العديد منها.. كفى يا 409، لا تزعجها». إلا أن حيلة هسهسة الفتى الذئبي نجحت، وصمتت القطط، بعد أن تملكها الذعر من صوت أكبر وأشرس قطة سمعتها من قبل.

انتظرت **المزعجة** إلى أن هبطوا جميعًا من على السلم بسلام، ثم قالت: «كما ترون أيها السيدات والسادة نحن الآن في مطبخ «المجموعة» الذي يُعد مركز نشاط سكان البيت. اتبعوني لو سمحتم، وأنا سوف أقودكم إلى منفذ الخروج».

انبعثت من المطبخ رائحة دهون قديمة محمرة وطعام قطط، وكان من فرط ظلامه لا يُفصح عن أي شيء فيما عدا الوهج الضعيف الصاعد من الموقد واللون الأخضر المتلألئ لعيني قطة غابة، تابعت تقدمهم **الصامت** وهم يعبرون.

وسرعان ما كانوا قد خرجوا من المطبخ، ثم واصلوا سيرهم وراء **المزعجة** عن قرب وهي تجري بخطوات صغيرة وسريعة على امتداد ممر طويل. كان من الصعب أن يتبينوا إلى أين كانوا يتوجهون؛ فالبيت كان مظلمًا وكئيبًا جدًا؛ والنوافذ معلقًا عليها أقمشة سوداء، والحوائط يغطيها طلاء بني متسخ، وتعلوها بعض اللوحات المشققة لصور ساحرات، وضفادع، ووطاويط. لكن ما إن مروا منحشرين من عند ركن ضيق في

الممر حتى اعترض الممر فجأة حزمة ضوئية تتطاير فيها ذرات من التراب، بعد أن انفتح أحد الأبواب مصدرًا صريرًا وخرجت منه ساحرة.

تسمَّر نكو في مكانه، ولأن سِبتيموس لا يستطيع أن يراه، اصطدم به، وتبعته چينا وتلاها الفتى الذئبي. أما ستانلي الذي كان يجري أمام نكو، فلمحته الساحرة وسط هذه الحزمة الضوئية.

نظرت الساحرة إلى ستانلي بعينين محملقتين، وأخذ ستانلي، في حالة من الذهول، يُحملق هو أيضًا في الساحرة.

قالت الساحرة بصوت منغم غريب: «مرحبًا أيها الجرذ. أنت جرذي، أليس كذلك؟ دعني إذن أحولك إلى ضفدع سمينة لطيفة».

انفتح فم ستانلي وانغلق دون أن يُصدر صوتًا، بينما أخذت الساحرة ترمش بعينيها، ثم التفتت وحدقت إلى سِبتيموس وچينا والفتى الذئبي الذين تراجعوا وانكمشوا في الظلال.

«لقد جلبت معك أصدقاءك أيضًا.. هم.. هم.. إنهم أطفال.. ما أشهاهم.. نحن نحب الأطفال أيضًا، فعلاً نحبهم.. وها هي **مزعجتي** المخصوصة التي علقتها ليلة أمس..».

قالت **المزعجة** بشيء من الاستياء: «مرحبًا يا فيرونيكا، هل عدت تسيرين وأنت نائمة مرة أخرى؟».

همهمت الساحرة قائلة: «هممم.. السير أثناء النوم.. إنه رائع».

فقالت **المزعجة** بحنق: «عودي إلى فراشك الآن، قبل أن تسقطي من هذا الباب المسحور من جديد وتوقظي الجميع».

ردت الساحرة هامسة: «نعم، سأعود إلى فراشي.. تصبحين على خير يا **مزعجة**»، ثم مشت بتثاقل في الممر، بعينين محدقتين تحملقان في الفضاء. وتراجعت چينا للوراء والتصقت في الحائط وكذلك الفتى الذئبي؛ حتى يفسحا الطريق للساحرة المصابة بداء السير أثناء النوم وهي تمر أمامهم.

تنفس سِبتيموس الصُّعداء قائلًا: «ياه!».

قالت **المزعجة** على الفور: «من هنا لو تكرمتم أيتها السيدات والسادة»، وانطلقت تجري بخطوات صغيرة وسريعة أسفل ستارة سوداء كانت منسدلة بعرض الممر، بينما مر سِبتيموس وچينا والفتى الذئبي ونكو **الصامت غير المرئي** بجانب الستارة المتربة، وهنالك تنفسوا الصعداء - فعلى الجانب الآخر من الستارة وجدوا الباب الأمامي، ثم تسلقت **المزعجة** الباب وهي تجري بخطوات صغيرة وسريعة كالسحلية التي تجري على حائط ساخن، وبدأت بهمة تفتح مجموعة مرتبة من المزاليج والأقفال والسلاسل. وابتسمت چينا لسِبتيموس؛ لقد أوشكوا الآن على الخروج.

وحينئذ، بدأ الصوت..

بدأ صوت معدني يصرخ بدوي يخرق الآذان وهو يقول: «النجدة! *النجدة! هناك شخص يهاجمني. النجدة.. ابتعد..*».

«النجدة! النجدة! هناك شخص يهاجمني. النجدة.. ابتعد.. ابتعد عني!»، كان صوتًا لأحد الأقفال، كان مزودًا بجهاز إنذار.

قالت **المزعجة** للقُفل بحنق: «اسكت يا دونالد، لا داعي لكل ذلك، إنه أنا»، لكن القُفل أبَى أن يصمت، وانطلق يعيد ويزيد ولولته العالية: *«آه آه آه النجدة.. آه آه آه النجدة..آه آه آه النجدة»*.

وفجأة، سمعوا خطوات أقدام تجري في الطابق فوقهم، تلتها أصوات مضطربة. لقد استيقظت «مجموعة ساحرات الميناء»، وبعد لحظات سُمع صوت خطوات أقدام ثقيلة تنزل السلم، تبعه صوت مدوٍّ يشير إلى انغلاق لوح خشبي صحبته صرخة.

ثم صاح صوت يقول: «دافني أيتها الحمقاء، فبعد أن أصلحت هذه الدرجة أخيرًا انظري ماذا حدث لها الآن.. لقد تحطمت». وجاء رد دافني في صورة همهمة ساخرة مستنكرة.

ثم صاح صوت آخر يقول: «أشتمُّ رائحة دخلاء.. أشتمُّ رائحة جرذ! بسرعة.. بسرعة! انزلوا من الطريق الخلفي»، تلا ذلك صوت مدوٌّ لما بدا أنه قطيع من الفيلة يدك الأرض، واهتز البيت؛ فـ«مجموعة ساحرات الميناء» في طريقها للنزول الآن.

هذا ومازال القُفل يصرخ قائلًا: *«آه آه آه النجدة.. آه آه آه النجدة..»*.

نظرت چينا إلى سِبتيموس في هلع: «سِب.. هل تستطيع أن تفعل شيئًا؟».

«لا أعلم.. أنا أفكر.. انتظري، نعم»، ومرة أخرى راح سِبتيموس يعبث في حزامه وأخرج عبوة صغيرة مكتوبًا عليها **تراب التعجيل**. وبسرعة، سكبه في راحة يده وألقاه على المزعجة. فسعلت وأخذت تجري، وفجأة

ازدادت سرعتها إلى أن أصبح لا يُرى منها إلا غشاوة زرقاء أخذت تتسلق الباب صعودًا وهبوطًا، وبسرعة فائقة بدأت تسحب المزاليج، وتفتح الأقفال، وتفك السلاسل، بينما كان القُفل مستمرًا في ترديد أنينه الخارق للآذان: «آآه آآه آآه النجدة.. آآه آآه آآه النجدة.. آآه آآه النجدة..».

وإذا بجينا تسمع صوت الساحرات في الطابق السفلي قادمًا من المطبخ، لكن في تلك اللحظة تحديدًا، انفتح الباب فجأة وأطاح **بالمزعجة** لترتشق بالحائط المقابل. وفي لمح البصر كانت جينا وسِبتيموس ونكو والفتى الذئبي وستانلي خارج البيت، وانطلقوا جريًا في شارع «ممشى الحبال»، لا يجرؤون أن ينظروا وراءهم إلا بالكاد ليروا ما إذا كان سيل الساحرات يتعقبهم أم لا.

وبالعودة إلى بيت «مجموعة ساحرات الميناء»، استسلم الطابق المكون من مجموعة من الصالات، بعد أن ظلت مستعمرة عملاقة من ديدان الخشب تربيها دافني تأكل فيه لعشر سنوات كاملة، وخسف بـ«مجموعة ساحرات الميناء» مباشرة في القبو - حيث اخترقن عند سقوطهن المحتويات المتراكمة في ماسورة صرف بعد أن تسربت منها.

28

الممر الصاعد



سلكت جينا وسِبتيموس ونكو *والفتى الذئبي* وستانلي طريق الممر الصاعد الذي يبدأ خارج الميناء ويؤدي إلى مستنقعات مرام. وكانت جينا هي التي تقودهم خلال الطريق، ورعد يخبب وراءها وهو يهز رأسه وينخر في هواء الصباح البارد، سعيدًا لخروجه من تلك الحظيرة برائحتها الكريهة التي تقبع خلف بيت الدمية، بعد أن قضى فيها هذه الليلة.

وكانت جينا قد أصرت على العودة لاصطحاب رعد؛ خوفًا من أنهم لو تركوا الحصان، فقد يغري ذلك الممرضة ميريديث ببيعه لمتجر فطائر

اللحوم الموجود في الميناء؛ لذا فبعد أن خرجوا من بيت السحرة ووصلوا إلى نهاية شارع «ممشى الحبال»، من دون أن تظهر أية ساحرة من الساحرات خارج البيت طوال ذلك الوقت، تسللت چينا إلى ممر المخلفات الممتد خلف البيوت وأخذت رعد.

كان الممر الصاعد يمتد بطول الحافة المرتفعة التي تحيط الحقول عند نهاية الميناء، ورأت چينا وهم يسيرون في ضباب الصباح الباكر - خيمة السيرك الباهتة، واشتمت رائحة النجيل المستهلك بعد زحام ليلة أمس. كان المشهد هادئًا ومسالمًا، لكن چينا كانت في قمة التوتر؛ فالحرق الذي أحدثه سلوث في ذراعها كان يلسعها ويذكرها دائمًا بأن سايمون وضع عليها **بطـاقة التعريف**، وكانت تجد نفسـها مع أي حركـة أو صوت فجائي تقفز في حالة من الفزع؛ ولذلك عندما لمحت بطرف عينها شكلًا ضئيل الحجم، أسود اللون، يقعقع ويتوجه نحوهم، انتابها الهلع، وتشبثت بسبتيموس.

فقال سبتيموس لاهثًا: «أفزعتني يا چينا! ما خطبك؟ ما الذي يزعجك؟»، فانحنت على الفور وراءه، لقد رأت شيئًا متوجهًا نحوها مباشرة.

صاحت چينا، وهي تُبعد بهلع حشرة ضخمة مسننة عن كتفها وهي تقول: «يا للهول! ابتعدي عني. ابتعدي عني!».

جثا الفتيان على ركبهم ونظروا إلى الحشرة التي كانت مقلوبة على ظهرها على التراب الناعم للممر الصاعد، وهي تلوح بأرجلها ببطء في الهواء وتطن طنينًا خافتًا.

قال سبتيموس وهو ينخس الحشرة بأصبعه: «ياه! لقد ظننت أنها ماتت».

قال نكو وهو يهز رأسه مندهشًا: «لكن، كيف وصلت إلى هنا؟».

بينما أخذ الفتى الذئبي يحدق إليها؛ إنها لا تبدو صالحة للأكل، فسوف تكون مقرمشة أكثر من اللازم، كما أنها مغطاة بالأشواك، وهو لن يندهش لو وجد أن لها لسعة مزعجة.

نظرت چينا من بين أكتافهم، وسألتهم: «ما هذه الحشرة؟».

قال سبتيموس: «إنها حشرتك المدرعة».

قالت چينا وهي تجثو على ركبتيها وتلتقطها برفق لتضعها في راحة يدها: «ياه! مستحيل». ثم أخذت تنظفها من التراب بقدر المستطاع. وبعد لحظات ووسط جمهور يراقب بانبهار، وقفت الحشرة وبدأت وهي ترج جسمها تنظف أجنحتها، وأخذت تطن وهي تتفحص بدقة جسمها محاولة أن تعيد أجزاءها إلى حالتها الطبيعية. وفجأة، وبعد أن قامت بتصفيقة انتصار وهي تضرب جناحيها في قشرتها المدرعة، ارتفعت في الهواء وعادت إلى مكانها الصحيح على كتف چينا - تمامًا كما كانت تفعل منذ أكثر من عام بعد أن تشكلت بشكلها الحالي لأول مرة في كوخ العمة زيلدا. ارتفعت معنويات چينا بعد أن أصبح لديها الآن شيء تدافع به عن نفسها.. ترى، أم هو عندما يأتي سايمون باحثًا عنها؟

* * *

تقدم الحصان الضخم الجالس فوق ظهره جرذ، والوجوه الأربعة التي تسير إلى جواره، ببطء وثبات على امتداد الممر الصاعد. لقد تجاوزوا

الآن الحقول التي تحيط بالميناء، ووصلوا إلى مزارع النباتات القصبية التي توفر القش والسلال وفرش الأرضيات، حتى أصغر المستلزمات لسكان الميناء. ومع ارتفاع شمس الصباح في السماء، تلاشى ما تبقى من الشبورة التي كانت تتدلى فوق مزارع النباتات القصبية التي تكاد تمتد إلى أبعد ما يمكن أن يذهب إليه البصر، وتأتي بعد هذه المزارع مستنقعات مرام التي لا تزال تكسوها شبورة المستنقع الكثيفة.

كان ستانلي في حالة أطلق عليها حالة انخفاض المعنويات؛ إنه لا يشعر بالسعادة هذا الصباح، بعد أن لمح توًا المنعطف المؤدي إلى كوخ جاك المجنون الذي قضى فيه العام الماضي أفظع ستة أسابيع في حياته حبيسًا في قفص من أقفاص الجرذان، ولم يتمكن من الهرب إلا عندما أضرب عن الطعام حتى أصبح نحيلًا بالدرجة التي تمكنه من حشر نفسه بين قضبان القفص والخروج منه.

كان النهار قد انتصف عندما رأى ستانلي أن مزارع النباتات القصبية بدأت تقل كثافتها، واشتم رائحة الرطوبة الشديدة التي تتسلل إليهم من مستنقعات مرام، فبدأ يشعر أخيرًا بالاسترخاء - بعد أن باتوا الآن بعيدين تمامًا عن جاك المجنون، وسرعان ما تلاشى الممر الصاعد بعد أن تحول إلى طريق موحل، وتوقفت المجموعة.

ظللت چينا على عينيها من شدة سطوع الشمس وأخذت تنظر بهما وهما شبه مغمضتين إلى المستنقع. وهنالك وقع قلبها؛ فهي لا تعرف بأي حال من الأحوال الطريق المؤدي إلى كوخ العمة زيلدا. فالمرة

السابقة عندما حضرت مع نكو كانت المستنقعات مغطاة بالثلوج أثناء الصقيع الكبير، وكانت تبدو حينها مختلفة تمامًا.

وقف سبتيموس إلى جوارها، وقال في حيرة: «ظننت أننا سنجد الغول في انتظارنا. أنا واثق من أن العمة زيلدا تعلم بوجودنا هنا».

ردت چينا قائلة: «لا أظن ذلك يا سِب، لقد وهنت قدرتها على السمع الآن ولديها صعوبة في الإنصات. سوف أرسل ستانلي إليها ليقول لها إننا هنا».

فقال الجرذ غير مُصدقٍ أذنيه: «ماذا قلتِ؟ أصحيح ما أسمع؟».

ردت چينا قائلة: «نعم يا ستانلي، هذا هو ما قلته. أريدك أن تذهب إلى كوخ الحارسة وتقول للعمة زيلدا إننا هنا».

«آسف يا مولاتي، فكما قلت لك سابقًا، أنا لا أقوم بمهام في المستنقعات..».

«عندما أطلب إليك أن تقوم بمهمة في المستنقعات يا ستانلي عليك أن تنفذها، مفهوم؟».

بدا على ستانلي الاندهاش، وقال وهو يتلعثم: «إحم! أأأ...».

«وإذا لم تنفذ ما طلبته منك فسوف أجعلهم يعفونك من عملك في «جهاز مخابرات الجرذان»..».

«لكن...».

«هل كلامي واضح؟».

لم يصدق ستانلي أذنيه، ولا سِبتيموس ونكو أيضًا. إنهم لم يروا چينا من قبل بهذا الإصرار.

«هل كلامي واضح يا ستانلي؟».

«واضح وضوح الشمس»، ونظر ستانلي بأسى نحو مستنقعات مرام، ثم قال في سره، بإعجاب يشوبه الغيظ، إن چينا باعتبارها ملكة سوف تكون أكثر صرامةً من والدتها.

قالت چينا: «إذن، هيا انطلق الآن. ولا تنس أن تقول للعمة زيلدا أن ترسل لنا الغول بزورق جهة الميناء. انطلق بأقصى سرعة ممكنة. ولا تنسَ أن سايمون وضع عليّ **بطاقة تعريف**».

ثم أخذوا جميعًا يراقبونه وهو يجري على الطريق الموحل، ويثب طائرًا ليدخل وسط نبات السعادي الخشن الذي ينمو على أرض المستنقعات الخارجية، ليتوارى بعد ذلك عن الأنظار.

قالت چينا، وهي تظلل على عينيها ناظرةً في اتجاه انطلاق ستانلي: «أتمنى ألا يصيبه مكروه». كانت چينا في قرارة نفسها غير مبتهجة بتهديدها لستانلي، لكن لم يكن أمامها خيار آخر. فمنذ أن وضع سلوث **البطاقة** عليها، وهي تعلم أن عثور سايمون عليها صار مسألة وقت، وهي تشتاق الآن لأن تكون في أمان داخل كوخ الحارسة.

قال لها سِبتيموس: «إنه جرذ لا بأس به، وسرعان ما سيعود ومعه الغول. سوف ترين ذلك بنفسك».

جلسوا جميعًا على جانب الممر الصاعد، وأخذ رعد يقضم النجيل بسعادة غامرة، بينما مررت چينا عليهم زجاجة الماء التي ملأتها من

الينبوع وهم في طريقهم للخروج من هناك، استلقى نكو على الأرض وأخذ ينظر إلى السماء، سعيدًا بقضاء نهار في فراغ دون عمل، بينما بدا الفتى الذئبي متوترًا، فيداه كانتا تؤلمانه. وبعد قليل، وقف على قدميه، وأخذ يتحرك بخطوات سريعة على الطريق ذهابًا وإيابًا؛ ليلهي نفسه عن التفكير في آلامه.

أما سِبتيموس وچينا فكانا في قمة التوتر والحذر وهما يتفحصان المستنقع ومزارع النباتات القصبية تحسبًا لأي حركة غير عادية. وكان يعلو بين حين وآخر صوت خشخشة مع مرور الرياح عبر النباتات القصبية، أو طرطشة مكتومة لطائر مائي يهبط على الماء، أو نداء طائر لشريكته بالصيحة الحزينة المألوفة في المستنقع. وكل مرة كانت چينا وسِبتيموس يقفزان بفزع ولكن مع اقتراب منتصف النهار، وبعد أن أصبح الجو دافئًا والرطوبة مرتفعة، خفت الرياح وهدأت أصوات الحيوانات والطيور.. فبدأ النعاس يتسلل إليهما وأخذت عيونهما تغمض ببطء، بينما كان نكو قد غط في سُبات عميق، أما الفتى الذئبي فكان قد توقف عن حركاته السريعة، واستلقى على الأرض مادًا يديه المحترقتين على النجيل البارد.

وبينما كان قرص الشمس فوقهم يسطع ملقيًا ضوءًا أبيض في سماء خالية من السحب، ظهرت في الأفـق، على مسافة بعيدة تتجاوز مستنقعات مرام، بقعةٌ قاتمة.

29
القتال والطيران



كان سِبتيموس هو أول من رآه بعد أن طقطق في الأجواء وجود شيطاني وجعل شعر رأسه يقف، فاعتدل جالسًا وهو ينتفض بشكل مفاجئ.

فسألته چينا التي استيقظت مفزوعة: «ما الأمر؟»، ثم علا وجهها تكشيرة، حيث بدأ الحرق الذي أحدثته البطاقة على ذراعها يؤلمها.

قال سِبتيموس وهو يشير إلى السماء:

«انظري! هناك.. أنا... أنا لا يروقني هذا المنظر؛ إنه أكبر كثيرًا من أن يكون طائرًا».

دلكت چينا ذراعها، ثم نظرت عاليًا بعينين شبه مغمضتين إلى السماء الصافية الساطعة، حيث أشار لها سِبتيموس، ورأت على بُعد شكلًا أسود يشبه الطائر يحلق عاليًا، ثم قالت بتردد: «ربما تكون إحدى طائرات المستنقع الورقية».

هز سِبتيموس رأسه، ووقف ليتبين الأمر بشكل أفضل، مظللًا على عينيه من شدة سطوع الشمس، وقد بدا عليه الشحوب والجدية.

ثم سألهما نكو، وهو يفتح عينيه بكسل: «ما الأمر؟»، فأشارت له چينا دون أن تنبس بكلمة على الشكل المقترب نحوهم، توقف الفتى الذئبي عن حركته السريعة ونظر هو أيضًا، ثم همهم بصوت خفيض: «غريب!».

فسأله نكو وقد بدا عليه القلق: «ماذا ترى؟»، فهو يعلم أن نظر الفتى الذئبي حاد كالصقر.

«يبدو كأنه وطواط ضخم هائل الحجم.. لكن لا، انتظر لحظة! يا إلهي! إنه يتحرك بسرعة مذهلة.. إنه.. لا، هذا مستحيل..».

فسأله سِبتيموس بحدة: «ماذا ترى؟ ما هذا الذي تصفه بالمستحيل؟».

«هناك شخص أحمق في السماء.. إنه يطير».

«أنت متأكد يا 409؟».

«نعم يا 412».

قالت چينا، وقد تملكها شعور بالرعب: «لكن هذا مستحيل.. فلا أحد يستطيع الطيران بهذا الشكل.. أقصد أنه يطير كالطيور بالضبط».

أطلق سِبتيموس صفارة هامسة وقال: «لقد حدث هذا ذات يوم، كما يُقال».

كانت النقطة السوداء تتحرك بسرعة، وسرعان ما ظهرت بوضوح هيئة رجل يطير، وعباءته السوداء تنساب خلفه، منقضًا فوق المستنقعات، وطائرًا في مسار ملتوٍ شاردًا نوعًا ما؛ تارة للأمام وتارة للخلف، متفحصًا الأرض أسفله. وكان يتحرك مسرعًا قاصدًا **البطاقة** التي لصقها سلوث.

شهقت چينا، وهي لا تكاد تصدق ما تراه أمام عينيها: «إنه بالفعل سايمون!».

قال سِبتيموس: «لا بد أن نختبئ الآن. هيا يا چينا، إلى مزارع النباتات القصبية.. بسرعة!».

ثم قال نكو وهو يحدق إلى الهيئة التي تقترب منهم: «في الحقيقة أنا لا أرى سببًا لكل هذا الانزعاج، فنحن أربعة هنا في مقابل واحد هو في نهاية الأمر ليس إلا سايمون - الأخ الأكبر الذي يريد دائمًا بشكل مزعج أن يكون هو الأذكى. لا بأس إن كان قد تعلم الطيران، لكن ما المشكلة في ذلك؟ أراهن أنك أنت أيضًا يا سِب تستطيع أن تطير مثله، أليس كذلك؟».

«يا نكو، ليس بهذا الشكل. إن ما يفعله هو التحليق الحقيقي؛ فهذا هو **الطيران**».

«لكنك في نهاية الأمر تستطيع أن ترتفع لأعلى وتهبط، أليس كذلك؟ وهذا هو الطيران».

«أنا لا أستطيع أن أرتفع عن سطح الأرض لأكثر من عدة أقدام فقط يا نكو، لكن أن أطير بهذا الشكل، فهذا هو المستحيل بعينه، ولو بعد مليون سنة. وأنا لم أكن أصدق أساسًا أن هناك *أي* شخص يستطيع أن يفعل ذلك».

اتخذت چينا ملجئها بجوار رعد، وظلت قابضةً بقوة على اللجام. فلسبب ما، كانت تشعر وهي تراقب الهيئة التي تقترب منهم من السماء أنها في أمان وهي إلى جوار هذا الحيوان الصلب غير المضطرب. وقف سِبتيموس إلى جوارها، عاقدًا العزم على حمايتها هذه المرة. ومن جيب سري بحزامه، أخرج **الوصفة السحرية** الأقرب إلى قلبه؛ إنه زوج من الأجنحة الفضية أعطته له مارشا عندما طلبت منه أول مرة أن يكون تلميذها. استقرت **الوصفة السحرية** في راحة يده اليمنى وهي تبرق في الشمس، وكان مكتوبًا على سطحها الفضي اللامع كلمات بالذهب الخالص تقول: **حلِّق معي بحُرية.**

حاول سِبتيموس أن يتذكر ما الذي فعله ذلك الصباح عندما كان مع مارشا بجانب أرض الغول - وقد بدت له تلك الأحداث وكأنها حدثت منذ زمن بعيد - عندما أمسك **الوصفة السحرية** لأول مرة وشعر بتخدير **السحر** يسري على الفور في سائر جسده. إنه يتذكر أنه قال الكلمات في سره وتخيل أنه يطير بالفعل.. ثم طار.. لكن، أهذا هو بالفعل كل ما فعله وليس هناك شيء آخر؟

قال نكو بإعجاب مع ارتفاع أقدام سِبتيموس عن سطح الأرض لعدة بوصات: «أرأيت؟ لقد قلت لك إنك تستطيع يا سِيب».

نظر سِبتيموس لأسفل، وهبط على الأرض بصوت مكتوم.

لم ترفع چينا عينيها في تلك الأثناء عن الهيئة السوداء التي تحلق في السماء، ولقد اقترب سايمون الآن بالقدر الذي جعلها تتمكن من رؤية شعره الذهبي الطويل وهو ينساب خلفه مع تحليقه على ارتفاع منخفض فوق النباتات القصبية قاصدًا **البطاقة**. وفي آخر لحظة، عندما بدا وكأنه قد ينطلق متوجهًا إلى الممر الصاعد، إذا به ينقضُ ويكبح وقد علت وجهه نظرة تركيز تام؛ فقد كانت هذه أول محاولة له **للطيران**، ولقد سقط ثلاث مرات وهو يحاول الانطلاق من على سطح المرصد، وتفادى بالكاد السقوط في إحدى جزر المستنقعات التي يتزاحم فيها الدجاج. فالأمر لم يبدُ حتمًا بهذه السهولة التي وصفها له هيو فوكس وها هو سايمون الآن يحوم بصعوبة وكأن الرياح تلاطمه، وأخذ يحدق بدهشة إلى المجموعة الموجودة في الأسفل. لقد رأى شيئًا ما كان يتوقع أنه سيراه من جديد؛ شيئًا ظن أن الدودة الأرضية الضخمة التي تسكن الآن في جحره قد أكلته (فالدودة كانت وشك أن تضع عشرة صغار، وبالتالي أصبحت في غاية التوتر والجوع).

صاح سايمون في چينا: «أنت التي أخذتِ حصاني! أنتِ يا *سارقة الخيول*!».

تسمَّروا جميعهم في أماكنهم وهم ينظرون إلى سايمون معلقًا هكذا في الجو، وأخذوا يراقبونه، متناسين خطره، وهم يتساءلون في سرهم ماذا سيفعل بعد ذلك.

قـالت چينا بتنمر: «اذهب بعيـدًا عنا ولا تتـدخـل في شئـوننـا يا سايمون!».

ردَّ سايمون قائلًا: «اتركي حصاني لحال سبيله..»، وفجأة فقد تركيزه وسيطرته على التحليق، وإذا به يسقط بسرعة مذهلة ليرتطم على نحو أخرق بالأرض إلى جوار چينا، فالتوى كاحله، وقفزت چينا مبتعدة عن طريقه، وهي تجر رعد معها.

ثم قال له سِبتيموس بحنق: «اذهب بعيدًا عنا يا سايمون».

ضحك سايمون وقال: «أنت إذن الذي ستجعلني أذهب بعيدًا، أنت أيها التافه القادم من جيش الشباب؟ لا أظن ذلك».

وبلفة سريعة مباغتة، خطف سايمون اللجام من چينا، وفي نفس الوقت أمسك بذراعها، ولواها خلفها حتى شهقت من شدة الألم.

فأمره نكو قائلًا: «دعها أيها *الخنزير*»، وألقى نفسه على سايمون، لكن الأخير كان مستعدًا **بصاعقة** ألقاها على قدمي نكو، فطرحته أرضًا وضربت الفتى الذئبي في طريقها وهي تقفز مرتدة بعيدًا، حاول نكو أن ينهض، لكنه لم يتمكن؛ فكان يشعر وكأن رأسه مثبت في الأرض بمسامير. ولأن ضوء الشمس كان قويًا أغمض عينيه، وشعر بإعياء شديد من قوة الأصوات التي تدق في رأسه.

ثم قال له سايمون: «عليك أن تكون ممتنًا لأنني أضع في الحسبان أنك أخي، فأنا لا أضر أسرتي، وإن كان هذا لن يدوم طويلا. وأنا على أية حال لا أرى حولي الآن من هم من الأسرة؛ لا أرى سوى طفلين سرقا اسمنا واستوليا عليه لأنفسهما، كما أن واحدة منهما سرقت حصاني».

وزاد سايمون من إحكام قبضته على ذراع چينا.

فقالت لاهثة: «كفى يا سايمون، أنت تؤلمني».

«فعلًا؟ آي!» وفجأة رفع يده الأخرى إلى عنقه، وقال متذمرًا وهو ينظر إلى بقعة الدم التي على يده: «اللعنة عليها حشرات المستنقع هذه»؛ فحشرة چينا المدرعة التي لا يعلم سايمون عنها شيئًا تقف الآن على كتفه، وقد أخطأت توًا هدفها نحو شريان عنقه بسيفها الحاد كالسكين، وتستعد بالسيف لطعنة ثانية، فالحشرة لم تتدرب منذ مدة طويلة – وهي منذ أن افترقت عن چينا في اليوم الذي يُطلق عليه «العاصفة الكبرى» – لم يعد لديها من تحميه، وقضت معظم ذلك الوقت تلاحق عدوًا قديمًا هو «الصياد» الذي أصبح اليوم مهرجًا في السيرك، لكنها لم تنس چينا قط، وعندما رأتها تمر بخيمة السيرك، علمت أنها مرة أخرى أصبح لديها هدف في الحياة؛ هو أن تحميها من الأعداء.

انطلق سيف الحشرة المدرعة قاصدًا عنق سايمون. فصرخت چينا؛ فهي لا تحتمل أن ترى الحشرة تقتل من تعتبره حتى اليوم أنه أخوها: «توقفي!».

فتوقفت الحشرة، وقد داخلها ارتباك، لا تفهم لماذا لا يُسمح لها بإنهاء مهمتها، وظلت الحشرة الصغيرة المدججة بأسلحة ثقيلة واقفةً على كتف

سايمون، وعيناها لا تزالان موجهتين إلى عنقه، وذراعها تقاوم رغبته في أن يرفع السيف ويضرب.

قال سايمون مشفقًا لحاله: «أتوقف عن ماذا أيتها الأميرة؟ من المؤكد أنني لا أؤلمكِ الآن، بل في واقع الأمر يبدو أنه أنا الذي أصبت.. كما جرت العادة»، ثم نظر حوله، وخالجه فجأة شعور بالاكتئاب، فلسعة حشرة المستنقع تؤلمه بشدة، وكاحله يؤلمه كلما حمله بثقل جسده، وهو لا بد – بشكل أو بآخر – أن يعيد هذه الفتاة الخرقاء إلى أرض الأشرار. وهو هذه المرة سيُسرُّه تمامًا أن يتركها للكائنات المأجوج، ثم قال بحدة لچينا: «اصعدي فوق ظهر الحصان.. سنرحل الآن».

ردت چينا بهدوء تقول: «لا، لن نرحل».

«أنتِ لن تُملي عليَّ ما أفعله وما لا أفعله.. اصعدي». وبحنق، شد سايمون ذراع چينا بعنف.

«إذا فعلتَ ذلك ثانية يا سايمون سوف أقول لحشرتي المدرعة أن تكمل مهمتها التي بدأتها. أنا لا أريد ذلك، لكنني لن أتردد في أن أفعل».

«أي حشرة مدرعة تتحدثين عنها؟» ونظر حوله بريبة، ثم بدأ يُدرك الأمر. وفي التوّ كان قد رفع يده إلى عنقه، وأمسك بالحشرة، ثم ضربها **بسحر معكوس**، فتكورت وتحولت إلى كرة محكمة. ألقى سايمون الكرة في جهة مزارع النباتات القصبية، وقال: «ياه! أتقصدين *تلك* الحشرة المدرعة؟ والآن، اصعدي فوق ظهر الحصان».

ثم جاء صوت سِبتيموس من حيث لا يعلمان وهو يقول: «اصعد أنت فوق ظهر الحصان، وارحل عن هنا ولا تعُد مرة أخرى».

نظر سايمون وچينا لأعلى في دهشة وهما يشاهدان سِبتيموس يحوم فوقهما على ارتفاع نحو عشرة أقدام.

وعلى الفور، ترك سايمون چينا وانطلق لأعلى محلقًا ليواجه سِبتيموس، بينما أخذت هي تراقب الأخوين وهما يستعدان للمواجهة على ارتفاع عشرة أقدام فوق سطح الأرض. وأخذ سِبتيموس، بعد أن تخلص من مشكلة قصر طول قامته مقارنة بسايمون، يحدق إلى عيني سايمون، وهو يتحداه أن يُقدِم على التحرك.

ثم قال سِبتيموس، وهو يركز بقوة في محاولة التحدث والتحليق في نفس الوقت، وهي عملية لم تبدُ سهلة كما كان يأمل: «دع چينا وشأنها يا سايمون». وما إن بدأ يفكر في الكلام الذي يريد قوله بعد ذلك حتى وجد نفسه يقترب من سطح الأرض وهو يقول: «ارجع.. أخ! ارجع من حيث أتيت.. أخ! وخذ معك **سحرك الأسود**».

غامت عينا سايمون من الغضب، ولاحظ سِبتيموس أنهما باتتا شبه سوداوين، وأخذت تتراقص في حدقتي عينيه خيوط ضوئية خضراء مقلقة كأنها صواعق برق في عاصفة رعدية.

قال سايمون باستهزاء وتهكُّم: «أنت لن تخدعني، فأنت مزيف.. أنت تحمل اسم العائلة زورًا، وتحمل لقب التلميذ زورًا. وتحمل **وصفة سحرية مجنحة** صغيرة ومتأنقة لا تساوي أكثر من عشرة بنسات، لا تتيح لك أي قدرة على المناورة، ولا السرعة، ولن تتجاوز بها ارتفاعًا أعلى من سطح

مدخنة كوخ»، وانطلق سايمون يحلق عاليًا فوق سِبتيموس وكأنه يريد أن يثبت له صحة كلامه، ثم سرعان ما انقضّ لأسفل، ثم لف حوله في دوائر وهو يطن كأنه نحلة غاضبة.

واصل سايمون كلامه وهو يحلق حول سِبتيموس ويحاصره: «إن **الطيران**، كما يُفترض أنك تعلم، بما أنك الحيوان الأليف الصغير الذي تربيه الساحرة العظمى، هو آخر (الفنون المفقودة) والذي أعدت أنا اكتشافه»، وابتهج سايمون وهو يرى نظرة الاندهاش تعلو وجه سِبتيموس؛ فقد تمكن من إزعاج هذا التافه، إنه واثق من ذلك، ولقد بدأ الموقف يأخذ منحى مرحًا - أخيرًا - ثم قال: «لكن، ألا تحب أن تعرف أين اكتشفته أيها التافه؟ ما رأيك؟».

واصل سِبتيموس تحديقه إلى سايمون، مُصرًا على ألا يشتت تفكيره بل يركزه على البقاء محلقًا في الهواء.

ثم واصل سايمون قائلًا: «بالطبع كنت أود أن أقول لك إنك تستطيع الآن أن تذهب للعزيزة مارشا **وظلها** المخلص وتحكي لهما أن تلميذ الساحر الأعظم القادم اكتشف «فن **الطيران** المفقود»، لكن لسوء حظك - أنت والآنسة مارشا أوفرستراند - أنك لن تعود. فأنت ستمكث هنا في مزارع النباتات القصبية مع الحشرة المدرعة، *وإلى الأبد*».

والآن، توقف سايمون عن حومه المجنون في دوائر حول سِبتيموس، ووقف أمامه، ثم مد يده بتراخ في جيبه، بينما أخذ سِبتيموس يراقبه وهو يتساءل في سره عما يوشك سايمون أن يفعله. وإذا بسايمون، بحركة خاطفة من معصمه، يطلق **صاعقة رعدية** نحو سِبتيموس. لكن سِبتيموس

تمكن – بشكل أو بآخر – من أن يتجنبها، ومرت الصاعقة الرعدية بجانب أذنه كالصاروخ بزئير مدوٍّ يخرق الآذان، بعد أن أحرقت خصلات من شعره ولامست حرارتها جانبًا من وجهه، ثم انطلقت بعد ذلك نحو مزارع النباتات القصبية وهي تحترق بوهج أبيض، وانفجرت كأنها رعد يصم الآذان، وتطايرت مع انفجارها نافورة هائلة من المياه الموحلة، هبطت على رأس نكو والفتى الذئبي فأيقظتهما من الصاعقة التي تلقياها منذ قليل.

تسببت الموجات الارتدادية للصاعقة الرعدية في قذف سِبتيموس عاليًا بعد أن أفقدته توازنه، وما أفزعه أنه وجد نفسه يسقط على سايمون. ومع اصطدامه به، بسط سايمون عباءته ولفها بإحكام حول أخيه الأصغر، مثبتًا ذراعي سِبتيموس على جانبيه. أخذ سِبتيموس يقاوم ويصارع، لكن بهمهمة آمرة أصدرها سايمون، تحولت العباءة إلى ثعبان أسود ضخم التف حول سِبتيموس، وحبسه بين فقراته. ومع كل نفَس يتنفسه سِبتيموس، كان الثعبان يزيد من إحكام قبضته عليه، حتى بات نفَس سِبتيموس يضيق أكثر فأكثر، وبدأت روحه تُزهق. ببطء وتعمُّد، أخذ سايمون يحوم ويراقب تطورات الموقف بابتسامة بلهاء، إلى أن أصابته صخرة حادة في يده وأرسلته متدحرجًا إلى الوراء في دهشة.

وجاء صوت چينا من الأسفل يقول: «لقد أصبته! بسرعة، بسرعة، أقذفه بواحدة أخرى!».

ولم يكن الفتى الذئبي في حاجة لأن تطلب منه چينا ذلك؛ لقد كان في وضع استعداد لإطلاق طلقة أخرى، وشد المقلاع لتنطلق منه صخرة أخرى صغيرة مستديرة، أصابت هذه المرة سايمون في عينه اليمنى

وجعلته يسقط، وهو يصرخ من فرط ألمه، ثم ارتطم بالأرض بصوت مكتوم، بينما سقط الثعبان بعيدًا عن سِبتيموس وتابع خطى سيده، ليهبط هو أيضًا مرتطمًا بصوت مكتوم. أما سِبتيموس، فبعد أن أصابه دوار من نقص الأكسچين بدأ يتهاوى ببطء لأسفل، إلى أن التقطته چينا ونكو والفتى الذئبي ومددوه على الضفة. ومن شدة قلقهم عليه؛ حيث كان وجهه يعلوه بياض مميت وازرقت شفتاه، لم يلحظوا أن سايمون تمكن من الوقوف على قدميه مرة أخرى، ولم ترفع چينا عينيها عن سِبتيموس وتنظر لأعلى إلا عندما سمعت حوافر رعد وهي تجري على امتداد الممر الصاعد.

وهكذا، أخذ سايمون هيب طريق العودة إلى أرض الأشرار، واضعًا يدًا على عينه المصابة والأخرى يمسك بها لجام رعد.

30

في مستنقعات مرام



قال *ستانلي غير مُصدق أذنيه:* «الآن؟ تريدينني أن أعود الآن؟».

قالت العمة زيلدا بحدة، وقد انتهت توًا من حل وشاح جينا عن يدي الفتى الذئبي المحترقتين وأزعجها حالهما: «هذا هو ما قلته».

وقف ستانلي على عتبة باب كوخ الحارسة، ينظر إلى الخارج نحو ضوء الشمس الساطع حيث تجلس جينا ونكو وسبيتيموس بجانب المركب التنينية. كانت ذراع جينا قد لفت بضمادة نظيفة بيضاء، وبدا سبيتيموس أقل شحوبًا بعد أن تناول كعكة من كعكات العمة زيلدا «المضادة للثعابين»، بينما أخذ نكو يحرك قدميه بمرح في مياه المستنقع الدافئة.

نظر ستانلي إلى المركب التنينية؛ كانت أجمل مركب رأتها عيناه، علمًا بأنه رأى العديد والعديد من المراكب من قبل. كانت مقدمة المركب عبارة عن عنق طويل مقوس لأنثى تنين، يغطيه قشر متقزح باللون الأخضر، ورأسها مصنوع من الذهب ويلمع، أما عيناها فكانتا خضراوين داكنتين. كان جسم المركب عريضًا أملس يلمع بلون ذهبي مصقول في ضوء الشمس، بينما طوي على جوانبها زوج من أجنحة التنين خضراء اللون ذات ملمس جلدي، وينبثق عاليًا في الهواء عند مؤخرة المركب، حيث توجد ذراع الدفة الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجني، وذيل التنين، بطرفه المدبب كالسهم والمصنوع من الذهب يومض ويتلألأ في ضوء الشمس. كان منظرها يبعث في النفس الإحساس بالسعادة والسلام، شعر ستانلي في جزيرة العمة زيلدا بالأمان، لدرجة جعلته لا يريد أن يرحل. لكن كان للعمة زيلدا على ما يبدو رأي آخر، فقالت له: «لا داعي لأن تضيع الوقت وتتسكع هكذا. فلو انطلقت الآن لوجدت نفسك قد خرجت من المستنقعات بحلول الليل. واليوم هو أطول يوم في العام وهو أفضل يوم للسفر وسط المستنقعات، فالجو اليوم حار جدًا بالنسبة لمعظم الكائنات هنا، ومن ثم ستظل هذه الكائنات قابعة تحت سطح الوحل لتبرد أجسامها».

رد ستانلي بكآبة وهو يحك إحدى أذنيه: «فيما عدا حشرات الغول، لقد تعقبتني سحابة منها طوال الطريق وأنا قادم. ومازلت أشعر بحكة في جسمي. إنها حشرات مزعجة جدًا».

سألت چينا ستانلي، وهي تنضم إليه لدى عتبة الباب: «هل دخلت في أنفك؟».

فقال ستانلي: «ماذا قلت؟».

«أقصد حشرات الغول، هل دخلت في أنفك؟ فهذا هو ما تفعله، إنها تدخل في أنفك ثم تنظف كل...».

ثم جاء صوت العمة زيلدا من الجانب الآخر من باب مكتوب عليه جرعات غير مستقرة وسموم خاصة، وهي تقول: «كفى يا چينا، كفى، لا داعي لكل هذه التفاصيل، كلنا يعلم ماذا تفعله هذه الحشرات». فالعمة زيلدا كانت في دولاب الجرعات، تبحث عن **بلسم ملطف للحروق**.

قالت چينا معللة: «لكن ستانلي لا يعلم».

ردت عليها العمة زيلدا، وهي تخرج من الدولاب ومعها برطمان زجاجي ضخم يحتوي على دهان وردي: «ستانلي لا يحتاج أن يعرف ذلك، كما أن هذه الحشرات لا تفعل ذلك مع الجرذان. وعلى أية حال، أحاول أن أجعله يذهب إلى مارشا ليقول للمسكينة - ولوالدتك وأبيك أيضًا - إنكم جميعًا وصلتم بسلام. فلا داعي إذن لأن تقلقيه بالحديث عن هذه الحشرات أو أي شيء آخر».

فسألتها چينا: «ألا يريد أن يذهب؟».

رفع الجرذ رجله اعتراضًا، وقال: «معذرة، فأنا مازلت هنا، وأنتما تتحدثان على لساني، فأنا لم أقل بالضبط إني لا أريد أن أذهب يا مولاتي، إنما قلت إنني أفضّل ألا أفعل، أحببت أن أوضح فقط إلا إذا كان ليس هناك فرق بالنسبة لكما».

قالت چينا: «لا، بل هناك فرق بالنسبة لي، وللعمة زيلدا أيضًا».

رد ستانلي قائلًا: «هذا ما كنت أظنه بشكل أو بآخر. سأنطلق الآن. هل لديكما رسالة محددة تريدان أن أوصلها للساحرة العظمى».

«أخبر مارشا - ووالديَّ أيضًا في القصر - أننا جميعًا بخير في كوخ العمة زيلدا، وأنني وصلت في الوقت المناسب لموعد زيارة التنين في عيد منتصف الصيف».

«تمامًا يا مولاتي. سوف أفعل ما أمرتني به».

قالت چينا: «عظيم. أشكرك يا ستانلي. وأنا لن أنسى لك هذا، هذا وعد مني. فأنا أعلم أنك لا تحب المستنقعات».

قال ستانلي، وهو ينطلق قافزًا لدى عتبة الباب: «نعم، أنا لا أحبها».

ثم نادته العمة زيلدا وقالت: «انتظر لحظة». التفت ستانلي ينظر وراءه، متمنيًا في قرارة نفسه أن تكون العمة زيلدا قد غيرت رأيها، لكنها قالت له: «أتحب أن أجلب لك سندويتشًا تأخذه معك؟ فهناك بعض السندويتشات التي تبقت من وجبة الغداء».

فسألها ستانلي متوجسًا: «وما بداخلها بالضبط؟».

«كرنب، لقد سويته طيلة هذا الصباح على النار؛ ولذلك ستجده لذيذًا وطريًا».

«هذا كرم منكِ، لكن لا، أشكرك. سأنطلق أنا الآن». وهنالك، انطلق ستانلي جريًا على الممشى، ثم أخذ يجري بخطى صغيرة وسريعة على جسر قناة الغمد لينزل على الجانب الآخر من مستنقعات مرام.

قالت العمة زيلدا: «أتمنى أن يصل بسلام».

ردت جينا: «وأنا أيضًا».

وبحلول نهاية فترة الظهيرة، كان الفتى الذئبي قد ارتفعت حرارته، فرقد على أريكة العمة زيلدا ويداه مغطاتان **ببلسم الحروق** وضمادات نظيفة بيضاء، وأخذ يهلوس مهمهمًا ببعض الكلمات، وكل حين يُغشى عليه ثم يسترد وعيه ثانيةً. جلس سبتيموس إلى جواره، وفي يده قطعة قماش مبللة يضعها على جبينه، بينما أخذت العمة زيلدا تتصفح كتابًا ضخمًا متهالكًا عنوانه «*صيدلة الساحرات*».

غمغمت العمة زيلدا: «إنه حرق **شيطاني** بكل تأكيد. وأنا يتملكني الذعر كلما فكرت فيما يخطط له سايمون هيب هذا. وإذا كان قد آوى «كرة متعقبة»، بل واحدة تعمل بكفاءة بالغة، فلا أحد يعلم ماذا يمكن أن يفعل غير ذلك».

رد سبتيموس بنبرة كئيبة، متمنيًا في سره أن تنخفض حرارة الفتى الذئبي: «*الطيران*».

قالت العمة زيلدا وهي ترفع عينيها عن الكتاب، وحاجبيها لأعلى، وقد بدت الدهشة على عينيها الزرقاوين البراقتين اللتين تميزان الساحرات: «**الطيران**؟ **الطيران** *الحقيقي*؟ هل أنت متأكد يا سبتيموس، متأكد من أنه ليس مجرد تحليق وبعض الخيال؟ إنهم بارعون في مسألة الإيحاء هؤلاء السحرة الممارسون **للسحر الأسود**».

«أنا متأكد. أقصد أنه ما كان سيستطيع أن يصل إلينا بعد أن تركنا بأي طريقة أخرى، خاصة أنه كان لا بد أن يعبر مستنقعات مرام».

بدت العمة زيلدا مستغرقة في التفكير وهي تواصل قلب الصفحات المشققة السميكة لكتاب «*صيدلة الساحرات*» بحثًا عن الجرعة المناسبة، ثم قالت وهي تتفحص الكتابة المتلاصقة على كل صفحة من صفحات ورق الرَّق، وتحاول أن تلمح الرموز التي تبحث عنها: «في الحقيقة، أنا لا أستطيع أن أصدق ذلك. أقصد من أين جاء **بالوصفة السحرية للطيران**؟».

قال سبتيموس: «إن مارشا تقول إن **الوصفة السحرية للطيران** لا وجود لها. وتقول إن «الكيميائي الأخير» ألقاها في أحد الأفران؛ لقد **ضحَّى** بها من أجل أن يصنع أنقى أنواع الذهب».

قالت العمة زيلدا: «قد يكون هذا الكلام صحيحًا، وقد لا يكون كذلك».

«فعلًا؟». هكذا رد عليها سبتيموس الذي دائمًا يتحمس لسماع رأي العمة زيلدا فيما يخص أمور **السحر**، فتناولها للأمور يختلف عن تناول مارشا بشكل ينعش الذهن، كما أن العمة زيلدا أحيانًا تعرف أمورًا مدهشة لا تعلمها مارشا.

رفعت العمة زيلدا بصرها عن الكتاب ونظرت بإمعان إلى سبتيموس، وقد بدت مستغرقة في التفكير، ثم قالت بصوت خفيض: «سأسرُّ إليك بأمر».

فأومأ لها سبتيموس برأسه.

قالت: «هناك قصة تقول إن «الكيميائي الأخير» لم **يُضحِّ بالوصفة السحرية للطيران**، بل احتفظ بها لنفسه؛ **فالوصفة السحرية** كانت من

أروع أنواع الذهب الموجودة حينها، كانت مصنوعة من خيوط من الذهب الخالص غزلتها عناكب «أوروم»، ولقد وقع في هواها وما كان ليحتمل أن يتركها؛ ولذلك **أخفاها**».

سألها سبتيموس: «أين؟».

هزت العمة زيلدا كتفيها وقالت: «لا أحد يعلم، هل أخفاها على سطح أعلى شجرة في الغابة، أم تحت مرتبته، أم في جوربه؟».

شعر سِبتيموس بالإحباط؛ حيث كان متوقعًا أن يسمع المزيد، وعلّق قائلًا: «باه!».

واصلت العمة زيلدا كلامها وقالت: «لكن...».

«لكن ماذا؟».

«لطالما اعتقدت أن **الوصفة السحرية للطيران** موجودة هنا».

قال سِبتيموس لاهثًا: «هنا؟ في كوخ الحارسة؟».

«صه! نعم»، ثم قلبت العمة زيلدا صفحة أخرى، ونظرت بعينين شبه مغمضتين إلى المعادلات المكتوبة بخط سريع في كل الصفحة، وقالت: «وأنا بالطبع بحثت عنها في كل مكان لكن المشكلة في هذه **الوصفات السحرية** القديمة أنها تعود إلى عهد **السحر الأسود**، وهي في كثير من الأحوال لا تتجاوب إلا مع لمسة من **السحر الأسود**. وهذا يا سِبتيموس شيء لا أملكه، وليس لديّ أي رغبة في ذلك».

أصبحت قطعة القماش الموضوعة على جبين الفتى الذئبي ساخنة، فقام سِبتيموس، وهو لا يزال يفكر في أمر **الوصفة السحرية للطيران**،

وأخذ قطعة القماش إلى مطبخ العمة زيلدا، ثم غطسها في دلو مليئة بالماء البارد من الينبوع، وعصرها، ثم عاد ليجلس ثانيةً إلى جوار الفتى الذئبي. وبحرص، وضع قطعة القماش على جبينه.. كل هذا ولم يتحرك الفتى الذئبي ولو حركة واحدة.

قال سِبتيموس: «لكن...».

قالت العمة زيلدا بنبرة باسمة: «كنت أعلم أنها ستكون هنا (لكن)..».

«لكن ما الذي جعلكِ تعتقدين أن **الوصفة السحرية للطيران** موجودة هنا؟ لا بد أن هناك سببًا جعلك تعتقدين ذلك».

«أنت تعلم بالطبع أن الحارسة غير مسموح لها بالزواج؟».

«نعم».

«وهن محقات في ذلك؛ فالزوجة لا ينبغي عليها أن تخفي أية أسرار عن زوجها، والحارسات يحتفظن بالعديد من الأسرار. لكن «برودا باي»، وهي واحدة من أولى الحارسات، تزوجت سرًّا من «الكيميائي الأخير». وفي اعتقادي أن زوجها أخفى **الوصفة السحرية** هنا، كما أنني أعتقد أنها أيضًا ربما تكون قد احتفظت بجزء منها لنفسها، إذا صدقنا ما هو مكتوب في يومياتها – ومعنى ذلك أنه قد تكون **الوصفة السحرية للطيران** ناقصة».

«لكن...».

«لكن ماذا؟ انظر! هذه تبدو مثيرة».. كانت العمة زيلدا تنظر عبر نظارتها إلى صفحة مسودة في نفس الكتاب.

قال سبتيموس: «أنا لا أفهم لماذا لم يخفها فحسب في القلعة؛ فرحلة كهذه بهذه **الوصفة السحرية** الثمينة ستكون محفوفة بالمخاطر. ألم يكن حال المستنقعات أسوأ مما هي عليه الآن في تلك العصور القديمة؟ ألم تكن تزخر بنوع من سمك الكراكي الآكلة للحوم وما إلى ذلك من هذه **الأشياء الشيطانية**؟ ولا أظن أنه كان سيخاطر بأن يخسر **الوصفة السحرية** للطيران هنا أو هناك في أرض الوحل المتحرك، أليس كذلك؟».

رفعت العمة زيلدا بصرها ونظرت إلى سبتيموس بإمعان من فوق نظارتها وقالت بغموض: «هناك أكثر من طريقة لقتل القطة». وقبل أن يتسنى لسبتيموس أن يسأل العمة زيلدا ماذا تقصد بكلامها، كانت قد ألقت بالكتاب الثقيل على «حجره» وهي تقول له مشيرةً إلى الصفحة المسودة: «ألقِ نظرة على هذا. أعتقد أن فيه الحيلة المناسبة؛ إنه **سحر معكوس** أصلي لبوريس بويل؛ ولذلك سيحتوي على بعض **السحر الأسود**.. ما رأيك؟».

قرأ سبتيموس التالي: «*خميرة الحروق السوداء – وصفة لإعداد مخالب القط، ولمزيد من الفعالية بالنسبة للشك في وجود أي تلوث شيطاني نوصي بتكوين خلطة إضافية تحتوي على العلاج رقم 3 للسحر المعكوس لبوريس بويل. تحذير: لا ينبغي تعريضها للغليان. انظر الصفحة 35 للتركيبة النهائية. تستخدم التركيبة على الفور. والتركيبة*

تستقر لثلاث عشرة دقيقة بالضبط. والتخلص منها يكون بحرص شديد».

فأطلق سبتيموس صفيرًا خفيضًا، وقال: «تبدو معقدة للغاية».

ردت عليه العمة زيلدا قائلة: «إنها بالفعل معقدة جدًا، وسوف تستغرق مني ساعة أو أكثر لخلطها. لكن اعلم أن لديَّ كل المكونات، ودائمًا ما أحتفظ بزجاجة احتياطية من «سم بويل»، كما أنني اشتريت بعض «مخالب القط» من سوق «سنة ويوم واحد» العام الماضي، ثم قامت من مكانها واختفت ثانيةً في دولاب الجرعات.

مكث سبتيموس إلى جوار الفتى الذئبي الذي رقد ممددًا في شحوب وسكون كأنه قطعة صخر تقبع تحت قرص الشمس، يحترق من الداخل بحمى **شيطانية** – يراقب بقلق باب دولاب الجرعات المغلق بإحكام، إنه يتذكر تمامًا هذا الباب من المرة السابقة التي قضاها هنا عند العمة زيلدا؛ كان الدولاب من الداخل صغيرًا ومظلمًا، ويمتلئ بأنفس وأدق الجرعات التي تستخدمها العمة زيلدا؛ وبداخله باب مسحور يفتح على النفق وكان يؤدي يومًا ما إلى المعبد القديم الذي قبعت فيه المركب التنينية تحت سطح الأرض لمئات السنين. لكن بعد أن انجرفت جدران المعبد مع العاصفة الكبرى، أصبح النفق الآن يؤدي إلى قطعة الأرض المزروعة بالكرنب، وقد اعتادت العمة زيلدا الآن استخدامه كطريق مختصر.

ظهر ظل جينا وسط الضوء الساطع لدى مدخل الباب، وسألت بنبرة قلقة: «كيف حاله الآن؟».

رد سِبتيموس بهدوء: «لا أظن أنه بحال جيدة. العمة زيلدا تعد له تركيبة جرعة معقدة جدًا».

جلست چينا إلى جوار سِبتيموس، وسألته: «أتعتقد أنه سيتعافى يا سِب؟».

«لا أعلم.. ياه! كيف أعدتها بهذه السرعة؟!»؛ حيث خرجت العمة زيلدا مندفعة من الدولاب، وقد بدت مضطربة، ثم قالت: «أحتاج إلى سم المستنقع، أريده طازجًا، أتصدق ذلك؟! لا بد أن يكون طازجًا.. يا لها من وصفة بائسة! اذهب يا سِبتيموس واطلب السم من الغول، ممكن؟ في الحال لو سمحت».

همّ سِبتيموس بالذهاب.

فقالت له چينا: «لا يا سِب، انتظر أنت معه، وسوف أذهب أنا».

نادت العمة زيلدا عليها وهي تهمُّ بالخروج وقالت لها: «قولي للغول إن الأمر مُلح ولا يحتمل الانتظار.. وتجاهليه لو بدأ يثير المتاعب».

وبالفعل، كان الغول مزعجًا، واضطرت چينا أن تنادي على كائن المستنقع البني ضخم الجثة ثلاث مرات قبل أن يخرج من الأرض الموحلة التي يعيش فيها في بحر من الفقاقيع الموحلة.

«ألا يستطيع غول مثلي أن ينام قليلًا في يوم هو أحر يوم في العام»، ثم سألها، وهو يرمش بعينيه بغضب في ضوء الشمس الساطع: «ماذا تريدين مني الآن؟».

قالت چينا معتذرةً: «أنا آسفة جدًا أيها الغول. لكن العمة زيلدا تحتاج بشكل عاجل إلى سم مستنقع وتقول...».

فقاطعها: «.. سم المستنقع؟ أتقولين مطلوب مني أن أذهب وأجلب سم المستنقع؟».

قالت له چينا وهي تتوسل إليه: «أرجوك أيها الغول، إنه للفتى الذي احترقت يداه، إنه مريض جدًا».

«ياه! أنا آسف لسماع ذلك وآسف على نفسي أيضًا لأنني مضطر أن أخرج مرة أخرى ويحترق جلدي في الشمس وأحرم من النوم، ناهيك عن الاضطرار للبحث وسط كل تلك اليرقات المقززة»، وارتجف جسمه إثر ذكر ذلك، وأخرج فقاعة هائلة من أنف أفطس يشبه أنف كلب البحر، فهبت على چينا ذرات من «نفَس الغول» ذائع الصيت، وفي الحال تراجعت إلى الوراء وترنحت قليلًا، فنفَس الغول تزداد حدته مع ارتفاع حرارة الشمس.

قال الغول: «قولي لزيلدا إنني سوف أحضر لها سم المستنقع بمجرد أن أعثر على بعض منه»، ثم غطس مرة أخرى في الوحل.

وبعد عدة دقائق، رأته چينا يخرج إلى سطح قناة الغِمد، وهي قناة عريضة تلتف حول الجزيرة بأكملها، وراقبته وهو يشق طريقه مسرعًا على امتداد القنوات والخنادق التي تتفرع من هذه القناة وتخرج إلى المستنقع، إلى أن ابتعد بمسافة ووصل إلى «حفرة المائة قدم» التي ينمو

فيها سم المستنقع، ثم لاحظته وهو يرفع رأسه من فوق سطح المياه، ويأخذ نفسًا عميقًا، ثم يتوارى عن الأنظار مرة أخرى.

سد الغول أذنيه وأنفه وغطس كالصخرة في «حفرة المائة قدم»؛ فقد كان خبيرًا في أمور الغطس ويستطيع أن يحبس نفسه لمدة لا تقل عن ساعة؛ ولذلك فلم يكن يعترض قط على القيام بجانب المهمة الذي يتطلب الغطس، أما ما كان يعترض عليه فهو تلك الأشياء التي يعلم أنه سيجدها في قاع الحفرة، ورغم أنه ليس سريع التقزز، فإنه يشمئز من القواقع البيضاء الضخمة التي تعيش في المستنقع والتي دائمًا في حالة شبه متحللة. كانت هناك كومة من هذه القواقع العملاقة تعيش في قاع الحفرة، يزدهر أسفلها سم المستنقع الذي يتغذى من هذا المكان على لحم القواقع المتعفن. وسم المستنقع وإن لم يكن طازجًا يُعد عاملًا مساعدًا له مفعول قوي في تحضير أي جرعة، فما بالك بالطازج! هز الغول رأسه معترضًا، متمنيًا في سره أن تكون زيلدا مدركة ما تفعله، وهي تعبث هكذا بالسم وهو طازج.

جلست چينا بجانب قناة الغِمد، تنتظر خروج الغول إلى السطح، وحتى تلهي نفسها في تلك الأثناء التقطت بعض الحصى الرمادي الصغير، آملةً أن تكون إحداها بيتروك تريلاوني، صخرها الأليف. فسايلاس كان قد أهداها بيتروك في عيد ميلادها العاشر، لكنها فقدته أثناء زيارة منتصف الصيف السابقة، وهي لا تزال تأمل العثور عليه. لكن من بين كل الحصى التي ضربتها على سطحها، لم تُخرج أي واحدة منها

أرجلها القصيرة الممتلئة كما كان بيتروك سيفعل فتنهدت، ثم ألقتها واحدة تلو الأخرى في قناة الغِمد، متمنية ألا يطول غياب الغول.

لكن چينا لم تكن هي الوحيدة التي تنتظر الغول؛ حيث كان بجانب «حفرة المائة قدم» فتى نحيف طويل القامة يتمدد على رقعة من النجيل الناعم، ويرتدي سروالًا لا يناسبه مصنوعًا من مختلف الأقمشة الملونة، ورداءً فضفاضًا من القماش الخشن. وعلى الرغم من جهود العمة زيلدا في تغذية ميرين ابن ميريديث، التلميذ السابق لدومدانيال، فإنه لا يزال نحيفًا كعود القصب. ولقد مر أكثر من عام الآن منذ أن عالجته العمة زيلدا وأعادته إلى الحياة بعد أن **استهلكه** سيده القديم، إلا أن صدى تلك التجربة القاسية ما زال يلوح في نظراته الشبحية التي تبدو على عينيه الرماديتين الداكنتين. وميرين، في الأيام التي يكون فيها سعيدًا، لا يمانع صحبة العمة زيلدا، لكن في الأيام التي يشعر فيها بالتعاسة – والتي يعد هذا اليوم أحدها – لا يطيق أن يكون إلى جوارها، أو إلى جوار أي شخص آخر؛ فهو في هذه الأيام يشعر وكأنه لا يزال **مستهلكًا** وأنه بالفعل لا وجود له.

كان ميرين اليوم غاضبًا، ولقد انتابه هذا الغضب منذ أن وصل جرذ ثرثار لا يكف عن الكلام، ومعه طلب عاجل بإرسال الغول إلى جانب المستنقع المقابل للميناء ومعه زورق لإحضار تلك الأميرة البشعة. وراح ميرين ينتظر بجانب القناة الممتدة جهة الميناء، وعندما ظهر الزورق، استشاط غضبًا.

ورأى حينها رأي العين تلك الأميرة المغرورة وهي تجلس في مقدمة الزورق، كما كان يتوقع. لكن كان معها ثلاثة أشخاص آخرين.. ثلاثة.. أحدهم لا بأس به، وهو فتى نحيف غير نظيف يذكره بالذئب الذي احتفظ به سيده لفترة كحيوان أليف. أما الآخران فكانا آخر اثنين في العالم يود أن يراهما؛ أحدهما كان ذلك الفتى البذيء نكو الذي تشاجر معه مرة ونعته بالخنزير، ولوى ذراعه ليةً كانت بالفعل مؤلمة، وأسوأ ما في الأمر ثانيهما وهو ذلك الطفل التافه سِبتيموس هيب؛ الشخص الذي سرق منه اسمه، اسمه هو شخصيًا. ورغم إصرار العمة زيلدا على أن اسمه الحقيقي هو ميرين ابن ميريديث، فهي لن تستطيع إقناعه – فما أعلمها هي بذلك؟ لقد عاش طوال حياته باسم سِبتيموس هيب، ربما أنه اسم غبي، لكنه الاسم الوحيد الذي عرفه لنفسه.

وبعد أن تعكر مزاجه، انطلق إلى مكانه المفضل بجانب «حفرة المائة قدم»، وهو يعلم أنه ما من أحد سيزعجه هناك، إلى أن تنادي عليه العمة زيلدا آخر النهار. لكن للأسف أزعجه الآن ذلك الغول ذو الرائحة الكريهة.

غرز ميرين عصا ذات سن مدببة في الوحل، منتظرًا أن يبتعد الغول ويدعه وشأنه. وبعد ما بدا دهرًا، سمع صوت طرطشة بجانبه، ورأى رأس الغول يخرج من وسط المياه البنية المثقلة بالوحل فلم ينبس ببنت شفة؛ فهو يخاف من الغول، كما هو حاله مع معظم الكائنات. هز الغول رأسه وطرطش حوله بمياه كريهة الرائحة فناله بعض منها.

وقال الغول لميرين: «إنها مقززة تثير الاشمئزاز. هناك كميات هائلة منها في الأسفل. كان لا بد أن أجرفها بعيدًا عني حتى أستطيع الخروج، لقد تسربت بين أظافري وسأحتاج أيامًا كي أنظفها. إنها مقززة»، واقشعر جسم الغول، ثم استطرد قائلًا: «لكن رغم أنفها جلبت السم لزيلدا». كان الغول يحمل ملء قبضته أشكالًا شريطية بيضاء تتلوّى، وبدأت على الفور تذبل في ضوء الشمس، وقال وهو يغطسها في المياه: «أخ! لا ينبغي أن تُترك حتى تجف». ومع هذه الكلمات، انطلق الغول عبر القنوات المؤدية إلى قناة الغِمد، وما إن رآته جِينا حتى أسرعت إلى الجسر لتقابله.

لاحظها ميرين في تلك الأثناء وهو يطعن خنفساء كانت تسير في أمان بطعنة دقيقة التصويب.

31
التنانين



سمع دوي فرقعتين في دولاب الجرعات، وانبعث قدر لا بأس به من الدخان الأخضر كريه الرائحة من أسفل عتبة باب الدولاب عندما أضافت العمة زيلدا سم المستنقعات الطازج. لكن أخيرًا، وما إن وضعت ثلاث عشرة قطرة من «تركيبة مخالب القط» على لسان الفتى الذئبي حتى غط في النوم بسلام.

غربت توًّا شمس منتصف الصيف، وجلست چينا ونكو وسِبتيموس على عتبة الباب يراقبون آخر شفق أحمر وهو يتوارى بعيدًا في الأفق، بينما بدأ بريق نقطة الضوء التي تشير إلى كوكب الزهرة يزداد باطراد في كبد السماء التي بدأ يتسلل إليها الظلام رويدًا رويدًا. ظل ميرين بعيدًا عنهم بقدر المستطاع، وكان يلهي نفسه عند الطرف البعيد من الكوخ، يُطعم ويُحصي مجموعة النمل الضخمة التي

يربيها، والتي سمحت له العمة زيلدا بأن يحتفظ بها في مجموعة من برطمانات الجرعات القديمة.

ومع اقتراب منتصف الليل، أشعلت العمة زيلدا مصباحًا استعدادًا لزيارة چينا السنوية التي تقابل فيها المركب التنينية. كان ميرين في ذلك الوقت بالطابق العلوي متكورًا تحت غطائه، وعلى الرغم من محاولته إقناع نفسه بأنه لا يعنيه – ولو ذرة – ما تفعله هذه المجموعة الحمقاء مع تلك المركب الغريبة، وجد نفسه يتسلل إلى النافذة الصغيرة بغرفة السندرة، والتي تطل على قناة الغمد حيث ترسو المركب التنينية.

لكن ما لم يفهمه ميرين – وذلك لعلم العمة زيلدا بسعادة ميرين بإيذاء الكائنات الحية، وبالتالي حرصت على ألا تخبره – هو أن المركب التنينية في واقع الأمر تُعد جزئيًا أنثى تنين حية وتتنفس. فمنذ مئات السنين كانت المركب التنينية أنثى تنين حقيقية، وكانت من الحالات النادرة أن يفقس بيض التنين بمساعدة من البشر، وكان حتب رع – أول ساحر أعظم – هو الذي ساعدها في أن تفقس وذلك قبل أن يراوده حلم المضي إلى القلعة وتشييد برج السحرة بزمن طويل. وبعد سنوات عديدة، وفي ليلة مرعبة عندما لاذ حتب رع بالفرار من بلده وبدأ رحلته متجهًا إلى الشمال، **حوّلت** التنين نفسها إلى مركب رائعة الجمال من أجل أن تنقذه من متعقبيه.

ولقد كان ذلك إهداء في غاية السخاء منها؛ إذ إن التنانين عمومًا لا تستطيع أن تمر إلا بتحول واحد من مثل هذه التحولات خلال حياتها،

ومن ثم فقد كانت أنثى التنين مدركة تمامًا أنها ستظل على هيئة مركب طوال حياتها.

كانت مقدمة المركب هي عنق ورأس التنين، وهي أجزاء حية منها، بينما ينبثق ذيلها المسنن من مؤخرة المركب. أما شراعاها، وهما جناحا التنين، فكانا مطويين بدقة على جانبي الجسم الخشبي الضخم للمركب. ولقد أصبحت ضلوع التنين - عندما **تحولت** - هي الدعامات التي تحمل الألواح الخشبية المقوسة، بينما أصبح عمودها الفقري، والذي يمتد بطول الجسم هو رافدة القص. وفي غرفة مغلقة - لم يفتحها من قبل أي شخص، ولا حتى العمة زيلدا - سكن قلبها الذي ينبض في هدوء.

وفي الضوء الذي يلقيه المصباح، أخذ ميرين يراقب العمة زيلدا وجينا التي تسير إلى جوارها وهما تتوجهان إلى المركب التنينية، ثم توقفتا للحظات أمام مقدمة المركب، وهما تنظران إلى الرأس الأخضر المذهب. ولدهشته، رأى ميرين رأس المركب يتحرك. وقفت جينا ساكنةً وسط محيط الضوء الأصفر الصادر عن المصباح، بينما انخفضت مقدمة المركب لأسفل لتقابل جينا، إلى أن أصبح رأس التنين في مستوى وجهها. كانت عينا التنين الخضراوان الزمردتان تنظران مباشرة إلى جينا وتلقيان بوميض أخضر قشيب على شعرها الأسود. وبدا لميرين، كما قال في سره، كأنهما تتحدثان معًا بدون كلمات. فظل يراقب جينا وهي تمد جسدها لتربت على أنف التنين الذي بدا له أن ملمسه سيكون بكل تأكيد أملس ودافئًا، شعر ميرين أنه يتوق للمس التنين، لكنه كان يعلم أن

هذا غير مسموح له. ولسعادته، لاحظ أنه غير مسموح أيضًا بذلك لا للفتى سبتيموس هيب ولا لهذا الفتى الخنزير، بما أنهما كانا يقفان في الظل يراقبان، مثله تمامًا.

راقب ميرين جينا وهي تقرب أذنها من رأس التنين، وخُيل إليه أنه رأى تحول الابتسامة التي كانت تعلو وجه جينا إلى تكشيرة، وتساءل في سره ماذا قالت لها التنين. فميرين كان يعشق معرفة الأحاديث التي تدور بين من حوله، ولقد اعتاد عندما كان تلميذ دومدانيال أن ينصت إلى ما يديره الآخرون ويخططون له، وهذا أساسًا؛ لأنه لم يكن أحد يتحدث معه، وكانت هذه العادة هي الطريقة الوحيدة التي تمكنه من سماع أصوات بشرية غير تلك التي تصيح في وجهه. والآن وقد أثار المشهد عند قناة الغمد فضول ميرين، بدأ يقفز على قدميه بنفاد صبر عند النافذة، يتوق لأن يسمع ما يقال.

لكن ما لم يدركه ميرين هو أن لا أحد يستطيع أن يسمع ما يدور بين جينا والمركب، على الرغم من سلامة انطباعاته الأولى، فجينا والتنين كانتا تتجاذبان أطراف الحديث من دون كلمات تقال، مثلما كانت تفعل كل الملكات عبر الأزمان السابقة مع المركب التنينية. فكلما حل «عيد منتصف الصيف»، عندما تصل قوة المركب التنينية إلى أقصى مداها، كانت ملكة القلعة تقوم بزيارة للمركب، وقد كانت أول زيارة تقوم بها ملكة من القلعة منذ مئات السنين، عندما كان بناءو المراكب الذين جلبهم حتب رع يقومون بإصلاح المركب التنينية عقب تحطمها عند مصب النهر وهي في طريقها إلى القلعة. كانت هذه الزيارات حينها تتم

في وضح النهار، حيث كانت المركب التنينية تستجمع قواها في المستنقع الطلق. لكن مع تقدم حتب رع في السن، وفتور قوته وانحراف خططه، خشي على سلامة المركب التنينية، فأخذها إلى معبد قديم شُيد تحت الأرض في نفس الجزيرة التي تعيش فيها العمة زيلدا الآن. وبتعليمات من حتب رع، أصبحت المركب التنينية تحت رعاية حارسات متواليات، ويزورها كل عام في عيد منتصف الصيف الملكات المتواليات، ولا أحد يعلم لماذا لا بد من القيام بهذه الزيارة، فكتابات حتب رع فُقدت، وكل ما تعرفه الحارسات والملكات أن هذه الزيارة تُعد أحد الأمرين اللذين يحافظان على سلامة القلعة، أما الأمر الآخر فهو وجود الملكة.

والآن قد تمت الزيارة، وراقب ميرين جينا وهي تضع يدها على عنق التنين وكأنها تودعها، ثم رأى التنين، بعد أن أنزلت جينا ذراعها عن عنقها، ترفع رأسها إلى وضعه المعتاد وتصبح من جديد مجرد مركب رائعة الجمال. نظرت جينا إليها لوهلة، ثم التفتت هي والعمة زيلدا وسارتا على امتداد الممشى متوجهتين إلى الكوخ، ومع اقترابهما منه، اختفيتا عن أنظار ميرين. وفجأة، تسلل النعاس إلى عينيه، فالمشهد الذي حدث في الخارج كان له تأثير مهدئ عليه بشكل غريب. وبدلًا من مكوثه عند أعلى السلم، يتنصت كعادته، عاد إلى فراشه واستغرق في النوم. ولأول مرة في حياته، لم ينتبهْ أثناء نومه أيٌ من كوابيسه المعتادة.

أما في الطابق السفلي فقد أوقدت العمة زيلدا نارًا ضئيلة أشعلتها بأخشاب من شجر التفاح، وراحت تملأ أكوابًا من عصير الجزر الأبيض

والكرنب احتفالًا بهذه المناسبة، فقد كانت ليلة عيد منتصف الصيف مناسبة مهمة لكل الحارسات البيضاوات، لكنها تمثل أهمية خاصة للحارسات منهن اللاتي يقمن على جزيرة دراجين. والعمة زيلدا هي آخر حارسة في قائمة طويلة تضم هؤلاء الحارسات، لكنها تُعد أول حارسة جعلت المركب التنينية ترسو في الخارج أمام الكوخ، تمامًا مثل أي مركب من المراكب العادية التي ترسو في المستنقعات. ففي الماضي، كانت الحارسات يأخذن الملكة مساءً إلى النفق في ليلة عيد منتصف الصيف، عبر الباب المسحور القابع في دولاب الجرعات، ويسرن على امتداده إلى أن يصلن إلى المعبد القديم؛ حيث كانت المركب التنينية تسكن بعد أن تركها سيدها الأول حتب رع هناك.

بينما كان سيدها الثاني يجلس الآن بجانب النار يرتشف من عصير الجزر الأبيض والكرنب، وهو يحرك الخاتم التنيني الذي يرتديه في سبابته اليمنى ويقول لجينا: «ما خطبك؟ ماذا قالت لك؟ أخبرينا يا جين».

لكنها لم ترد، وأخذت تحدق إلى النار وهي تفكر بتأمل.

انضمت إليهما العمة زيلدا وجلست إلى جوارهما، وقالت لسبتيموس بحزم: «لا ينبغي عليك أبدًا أن تسأل الملكة – أو بالأصح الملكة القادمة – عما أخبرتها التنين. حتى في العصور السابقة، عندما كان السحرة العظماء يعلمون بأمر المركب التنينية، ما كانوا ليجرؤوا على طرح هذا السؤال».

«لكن چينا لا تمانع في إخبارنا، أليس كذلك يا چينا؟ وعلى أية حال، لو كان هناك شيء مزعج فمن الأفضل ألا نتركها تفكر فيه وحدها».

رفعت چينا عينيها من على النار وقالت: «لا أمانع في أن يسألني سبتيموس».

ردت العمة زيلدا: «أنا متأكدة من ذلك، لكنكِ تحتاجين أن تتعلمي الطريقة التي تتم بها الأمور- كما كانت تتم دائمًا. ولأن... يا لهول ذلك! ولأن والدتك ليست موجودة لترشدك فأنا أعتقد أنه ينبغي عليّ أن أعرّفك بكل ما في وسعي أن أعرفك إياه».

قالت چينا: «فهمت»، ثم أطبق عليها الصمت، وبعد قليل قالت: «أنا بالفعل أريد أن أخبركم بما أخبرتني به التنين، لقد قالت لي إنها تعلم أن هناك ساحرًا يستخدم **السحر الأسود** سوف يحضر، وأنها لم تعد بمأمن هنا».

همهمت العمة زيلدا، ثم قالت بكبرياء: «بالطبع هي في أمان هنا. إنها معي.. أنا الحارسة، وأنا أحافظ على سلامتها».

واصلت چينا كلامها وقالت بصوت خفيض ونبرة ثابتة، دون أن ترفع عينيها عن النار، لا تواتيها الشجاعة على أن تنظر إلى العمة زيلدا وهي تخبرها بهذه الأخبار السيئة: «التنين تقول إنه منذ أن انكشف أمر المعبد وأصبحت هي في الخارج، وهي تتوقع أن يعثر عليها شخص يستخدم **السحر الأسود**».

ردت العمة زيلدا بتذمر: «لماذا إذن لم تذكر لك ذلك عندما حضرتِ العام الماضي؟».

قالت چينا: «لا أعلم، ربما لأنها لم تكن تود أن نعيدها تحت سطح الأرض مرة أخرى؛ فهي في نهاية المطاف إنسانة.. أقصد أنها تنين.. وهي مولعة بالشمس ورائحة نسيم المستنقع».

ردت العمة زيلدا قائلة: «بالضبط، فمن الظلم أن نعيد إخفاءها مرة أخرى، كما أنها رائعة الجمال، وأنا طوال الوقت أتحدث إليها بعد أن صارت الآن في الخارج».

ثم تساءلت چينا في سرها كيف ستخبر العمة زيلدا بما طلبته منها المركب التنينية، ثم قالت: «لقد قالت إنها لا بد أن ترحل».

شهقت العمة زيلدا: «تريد أن *ترحل*؟».

«إنها تريد مني أن أطلب من سيدها الجديد أن يأخذها إلى أي مكان آخر يكون آمنًا؛ ليحافظ على سلامتها كما فعل سيدها الأول من قبل عندما أسكنها في المعبد القديم. أنا فعلًا آسفة يا عمة زيلدا، لكن هذا هو ما قالته لي، لقد قالت إنه حان الوقت الآن كي تكمل رحلتها إلى القلعة».

فقالت العمة زيلدا معترضة: «لكن أنا الحارسة، والمكان هنا لا يخلو من الحارسات، ولقد حلفت يمين الحارسة بأن **أحافظ** عليها في كل الأوقات، و*سأواصل* المحافظة عليها. وأنا لا *أستطيع* أن أدعها تذهب. لا أستطيع»، ثم قامت بتثاقل من فوق المقعد الخشبي الذي كانت تجلس عليه، وقالت: «سوف أعد سندويتش كرنب، من منكم يريد؟».

هزت چينا ونكو رأسيهما، لكن سبتيموس تردد لوهلة، فهو يفتقد سندويتشات الكرنب التي تعدها العمة زيلدا منذ أن أصبح تلميذًا، وعلى

الرغم من أن مارشا أعدت له واحدًا مجاملةً له في عيد ميلاده، فإن مذاقه كان مختلفًا. لكنه هز رأسه هو أيضًا؛ فهو لا يشعر بالجوع حاليًا.

وبينما كان جالسًا على الأرض بجانب النار، وهو يفكر بتوتر فيما هو متوقع منه أن يفعله مع المركب التنينية، ناهيك عن موقف العمة زيلدا لو فعل ما هو متوقع منه - شعر بشيء ينقر في جسمه، فقال في سره محاولًا أن يصل إلى هذا الشيء لإبعاده: لا بد أنها بيرت - وبيرت هي قطة العمة زيلدا التي اتخذت هيئة بطة، واعتادت أن تنقر في أي شخص يجلس في مكانها بجانب النار - لكنه لم ير أي شيء يدل على وجودها.

فسأله نكو: «ما خطبك يا سِب؟».

فردَّ: «أشعر بأن هناك شيئًا ينقر في جسمي.. لكن بيرت ليست هنا.. أوه! ها هو ينقر من جديد». ثم قفز سِبتيموس وهو يقول: «أوه! هناك شيء في جيبي يعضني!».

شهقت چينا: «يا للهول! أراهن أنها إحدى الخنافس المطقطقة، فقد كانت هناك أعداد كبيرة منها تقفز في أنحاء المكان عندما كنت أنتظر الغول.. تخلص منها يا سِب. ابحث عنها في الخارج.. أسرع!».

فقام سِبتيموس وتوجه نحو الباب.

فسألتهم العمة زيلدا بعد أن عادت بسندويتش كرنب هائل الحجم في يدها: «ما خطبكم؟».

قالت چينا: «في جيب سِب خنفساء مطقطقة، وتعضه».

ردت العمة زيلدا قائلة: «أيتها الملعونة الشريرة. تأكد يا سِبتيموس من إلقائها على الجانب الآخر من قناة الغمد؛ حتى لا تعود إلينا ثانيةً».

فتح سِبتيموس الباب. وبحذر، قلب جيب ردائه، ولدهشته لم يجد فيه شيئًا. وعندما اقتربت يده من حزامه، أخرج شيءٌ رأسه من ثقب كبير ظهر في الكيس الذي يلفه حول خصره، وقضم أصبعه قضمة قاسية ولم يتركه.

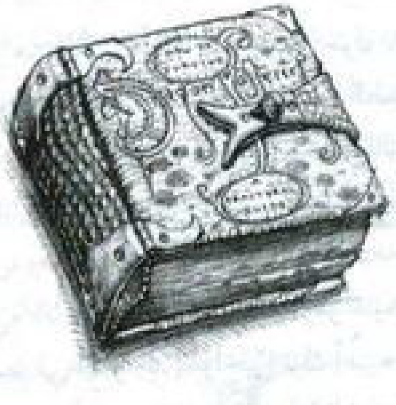
صاح سِبتيموس من الألم، وأخذ يقفز ويدور حول نفسه، وهو يهز يده بهلع محاولًا التخلص من هذا الشيء الأخضر الصغير ذي الأسنان الحادة، وجميعها تغرز في سبابته اليمنى، فوق خاتمه التنيني مباشرة.

قالت العمة زيلدا لاهثة: «بحق السماء.. ما هذا؟!».

صاح سِبتيموس، وهو لا يجرؤ على النظر إلى أصبعه: «أبعدوه عني!»، ثم أخذ هذا الشيء الأخضر الصغير نفسًا (وهو مازال غير مدرك بعد كيف يتنفس ويقضم في آنٍ واحد)، وأخيرًا ترك أصبعه في اللحظة التي هزه فيها سِبتيموس مرة أخرى بقوة، فطار هذا الشيء عاليًا في الهواء، وتجنب بالكاد أن يصطدم بمجموعة مكانس العمة زيلدا المتدلية من عارضة السقف الخشبية. وأخذ الجميع يراقبون هذا الكائن وهو يصل إلى قمة مسار لأعلى، باسطًا جناحين صغيرين ويرفرف بهما بلا جدوى متوجهًا نحو چينا - ليهبط على «حجرها».

جلست چينا محدقة، في ذهول، إلى فرخ التنين الصغير.

32
لافظ اللهب



قالت *العمة زيلدا وهي تضمد أصبع سِبتيموس لتوقف نزيفه*: «أنت مربوط به الآن، لقد **وضع بصمته** عليك عندما قضم أصبعك. وهو لعلمك سيفيدك إلى حد ما عندما يكبر. ينبغي عليك الآن أن تبحث عن دليل لتدريب التنين وتبتاعه، وإن كنت لا أدري حقًا أين ستعثر على مثل هذه الكتب اليوم».

جلس سِبتيموس ينظر إلى البقايا المشققة من الصخرة التي كانت چينا قد أعطتها له أيام إقامتهم السابقة عند العمة زيلدا، بعد أن وجدتها عندما كان سِبتيموس يساعدها على الهرب من الصياد، وكانت الصخرة تقبع في النفق الذي يقود إلى المعبد الذي خُبئت فيه المركب التنينية.

ومنذ ذلك الحين، وسِبتيموس يحتفظ بالصخرة باعتبارها كنزه الثمين؛ فقد كانت أول هدية تُهدى إليه في حياته. وأخذ يُحدق إلى قشرة البيضة الخضراء السميكة القابعة في يديه المقوستين، غير مصدقٍ أن صخرته الجميلة تحولت إلى بيضة تنين.. ترى، ما نسبة احتمال حدوث ذلك؟

إنه احتمال أبعد ما يكون. لكن ما لا يعرفه سِبتيموس أنه لا يوجد في جميع أنحاء العالم سوى نحو خمسمائة بيضة تنين، ولقد مرت مئات السنين منذ آخر مرة ساعد فيها إنسان بيضة تنين في أن تفقس.. وبيض التنين عمومًا موجود في الأوكار القديمة التي عفى عليها الزمن، وكثيرون هم ممن يعثرون عليه ويأخذونه بالفعل ويحتفظون به من أجل لمعانه البراق. وليس كل بيض التنين أخضر، فكثير منه تجده أزرق، وهناك حالات نادرة يكون البيض فيها أحمر. لكن بيض التنين – بوجه عام – ينتهي به الأمر في دواليب عرض التحف، أو مندسًا في صندوق من صناديق الأحذية ولا يفقس أبدًا؛ لأنه يحتاج لخطوات معقدة متوالية، تسير بالترتيب الصحيح، وفي مدة محددة، حتى يفقس ويتحول إلى أفراخ. آخر مرة حدث فيها ذلك كان منذ خمسمائة عام مضت في جزيرة صحراوية صغيرة، عندما استيقظ البحار الوحيد الذي نجا من تحطم إحدى السفن التي كان على متنها في صباح يوم ليجد أن صخرته الزرقاء الثمينة قد فقست رفيقًا غير منتظر، مثيرًا للمتاعب إلى أقصى حد.

وسِبتيموس، كبحار السفينة الغارقة، فعل بدون علمه كل الخطوات المطلوبة بالشكل الصحيح، والتي تؤدي إلى فقس بيضة التنين الكامنة.

فهو بداية، منح البيضة شرارة الاستعداد للفقس عندما تركها بالقرب من النار أثناء زيارته السابقة للعمة زيلدا، فبيض التنين يحتاج إلى حرارة تؤازره تبلغ نحو 26° مئوية لمدة لا تقل عن أربع وعشرين ساعة حتى تستمر عملية الفقس، ثم ستحتاج البيضة بعد ذلك لأن تظل بشكل متواصل لسنة ويوم واحد في مكان دافئ وفي حراك دائم.

ولقد قرر سبتيموس - بعد أن أنقذ البيضة من وجودها بجانب النار - أن يحتفظ بها في جيبه؛ مما أتاح لها ليس فقط الدفء الذي تحتاج إليه، بل إحساسها بالحركة الدائمة، فالبيضة لن تفقس لمجرد أنها شعرت بالدفء، فهي تحتاج أن تشعر أيضًا بأن أمها تحملها معها وسوف تكون موجودة إلى جوارها لترعاها عندما تفقس؛ فبالنسبة لبيضة التنين، ليس لانعدام وجود الحركة سوى معنى واحد هو عدم وجود الأم. ولقد أمهل سبتيموس البيضة بدون قصد سنة ويومًا واحدًا من الدفء، ومنحها قدرًا لا بأس به من الجري والقفز أقنع فرخ التنين داخل البيضة أن أمه في غاية النشاط والمرح أيضًا. وبعد أن تمر المهلة، قد تكون البيضة جاهزة للفقس، لكن حتى في هذه المرحلة قد تفشل البيضة في ذلك؛ لأنها تحتاج لضربة قاسية تنشطها، وإن لم يحدث ذلك خلال ستة أشهر يموت فرخ التنين داخل البيضة ولن تكون هناك أية فرصة فقس للبيضة. وأمُّ التنين عادة تستغل هذا الوقت في البحث عن مكان آمن تفقس فيه وتربي فيه فرخها. وبعد أن تفعل ذلك، تعض بيضتها برقة، ولحسن حظ بيضة سبتيموس أن حيوانات الولفرين مشكورة أقدمت على هذه الخطوة

بالنيابة عن أم التنين عندما كسرت أسنانها وهي تقضم قشرة البيضة الخارجية. وعند ذلك الحد، كانت البيضة على وشك أن تفقس - على وشك فحسب - إذ كانت هناك خطوة أخيرة مطلوبة، لكن ليس سبتيموس هو من فعلها هذه المرة، بل أخوه سايمون؛ فالبيضة كانت تحتاج للمسة **شيطانية**.

وكل أم من أمهات صغار التنانين لها طريقتها المختلفة في منح البيضة هذا المطلب الأخير، فبعضها قد يخطف **شيئًا** عابرًا ويجعل البيضة تراه، وبعضها قد يترك البيضة ليلة بأكملها خارج بيت من بيوت الساحرات اللاتي يمارسن **السحر الأسود**، متمنية أن تجد البيضة في مكانها صباح اليوم التالي، كما أن بعضها لديها من **السحر الأسود ما** يكفيها ولا تحتاج إلى أن تبحث عن المزيد؛ ولذلك عندما تحولت عباءة سايمون إلى ثعبان لف نفسه حول سبتيموس والبيضة، ومنح بذلك اللمسة الأخيرة التي تحتاجها البيضة، بدأت هي العد التنازلي للفقس، وأصبحت مستعدة لأن تفقس خلال اثنتي عشرة ساعة - وهذا هو تحديدًا ما فعلته.

قالت العمة زيلدا، وهي على وشك الانتهاء من تضميد أصبع سبتيموس ومن آخر قضمة من سندويتش الكرنب أيضًا:

«أنا لا أعرف كثيرًا عن التنانين، أو بالأحرى عن تلك التي تفقس حديثًا، لكنني على يقين تام من أنه كلما تم التعجيل بمنحها اسمًا كان ذلك أفضل. فإذا تركت التنين بلا اسم لمدة طويلة فسيصبح بدون اسم ولن يأتيك عندما تنادي عليه، وما أعرفه أنه من الصعب أن تعوّده في

أفضل الأحوال على أن ينتبه إليك، كما أنه لا ينبغي أن يتركك في الأربع والعشرين ساعة؛ ولذلك من الأفضل يا چينا أن تعيديه إلى سِبتيموس».

قالت چينا مترددة وهي لا تريد أن تدعه: «إذن، تفضل يا سِب»، ثم رفعت السحلية المجنحة متناهية الصغر من فوق «حجرها» وناولتها لسِبتيموس وهي تقول: «إنه لطيف، أليس كذلك؟».

نظر سِبتيموس إلى التنين النائم، وقد مكث متكورًا في راحة يد چينا. لقد بدا التنين - للدهشة - ثقيلًا بالنسبة لحجمه، وبارد الملمس، وناعمًا نعومة البيضة التي خرج منها.

تثاءب نكو بصوت عالٍ ومدَّ جسمه بكسل وهو يقول: «أنا في أمس الحاجة للنوم الآن». وبدأت عدوى التثاؤب تنتقل إلى الآخرين.

قالت العمة زيلدا: «الاسم أولًا.. ماذا تختارون؟».

لم يكن لدى سِبتيموس أية أفكار، فراح يُحدق إلى التنين، ثم انتقل إليه التثاؤب فقد كان مرهقًا تمامًا وليس في وسعه أن يفكر الآن في اسم للتنين. لكن فجأة، جلس التنين ولفظ من فمه بعض محتويات البيضة، ثم اندفعت من فتحتي أنفه شعلتان صغيرتان من اللهب لسعتا يد سِبتيموس.

فصاح لاهثًا: «أخ! إنه يلفظ لهبًا عليَّ.. وجدتها.. لافظ اللهب.. هذا هو اسمه.. *لافظ اللهب*».

قالت العمة زيلدا: «أكمل إذن».

فسألها سِبتيموس وهو يمص أصبعه المحترق: «ما هذا الذي أُكمله؟».

أجابته العمة زيلدا قائلة: «إن التنانين تحب أن تسيَّر كل الأمور وفق القوانين. فلا بد أن تقول الآن.. دعني أُفكر.. نعم نعم.. تذكرت، سوف تقول: **أيها الرفيق المخلص، والصديق الجسور الذي سيبقى معي إلى النهاية، أنا أسميك لافظ اللهب**.. أو وجه الكلب.. أو أيًا كان هو الاسم الذي ستستقر عليه».

حدق سِبتيموس إلى التنين القابع في راحة يده وهمس بنبرة مرهقة: «**أيها الرفيق المخلص، والصديق الجسور الذي سيبقى معي إلى النهاية، أنا أسميك لافظ اللهب**». فنظر التنين إلى سِبتيموس بعينيه الخضراوين اللتين لا تغمضان، ثم لفظ مزيدًا من محتويات البيضة.

فقال سِبتيموس متأففًا: «يع!».

لم يغمض لسِبتيموس جفن معظم هذه الليلة، فلافظ اللهب كان مضطربًا، وكان سِبتيموس كلما غلبه النوم بدأ التنين في قضم أصابعه أو خربشة ملابسه بحوافره الحادة. وفي نهاية المطاف، دسه سِبتيموس، بمزاج متعكر، في الكيس الذي كان يحتفظ فيه بالبيضة، وأخيرًا هدأ التنين ونام.

وفي صباح اليوم التالي، أيقظهم لافظ اللهب في وقت مبكر جدًا، بعد أن أخذ يرفرف بجناحيه بجنون لدى النافذة كأنه فراشة تحاول الخروج.

قال نكو والنعاس يملأ عينيه، ويلف الوسادة حول رأسه، يحاول أن ينام مرة أخرى: «قل له أن يهدأ يا سِب» فقام سِبتيموس من فراشه وخطف لافظ اللهب، وقد بدأ يدرك الآن مغزى كلام العمة زيلدا عندما قالت له إن صغار التنانين مزعجة. أخذ لافظ اللهب يخربش بحوافره في يد سِبتيموس، فدفعه مرة أخرى في الكيس.

كانت شمس الصباح قد ارتفعت عاليًا في السماء ملقيةً ضوءًا ساطعًا وسط شبورة المستنقع، وأدرك سِبتيموس أن النوم رحل عنه، ومهما حاول فلن يستطيع أن ينام الآن. نظر إلى چينا ونكو والفتى الذئبي؛ كانوا جميعًا ملتفين في بطاطينهم وقد استغرقوا في النوم من جديد. وحتى لا يزعجهم لافظ اللهب، أخذه سِبتيموس في الخارج في أول يوم له يتنفس في نسيم الصباح.

وبهدوء، أغلق سِبتيموس الباب وراءه، وسار على امتداد الممشى المؤدي إلى المركب التنينية التي لم تكن وحدها.

قالت العمة زيلدا وهي مستغرقة في التفكير: «إنه صباح يوم جميل».

جلس سِبتيموس إلى جوارها على الجسر الخشبي الذي يعبر قناة الغمد، وقال: «فكرت في أن المركب التنينية قد تود أن ترى صغيرها، ما أقصده أن لافظ النار – حسب ظني – صغير المركب التنينية، أليس كذلك؟».

ردت العمة زيلدا قائلة: «أعتقد ذلك.. وإن كان المرء لا يستطيع أن يجزم بشيء فيما يتعلق بالتنانين. لكن لافظ اللهب وضع بصمته عليك،

فلو كنت مكانك لما عقدت الأمور. خذ هذا، لقد بحثت عنه لك، كنت أعلم أنني سأعثر لديَّ على كتاب من هذه الكتب»، وناولت العمة زيلدا سِبتيموس كتابًا أخضر صغيرًا مغلفًا بما بدا – على نحو مريب – كأنه جلد تنين، عنوانه «*كيف تبقى حيًا وأنت تربي تنينًا؛ الدليل العملي*».

ثم قالت له: «صحيح إن ما تحتاج إليه حقًا الآن هو كتاب تقويم *السحالي المجنحة في الأزمان السحيقة*، لكنني أشك في أنك ستعثر عليه ولو حتى في المكتبة الهرمسية. فللأسف كان الكتاب مكتوبًا على ورق رَق قابل للاشتعال ولا يمكن العثور عليه الآن. ومع ذلك، فهذا الكتاب قد يفيدك».

أخذ سِبتيموس الكتاب الذي كانت تنبعث منه رائحة عفنة. وبكسل، راح يحدق إلى التعليقات المكتوبة على ظهره.

«*هذا الكتاب أنقذ حياتي. فلا تستطيع سن واحدة من أسنان أي تنين أن تخترقه، اصطحبه معك دائمًا*».

«*أنا لم أفقد سوى أصبع واحد أثناء تربيتي لفانج، والفضل يعود إلى النصائح العملية الموجودة في هذا الدليل الذي لا يُقدر بثمن*».

«*بعد أن وضع سكيبي* **بصمته عليّ**، *هجرني كل أصدقائي وكدت أصاب بلوثة عقلية إلى أن قرأت هذا الكتاب، وبات يُسمح لي الآن بالخروج من المصحة العقلية في نهايات الأسابيع – وعلى أية حال، من هو أساسًا الذي يحتاج لأصدقاء؟*».

قال سِبتيموس بكآبة: «ياه! أشكرك يا عمة زيلدا».

ثم جلس الاثنان في صحبة بعضهما في سكون، كل منهما غارق في أفكاره، يُنصت للأصوات الصادرة عن المستنقع مع تسلل دفء نهار يوم من أيام الصيف وسط الشبورة ليوقظ الكائنات الأكثر نشاطًا. ولقد أصبح سِبتيموس، مثل چينا، خبيرًا في التمييز بين مختلف الأصوات، وهو واثق من أنه سمع الآن صوتي اثنتين من الأرواح المائية، والخنافس المطقطقة، وصغار ثعبان البحر، ثم سرعان ما تلاشى آخر ما تبقى من الشبورة بتأثير حرارة الشمس، وأفصحت زرقة السماء الصافية عن يوم حار ملتهب.

نظرت العمة زيلدا إلى السماء الصافية، وقد بدا عليها توتر استرعى انتباه سِبتيموس؛ فنظر إليها، وقد بدا القلق على وجهها المستدير الممتلئ الذي يحيط به شعر رمادي مموج وأشعث إلى حد ما، بينما برقت عيناها الزرقاوان الداكنتان المميزتان للساحرات وهما تركزان على شيء بعيد في السماء. وفجأة، رفعت جسمها الثقيل وقامت من فوق الجسر وهي تمسك يد سِبتيموس بقوة.

ثم قالت بصوت خفيض: «لا تنظر لأعلى.. ولا تجرِ.. سِر معي فحسب ببطء إلى الداخل».

وفي داخل الكوخ، أوصدت العمة زيلدا الباب الأمامي الثقيل بهدوء واستندت إليه. كانت تبدو شاحبة، وعيناها تلتمعان بنظرة بائسة.

ثم قالت وهي تكاد تهمس: «چينا كانت محقَّة. المركب التنينية.. يجب أن ترحل».

سألها سِبتيموس، رغم أنه توقع الإجابة: «لماذا؟ ما... ما الذي رأيتِه يا عمة زيلدا؟».

«إنه سايمون.. وهو يحلق عاليًا.. يحوم كالنسر.. ينتظر».

أخذ سِبتيموس نفسًا عميقًا، محاولًا أن يكبح جماح التلبك الذي شعر به في معدته فجأة، وقال: «لا تقلقي يا عمة زيلدا. إن المركب التنينية سوف تكون بمأمن في القلعة، وأنا سوف أذهب بها إلى هناك».

رغم أنه لا يعرف - بأي حال من الأحوال - كيف يقوم بذلك أساسًا!

33

الانطلاق



أخذ ميرين يراقب المركب التنينية بنظارته المعظمة التي كان قد وجدها شبه مدفونة في أحد جحور الجنيات الصغيرة السمراء أثناء إحدى رحلاته الاستكشافية التي يقوم بها في

المستنقعات، وهي سره الصغير الذي يخفيه عن العمة زيلدا؛ فميرين يروقه أن تكون لديه أسرار يخفيها عن العمة زيلدا، وإن كانت هذه الأسرار عمومًا لا تدوم طويلًا، فالعمة زيلدا بشكل أو بآخر سرعان ما تكتشفها. لكنه هذه المرة لا يساوره أدنى شك في أنه تمكن من الاحتفاظ بهذا السر؛ حيث إنه يدفن النظارة المعظمة أسفل كتلة صخرية عند الربوة التي يغطيها النجيل بجانب «حفرة المائة قدم» وهو يعلم أنه ما دامت العمة زيلدا لا تراه وهو يستخدمها فهو في أمان، فليس هناك أدنى احتمال أنها تستطيع أن تكتشف منطقة الوحل الغاطسة المحيطة بالحفرة، فميرين فقط بجسده الخفيف المرن هو الذي يستطيع أن يقفز فوق الصخور المتدرجة المختبئة التي تمتد أسفل سطح الوحل مباشرة.

ولقد تكهن، وكان مصيبًا في ذلك، بأن النظارة المعظمة كانت ملكًا لسيده السابق دومدانيال. وكانت النظارة تحتوي على قدر من **السحر الأسود** يجعل ميرين يشعر بالارتياح ويذكره بالأيام الماضية التي ربما لم تكن سعيدة، لكنها على الأقل كانت مثيرة، ولم يكن حينها حبيسًا كما هو حبيس اليوم في مستنقع كريه الرائحة مع أكوام وأكوام من الكرنب، وفي صحبة ساحرة عجوز تدس أنفها في كل شيء. رفع ميرين النظارة المعظمة إلى عينيه، وهو حريص كل الحرص على ألا يعكس زجاج عدساتها بريق الشمس، وابتسم في سره وهو يستعرض أفكاره في أنه هو الذي ظل على قيد الحياة ويعيش في المستنقعات وليس دومدانيال الذي لم يعد الآن سوى مجرد كومة من العظام بعد أن أجهزت عليه الجنيات الصغيرة السمراء. إنه يستحق ما حدث له، هكذا قال ميرين في

سره بابتهاج. فما كان ينبغي على النكرومانسر هذا أن يكون شريرًا إلى هذا الحد مع تلميذه المخلص.

حلت أواخر فترة الظهيرة الآن، ومع ارتفاع حركة المد - بعد أن وُلد في الليلة السابقة هلال جديد - بدأ منسوب المياه يرتفع في قنوات المستنقع، وأصبحت ربوة ميرين محاصرة تمامًا بالمياه السوداء المتفحمة. وكان الهدوء يخيم على المستنقع وسط حرارة نهاية فترة العصر التي تبعث على الخمول، وكان ميرين مستلقيًا بكسل على الربوة؛ لقد ظل يراقب حركة الذهاب والإياب بين الكوخ والمركب التنينية، ولم يتوصل - بعد كل هذا - إلى أي شيء منطقي. فالعمة زيلدا، رغم أنها عادةً ما تكون مسيطرة، بدت مشوشة، وأخذت بحزن وأسى تسير ذهابًا وإيابًا بلا وجهة محددة عند المركب التنينية، بينما كانت الفتاة الأميرة والفتى الخنزير منشغلَيْن برفع الصاري والتحدث مع العمة زيلدا، وكان ذلك الفتى الذي يُطلق عليه سِبتيموس هيب ينتظر في المركب منذ فترة طويلة، وهو أمر أزعج ميرين كثيرًا؛ لأنه لم يحدث أن سُمح له من قبل - ولو مرة واحدة - بالصعود على متن المركب. حاول ميرين أن يتحقق مما يفعله سِبتيموس، إلا أن كل ما استطاع أن يتوصل إليه هو أنه كان ينظر إلى ذراع الدفة، بينما كان الفتى الخنزير واقفًا عند ضفة قناة الغِمد يتحدث إليه، ثم قال ميرين في سره: «إنهما أحمقان».

كان نكو يقول: «هيا يا سِب، لقد طرت بها من قبل، أي إنك تستطيع أن تفعل ذلك مرة أخرى. لا تعقد الأمور».

«لكنني لا أعلم ما هذا الذي فعلته يومها يا نكو. أقصد أنه ليس أنا من كان يقود، بل المركب هي من فعل ذلك». وكان سِبتيموس لا يزال ينظر إلى ذراع الدفة خائفًا أن يضع يده على هذه الذراع الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجني المنحوتة بشكل مقوس؛ لأنه آخر مرة فعل فيها ذلك، دبت الحياة في المركب التنينية وانطلقت بهم إلى البحر.

فقال له نكو لافتًا نظره: «لكنك هذه المرة معك خاتمك التنيني، خلافًا للمرة السابقة؛ مما يعني أن الأمور من المفترض أنها ستكون أسهل الآن. أنا لا أفهم ما الذي يقلقك يا سِب، فليس هناك ما هو أسهل من المراكب».

نظر سِبتيموس إلى خاتمه التنيني، ورغم ولعه الشديد به، تمنى في هذه اللحظة تحديدًا لو لم يكن معه - فلماذا انتهى به الأمر إلى أن أصبح هو سيد التنين؟ لماذا لم يكن نكو مثلًا هو سيده، بما أنه يعرف كل شيء عن المراكب؟

ثم جاء صوت العمة زيلدا من جانب المركب وهي تقول: «هيا يا سِبتيموس. فنحن أحيانًا نضطر لأن نقوم بأشياء لا نريد أن نفعلها، فأنا لا أريد أن أدع المركب التنينية ترحل، وأنت لا تريد أن تأخذها مني. لكن ليس أمامي سوى أن أتركها ترحل، وليس أمامك سوى أن تأخذها من هنا - هكذا هو حال الدنيا. هي لا بد أن تذهب إلى حيث تريد، وإلى حيث ستكون بمأمن، إننا نفعل ذلك من أجل مصلحتها».

قال سِبتيموس وهو ينظر من فوق ذراع الدفة: «لكن، ماذا ستفعلين بدونها؟».

فقالت: «سوف أعالج يدي الفتى الذئبي وسأضع عيني على الفتى المضلل الذي يتربص في الخارج من عند (حفرة المائة قدم) ويظن أنني لا أراه هو ونظارته المعظمة السحرية البائسة التي عثر عليها».

«أي أن 409 سيظل هنا مع هذا الفتى التلميذ البشع؟».

«إن حالة الفتى الذئبي لا تسمح له بالسفر الآن يا سِبتيموس، لكن ميرين لن يمكث هنا طويلاً؛ حيث إنني أنوي أن أرسله إلى أمه قريبًا».

قال سِبتيموس في دهشة: «إلى أمه؟ ميرين له أم؟».

فابتسمت العمة زيلدا وقالت: «نعم، حتى ميرين له أم، وأنا أظن أنها تلك السيدة مالكة الغرفة التي استأجرتموها».

«ماذا قلتِ؟».

«في البيت الذي مكثتم به في الميناء».

«إنها إحدى الساحرات؟ هكذا يبدو الأمر منطقيًا. أراهن أنها تلك الساحرة المزعجة جدًا فيرونيكا، وهي بالمناسبة تشبهه إلى حد ما».

هزت العمة زيلدا رأسها وقالت: «صدِّق أو لا تصدِّق، أعتقد أنها الممرضة ميريديث».

«يا للهول! ذكرتني بكل هؤلاء الأطفال الرضع الموتى عندها. إنها أسوأ من الساحرات. لكن متى ستأخذينه إلى بيت الدمية؟».

«عندما أستطيع أن أترك الفتى الذئبي وحده ليوم، بعد انخفاض درجة حرارته، كما أن الحروق سوف تستغرق وقتًا أطول حتى تندمل، لقد مسها قدر كبير من السحر الأسود، وستحتاج لمزيد من سم المستنقع..».

ثم قال سِبتيموس وقد بدا عليه القلق: «إنه سيتعافى، أليس كذلك؟».

«بلى، وسوف أحضره معي عندما تتحسن حالته».

قال سِبتيموس في دهشة: «ستحضرين إلى القلعة؟».

ردت العمة زيلدا على الفور: «في الحقيقة، ما عاد هناك الآن ما يبقيني هنا، كما أنه عُرف عن الحارسات أنهن يقمن بتلك الزيارة الغريبة للقلعة، وأنا متأكدة أن مارشا سوف ترحب باستضافتي بعد كل هذه الأسابيع الطويلة التي قضتها هنا».

علت وجه سِبتيموس ابتسامة عريضة وهو يفكر في منظر العمة زيلدا وهي في جناح مارشا.

قالت العمة زيلدا وقد لاحظت ابتسامته: «هكذا أفضل».

وبعد عشر دقائق، كان سِبتيموس قد ودع الفتى الذئبي، ووعده بأنه سيلقاه قريبًا، بينما رد عليه الفتى الذئبي بابتسامة خافتة وقال له: «ليس قبل أن أراك أنا أولًا»، ثم أغمض عينيه وغطَّ في سُبات عميق.. خرج سِبتيموس من الكوخ على أطراف أصابعه، ومعه لافظ اللهب مندسًا بشكل مُحكم في حقيبة تغلق بأزرار عثرت عليها العمة زيلدا لا يستطيع التنين أن يأكلها أو يخترقها. ولقد ظل التنين الصغير مستغرقًا في النوم طوال اليوم، وكان آخر ما يريده سِبتيموس الآن أن يجد لافظ اللهب قد استيقظ من نومه وقد أزعجه أثناء محاولته الطيران بالمركب التنينية.

والآن، وُضع لافظ اللهب في دولاب صغير بجانب ذراع الدفة، ووقف سِبتيموس وجينا ونكو على متن المركب التنينية مستعدين للرحيل. وكانت العمة زيلدا تراقب بقلق سحابة رمادية تحوم عاليًا في السماء فوق

الكوخ مباشرة. وكانت قد رأت السحابة منذ قليل تتجرف نحوهم أثناء تجهيزهم المركب التنينية للرحيل، واندهشت حينها؛ إذ كانت السحابة قادمة من الشمال الشرقي رغم أنها واثقة من أن الرياح آتية من الغرب. ولقد انتابها القلق الآن؛ حيث مرت نصف ساعة والسحابة لم تتحرك من مكانها، وهو سلوك غير معهود من السحب.

لكن المركب التنينية أصبحت جاهزة الآن، وحان وقت الرحيل.

قالت العمة زيلدا: «جينا، معي شيء لكِ»، ثم وصلت إليها على أطراف أصابعها، وناولته لها بيدها الممدودة وقالت لها: «إنه مفتاح غرفة الملكة في القصر.. قد تحتاجين إليه».

كان المفتاح ثقيلًا ومصنوعًا من الذهب، يرصع قمته حجر زمرد مستدير ذكَّر جينا بعين التنين، فأثار ارتباكها؛ فهي منذ أن انتقلت إلى القصر مع سارة وسايلاس، قامت باستكشاف كل جزء منه، ومع ذلك لم تجد أثرًا يشير إلى وجود غرفة الملكة.

فسألت العمة زيلدا: «لكن، أين غرفة الملكة هذه؟».

«في الحقيقة.. لا أستطيع أن أبوح لكِ بذلك، ولكنك ستجدينها في الوقت المناسب، تأكدي من هذا».

فسألتها جينا: «متى، متى سيحين ذلك أيتها العمة زيلدا؟».

ردت العمة زيلدا ردًا لم يفد جينا بالكثير: «عندما تصبحين الملكة الشابة».

«حسنًا.. أشكرك يا عمة زيلدا. إنه مفتاح رائع».

تراجعت العمة زيلدا إلى الوراء لتبتعد عن المركب وقالت: «هيا انطلقوا الآن»، ثم أردفت بابتهاج أكثر من اللازم: «هيا، هلموا، كفاكم تسكعًا»، ثم ألقت نظرة أخرى على السحابة التي كانت تلقي بظل صغير على مقدمة المركب.

قالت العمة زيلدا بصوت عالٍ: «ارجع بها للوراء على امتداد القناة، بعيدًا بقدر الإمكان عن الجسر؛ فهي ستحتاج لمسافة تمهيدية طويلة أمامها لتنطلق عاليًا في الجو».

صاح سيد المركب التنينية قائلًا: «حسنًا يا عمة زيلدا».

«تذكر أن تتجه إلى الشمال، بعيدًا عن الشمس».

«حسنًا يا عمة زيلدا».

«ولا تسرع أرجوك، إلا إذا كانت هناك ضرورة لذلك».

«حسنًا يا عمة زيلدا».

«لا تحلق بها طوال الطريق إلى القلعة، وإلا سترهقها. لا بد أن تهبط بها بمجرد وصولكم إلى النهر».

«لا تقلقي يا عمة زيلدا».

«و...».

«عمة زيلدا، ستكون *على ما يرام*، حقًا».

«أنتم محقُّون، أنا آسفة، أعلم أنكم ستكونون على ما يُرام».

ثم قالت وهي ترجع للوراء مبتعدة عن المركب وتنظر إلى جسمها الذهبي البراق ولمعان اللون الأخضر المتقزح لرأس وذيل التنين، تحاول

أن تستوعب صورتها بالكامل حتى تستطيع أن تتذكرها في الأيام العجاف القادمة.

أخذ سِبتيموس نفسًا عميقًا وقال لنكو: «مستعد؟».

رد نكو بابتسامة عريضة علت وجهه: «تحت أمرك أيها القائد».

«هل التنين مستعدة يا چينا؟».

كانت چينا عند مقدمة المركب، تلف ذراعيها حول عنق التنين، هامسةً لها ببعض الكلمات، ثم أشارت لسِبتيموس بالإيجاب. كان قلب سِبتيموس يخفق بشدة، فما عاد هناك وقت للتلكؤ، وحان وقت الانطلاق. وبتوتر، وضع يده اليمنى على ذراع الدفة.

أدارت التنين رأسها وثبتت عينيها الزمردتين على الهيئة الصغيرة التي تقود ذراع الدفة، وتعرفت على التوّ إلى هذا الذي حررها من السجن الذي قبعت فيه أسفل سطح الأرض؛ إنه يبدو مختلفًا بعض الشيء الآن، فلم يعد يعتمر قبعته الحمراء التي كانت تروقه، كما أنه بدا أكبر حجمًا - أو أصلب عودًا نوعًا ما - وجو **السحر** الذي يحيط به بدا أقوى، لكنه لم يتغير؛ فمازال يخاف بعض الشيء، وما زال يريد أن يقوم بما هو أفضل؛ وهكذا نال الفتى استحسانها، وسوف تأخذه إلى حيث يريد.

نظر سِبتيموس إلى عيني التنين، غير مدرك أنه نجح في الامتحان، كانت يده متصلبة وقد تشبث بذراع الدفة، وتساءل في سره ما الذي ينبغي عليه أن يفعله الآن.

صاحت چينا فجأة: «إنها تريد أن تعرف إلى أين ستأخذها».

رد سِبتيموس عليها: «قولي لها إني سآخذها إلى حيث تريد أن تذهب. سآخذها إلى القلعة».

أومأت التنين برأسها، والتفتت ببطء إلى أن استطاعت عيناها الخضراوان البراقتان أن تنظرا إلى العمة زيلدا، ثم بدأ العنق القوي ينحني لأسفل، إلى أن وضعت التنين رأسها على النجيل عند قدمي العمة زيلدا، جثت العمة زيلدا على ركبتيها، ووضعت ذراعيها حول الرأس الأخضر المذهب الضخم.

همست العمة زيلدا والدموع تذرف من عينيها: «تصاحبكِ السلامة يا سيدتي. سوف نتقابل مرة أخرى».

تراجعت العمة زيلدا إلى الوراء حتى وصلت إلى باب الكوخ، وبدأت المركب التنينية تتحرك. وصلت حركة المد إلى أعلى ارتفاع لها، وامتلأت قناة الغمد عن آخرها بمياه بنية آسنة، وطفت المركب التنينية بحُرية على سطحها، ثم تراجعت للوراء على امتداد المياه التي تجري أمام كوخ الحارسة بعيدًا عن الجسر مُصدرة صريرًا وأزيزًا، وهي محشورة بين الضفتين المكسوتين بالخضرة. ولدى أول منعطف لقناة الغمد، أصبحت المركب التنينية عاجزة عن التراجع أكثر من ذلك وتوقفت، فالممر أمامها لا يزال قصيرًا كي تبدأ في الانطلاق منه. تفحصته عينا التنين بريبة - فلم يسبق لها أن انطلقت من مسافة قصيرة بهذا الشكل؛ فعندما أبحرت في البحار السبعة من قبل مع حتب رع، كانت عندما تبدأ الطيران، بسبب ضجر سيدها عمومًا من المكوث أيامًا طويلة في عرض

البحار ورغبته في تغيير وتيرة سرعتهم، كانت حينها تنطلق من وسط بحار متسعة وخالية، ولم تنطلق قطُّ بهذا الشكل.

وبصعوبة، ضغطت التنين على جناحيها لتخرجهما من انحشارهما بين ضفتي القناة، ورفعتهما لأعلى إلى أن تجاوزا الصاري. لكن طيات الجناحين بملمسها الجلدي، بعد أن ظل الجناحان على امتداد جانبي المركب طوال فصلين من الصيف الحار وفصل من الشتاء القارس، أصبحت متصلبة وجافة، وما إن بدأت التنين تمد جناحيها حتى ملأت الأجواء بصرير وزئير مدويين، تلاهما صوت طقطقة. وأطبق سبتيموس ونكو وچينا بأيديهم على آذانهم، وأخذوا يراقبون طيات الأجنحة الجلدية وهي تتمدد كأنها يدان هائلتان تتمددان بعد نوم طويل وخمول ثقيل. وحبس ثلاثتهم أنفاسهم، خشية أن يتمزق الجلد من بين أصابع الجناحين، لكن بعد أن استعادت الطيات مرونتها، وسطعت الشمس على قشرها الأخضر اللامع، تبينوا أن كل شيء عاد إلى مجراه الطبيعي، وأن المركب التنينية بكل فخر رفعت الآن جناحيها من جديد في الهواء.

لقد استعدت للانطلاق.

أخذت التنين نفسًا عميقًا، وشعر طاقمها برجفتها، ثم بدأ الجناحان الهائلان يتحركان، وتحرك الهواء الساخن حولهما بشدة، فجعل شعرهم يتطاير داخلًا في عيونهم. تحركت المركب الذهبية للأمام ببطء، بينما أخذ جناحاها يضربان في الهواء بقوة، فتتحرك تارة نحو الأرض مباشرة، ثم تنفض تارة أخرى عاليًا في الهواء، وهي تستجمع قواها للانطلاق.

وبحركة مخضت ما في بطونهم، انطلقت المركب التنينية فجأة للأمام على المياه بسرعة فائقة، ثم صاحت العمة زيلدا بأعلى ما في وسعها وهي تقول: *«توقفوا!»* ولكن لم يسمعها أحد.

وبأجنحة تضرب بعنف في الهواء، وبرأس ممدود للخارج، وبعضلات العنق الأخضر الضخم المشدودة، حولت المركب الذهبية سطح قناة الغمد إلى فوران، وفي آخر لحظة تمامًا، بمصاحبة صوت انشقاق مدوٍّ وخشب يتشقق، ارتفعت في الهواء عاليًا، آخذة معها معظم جسر قناة الغمد.

وهكذا، ارتفعت المركب التنينية في مسار شديد الميل وبسرعة مذهلة في سماء الصيف الصافية. ومع تساقط بقايا الجسر وهبوطه بالقرب من «حفرة المائة قدم»، وسط ذهول ميرين، انعطفت وتوجهت لتعبر مستنقعات مرام من جهة النهر.

وهكذا، اتخذت المركب التنينية - أخيرًا وبعد طول انتظار- طريقها لتكمل رحلتها إلى القلعة.

34
محمولة جوًا



أخذت *العمة زيلدا، وقلبها يقفز بين ضلوعها*، تراقب المركب التنينية وهي ترتفع عاليًا في السماء. في مشهد لا يصدقه عقل. فرغم أن العمة زيلدا رأت المركب التنينية تحلق من قبل، عندما دخلت التنين في معركة مع سفينة دومدانيال *انتقام*، لم تلمح حينها سوى بعض اللقطات في ضوء البرق، أما الآن فقد حلقت المركب في سماء عشية صيف

صافية، وضوء الشمس يبرق على جسمها الذهبي، بينما كان جناحاها الهائلان بدرجات من اللونين الأخضر والأزرق. كانت العمة زيلدا تراقب منظر المركب التنينية التي راعتها طوال سنوات عديدة مضت، وهي تحلق عاليًا في السماء فوقها بحُرية، مما حبس أنفاسها وأشعرها باضطراب في معدتها.

لكن هذا الاضطراب الذي ألمَّ بمعدة العمة زيلدا ووصل إلى هذا الحد من التعقيد كان له سبب آخر؛ سبب مزعج جدًّا. فمع بداية انطلاق المركب التنينية على امتداد قناة الغمد، تحركت السحابة الرمادية المريبة للأمام فجأة، وانطلقت منها كرة ضوئية تعمي الأبصار من فرط سطوعها وهي تزأر، مستهدفةً المركب، فما كان من العمة زيلدا إلا أن صرخت قائلة: «توقفوا!» بينما لم يسمعها أحد، وكان الوقت أساسًا قد فات ولن تستطيع المركب التنينية أن تتوقف.

أخذت العمة زيلدا بقايا اللوح المشقوق من الجسر – وهي القطعة الوحيدة التي سقطت عند ضفة قناة الغمد الواقعة جهة الكوخ – وتأكد لديها أسوأ مما كانت تخشاه، فاللوح كان متفحمًا ولا يزال ملمسه ساخنًا؛ لقد صعقته **صاعقة رعدية**.

حدقت العمة زيلدا إلى السماء، وهي تحبس أنفاسها من شدة الخوف؛ فمازال من السهل رؤية المركب التنينية، بما أنها لا تطير بسرعة، لقد شيدت للطيران لمسافات طويلة بسرعة بطيئة وبثبات؛ توفيرًا لطاقتها. وهي تحلق الآن بفخامة فوق مستنقعات مرام، بينما يخفق

جناحاها بوتيرة ثابتة، وترفع رأسها عاليًا – وخلفها أخذت السحابة الصغيرة الداكنة تجري. وفجأة، اعترى العمة زيلدا إحساس غريب في ركبتيها، فانبطحت أرضًا وأخذت تقرض أظافرها، وهو أمر لم تفعله منذ أن كانت تنتظر نتيجتها ضمن نتائج «تخرُّج الساحرات».

أما على متن المركب التنينية فقد بدأ الجميع يلتقطون أنفاسهم من جديد بعد انطلاقهم جوًا. ولكن لم يلحظ أحد منهم – من شدة هلعهم أثناء انطلاق المركب – **الصاعقة الرعدية**، ولا تعقب سايمون لهم الآن. كانت چينا قد صعدت عند مقدمة المركب، بينما كان سِبتيموس يقود ذراع الدفة، أما نكو – والذي لا يريحه أن يجد مركبًا تحلق في الهواء – فلم يكن في وسعه سوى التحديق، فأخذ يحدق إلى جناحي التنين، وهما يضربان في الهواء بثبات، ويرسلان الرياح القوية عبر المركب بشكل مثير للدهشة. ومع حركة ارتفاع وهبوط المركب في الجو، شعر نكو وكأنها تبحر في البحر، وليس على ارتفاع ألف قدم فوق سطح الأرض، وبدأ يشعر أخيرًا بالاسترخاء، وأخذ ينظر حوله.. ثم لمحت عيناه شيئًا.

وقال: «هناك سحابة غريبة خلفنا يا سِب».

شعر سِبتيموس الذي لا يكاد يجرؤ أن ينظر إلا أمامه – بنبرة القلق في صوت نكو، فالتفت إلى الوراء؛ كانت هناك بالفعل سحابة رمادية داكنة تطير نحوهم بتعمد وبشكل واضح على غير الطريقة المألوفة للسحب. فغمغم سِبتيموس: «سايمون!».

قال نكو، وهو ينظر بعينين شبه مغمضتين مرة أخرى إلى الشمس التي باتت قريبةً من الأفق الآن: «يا للإزعاج! هل تعتقد أنه هو فعلًا؟».

«إنها سحابة **شيطانية**، ولقد خالجني شعور غريب منذ لحظات، لكنني قلت في سري إنه مجرد إحساس بالخوف من الطيران، فهو نفس نوع الإحساس».

«ماذا سيفعل الآن يا سِب؟».

رد سِبتيموس وهو يلقي نظرة أخرى للوراء: «لا أعلم. لكنني لا أظنه جاء ليقول لنا مرحبًا، إن مركبكم هذه لطيفة».

فهمهم نكو قائلًا: «همم.. ربما من الأفضل أن نسرع قليلًا».

«أنا لا أعلم تحديدًا كيف أفعل ذلك، لكن يمكنني أن أسأل چينا...»

وقبل أن ينطق سِبتيموس بكلمة واحدة، كانت المركب التنينية قد بدأت تضرب بجناحيها بسرعة أكبر، وتحولت الرياح التي تهب عليهم إلى زوبعة.

لكن السحابة لحقت بهم بسهولة، وتبعت المركب التنينية بلا أدنى مجال للشك وكأنها مربوطة بخيط فيها.

وفجأة صاح نكو بصوتٍ أعلى من ضجيج الجناحين: «ها هو!».

فالتفت سِبتيموس للوراء مرة أخرى، وإذا به يرى سايمون يخرج من السحابة محلقًا. وفي لحظة، كان يحوم وراءهم محاولًا اللحاق بهم دون أدنى مشقة. عاد سِبتيموس يحدق إلى أخيه، وبدا له أن ثمة شيئًا مختلفًا في منظره.. ترى، ما هو؟ ثم أدرك سِبتيموس الأمر؛ فسايمون يضع

ضمادة على عينه اليمنى؛ تلك العين التي ضربها 409 بالمقلاع، فقال في سره مبتسمًا: أحسنت صنعًا يا 409!

صاح سايمون في سبتيموس وهو يقول: «سأمحو هذه الابتسامة عن وجهك الغبي إن لم تهبط في الحال بهذا الكائن *المتحول*».

صاح سبتيموس قائلًا: «ماذا كان يقول يا نكو؟».

رد نكو وهو يصيح أيضًا: «لا أعلم. فأنا لا أسمعه. غالبًا سيكون كلامًا أخرق كعادته».

فصاح سايمون قائلًا: «دعاني آخذ الملكة الصغيرة وسأترككما لحال سبيلكما!».

قال نكو: «إنه مازال يصيح».

«نعم. ضع عينيك عليه، راقبه إن كان ينوي أن يصعقنا **بصاعقة رعدية**».

«إنه لن يفعل ذلك.. ليس على هذا الارتفاع».

«بل سوف يفعل».

صرخ سايمون قائلًا: «إن لم تهبطوا بهذا الشيء الأخرق، فلا خيار أمامي!».

ولم يكن سبتيموس أو نكو قد لاحظا أن چينا انضمت إليهما عند مؤخرة المركب التنينية.. وكانت تبدو غاضبة.

وقالت وهي ترفع صوتها فوق صوت اندفاع الجناحين وهما يجتاحان الأجواء مع حركتهما لأسفل، فيثيران الرياح التي تطيّر شعرها على وجهها

وتجعله يدخل في عينيها: «لقد سئمت من مطاردته لي.. لقد سئمت فعلًا»، ومن جيب ردائها أخرجت **العدسة المكبرة** التي أخذتها من الحجرة المظلمة.

فقال سبتيموس ونكو في نفس واحد: «ما هذا يا چين؟».

«سوف تريان الآن. راقبا ذلك!» أمسكت چينا بالعدسة بحيث جعلت ضوء الشمس يتركز في بؤرة ضوئية ساطعة، ثم أخذت تحرك هذه البؤرة إلى أن ركزتها على وجه سايمون. وللحظة، لم يكن هناك أي رد فعل منه. وسرعان ما رفع يده على وجهه، ثم صاح وانطلق بعيدًا، وهو ينظر حوله باحثًا عما تسبب في حرق وجهه. حاولت چينا أن تتعقبه بالضوء، لكنه انحنى وأخذ يحلّق يمينًا ويسارًا، يبحث عن القوى **الشيطانية** التي تلاحقه؛ فسايمون شعر بالوجود **الشيطاني** من زجاج **العدسة**.

وبسرعة اكتشف المصدر، فصاح غاضبًا بعد أن رأى **العدسة المكبرة** في يد چينا: «أنتِ!»، ثم أخرج من حزامه **صاعقة رعدية** وجسده يرتعش من فرط غضبه، ثم صرخ: «إن ما فعلتِه الآن سيكون آخر ما تفعلينه في حياتكِ».

هذه المرة، تمكنوا من سماعه، وانطلق قصف مدوٍّ هز الأجواء مع انطلاق كرة ساطعة من الضوء الأبيض من يد سايمون الممدودة، وأخذت تفعقع وهي في طريقها نحو المركب التنينية. وعلى الفور، ألقت چينا ونكو وسبتيموس بأنفسهم تلقائيًا على ظهر المركب، رغم علمهم بأن **الصاعقة الرعدية** عندما تنطلق تطيح بكل شيء. وما إن ارتطموا بظهر

المركب، حتى دوى صوت ارتطام آخر؛ ارتطام مكتوم ومرعب ضرب جانب المركب – فأمالت التنين رأسها إلى الوراء في ذهول، ثم التفتت المركب بشكل حاد، ومال ظهرها بدرجة رهيبة مرسلةً طاقمها إلى الجانب الآخر وهم يتدحرجون، ثم تردد حولهم صدى صوت مريع لقماش يتمزق وعظام تتهشم، وما كان يخشونه وقع؛ فقد بدأت المركب التنينية تسقط.

أجبرت چينا نفسها على النظر لأعلى، فرأت دخانًا أسود يتذيل جناح التنين الأيمن، والجناح معلقًا مكسورًا على جانبها عاجزًا عن الحركة، وينشر في الجو رائحة لحم محترق. أما الجناح الآخر السليم فأخذ يرفرف بهلع، محاولًا أن يعدل ميل المركب ويوقف سقوطها الحر إلى المستنقع أسفلهم. تشبثت چينا في جانب المركب، متمنية في سرها ألا تفقد المركب قدرتها على التحليق. ورأت التنين وهي تحاول بألم أن تمد جناحها المصاب إلى أن أصبح الآن في وضع أفقي وفي وسعه أن يقوم بدور المثبت، رغم أنه ظل مترهلًا مكسورًا عاجزًا. ورويدًا رويدًا، قلت درجة ميل ظهر المركب فصارت طفيفة، بعد أن كانت تميل كأنها جوف شديد الانحدار، لكن المركب رغم ذلك واصلت سقوطها. تركت چينا الفتيَيْن عند ذراع الدفة وعبرت ظهر المركب المائل خطوة خطوة إلى أن عادت إلى عنق التنين، بينما كانت ضحكة سايمون يتردد صداها بشكل مخيف حول المركب. وعلى الرغم من أنه لم يصب الهدف مباشرة كما تمنى – بسبب الواقع المزعج؛ فهو لا يستطيع أن يرى الآن إلا بعين

واحدة – فإنه جرح التنين، والضربة التالية ستكون القاضية. وهكذا، أخرج سايمون صاعقته الرعدية الثالثة والأخيرة من حزامه.

وهمست چينا للتنين: «الآن!».

وهنالك انتفض ذيل التنين. ومع اقتراب سايمون محلقًا، ومض الذيل فجأة في ضوء الشمس، بينما ضربت شوكته الذهبية في الهواء ضربة كالسوط اجتاحت سايمون، وقذفته بقوة إلى السماء. ومثل كرة بيسبول قذفها المضرب في الفضاء، طار سايمون عاليًا إلى حيث لا يدري في مسار اتخذ شكل المنحنى التام، حتى وصل إلى قمة المنحنى فاستدعته الجاذبية الأرضية، وبدأ طريق العودة في مسار منعكس للمنحنى السابق، إلى أن سقط في «حفرة المائة قدم».

كان ميرين منهمكًا في مباراة صياح مع العمة زيلدا عندما مر سايمون كالصاروخ أمامه وسقط في الحفرة مُحدثًا قدرًا هائلًا من الطرطشة، ولم يؤثر ذلك في مزاج ميرين المتعكر ولو بقدر ضئيل رغم أن المياه الموحلة القذرة كانت قد غمرته بالكامل. لقد سئم من العمة زيلدا ومن أوامرها، فما شأنها هي إن كان لديه نظارة معظمة أم لا؟ أليس مسموحًا له بأن يمتلك أية أغراض شخصية؟ إنها سيئة مثل دومدانيال، بل إنها أسوأ منه، فدومدانيال على الأقل كان يسمح له بامتلاك بعض الأغراض – وإن كانت في الحقيقة أغراضًا لا يريدها أحد غيره.

ولقد اندلع هذا الجدال في الوقت الذي ألقى فيه سايمون **الصاعقة الرعدية** الأخيرة. فعندما هز زئير الصاعقة الرهيب جدران الكوخ، نظرت العمة زيلدا بعيدًا في بأس وإحباط، فلمحت وميضًا للشمس عند «حفرة المائة قدم»، ورأت ميرين وهو يراقب المعركة مبتهجًا **بنظارته المعظمة**. وعلى الرغم من أن **النظارة الشيطانية** في حد ذاتها كفيلة بأن تزعج العمة زيلدا، فإن ما أثر فيها فعلًا لم يكن سوى ذلك التعبير الذي رأته على وجه ميرين؛ فقد بدت عليه سعادة لم ترها من قبل.. إنه سعيد، كما قالت في سرها، لأن أحب ثلاثة أشخاص إلى قلبها معرضون الآن لأن يسقطوا ويلقوا حتفهم.

فصاحت العمة زيلدا وقد استشاطت غضبًا: «ألقِ هذه **النظارة المعظمة** الحقيرة بعيدًا!».

قفز ميرين فزعًا من فرط الدهشة، ثم تجاهلها متعمدًا؛ فهو لن يفوّت فرصة رؤية أفضل مشهد رآه منذ سنوات.

واصلت العمة زيلدا صياحها قائلة: «لن أسمح بهذا الشيء **الشيطاني** هنا أكثر من ذلك! ألقِه في الحفرة حالًا!».

رافضًا الانصياع لأوامرها، صاح ميرين يرد عليها قائلًا: «لا، لن ألقيها!»، وهكذا فاته رؤية مشهد الضربة التي تلقاها سايمون من ذيل التنين، وإن كان لم يفته ولم يفت العمة زيلدا رؤية مشهد الطرطشة الرهيبة التي أحدثها سايمون هيب بسقوطه على سطح الأرض واختفائه في الأعماق المظلمة لـ«حفرة المائة قدم».

وهكذا، سقط سايمون هيب كالصاروخ في قاع الحفرة، وصارع باستماتة كي يخرج من وسط شبكة من سم المستنقع المجدول الذي يلتصق بالجسد، وبعد خمس وخمسين ثانية انبثق من الحفرة، وهو يلهث ومغطى بالبرقات المتعفنة. كاد منظره يصيب ميرين بالغثيان، ومع ذلك كان ثمة شيء فيه جذب ميرين إليه، فمد يده إليه ليساعده وأخرجه من الحفرة. استلقى سايمون على هيئة كومة لزجة مبقبقة على نجيل الربوة الأخضر الزاهي، وسعل لافظًا من جوفه بعض البرقات. جلس ميرين إلى جوار هذا الغريب الذي سقط من حيث لا يدري، وهو يحدق إليه.. ربما أنه علامة من السماء.. منقذ مثلًا، طريق للخلاص من تسلُّط العمة زيلدا.. أو طريق للخلاص من تناول الكرنب كل يوم.. ثم نظر لأعلى بعد أن شعر بتأنيب ضميره وهو يفكر في العمة زيلدا، لكنها كانت قد عادت مسرعة إلى الكوخ، ولا أثر لها.

وفجأة، اعتدل سايمون وجلس، ثم سعل وهو يطرد من جوفه ملء دلو من ماء المستنقع، ولاحظ وجود ميرين لأول مرة.

فسأله بنبرة آمرة: «من أين جئت بهذا؟».

رد ميرين بنبرة المجروح: «ما هذا الذي تتحدث عنه؟»، ثم تساءل في سره لماذا يتحدث إليه الجميع دائمًا كأنه مذنب؟!

«هذه **النظارة المعظمة**».

«لم آخذها من أحد.. أقصد.. أقصد أنني وجدتها، وهي ملكي».

نظر سايمون إلى الفتى محاولًا تقييمه، وخالجه شعور بأن هذا الفتى غير عادي، وقال في سره قد ينفعني، لكن ما الذي يفعله هنا في الخارج في هذا المستنقع وسط هذا الخلاء؟

فسأله سايمون: «أنت تعيش هنا؟».

فردّ ميرين وهو مقطب الجبين، وكأن سايمون وجه إليه تهمة شنعاء: «لا».

«بالطبع أنت تعيش هنا، فهل هناك مكان آخر في مقلب القمامة هذا يمكن أن تعيش فيه؟».

«أنت مُحقٌّ»، ثم علت وجهه ابتسامة وقال: «إنه مقلب قمامة، أليس كذلك؟ كوخ غبي مملوء بجرعات سحرية تافهة، إنها لا تعرف شيئًا عن السحر الحقيقي».

نظر سايمون إلى ميرين محدقًا به وسأله بصوت خفيض: «وأنت إذن من يعرف؟».

«بالطبع أعرف. لقد كنت أفضل تلميذ **تكرومانسر** جاء إلى الدنيا. لقد كان يثق بي في كل شيء.. *كل شيء*».

بدت الدهشة على سايمون؛ فهذا هو إذن التلميذ السابق لدومدانيال. يبدو أنه استطاع بشكل أو بآخر أن يعود إلى الحياة بعد أن تم **استهلاكه**. لا بد أن هذا الفتى أهم مما يبدو عليه.

وبدأت فكرة تختمر في ذهن سايمون، وقال بنبرة متعاطفة: «لا بد أنك تفتقده».

همهم ميرين، وهو يقنع نفسه بأنه بالفعل يفتقده: «فعلًا.. أنا فعلًا أفتقده».

نظر سايمون لميرين يتفحصه من أعلى لأسفل؛ إنه لا يبدو الشخص المثالي بالنسبة له، وإن كان يصلح لأن يُعقد معه صفقات، وهو يريد أن يستولي على **نظارته المعظمة**، فسأله: «أتبحث عن وظيفة؟».

رد ميرين في دهشة: «وظيفة؟».

«نعم، وظيفة تشبه وظيفتك السابقة».

فسأله ميرين متوجسًا: «إلى أي مدى تشبهها؟».

فردّ سايمون، وقد بدأ يسأم منه: «كيف لي أن أعلم، وأنا لا أعلم تحديدًا ماذا كنت تفعل في السابق؟ هل ستقبل الوظيفة أم لا؟».

وفجأة، خرق صياح العمة زيلدا الأجواء وهي تقول: «ميرين! ابتعد عن هذا الشاب الشرير.. وارجع إلى الكوخ حالًا!»، ثم عادت إلى الكوخ؛ لتباشر بعض الأمور العاجلة، الأهم من ذلك.

راقب ميرين بغضب هيئة العمة زيلدا بملابسها المصنوعة من مختلف الأقمشة الملونة وهي تختفي وتدخل الكوخ. كيف تجرؤ هذه الساحرة العجوز على أن تتحدث معه بهذه الطريقة؟ ما الذي يجعلها تعتقد أنه سيطيع أوامرها؟

ثم قال سايمون بنفاد صبر: «حسنًا، هل ستقبل الوظيفة أم لا؟».

رد ميرين: «نعم سأقبلها».

قال سايمون: «إذن، اتفقنا»، ومدّ ميرين يده ليد سايمون الممدودة، وقبل أن يتسنى له أن يفهم ما الذي يحدث، أحسّ كأن هناك شيئًا يسحب ذراعه من جوفه.

صاح ميرين من الألم وقدماه ترتفعان عن سطح الأرض، حيث شدّه سايمون بعنف وطار به عاليًا. وبصعوبة، استطاع سايمون أن يتجاوز سطح كوخ الحارسة – وإن كانت قدما ميرين المتأرجحتان قد شبكتا في سقف الكوخ وسقطت فردة من حذائه. وبذعر، نظر ميرين لأسفل على سطح الكوخ، نادمًا على قراره المتسرع، وصاح يقول: «أنقذوني!».

تسرب صياحه من مدخنة الكوخ ولم يزد تأثيره على اختراقه أحلام الفتى الذئبي المحموم. لم تسمع العمة زيلدا شيئًا، فمن فرط انشغالها لم تلحظ أن الفتى الذي أنقذته بعد أن تم استهلاكه؛ ذلك الفتى الذي راعته بكل حرص وجعلته يتعافى؛ كان قد تركها وعاد من حيث أتى.

35
الهبوط



أخذت المركب *التنينية الآن تفقد بسرعة ارتفاعها*، وتمكن سبتيموس – بشكل أو بآخر – من أن يتجنب الاصطدام بجزيرة صغيرة بجناحها الدجاج – وهو ما جعل المركب التنينية تستنفد آخر ما كان لديها من قوة. فصارت الآن تحلق برأس منخفض، وعينين باهتتين، وجناحها السليم يرتعش من شدة الإرهاق.

صاح سبتيموس يقول لجينا التي كانت تواصل همسها للتنين بسيل من كلمات التشجيع: «قولي لها إننا أوشكنا على الوصول، إن النهر بات على مرمى البصر الآن.. قولي لها أن تحاول لعدة دقائق أخرى فقط».

همهم نكو، وهو ينظر من جانب المركب: «نحن قريبون بشكل خطير من سطح الأرض يا سِب»، حيث مرت المركب الآن سريعًا على منسوب

منخفض فوق مساحة خضراء زاهية متسعة – وهو ما يشير إلى أن هذه الأرض هي – بلا شك – «أرض الوحل المتحرك»، ثم استطرد نكو كلامه قائلًا: «ربما من الأفضل أن نبحث عن مكان نهبط فيه».

رد سِبتيموس بحدة: «وأين يكون ذلك ؟».

«لا أعلم. المهم أن يكون مكانًا مسطحًا».

«أتقصد مكانًا مسطحًا لطيفًا على أرض الوحل المتحرك.. عند الجنيات الصغيرة السمراء؟».

«حسنًا يا سِب، لا داعي لهذه الحدة».

قال سِبتيموس وعيناه مثبتتان على النهر: «أنا... أنا أريد فقط أن أوصلها بسلام.. آاااه!»، وترنحت المركب على نحو مفزع، فهمهم سِبتيموس هامسًا: «هيا.. هيا.. أنتِ قادرة على اجتياز ذلك.. نعم.. أنتِ قادرة».

وأخذ نكو يقوي من عزيمة التنين، رغم شعوره بالعجز، والشعور بالعجز على متن مركب هو أسوأ إحساس بالنسبة له.

وفجأة، مال ظهر المركب للأسفل إمالة تنذر بالخطر، وقال سِبتيموس بيأس: «لن نجتاز ذلك يا نكو».

«وربما قد نجتازه. ألا تستطيع أن تهبط هبوطًا اضطراريًا؟».

«لا أستطيع القول بأنني جربت ذلك مؤخرًا؛ إنه لأمر مخيف».

«أعلم ذلك».

ومرة أخرى، هوت المركب التنينية إلى منسوب منخفض، وشعر سِبتيموس بالغثيان.

قال نكو بتجهم: «نحن نهبط يا سِب».

«نعم.. نحن نهبط.. يا للهول! انظر! ما هذا؟ وكأن هذا هو كل ما كان ينقصنا».

كانت هناك سحابة بيضاء صغيرة قد ظهرت فوق المستنقع، تحاول اللحاق بهم.

فقال نكو: «إن سايمون هذا لا ييئَس أبدًا! لا أظنه قادمًا ليساعدنا.. يا للهول! إن سرعته مذهلة».

وخلال دقائق معدودة، كانت السحابة فوقهم، وغلفت المركب بشبورة بيضاء سميكة.

ثم جاء صوت نكو من بين السحاب يقول: «هل تراه يا سِب؟».

فقال سِبتيموس: «لا.. لكن أين هو؟»، أخذ يتشبث بقوة في ذراع الدفة ويحدق بتجهم أمامه، لا يرى سوى بياض لا يُخترق، ويحاول تثبيت عزيمته استعدادًا لسماع طقطقة صاعقة رعدية أو طرطشة سقوطهم على «أرض الوحل المتحرك».

ثم جاء صوت چينا فجأة من بين السحاب يقول بحماس: «إنها تقول إن هناك شيئًا يرفعها. إن السحابة تحملها».

وقبل أن تكمل چينا جملتها، كان سِبتيموس قد شعر بأن المركب بأسرها حلّت عليها حالة من الاسترخاء، واختفت الرجفة التي كانت تصاحب كل ضربة من جناح التنين كان يقوم بها في الهواء، كما هدأت أصوات الصرير والزئير التي كانت تصاحب محاولات التنين للحفاظ على تحليقها في الجو، وأصبح الصوت الوحيد الذي يسمعونه الآن هو

صوت اندفاع خافت للهواء مع اندفاع المركب التنينية وهي محمولة هكذا في الجو.

همس نكو، وقد أصابته السحابة بذهول: «إنه ليس سايمون، أليس كذلك يا سِب؟».

«نعم إنه.. في الحقيقة لا أعلم.. ما أغرب ذلك!».

قال نكو ومازال يعتريه إحساس غريب من الأجواء المصاحبة للسحابة: «ترى، إلى أين نحن ذاهبون الآن؟»؛ إذ كانت السحابة تذكره بشيء ما، أو ربما بشخص ما، لكنه لا يستطيع أن يحدد أكثر من ذلك.

تعامل سِبتيموس هو أيضًا مع الموقف بحذر، وتبدل الارتياح الذي شعر به بانزعاج، فهو لم يعجبه أن سيطرته على المركب التنينية خرجت من بين يديه، وراح يحرك ذراع الدفة من جانب إلى آخر - فأخذت الذراع تتحرك معه بانسيابية كأنها قطعة منفصلة، عديمة الجدوى، لا تؤثر في حركة المركب بأي حال من الأحوال الآن.

مرة أخرى، تسلل صوت جينا عبر الشبورة وهي تقول: «كفى عبثًا!».

رد سِبتيموس وهو يصيح قائلًا: «لا أسمعك!».

فأجابته جينا وهي تصيح: «التنين تقول كفى عبثًا بذراع الدفة، إننا سنهبط الآن».

صاح سِبتيموس ونكو معًا: «أين؟».

وصاحت جينا تقول: «يااللحمق! على سطح النهر بالطبع، هل هناك مكان آخر؟».

شعر سِبتيموس بأن المركب تهبط وتميل للأمام، فأمسك ذراع الدفة بقوة، لا يعرف ماذا يفعل سوى ذلك.. وفجأة، شعر بقرب رائحة النهر؛ أي أنهم على وشك الهبوط الآن وهو لا يرى شيئًا أمامه. فماذا لو أنهم اصطدموا بمركب، أو أنهم هبطوا بميل شديد وغرقوا؟ ليت هذه السحابة تنقشع وتدعه يرى الطريق. وعلى الفور، وكأنها قرأت أفكاره، تكورت إلى سحابة بيضاء صغيرة وانطلقت كالصاروخ، عائدةً إلى المستنقع من حيث جاءت.

لم يلتفت سِبتيموس إلى وجهة السحابة، فعيناه كانتا مثبتتين على مياه النهر الخضراء الداكنة التي تقترب منهم بسرعة.. إنهم يهبطون بسرعة.. بسرعة مذهلة.

فصاح يقول للتنين: «أبطئي من السرعة!».

وفي آخر لحظة، مباشرة قبل أن يصطدموا بالمياه، بسطت التنين جناحيها بكل ما في وسعها، وأمالت رأسها إلى الوراء، وأسقطت ذيلها، ثم اصطدم بالمياه بصوت مدوٍّ، وتأرجح لأعلى ولأسفل، ثم انزلق على سطح المياه بسرعة فائقة مرورًا بمجموعة من الصيادين من كبار السن معروفين بحكاياتهم الطويلة عن الصيد، ولم يدهشهم كثيرًا هذه الليلة وهم في حانة «السلمون العجوز» أنه لم يصدق أحد أحدث حكاياتهم، وبحلول آخر الليل وجدوا أنفسهم لا يصدقون ما حدث.

وأخيرًا، أبطأت المركب التنينية من سرعتها بعد نحو نصف ميل، مباشرة قبل انحناء النهر. واستقرت هكذا على المياه، ثم رفعت جناحها السليم وبسطته في مواجهة الرياح ليدفع بها إلى الأمام، بينما كان

جناحها المصاب يتدلى على الجانب الآخر منها، لا يقوى على الحراك، فبدأت المركب تتحرك في مسار دائري، إلى أن أخذ نكو مجدافًا وجدف به على الجانب الآخر حتى يزن حركتها.

أما سِبتيموس فجلس مرهقًا بجانب ذراع الدفة وانضمت إليه چينا، وقالت:

«كنت عظيمًا يا سِيب».

«أشكرك يا چين».

ثم قالت: «هل هذه السحابة... هل هي التي منعت المركب من أن تسقط بنا وتتحطم؟».

فأومأ لها سِبتيموس برأسه.

ثم قال نكو: «يا له من أمر غريب! كانت رائحتها يُشتم منها شيء غريب، يذكرني بشيء لا أستطيع تحديده».

قالت چينا بابتهاج: «كوخ العمة زيلدا».

«ماذا؟ أين؟».

«لا، أقصد السحابة؛ فقد كانت تنبعث منها رائحة الكرنب المسلوق».

أما في كوخ الحارسة فقد استيقظ الفتى الذئبي من نوم عميق، ولأول مرة منذ أن أمسك سلوث بيديه، شعر بأنهما لا تؤلمانه، ثم بذل مجهودًا كبيرًا حتى يستطيع أن يعتدل ويجلس، محاولًا أن يتذكر أين هو. وشيئًا فشيئًا بدأ يتذكر كل شيء، تذكر 412 وهو يودعه، وتذكر الكوخ، لكن ما لم يتمكن - بأي حال من الأحوال - من أن يتذكره هو تلك القارورة

الزجاجية الهائلة التي تسد الآن الباب الأمامي، إنه لم يرَ من قبل شيئًا كهذا. وكان بجانب القارورة سدادة ضخمة من الفلين، تقف بجانبها العمة زيلدا، تنظر بإمعان وتوتر إلى السماء التي بدأت تغرق في الظلام، وهي واقفة عند جانب القارورة التي بدت بنفس حجمها وشكلها أيضًا.

لاحظت العمة زيلدا أن الفتى الذئبي استيقظ من نومه، فذهبت إليه وجلست إلى جواره وهي تتنهد.

نظر إليها الفتى الذئبي بعينين مشوشتين، وهمهم قائلًا: «هل 412 بخير؟».

فردت عليه العمة زيلدا، وهي تراقب بطرف عينها القارورة: «ليس في وسعنا سوى أن نأمل ذلك». وبينما كانت تتحدث، هبت بشائر شبورة بيضاء عبر الباب المفتوح ودخلت القارورة، فقالت العمة زيلدا: «آه! ها هي قد عادت!»، ثم سرعان ما تحولت بشائر الشبورة إلى سيل ممتد، أخذ يتدفق عبر الباب ويدفع القارورة وهو يتقلب. هرعت العمة زيلدا إلى القارورة الضخمة، وأخذت تراقب الشبورة وهي تتدفق داخلها وتدور كالدوامة بسرعة مذهلة.

ظلت الشبورة لعدة دقائق تتدفق إلى الكوخ، وملأت القارورة عن آخرها. وبعد أن عادت آخر الشبورة إلى القارورة، أخرجت العمة زيلدا زجاجة صغيرة من أحد جيوبها العديدة، ثم وقفت على أطراف أصابعها، وأسقطت قطرة واحدة من سائل أبيض براق في فوهة القارورة، فأخذت الشبورة تلف وتلف، وتحولت في النهاية إلى دوامة ثائرة أخذت تدور

حول نفسها، إلى أن تحولت إلى كتلة بيضاء صغيرة تشبه حلوى المارشمالو.

تنهدت العمة زيلدا وقالت: «عظيم.. لقد عادت إلى السحابة المركزة مرة أخرى»، ثم أمسكت السدادة الضخمة بكلتا يديها ودفعتها في فوهة القارورة، ثم دفعت القارورة عبر أرض الكوخ بينما كانت كرة السحابة المركزة تتدحرج داخلها بلية وحيدة.. وأخيرًا، فتحت العمة زيلدا بابًا ضخمًا مخفيًا خلف الأرفف الموجودة في نهاية الغرفة، ووجهت القارورة داخل الدولاب.

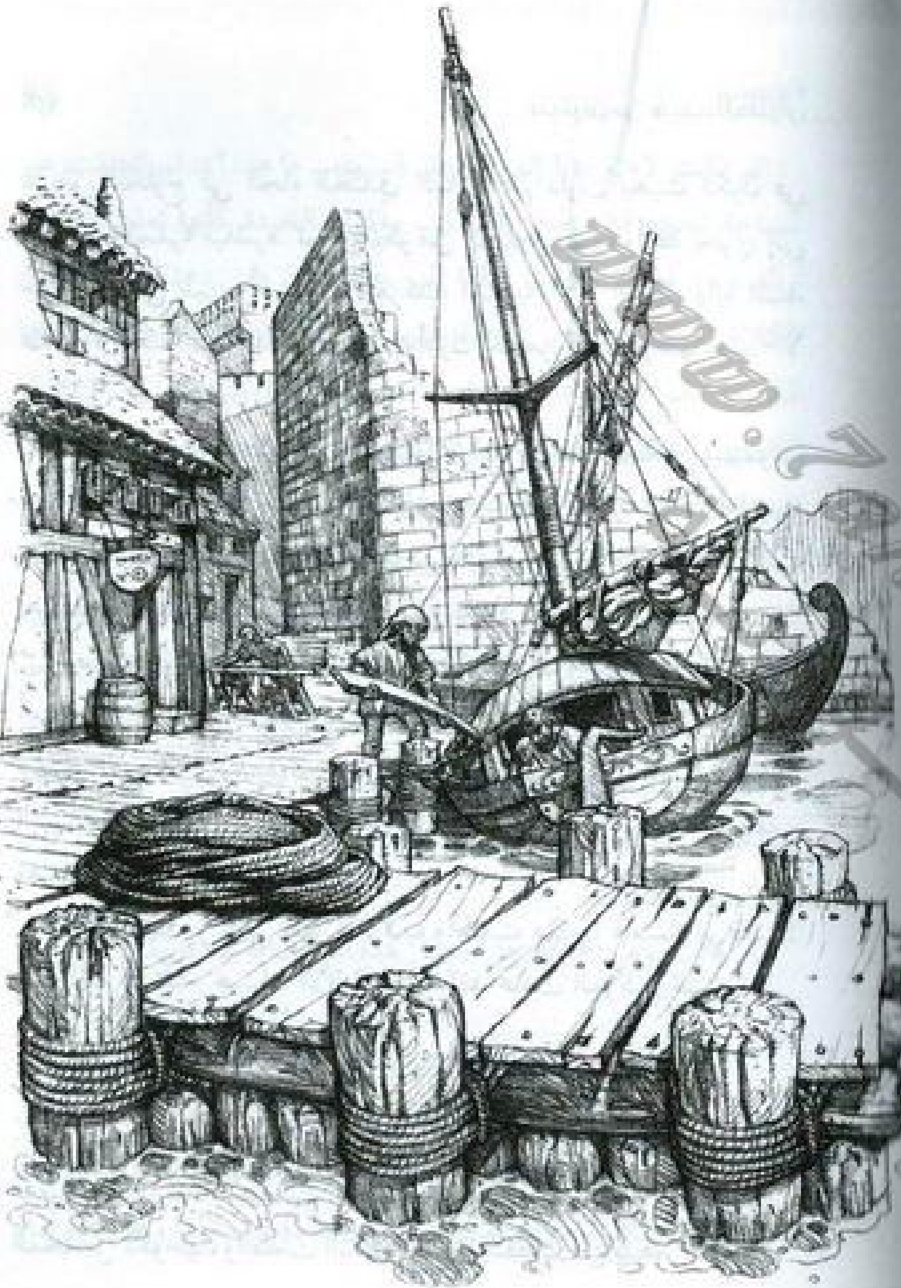
أغلقت العمة زيلدا باب الدولاب وخرجت من الكوخ، ثم سارت ببطء إلى آخر الجزيرة، وأخذت تنظر في الأفق في أنحاء المستنقعات، باحثةً عن أي أثر للمركب التنينية، إلا أنها لم تعثر على شيء؛ أي دليل أو علامة تشير إلى ما حدث لها. هزت العمة زيلدا رأسها، وتمنت في سرها أن يكون الأمر خيرًا؛ فهي لا تملك الآن شيئًا سوى ذلك، ثم عادت من نفس الطريق إلى الكوخ. وبذلك، أصبحت جاهزة لأن تتصرف مع سايمون هيب؛ جاهزة لأن ترسله إلى طريقه **الشيطاني**، وأن تأخذ هذا الفتى البائس ميرين من بين براثنه قبل فوات الأوان.

لكن بعد أن وصلت إلى الممشى تعثرت في فردة حذاء طويل بني، وبعد أن رفعته عن الأرض رأت بعض العيدان من قش سقف الكوخ ملتصقة في ثقب الرباط - فعلمت أن الأوان قد فات بالنسبة لميرين.

36
العودة

في *بداية ساعات صباح اليوم التالي*، بينما كان سيد التنين المرهق يغفو عند ذراع الدفة، التفت المركب التنينية في طريق إبحارها حول صخرة «راقن»، ونجحت في اجتياز المنعطف الضيق من النهر الذي يتجه يسارًا، حيث يبدأ الخندق المائي، وتقدمت في مسارها، لا يراقبها أحد سوى طيور النورس.. وأونا براكيت.

فقد أيقظ الخادمة توًا، والتي تنام بصعوبة هذه الأيام، كابوس وكان كالمعتاد يتعلق - بشكل أو بآخر - بمارشا أوفرستراند وإن كانت لا تستطيع أن تتذكره بالضبط. ذهبت أونا لتجلس بجانب النافذة بعد أن شعرت بالراحة بأنها استيقظت من النوم، لكن عندما رأت المركب التنينية تبحر في النهر قريبًا منها، عاودها الاكتئاب ثانيةً، وقالت في سرها لا بد أنها لا تزال تحلم. فنظرت إلى المركب تبحث عن مارشا، ورأت بلا أدنى مجال للشك ذلك الفتى المزعج الذي عينته مارشا تلميذًا لها، فلا بد أن مارشا قريبة من المكان. تنهدت الخادمة وتمنت أن ينتهي هذا الحلم، وليته ينتهي باختفاء مارشا أوفرستراند نهائيًا. وهكذا، جلست أونا



وأخذت تراقب المركب التنينية وهي تنجرف عند المنعطف الذي يؤدي إلى ساحة المراكب وانتظرت ظهور مارشا.

كانت ساحة المراكب خاوية عندما بدأت المركب التنينية تقترب من العوامة. قفز نكو على العوامة من عند مقدمة المركب وفي يده حبل أزرق سميك، حتى يربط به المركب في قائم ضخم، وقد بدأت المركب تستعد للتوقف، وإن كان على ما يبدو لديها خطط أخرى.

صاح نكو، وهو يجري على امتداد العوامة محاولًا اللحاق بالمركب، ويقول: «انتظروا! أوقفها يا سِب! إن سرعتها لا تسمح لي بربطها!».

كان سِبتيموس قد أفاق تمامًا من النوم الآن، وقال لنكو: «إنها لا تريد أن تتوقف يا نكو! چينا، قولي لها أن تتوقف!».

ثم صدر صوت طرطشة بعد أن اضطر نكو لأن يترك الحبل من يده، تجنبًا أن يجد نفسه مسحوبًا في المياه. بدأ سِبتيموس يُصاب بالهلع.. ترى، كيف تُوقفُ المراكب، خاصة لو كانت مركبًا يبدو أن لها عقلًا خاصًا بها؟

صاحت چينا تقول لسِبتيموس: «تقول إنها لم تصل بعد يا سِب».

صاح سِبتيموس: «لم تصل بعد! إلى أين؟»، بينما واصلت المركب تقدمها نحو نهاية سد مهجور يقع عند الطرف البعيد لساحة المراكب يُعرف باسم «الممر».

ردت چينا: «لم تصل بعد إلى حيث المكان الذي يمنحها الأمان. انتظر يا سِب! إنها ستدخل هنا!» والتفتت المركب التنينية في قوس

عريض للخارج في اتجاه الخندق المائي، ثم دارت بحيث تكون في مواجهة «الممر» مباشرة. تمكن نكو من أن يلحق بهم، وأخذ يجري إلى جوارهم على البر، وأصبحت المركب التنينية الآن أمامها نهاية السد «للممر» – عند سور القلعة المنيع – وأدرك نكو من فرط سرعتها أنهم – لا محالة – سيصطدمون بالسور.

فصاح نكو مغلوبًا على أمره: «أوقفها! أوقفها يا سِب!»، لكن سِبتيموس لم يكن في وسعه شيء؛ فالمركب التنينية تتجاهل أوامر سيدها. أما چينا – بعد أن رأت وهي عند مقدمة المركب اقتراب السور منهم – فقد ألقت نفسها على ظهر المركب، وانتظرت الاصطدام المحتوم.

سمعت چينا نكو يصيح في ذهول: «يا إلهي!»، وشعرت فجأة أن الجو أصبح باردًا ومظلمًا، وتسللت إليها رائحة الرطوبة المميزة للتربة تحت سطح الأرض، وعندما تجرأت ورفعت عينيها لأعلى كانت المركب التنينية قد توقفت وسط سور القلعة نفسه، في كهف شاسع ذي سقف مقبب ومكسو باللازوردي.

قامت چينا من على ظهر المركب وأطلقت صفيرًا هامسًا، ثم قالت: «يمكنك أن تفتح عينيك الآن يا سِب، لقد عادت المركب التنينية إلى بيتها».

وعلى الجانب الآخر من ساحة المراكب، أضاءت شمعة نافذة كوخ صغير متداع. لقد استيقظت چانيت مارتن توًا. وبعد لحظة، انفتح الباب المخلخل لكوخها، وانطفأت الشمعة عندما سقطت من يدها.

ثم قالت لاهثة: «يا إلهي! بحق السماء.. ما هذا؟»، ثم انطلقت عبر الساحة تجري قافزةً فوق المراكب وأكوام الخردة كأنها ثعلب يلاحق أرنبًا. وبعد لحظات كانت واقفة إلى جوار نكو. وفي دهشة أعاقتها عن الكلام، أخذت تتفحص أبعادًا جديدة لا يتخيلها عقل لساحة مراكبها العزيزة. كان المشهد الذي تراه أمامها يعكس – بكل تأكيد – كل صور التفاخر والتباهي، بعيدًا بعض الشيء عن ذوق چانيت البسيط. وهي نفسها لم تكن تحلم يومًا بأن تبطن بيت مركب لها مثل هذا الحجم الهائل بأحجار اللازوردي من بين كل الأحجار، كما أنها بلا شك ما كانت ستزعج نفسها بأن ترسم على جدرانه كل هذه الصور الصغيرة الطريفة. أما بالنسبة للزخارف المطعمة بالذهب حول الباب، فإنها ببساطة سخيفة. لكن هذا لا يمنع من أن المشهد بكل تأكيد يخلب العقول تُتَوِّجه مركب خرافية. ووجدت چانيت نفسها – وهي ليست ممن ينساقون وراء عواطفهم – مهزوزة بعض الشيء، وجالسة على التوّ فوق زورق صغير مقلوب.

ثم قالت بوهن: «نكو، هل... هل هذا المكان له علاقة بك؟ هل أنت من عثر عليه؟».

«لا.. إنها... إنها المركب التنينية هي التي عثرت عليه». كان نكو يعجز عن الكلام؛ فالمشهد الذي رآه توًا لا يفارق ذهنه؛ مشهد المركب التنينية، برأسها المرفوع عاليًا، تتقدم على امتداد الممر بسرعة، بسرعة فائقة. وبينما كان يُحدق برعب إلى سور القلعة السميك وهو يلوح أمام

المركب، رأى نكو وميضًا ساطعًا يصدر عن قرص ذهبي يزخرف مكانًا عاليًا من السور لم يلحظه من قبل. فقد لفظت أنثى التنين شريطًا من اللهب من أنفها عندما لمس ذهب القرص، ذابت كتل الأحجار التي شيد به هذا الجزء من السور، رغم ما يبدو عليها من صلابة، وانكشف الكهف المبطن باللازوردي الذي تخلب روعته الألباب، ثم شاهد نكو المركب التنينية وهي تدخل الكهف بجلال وانسياب وتتوقف برفق. إنه أروع مشهد رأته عيناه، وكان كل ما تمناه في تلك اللحظة أن تكون چانيت قد رأته هي أيضًا.

نزلت چينا وسِبتيموس من على متن المركب التنينية، وبدأ يسيران بحرص بطول الممرات الرخامية التي تمتد على جانبي «بيت التنين»، إلى أن خرجا وانضما إلى نكو وچانيت في الخارج. وفي صمت، أخذوا يراقبون المركب التنينية وهي تستقر كالبجعة في عشها، في ظل أمان «بيتها».

وبعد قليل، قالت چانيت: «أتعرفون؟ لقد قرأت ذات مرة وأنا طفلة عن شيء كهذا. ولقد كنت حينها مشاغبة كالصبيان نوعًا ما وأعطتني عمتي كتابًا رائعًا.. تُرى، ماذا كان اسمه؟ نعم، نعم، تذكرت، إنه *مائة قصة غريبة ومثيرة لكل الأولاد الذين يشعرون بالملل*. ولقد جعلني هذا الكتاب أهتم بالمراكب، لكن بالطبع لا يمكن أن تكون هذه المركب هي التي قرأت عنها».

قال سِبتيموس على الفور: «إنها مجرد قصة».

ألقت چانيت نظرة إلى سِبتيموس، وتذكرت أنه تلميذ مارشا، ثم قالت هي أيضًا على الفور: «نعم نعم، بالطبع».

تركت چينا وسِبتيموس نكو وچانيت وهما جالسان مع المركب التنينية، وانطلقا إلى برج السحرة. ألقى سِبتيموس نظرة على الحقيبة المقاومة للتنين. ولسعادته، وجد أن لافظ اللهب مازال مستغرقًا في النوم، ومن ثم سارت چينا وسِبتيموس اللذان أصابهما الإرهاق وسط الشوارع الخالية، وهما يحملان التنين النائم بحرص شديد. كانت السماء مظلمة رغم بزوغ الهلال الوليد، ومع ذلك شعرت چينا وسِبتيموس بالأمان وهما يسيران في شوارع القلعة. فخلافًا لشوارع الميناء؛ فإنهما هنا على دراية تامة بالمنعطفات والمنحنيات، والحارات التي يجب تجنبها، والطرق المختصرة التي يمكن استخدامها. ومع اقترابهما من طريق السحرة، بدأ وميض المصابيح يضيء الظلام من حولهما، ثم تسللا إلى ممر ضيق، وسرعان ما كان سِبتيموس يفتح الباب الخشبي الجانبي القديم، المؤدي إلى فناء برج السحرة.

وكان قرارهما أن چينا ستمكث الليلة في برج السحرة وتعود صباح غد إلى القصر. تابعت چينا خطوات سِبتيموس وهو يصعد درجات السلم الرخامي شديد الانحدار الذي همهم بكلمة السر، فانفتح الباب الفضي الثقيل على مصراعيه في هدوء.

وبلا صوت، سار الاثنان عابرين البهو العظيم، وعندما نظرت چينا لأسفل وجدت الكلمات التالية تتراقص فوق الأرض بألوان خافتة تتناغم

مع الليل: «*مرحبًا أيتها الأميرة، مرحبًا أيها التلميذ بعد عودتكما سالمين، مرحبًا يا لافظ اللهب*». بدا البرج من الداخل غريبًا كعادته بالنسبة لجينا، ورائحة **السحر** القوية المنبعثة في الأجواء أشعرتها بدوار خفيف، ورغم إدراكها أنها محاطة بأصوات **سحرية**، فإنها لم تتمكن من سماعها بشكل واضح، وكأنها أصوات لا يصل إليها المرء. تحسست جينا خطاها وهي تعبر البهو الذي بدت لها أرضه وكأنها رمال، وتابعت سبتيموس إلى السلم الفضي الحلزوني. وما إن بدأ السلم يتحرك لأعلى حتى جلست هي وسبتيموس مرهقين على إحدى درجاته أثناء رحلة الصعود الطويلة إلى أعلى البرج.

كان السلم الحلزوني يتحرك بالوتيرة المسائية؛ مما يعني أنهما كانا يتحركان ببطء وهدوء. أسندت جينا رأسها إلى كتف سبتيموس والنعاس يملأ جفونها، وأخذت تعد الدرجات في الطريق، وكان كل طابق يمران به يضيئه ضباب أرجواني شاحب يميل إلى الزرقة، ويتسلل منه غطيط رقيق آتٍ من غرفة أو غرفتين تخصان السحَرة الأكبر سنًا. ومع اقترابهما من الطابق العشرين، وقفت جينا وسبتيموس استعدادًا لترك السلم. وفجأة، أمسكت جينا بذراع سبتيموس بقوة.

وهمست قائلة: «انظر!».

فهمهم سبتيموس قائلًا: «ما الذي يفعله هنا؟». وبهدوء تام، تركا السلم وسارا على أطراف أصابعهما نحو الباب الأمامي الضخم ذي اللون الأرجواني الذي يُفتح على جناح مارشا. كان يجلس أمام الباب على مقعد خشبي شخص نحيف يرتدي عباءة بنية بحافة زرقاء، وهي الخاصة

بالسحرة الثانويين ويعتمر قبعة مجدولة غريبة الشكل مربوطة بشريط أسفل العنق، وقد أطرق الرجل برأسه للأمام أثناء نومه.

همست جينا قائلة: «من هو؟».

فهمس سبتيموس: «إنه كاتشبول».

فهب الرجل مستيقظًا فجأة، وقال وهو ينظر حوله بارتباك: «نعم؟ نعم؟»، ثم لمح سبتيموس، فصاح بصوت غليظ: «ماذا تريد يا 412؟» فوقف سبتيموس على الفور في وضع انتباه بشكل تلقائي، ففي لحظة بشعة، بدا له وكأنه عاد من جديد إلى جيش الشباب وكاتشبول البشع يصيح في وجهه.

وفجأة، تنبه كاتشبول وتذكر أين هو.. وبذعر تذكر من هو سبتيموس الآن، فقال: «يا للهول! معذرة أيها التلميذ.. لم أكن منتبهًا.. أنا آسف، لم أقصد أية إساءة».

ولأن سبتيموس كان لايزال يبدو مذهولًا، قالت جينا بأدب: «نحن سنمكث هنا الليلة، أتسمح لنا بالدخول؟» نظر كاتشبول وسط الظلام، ولأن نظره ضعيف (وهو ما كان يُعد من أحد الأسباب التي جعلته لا يصلح لأن يتولى منصب «نائب الصيادة») - لم يلحظ وجود شخص آخر مع سبتيموس. وعندما تبين من هي، هبَّ واقفًا، وسقط المقعد وهو يقعقع على الأرض.

«يا إلهي! أنا آسف أيتها الأميرة، لم أشعر بوجودك».

ردت جينا بابتسامة، وقد أسعدها تأثيرها عليه: «لا تشغل بالك يا كاتشبول، دعنا نمر فحسب، ممكن؟».

فقال كاتشبول وقد بدا عليه القلق: «لا، أنا آسف. لديَّ أوامر بألا أترك أحدًا يمر من الباب. إنها احتياطات أمنية. أنا آسف.. آسف جدًّا جدًّا».

فسألته جينا: «لماذا؟».

فردَّ كاتشبول وقد بدا عليه اليؤس: «إنها الأوامر أيتها الأميرة».

نفد صبر سِبتيموس، وقال له: «تنحَّ عن الطريق يا كاتشبول. سندخل، شئت أم أبيت». وتقدم سِبتيموس للأمام، فتعرَّف إليه الباب الأرجواني الضخم، وانفتح على الفور، ثم تابعت جينا خطاه إلى جناح مارشا، تاركيْن كاتشبول يلوي يديه المتشابكتين في يأس.

كان الظلام دامسًا في الداخل، ثم همست جينا تسأل سِبتيموس: «لماذا رفض كاتشبول دخولنا؟ أتعتقد أن هناك كارثة قد وقعت؟». وقف سِبتيموس صامتًا لوهلة بينما كان وميض خاتمه التنيني يزداد سطوعه، وأخذ يُنصت بإمعان.

ثم رد عليها قائلًا: «لا، فأنا لا أشعر بأي وجود **شيطاني** هنا، أو على الأقل ليس هناك أكثر من ذلك **الظل** المعتاد، كما أنني أسمع.. نعم.. أنا متأكد من أنني أسمع أنفاس مارشا.. أنصتي».

همست جينا تقول: «أنا لا أسمع شيئًا يا سِب».

«ألا تسمعين؟ أنتِ مُحقَّة، لا أعتقد أنك ستسمعين شيئًا، فأنا أتعلم الآن كيف **أسمع الأنفاس البشرية من حيث لا تُسمع**. إن أبي وجدك بهذه الطريقة كما تعلمين، ومارشا وجدتني تحت الثلوج بنفس الطريقة. ورغم أنني ما زلت لا أتقن ذلك، أستطيع الآن أن أسمع مارشا بكل سهولة».

«لكن... لكن ما يدريك أنها ليست أنفاس **الظل**؟».

«الأمر في غاية البساطة؛ **فالظل** لا يتنفس أيتها الحمقاء، إنه ليس حيًّا، كما أنه بكل تأكيد ليس بشريًّا».

لكن كلام سِبتيموس لم يخفف عن جينا، فقالت: «إن المكان مظلم هنا يا سِب».

فلمس سِبتيموس شمعة بجانب المدفأة الحجرية الضخمة، وعلى الفور أضاءت، وأخذت تلقي بظلال متراقصة على الجدار، وأضاءت **واقي الظلال** القابع في الركن كأنه عنكبوت عملاقة تنتظر فريستها. ارتجفت جينا من منظره الذي بدا لها مروعًا؛ فهناك شيء فيه يذكرها بالحجرة المظلمة.

سألها سِبتيموس: «أتشعرين بالبرد يا جين؟»، ثم طقطق بأصابعه فقفزت في المدفأة بعض العصي التي تُضرم النار وأشعلت نفسها، ثم رفعت بعض القطع الخشبية الكبيرة نفسها من سلة الأخشاب وارتمت على العصي المشتعلة. وطواعيةً، شبت فيها النار، وسرعان ما انبعث في الغرفة الدفء، وبدأ الخوف يرحل عن جينا.

ثم قال لها سِبتيموس: «هيا بنا الآن. يمكنك أن تقيمي في غرفة ضيوف السحرة.. إنها فعلًا لطيفة. تعالي وشاهديها بنفسك». لكن جينا لم تتحرك، لقد خطر **الظل** على بالها الآن وهو منتظر بجوار مارشا في الطابق العلوي.

وقالت: «أشكرك يا سِب، لكنني أفضِّل أن أمكث هنا بجانب النار».

نظر سبتيموس إلى وجه چينا الشاحب، وقال في سره إن وجودها مع كل ذلك **السحر الأسود** عند سايمون أضرها كثيرًا، ثم قال لها: «كما تشائين يا چين، وأنا سأمكث معك هنا».

فيما بعد، وقفت هيئة طويلة القامة لدى الباب ورأت شخصين نائمين أسفل أفضل بطاطينها الأرجوانية.. توقفت مارشا لوهلة، وابتسمت. إن ذلك الجرذ الرسول المزعج كان محقًا، إنهما سالمان. ولقد كانت بالطبع واثقة من ذلك من البداية، لكن أسعدها رغم ذلك أن تراهما قد عادا مرة أخرى.

ابتعدت مارشا وهي تسير على أطراف أصابعها، بينما توقف **الظل** للحظة وألقى نظرة شريرة على الشخصين النائمين، وصدر من عينيه وميض أصفر باهت، ثم التفت وسار في أعقاب مارشا وهي تصعد درجات السلم الحجري البارد.

37
رحلة البحث عن الدراكس



قالت *مارشا لسبتيموس* بحنق مطالبةً بتفسير: «بحق السماء، ما الذي يحدث هنا؟»، فسرعان ما نسيت كم كانت سعادتها ليلة أمس برؤية سبتيموس وچينا لدى عودتهما سالمين! اليوم هي ليست في أحسن حالاتها؛ فقد استيقظت هذا الصباح لتجد **الظل** يسترخي في خمول على وسادتها، لم يكن ذلك بالأمر غير المعتاد، فرؤية **الظل** خلال الشهور الماضية تزداد وضوحًا يومًا بعد يوم، خاصة عندما تستيقظ في الصباح، لكنه ظل طوال ذلك الوقت صامتًا حتى هذه اللحظة. فما أيقظ مارشا اليوم من نومها كان صوتًا خفيضًا كئيبًا إلى

أقصى حد، كأنه يصدر من تحت الأرض، وهو ينادي باسمها مرة تلو أخرى «مارشا.. مارشا.. مارشا..».

وفي نوبة غضب، ألقت مارشا فردة من أفضل أحذيتها الأرجوانية المصنوعة من جلد الأفعى على ذلك الشيء المقزز، لكن الحذاء بالطبع اخترقه، وانطلق كالصاروخ عبر الغرفة وكسر إناءً زجاجيًا صغيرًا كان ألثر قد أهداها إياه عندما تمكنت أخيرًا - حينما كانت تلميذته - من إتقان ممارسة **إسقاط** كان يمثل صعوبة خاصة، ولقد أحزنها تحطم الإناء أكثر مما كانت تتوقع، ثم انطلقت إلى الطابق السفلي من جناحها وهي تستشيط غضبًا.. إنها ما عادت تحتمل - بأي حال من الأحوال - هذا الظل، واتخذت القرار وهي تفتح باب المطبخ بعنف وتصيح في براد القهوة قائلة له: «هيا *أسرع*.. هيا». وبعد أن تناولت إفطارها، قررت أنها ستذهب على الفور إلى العزيز ويزل، وتصر على أن تأخذ منه في الحال **السدادة**؛ وهي آخر قطعة تحتاج إليها لتكمل **واقي الظلال**.

قالت مارشا بصوت عالٍ: «سبتيموس».

فاعتدل فزعًا وجلس، وللحظة كان مشوشًا ولا يتذكر أين هو. إلا أن مارشا سرعان ما ذكرته فقالت له بعد أن عقدت ذراعيها بحنق: «أنت في برج السحرة يا سبتيموس، وهو مكان **للسحر**، وليس معرضًا للوحوش».

سألها سبتيموس: «ماذا؟».

«انظر إلى أفضل بطاطيني، إنها مليئة بالثقوب، وأنا لا أعلم أين عثرت على هذه العثة العملاقة، لكنك ستأخذها بعيدًا عن هنا مباشرة».

رد سبتيموس، وهو يتساءل في سره عما إذا كان قد أخفق في فهم كلام مارشا: «أي عثة عملاقة تتحدثين عنها؟».

همهمت جينا وهي تخرج من أسفل كومة من البطاطين: «ما خطبكما؟».

قالت مارشا: «مرحبًا يا جينا، سررتُ برؤيتكِ هنا. لقد قال الجرذ.. في الحقيقة، لقد قال هذا الجرذ البائس الكثير، معظمه كلام فارغ حسب علمي.. لكنه قال إنك قمت بزيارة منتصف الصيف، وأنا أهنئك على ذلك الإنجاز».

قالت جينا ولا يزال النعاس يداعب جفونها: «أشكرك يا مارشا»، ثم اعتدلت لتجلس، فانحشرت قدمها في ثقب كبير من ثقوب البطانية، وأخذت تهز أصابع قدمها وكأنها فوجئت برؤيتها، وإذا بها تصرخ بعد أن وثب عليها شيء أخضر: «آآه!».

وفي دهشة، قال نكو لاهثًا: «لافظ اللهب!» فعلى الرغم من أن العمة زيلدا أخبرته بأن لافظ اللهب سينمو بشكل فجائي، فلم يتوقع ما يراه أمامه الآن. لقد أكل التنين حقيبته المتينة وخرج منها، وأصبح الآن في حجم جرو صغير. مد سبتيموس يده وأمسكه بقوة ليرفعه من على قدمي جينا، وقال لها: «هل أنت بخير؟».

ردت جينا عليه وهي تفرك قدمها التي علتها بعض الخدوش من حوافر التنين: «نعم، أعتقد ذلك»، ثم قالت وهي تنظر إلى التنين الذي

يضرب بلسانه الأخضر الصغير يد سِبتيموس، آملًا في وجبة إفطار: «سِب، إنه لم يكن بهذا الحجم ليلة أمس، أليس كذلك ؟».

فهمهم سِبتيموس قائلًا: «بلى». ويبدأ يستشعر المأزق الذي وجد نفسه فيه، لا يكاد يجرؤ على النظر إلى مارشا؛ فهو يعلم تمامًا ما الذي سيسمعه منها، وهذا هو بالفعل ما حدث.

«لقد قلت لك من قبل يا سِبتيموس إنني لا أريد حيوانات أليفة هنا، لا ببغاوات، ولا سحالي إيجوانا، ولا سلاحف، ولا...».

«لكن لافظ اللهب ليس حيوانًا أليفًا، إنه أداة **سحرية**، كأرنب التجارب الموجود في الفناء».

«إن التنانين يا سِبتيموس ليست كأرانب التجارب. وأنت لا تعرف كم المتاعب...».

وإذا بلافظ اللهب، وكأنه يريد أن يثبت صحة كلام مارشا، يفلت من قبضته، ويقفز منقضًا على قدم مارشا بعد أن لمح الحذاء المصنوع من جلد الأفعى الأرجوانية. لقد حدثه هاجس من ذاكرته التنينية القديمة أن التنانين والثعابين أعداء - كما أن الأفعى الأرجوانية هذه تصلح تمامًا لتكون وجبة خفيفة قبل الإفطار، لكن ما لم يتبادر إلى ذهن التنين الذي لم يبلغ من العمر حتى الآن سوى يومين - أن حذاء مارشا ليس إلا جلد أفعى فقط، وأن صاحبة القدمين اللتين ترتديانه ساحرة قوية ومزعجة، تُكِنُّ ولعًا خاصًا بأحذيتها، ولا تحتمل بأي حال من الأحوال صغار

التنانين. وهكذا، انطلق لافظ اللهب كأنه صاروخ أخضر متلألئ عبر الغرفة، وتعلق بقدم مارشا وأخذ يمضغها.

«آاي» هكذا صاحت مارشا وهي ثائرة، وأخذت تهز قدمها. لكن لافظ اللهب كان قد تعلم الدرس بعد أن هزه سِبتيموس منذ يومين حتى يترك أصبعه، فتعلق بقوة في الحذاء، وغاصت أسنانه الصغيرة الحادة في جلد الأفعى.

غمغمت مارشا بصعوبة: «**الحذاء يتخلص من الإنسان!**» ولكن أسنان لافظ اللهب غاصت أكثر.

فصاحت تقول: «**الحساء يتخلص من الأسنان!**» وظل لافظ اللهب في مكانه، ورجُّ جلد الأفعى رجة قوية.

فصاحت مارشا من جديد وهي تنطق الجملة على الوجه الصحيح أخيرًا هذه المرة: «**الحذاء يتخلص من الأسنان!**» وهنالك، ترك لافظ اللهب حذاء الأفعى الأرجوانية، وكأن جلد الثعابين الأرجوانية ما عاد يثير اهتمامه الآن، وعاد إلى جوار سِبتيموس وهو يمشي الهوينى، ثم جلس وهو ينظر إلى مارشا وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات شريرة.

سقطت مارشا منهارة على أحد المقاعد، وراحت تعالج قدمها وهي تنظر إلى حذائها الممزق. أما سِبتيموس وچينا فقد حبسا أنفاسهما.. ترى، ماذا سيسمعان منها الآن؟

قالت مارشا بعد لحظة صمت طويلة: «أظن يا سِبتيموس.. أظن أن هذه الأنة قد **وضعت بصمتها** عليك، أليس كذلك ؟».

رد سِبتيموس مُقرًا: «في الحقيقة.. بلى».

فتنهدت مارشا بثقل وقالت: «هذا هو ما كنت أظنه. وكأن هذا هو كل ما كان ينقصني يا سِبتيموس. أوَ تعلم إلى أي مدى تكبر هذه الحيوانات؟».

همهم سِبتيموس قائلًا: «أنا آسف يا مارشا. لكنني أعدك بأنني سأرعاه، فعلًا. سوف أطعمه، وسوف أدربه على قضاء حاجته في الخارج، و... وسوف أفعل كل شيء»، إلا أن كلامه لم يبد أنه أقنعها.

فاستطرد يقول بإحباط: «أنا لم أقصد أن أحصل على تنين، فالأمر هو أنه فقس من الصخرة التي أعطتها لي چينا».

قالت مارشا وقد بدأت تهدأ قليلًا: «فقس من صخرة چينا؟ فعلًا؟ أي أنه فقس بواسطة الإنسان.. عظيم عظيم. هذا مثير حقًا. على أية حال، سوف تضطر أن تبقيه في غرفتك في الوقت الراهن، فأنا لن أسمح له بأن يعبث في المكان هنا أكثر من ذلك»، كما أن مارشا - وإن كانت لا تريد أن تذكر ذلك لسِبتيموس - لا تود أن تدنس هذا التنين الحساس بتعريضه لأي اتصال **بالظل**. فإذا كان هذا التنين سيصبح رفيق سِبتيموس، فلا بد أن يبعد بقدر المستطاع عن أي **سحر أسود**.

أصرت مارشا أن تسمع كل تفاصيل هرب چينا من قبضة سايمون، وعندما حكت لها قصة طيران المركب التنينية إلى القلعة، بدا عليها تعبير ينمُّ عن الانتصار، وتمتمت قائلة: «إذن أصبحتُ أنا الحارسة الآن».

اندهش سِبتيموس من كلامها وقال: «لا أظن ذلك، وأنا متأكد من أن العمة زيلدا لا تزال هي الحارسة».

فعقبت مارشا على كلامه قائلة: «هراء! كيف تستطيع ذلك؟ وهي حبيسة بعيدًا في تلك المستنقعات؟ إن المركب التنينية أصبحت الآن في القلعة.. وهذا أساسًا هو الوضع الصحيح. إنها تنين تتسم بالعقل والحكمة. وحارستها الحالية لن تخذلها». يا كاتشبول!

دفع كاتشبول الباب بعصبية، وهو يزدرد ريقه، ثم قال: «هل طلبتني يا سيدة مارشا؟».

«نعم.. خذ ثلاثة عشر من السحرة إلى ساحة المراكب. مطلوب منهم أن يحرسوا المركب التنينية ويفدوها بحياتهم.. أفهمت؟».

«ثلاثة عشر من السحرة.. المركب التنينية.. هممم.. يحرسونها ويفدونها بحياتهم.. إحم حسنًا.. أشكرك يا سيدة مارشا، أهناك أية أوامر أخرى؟».

«أعتقد أن هذه الأوامر كافية تمامًا لتنجزها مرة واحدة يا كاتشبول».

«نعم، أشكرك يا سيدة مارشا».

«انتظر يا كاتشبول! لقد تذكرت أمرًا آخر!».

توقف كاتشبول بقلق وهو في طريقه للخروج، وقال: «نعم.. نعم يا سيدة مارشا، بم تأمرينني؟».

«بعد أن تنتهي من مهمتك يمكنك أن تنضم إلينا في وجبة الإفطار».

وهنالك، علا وجه كاتشبول وجوم، وقال: «ياه!»، ثم تذكر الأصول، *فأضاف قائلًا*: «ياه! أشكرك يا سيدة مارشا.. أشكرك جزيل الشكر».

كان الإفطار بالنسبة لكاتشبول كأنه الطامة الكبرى.. جلس إلى المائدة بطريقة خرقاء، لا يعرف تمامًا كيف يتعامل مع چينا وسِبتيموس، ناهيك عن مارشا التي تثير الرعب في قلبه.

قالت له مارشا بحنق: «لقد قلت لك يا كاتشبول ألا تترك السحرة يدخلون إلى جناحي، ولم أقل تلميذي.. ألا تستطيع أن تميز؟».

وفي تلك الأثناء، كان الموقد قد ترك القهوة تفور على النار للمرة الثانية هذا الأسبوع، فالموقد لا يكون في الصباح في أحسن حالاته، ودائمًا يشعر بالتوتر والقلق أثناء الإفطار. ومما زاد الأمر سوءًا أن براد القهوة كان محبطًا بعد أن صاحت في وجهه مارشا ولم يركز في مهمته. لكن الأسوأ من كل ذلك، هو وجود ذلك التنين الذي أخذ يمضغ أحد قوائمه الأربعة. وهكذا، انسكبت القهوة على القرص الساخن للموقد وهي تَصِرُّ بصوت عالٍ، ثم على الأرض.

قالت مارشا بحدة: «**تنظيف**». وعلى الفور، قفزت قطعة تنظيف من الحوض وبسرعة مسحت الأرض.

لم يتناول كاتشبول من طعام الإفطار إلا القليل جدًّا، فقد جلس وأخذ يلوي قبعته، ناظرًا بتوتر إلى لافظ اللهب الذي جلس في الركن بجانب الموقد، يبتلع بصوت عالٍ العصيدة التي يملأ بها فمه بكميات هائلة.

وبعد أن تناول الإفطار – الذي كان بالنسبة للافظ اللهب دجاجتين محمرتين، وثلاثة أرغفة من الخبز، ودلو عصيدة، ومفرشًا، وجالون ماء، وقبعة كاتشبول – ظلت چينا وسِبتيموس وكاتشبول في أماكنهم حول المائدة، وراحوا يستمعون للأصوات التي صاحبت سحب مارشا للتنين إلى الدور العلوي، لتزجه في غرفة سِبتيموس وتسد الباب بالمتاريس. خيم صمت غريب على الجالسين حول المائدة، وجلس كاتشبول وفي يده زوج مبلل من شرائط قبعته، لفظها لافظ اللهب بعد أن خطف القبعة من قبضة كاتشبول وابتلعها منذ قليل.

ثم وقفت چينا وقالت: «معذرة، ولكن أظن أنه من الأفضل الآن أن أعود إلى أبي وأمي. هل ستأتي معي يا سِب؟».

«ربما فيما بعد يا چين، ليس قبل أن أعرف المهام التي تريد مارشا أن أقوم بها».

قالت مارشا وهي تدخل المطبخ بشعر أشعث بعض الشيء: «سوف أقول لك ماذا أريد منك.. أريدك أن تذهب فورًا إلى «دار المخطوطات» وتشتري نسخة من كتاب «*دليل دراكس لتدريب التنين*»، وأنت تحتاج إلى نسخة السحرة الأصلية غير القابلة للاشتعال.. لا تجعلهم يخدعونك بتلك النسخة الرخيصة المكتوبة على ورق، فلن تبقى معك أكثر من خمس دقائق ثم تشتعل».

قال سِبتيموس بابتهاج: «لا تشغلي بالك، فهو معي»، ولوَّح لها بكتاب «*كيف تبقى على قيد الحياة وأنت تربي تنينًا؛ الدليل العملي*».

قالت مارشا بنبرة ساخرة: «إنه عديم الجدوى! من أين حصلت عليه؟».

فهمهم سِبتيموس قائلًا: «لقد أعطته لي العمة زيلدا، وقالت ينبغي عليَّ أن أحصل على...».

فأكملت له مارشا جملته قائلة: «.. تقويم *السحالي المجنحَة في الأزمان السحيقة*، إنه لا يختلف في تفاهته عن هذا الكتاب الذي بحوزتك. وعلى أية حال، لن تستطيع أن تجد أيًا من هذه الكتب بما أنها طُبعت على ورق سريع الاشتعال. لا بد من كتاب *الدراكس* يا سِبتيموس، *الدراكس* فقط».

خرجت چينا وسِبتيموس على عَجلٍ من جناح الساحرة العظمى، وهم يسمعان طَرْقًا وقرعًا يُنذر بالخطر صادرًا عن غرفة سِبتيموس، وينطلقان في رحلة البحث عن *الدراكس*.

سارت چينا وسِبتيموس في طريق السحرة، لا يستبعدان أن يظهر أمامهما مرة أخرى الحصان الأسود وراكبه، لكن كل شيء بدا طبيعيًا تمامًا. كان منتصف النهار قد حل، وتخللت أشعة الشمس بعض السحابات البيضاء المتهادية، وازدحم الطريق بموظفين انطلقوا ليؤدوا مأموريات مهمة أو تظاهروا بذلك، وبباعة يتصفحون أكوام الكتب وأوراق الرَّق المفروشة على موائد في الخارج.

ثم قالت چينا، وقد اقتربا الآن من «دار المخطوطات»: «ما خطب مارشا؟ إن تذمرها ازداد على وتيرته المعتادة».

رد سِبتيموس بتعاسة: «أعلم ذلك، أعتقد أن **الظل** بدأ يقهرها. ليتني أستطيع أن أساعدها».

قالت چينا باهتمام: «اسمع يا سِب، ربما من الأفضل أن تمكث معنا في القصر لفترة».

رد سِبتيموس: «أشكرك يا چين، لكنني لا أستطيع أن أتركها وحدها مع هذا **الظل** البشع، إنها تحتاج إليَّ».

ابتسمت چينا؛ فقد كانت تعلم مسبقًا أن هذا سيكون رده، ثم قالت: «..(إذن)، لو تفاقمت الأمور مع مارشا، لا بد أن تأتي إلى القصر مباشرة وتخبر أمي، أتعدني بذلك؟».

فردَّ عليها سِبتيموس وهو يعانقها: «نعم، أعدك .. وداعًا يا چين، بلِّغي سلامي لأمي وأبي، وأخبريهما بأنني سأحضر فيما بعد لزيارتهما»، ثم راقب چينا وهي تواصل سيرها في طريق السحرة إلى أن وصلت إلى بوابة القصر بسلام. بعدها دفع سِبتيموس باب «دار المخطوطات» الذي انفتح بأزيزه المعهود، وتوجه إلى مكتب الاستعلامات.

ثم سمع صوت مرح قـادمًا من أسفـل المكتب يقول لـه: «رأيتك يا سِب!».

رد سِبتيموس بابتسامة عريضة: «مرحبًا يا بيتل».

ثم قال له بيتل بعد أن ارتفع برأسه من أسفل المكتب: «طلباتك أيها التلميذ الحكيم؟ بالمناسبة، ألا تستطيع أن تساعدني بتعويذة بحث

سريع؟ لقد فقدت قلم هيو فوكسي الأب، وهو قلمه المفضل. لقد عاد هناك وهو يستشيط غضبًا».

«في الحقيقة، ليس من المفترض أن أنتظر، إليك هذا؛ إنه المغناطيس الخاص بي، استخدمه»، وأخرج سِبتيموس من حزامه مغناطيسًا صغيرًا أحمر وناوله لبيتل، وقال له: «اجعل طرفه الحر موجهًا إلى المكان الذي تظن أن القلم موجود فيه، ثم فكر بتركيز كبير في القلم. ولا بد أن تكون قريبًا من المكان؛ فهذا **المغناطيس** ليس قويًا بدرجة كبيرة، وأنا سوف أحصل على مغناطيس أفضل عندما أنتهي من مشروع **البحث والإيجاد**».

«أشكرك يا سِب»، وأخذ بيتل **المغناطيس** وعاد ليختفي مرة أخرى أسفل المكتب. وبعد لحظات، ظهر منتصرًا وفي يده قلم أسود رفيع ملتصق في طرف المغناطيس، ثم قال: «لقد أنقذتني يا سِب، أشكرك»، ثم أعاد **المغناطيس** إليه وقال له: «أجئت تبحث عن شيء محدد؟ ماذا تطلب؟».

«في الحقيقة، أريد *دليل دراكس لتدريب التنين* إذا كان موجودًا لديكم».

«نسخة السحرة من النسخ: غير القابلة للبلل، أم غير القابلة للاشتعال، أم من النوع المتقدم؟ طبعة متكلمة أم بالصور المتحركة؟ نسخة فاخرة أم اقتصادية؟ بغلاف أخضر أم أحمر؟ جديد أم مستعمل، كبير أم...».

فقاطعه سِبتيموس قائلًا: «نسخة سحرة غير قابلة للاشتعال لو سمحت».

قال بيتل وهو يمرر لسانه على أسنانه: «همم! يا له من مأزق! فأنا لست متأكدًا ما إذا كان لدينا هذا الكتاب أم لا».

«لكنك قلت...».

«في الحقيقة، نظريًا هو موجود، أما عمليًا فلا؛ *فالدراكس* نادر جدًّا يا سِب. معظمها سرعان ما انتهى به الحال إلى أنه أُكل، أو احترق فيما عدا النسخ غير القابلة للاشتعال على ما أظن»، ثم همس إليه بيتل، نظرًا لما بدا على سِبتيموس من إحباط: «اسمع، لمكانتك عندي، سوف آخذك إلى مخزن الكتب **والوصفات السحرية** الجامحة. فلو كان الكتاب هناك فسوف نجده، يمكنك أن تلقي نظرة بنفسك، اتبعني».

مر سِبتيموس بصعوبة من جانب المكتب الكبير وهو ينظر حوله؛ حتى يتأكد أن لا أحد يراهما، وفتح بيتل بابًا ضيقًا وطويلًا كان موصدًا بالمفتاح، ومخفيًا خلف التجليد الخشبي الذي يبطن غرفة المكتب الخارجي. دفع بيتل الباب - وقد لاحظ سِبتيموس أن الباب مبطن بألواح خشبية ثقيلة - ثم وضع أصبعه على فمه وهو يقول له: «لا بد أن نخفض صوتنا يا سِب، فالدخول هنا غير مسموح به، لا تُقدِم على أية حركة فجائية، اتفقنا؟».

أومأ سِبتيموس له برأسه وتابع خطاه نحو «مخزن الكتب **والوصفات السحرية** الجامحة». أغلق بيتل الباب خلفهما وحبس سِبتيموس أنفاسه،

وقد خالجه شعور بأنه عاد إلى الغابة وتحيط به حيوانات الولڤرين من كل الجهات مرة أخرى؛ فقد كان «مخزن الكتب **والوصفات السحرية** الجامحة» مُضاءً بضوء خافت وتنبعث منه رائحة برية. وكان يتكون من صفين من الأرفف المتوازية التي تمتد طويلًا وترتفع عاليًا ويتقدمها قضبان حديدية صدئة، تتكدس خلفها «الكتب الجامحة». تابع سِبتيموس خطى بيتل بحرص شديد على امتداد الجناح الضيق، يصاحبهما كورس من الزمجرة والخربشة والخرفشة مع اهتزاز الكتب خلف القضبان الصدئة.

همس بيتل قائلًا، وهو يرفع عن الأرض كومة من **الوصفات السحرية** المتشققة، تعلوها آثار أسنان، وتلتصق بها ندف من الفرو، وتغطيها ما بدت لسِبتيموس أنها بقع دم: «معذرة على الفوضى، فقد دار هنا أمس قتال بين **وصفات سحرية** من «دليل أهريمان أردفارك للسحر» وبين «كتيب لتعاويذ شريرة خاص بحيوانات الولڤرين». فيبدو أن ثمة شخصًا أحمق لا يعرف الحروف الهجائية للكتب وضعهما معًا، ولم يكن المنظر يسرُّ.. والآن، ماذا لدينا هنا؟ ديناصورات.. ذبابة الندى.. لا، هذا بعيد جدًّا.. نعم، قسم التنانين من المفترض أن يكون هنا لو كان لدينا كتب عنه. ابحث هنا عما تريد، وأنا سوف أذهب لأتأكد أن لا أحد يسأل عني لدى مكتب الاستقبال. لا أريد أن أثير شكوك أحد». ومع هذه الكلمات، انطلق بيتل بخطوات سريعة وقصيرة، تاركًا سِبتيموس محاطًا بالفرو والريش والقشور.

أخذ سِبتيموس يبحث وسط الظلام أملًا العثور على كتاب مكتوب عليه كلمة *دراكس*، وهو يسد أنفه بيده؛ ليس فقط لأن الرائحة خانقة، بل لأنه شعر بأنه على وشك أن يعطس عطسة مدوية. ولأن الكتب نفسها لا يروقها أن يُحدق إليها أحد، وأخذت تتحرك وتبتعد، وأصدر كتاب أو كتابان من الكتب الكبيرة المشعرة زمجرة هادئة متوعدة. لكن سِبتيموس لم يعثر على أي أثر *للدراكس*، أو أي شيء ذي صلة بالتنانين.

وبينما كان سِبتيموس ينظر عبر القضبان إلى كتاب مغطى بالقشور ليس له عنوان، نقر بيتل على كتفه.

فصاح سِبتيموس: «آآآه!»

همس بيتل: «صه! أخوك هنا».

«ماذا يريد نكو؟ هل قال لك؟».

«لا، ليس نكو، بل سايمون».

38
الغرفة الهرمسية



فشهق سِبتيموس: *«سايمون! ما الذي جاء به إلى هنا مرة أخرى؟»*.

قال بيتل غير راضٍ: «لقد جاء ليقابل والد فوكسي، كالمعتاد. إن هذين الرجلين متحالفان. هيا، تعال معي»، ثم أمسك بيتل بكُمّ سِبتيموس وجذبه إلى آخر الصفوف المسورة بالقضبان. انحنى بيتل بجانب فتحة تهوية، وعلى الفور قفز إلى الوراء، متحاذلًا أمام الصوت العالي لفحيح قادم من *المعادلة المضادة لسم ثعبان زومبي*، ثم قال: «يا للهول! أنا أكره الثعابين، لقد أفزعتني. هيا، اذهب أنت يا سِب عند الفتحة، فأنت لا تمانع في وجود الثعابين، وسوف تسمع ما يدور أفضل مني على أية حال».

فسأله سِبتيموس وهو يحشر نفسه بينه وبين *المعادلة المضادة لسم ثعبان زومبي*: «ما الذي تريدني أن أسمعه يا بيتل؟».

فأشار بيتل إلى فتحة التهوية بالجدار، وشرح له قائلًا: «إن الغرفة الهرمسية من هنا، إنها كما تعلم غرفة فوكسي الأب التي يقومون فيها بكل أعمالهم السرية. وأنا من بين أعمالي أن أحافظ على بقاء فتحة التهوية مُحكمة الغلق، لكن أحيانًا يكون الجو خانقًا هنا ويحتاج للتهوية.. أنصت يا سِب، يمكنك أن تسمع *كل شيء من هنا*».

جثا سِبتيموس على ركبتيه، فإذا به يسمع صوت سايمون بوضوح تام كأنه واقف أمامه. كان يبدو متوترًا وهو يقول: «اسمع يا هيو فوكس، أنا أؤكد لك أن **الوصفة السحرية للطيران** يشوبها بعض العيوب؛ فهي متقلبة ولا يمكن التكهن بما ستفعله. وبصراحة، أنا أعتبر نفسي محظوظًا أنني أتحدث معك الآن وأنا سليم، لقد كاد مساعدي الجديد يسقط مني في «أرض الوحل المتحرك»، رغم أنه كان يستحق أن يسقط ناكر الجميل هذا، فبعد أن عرضت عليه فرصة عمره إذا به يغير رأيه في منتصف طريق رحلة **الطيران**».

ثم سمع سِبتيموس صوت «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» يقول معترضًا: «ليس من المفترض أن تحمل معك مسافرين، إن فن **الطيران** ليس «تاكسي» بالأجرة».

«لا تكن سريع الغضب هكذا يا هيو فوكس.. كل ما أريده منك أن تحسنها، فهل هذا ممكن؟ أنا واثق من أنك تستطيع أن تفعل شيئًا.. انفخ في صورتها قليلًا».

وتسلل صوت هيو فوكس عبر فتحة التهوية وقد علته نبرة ارتياب وهو يقول:

«*أنفخ في صورتها قليلًا*؟ إن الذي تتحدث عنه هو «سر **الطيران** المفقود».. الفن الأكثر سرية بلا أي منازع.. ثم تأتي أنت وتقول لي أن أنفخ في صورتها. إن هذه **الوصفة** هي أقدم **وصفة سحرية** رأيتها في حياتي.. انظر إلى الذهب.. إنه مأخوذ من خيوط غزلتها «عناكب أوروم» بنفسها.. إنها في غاية النقاء والنعومة حتى إن المرء لا يكاد يجرؤ على لمسها».

قال سايمون وقد بدا على صوته الضجر: «بحق السماء، يا هيو، أيًا كانت درجة جمال هذه **الوصفة السحرية** البائسة، فهي غير صالحة. فقد كادت أن تودي بحياتي. وأنا على أية حال لست واثقًا من أنها **الوصفة السحرية** الحقيقية **للطيران**.. إنها لا تفعل نصف ما ذكرته لي».

أجابه هيو فوكس مغمغمًا: «أؤكد لك يا سايمون أنها **الوصفة السحرية** الأصلية. لقد أجريت عليها أبحاثًا لمدة خمس سنوات ووجدتها بالضبط كما توقعت أن تكون. لقد كانت **مخفية** بتعويذة **إخفاء شيطاني** داخل غلاف هذا الكتاب»، ثم سمع سبتيموس هيو فوكس وهو يطرق شيئًا بإصرار، ثم قال: «لا بد أن تُظهر بعض الاحترام **للوصفة السحرية** يا سايمون، لا أن تطلب مني أن أنفخ في صورتها».

ثم ارتفع صوت سايمون مهددًا: «اسمع يا هيو فوكس، أنا أنصحك بأن تظهر لي أنا بعض الاحترام. إن اليوم المشهود على الأبواب، وكل الأمور تكاد تكون جاهزة، وإذا سارت الأمور كما هو مخطط لها، فسوف تجد نفسك تتعامل مع ساحر أعظم جديد.. ساحر أعظم حقيقي.. وتلميذ إن جاز لي أن أقول ذلك بنفسي، محترم – وهو أنا شخصيًا – لا ذلك

التلميذ القادم من جيش الشباب الذي لا يستطيع أن يفرق بين التعويذة المشققة والجورب القديم».

رد هيو فوكس باكتئاب: «لقد قلت لك يا سايمون أنا لا أُقحم نفسي في السياسة. ولو سألتني لقلت لك إننا سئمنا من تغيير السحرة العظماء. والساحرة العظمى الحالية لا غبار عليها، كما أن الفتى لا بأس به أيضًا».

قال سايمون بصوت بارد كالثلج: «أنصحك يا هيو فوكس بأن تكتفي بهذا الحد. لا أظن أنك تود أن تجد نفسك **مستهلكًا**، أليس كذلك؟».

رد هيو فوكس لاهثًا بنبرة مرتعبة: «ماذا قلت؟».

«لقد سمعت ما قلته. نفذ ما أمرتك به وحسّن **الوصفة السحرية**، إن الأمر جد خطير.. سوف أعود بعد ساعة، أتعشم أن تكون **الوصفة** جاهزة للعمل بشكل سليم حينها».

رد هيو فوكس ببؤس: «سوف أرى ماذا كان في وسعي أن أفعل».

«أصلحها فحسب يا هيو فوكس. وعلى أية حال، سوف يسعدك أن تعلم أن هذه هي آخر رحلة لي. فاللمسة الأخيرة معي.. انظر!».

شهق «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» عندما نقر سايمون على شيء مجوف وتعالت ضحكاته.

قال هيو فوكس: «لا تفعل ذلك.. فأيًا كان ذلك الشخص، فهذا تصرف غير محترم».

قال سايمون وهو يجأر: «أنت لن تقول لي ما أفعل وما لا أفعل. وعلى أية حال، سوف تكتشف من كان.. أو من هو.. ذلك الشخص عما قريب. والآن افتح الباب، هل تسمح؟».

ثم سمع حفيفًا تلاه صمت.

«اللعنة عليك أيها...»، ثم اعترضت الكلام طرْقة قوية لكتاب ضخم يُصفق غطت على ما كان ينطق به «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» معبرًا عن رأيه في الأخ الأكبر لسِبتيموس.

همس سِبتيموس لبيتل وهما ينهضان ويشقان طريقهما بين رزم «الكتب والوصفات السحرية الجامحة»: «أسمعت ذلك؟ ماذا كان يقصد بقوله ساحر أعظم جديد؟».

قال بيتل لدى وصولهما إلى الباب المؤدي للمكتب الخارجي: «اسمع يا سِب، إن الجميع هنا يعتقدون أنه مجنون. ونحن يأتينا الكثير من هذه العينة.. كل منهم يعتقد أنه سيحكم العالم ببعض **التعاويذ الشيطانية**».

قال سِبتيموس: «ربما سيفعل ذلك».

لم يرد عليه بيتل. وبعد أن عادا بأمان إلى مكتب الاستقبال، التفت بيتل لسِبتيموس وقال له: «اسمع، سوف أذهب أنا وأعطل هيو فوكسي الأب لعدة دقائق، وتسلل أنت وخذ **الوصفة السحرية للطيران**. وبذلك يمكنك أن تعوق مخططاته.. ما رأيك؟».

واختفى بيتل وسط الظلام الذي يخيم على «دار المخطوطات»، وبعد لحظة كان قد عاد، وهو يشير لسِبتيموس باضطراب: «هيا يا سِب بسرعة.. نحن محظوظان؛ إن هيو فوكسي الأب انتابته إحدى نوباته، ولقد ذهب للاستلقاء قليلًا. اتبعني».

ولأن سِبتيموس وجه مألوف في «دار المخطوطات»، فلم يلتفت إليه أيٌ من الكتبة وهو يتبع خطى بيتل إلى الممر المؤدي إلى غرفة «رئيس كتبة النصوص الهرمسية». كان هذا الممر ضيقًا وغارقًا في الظلام، بما أنه يلتف حول نفسه سبع مرات تجنبًا لأي هروب مباشر من «الغرفة الهرمسية». وفي نهايته، وصل بيتل وسِبتيموس إلى غرفة صغيرة بسيطة مطلية باللون الأبيض تضيئها شمعة واحدة، وكانت الغرفة مستديرة الشكل لتجنب أية تعاويذ أو وصفات سحرية مارقة تُلقى في أركانها، ومفروشة بقطع معدودة من الأثاث. وكان يشغل معظم مساحتها طاولة كبيرة مستديرة الشكل، وهناك كوب زجاجي يبدو قديمًا وهو أطول من سِبتيموس ويستند إلى الحائط.. إلا أن سِبتيموس لم يلحظ كل هذا عندما دخل الغرفة وراء بيتل، لقد لمح على الفور شيئًا على الطاولة ولم يرفع عينيه عنه. وما لمحه لم يكن **الوصفة السحرية للطيران** التي لا تزال مثبتة في حزام سايمون وملقاة بإهمال على الطاولة، بل كان الكتاب السميك الموجود بجانب الحزام.

شهق سِبتيموس: «هذا كتاب مارشا!».

همس بيتل: «صه!».

ثم همس سِبتيموس بحماس: «بل إنه بالفعل كتابها. لقد كان معها عندما أوقعها دومدانيال في الفخ وجعلها تعود إلى القصر أيام «الصقيع الكبير»، ولقد أخذه منها ولم تجده منذ ذلك الحين، إنها تبحث عنه في كل مكان»، وأخذ سِبتيموس الكتاب وقال: «انظر! إنه كتاب *فك السحر الأسود*».

بدا على بيتل الحيرة، وقال: «لكن كيف وقع إذن في يد هيو فوكسي؟».

قال سِبتيموس: «لن يطول بقاؤه معه أكثر من ذلك. إن مارشا ستأتي إلى هنا مباشرة حتى تستعيده بمجرد أن أخبرها بذلك».

وسجل بيتل في ذاكرته ألا ينسى أن يبتعد تمامًا في الأوقات التي تكون فيها مارشا في أي مكان قريب من «دار المخطوطات».

ثم قال وقد بدا عليه القلق من أن يباغتهما هيو فوكسي عائدًا فجأة: «خذ **الوصفة السحرية** فحسب الآن يا سِب، ودعنا نخرج من هنا».

كانت **الوصفة السحرية للطيران** عبارة عن سهم ذهبي بسيط، وهي أصغر وأرق مما كان يتوقعه سِبتيموس، وتعلوها أشكال معقدة مطروقة من الذهب، وأجنحتها من الذهب الأبيض وقد كانت مثنية بشكل يثير الفضول ومنبعجة، وتساءل سِبتيموس في سره عما إذا كان هذا هو سبب المتاعب التي يواجهها سايمون. لكن ما إن مد سِبتيموس يده ليأخذها حتى باغتته حركة فجائية أسفل يده الممدودة، والتف - بإحكام - حزام سايمون **متحولًا** إلى ثعبان أحمر صغير تعلو رأسه ثلاث نجمات سوداء حول **الوصفة السحرية للطيران**، ثم أطلق فحيحًا وارتفع بجسمه لأعلى واقترب؛ استعدادًا للهجوم.

صاح بيتل مذعورًا: «يا للهول!»، ثم أطبق على فمه ليكتم صوته.. لكن سبق السيف العزل..

فهناك شخص من «مكتب المخطوطات» قد سمعه.

وأتى صوت متردد من اللفة السابعة للممر يقول: «مرحبًا، هل هناك أحد؟».

فقال بيتل بإلحاح: «سِب، سِب.. لا بد أن نخرج من هنا على الفور. هيا».

ثم جاء الصوت مرة أخرى: «من هناك؟».

فرد عليه بيتل قائلًا: «إنه أنا يا بارتريدج، لا تقلق.. فتلميذ الساحرة العظمى دخل منعطفًا خاطئًا وأنا أقوده للخارج الآن».

«ياه! لقد أقلقتني يا بيتل. فالسيد هيو فوكس طلب مني أن أضع عيني على الغرفة».

قال بيتل بابتهاج: «لا تشغل بالك يا بارتريدج، نحن في طريقنا للخروج»، ثم قال بصوت خفيض: «تحرك يا سِب، هيا!»، لكن سِبتيموس كان لايزال ينظر إلى الثعبان، لا يريد أن يترك **الوصفة السحرية للطيران** تفلت من يده.

وفجأة، تردد صدى صوت بارتريدج بنبرته العالية في أنحاء الغرفة قائلًا: «مرحبا يا سيد هيو فوكس»، وراح سِبتيموس وبيتل يحدقان إلى بعضهما في هلع.

ثم جاء صوت «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» بنبرته المزعجة يقول: «ماذا تفعل هنا؟ ابتعد عن طريقي يا بارتريدج».

صاح بارتريدج: «آسف.. آسف يا سيدي.. أكان ذلك صوت قدميك؟».

«نعم، إنه صوت قدميّ يا بارتريدج، ابتعد عن هنا.. هيا!».

«نعم، نعم، بالطبع يا سيدي السيد هيو فوكس.. أنا آسف.. أنا آسف».

«بحق السماء، عد لمكتبك وكفاك ترديدًا لاعتذاراتك هذه».

«آسف.. أقصد تحت أمرك يا سيد هيو فوكس.. لو تسمح لي يا سيد هيو فوكس فقط بأن أحشر نفسي وأمرّ من أمامك.. أنا آسف».

«أف! اللهم ألهمني الصبر..».

وفي خلال اللحظات التي استغرقها بارتريدج كي يفك الاشتباك المروري بينه وبين هيو فوكس، وهو يعتذر مرة أخرى، ويفر إلى أمان مكتبه، كان بيتل قد شد رافعة نحاسية كبيرة مثبتة في الحائط. وتردد في أنحاء الغرفة صوت فحيح خفيض لم يكن هذه المرة صادرًا عن الثعبان.. وظهر رويدًا رويدًا باب مسحور مستدير مخفي في الأرض أسفل المائدة، وتسلل نسيم بارد إلى الغرفة.

وقال بيتل بإلحاح: «انزل من هنا يا سِب، في الحال!». ألقى سِبتيموس نظرة ندم على الثعبان الذي كان لايزال ملتفًا بإحكام حول **الوصفة السحرية للطيران** وهو يصدر فحيحًا ازداد فيه غضبه، بعد أن التبس عليه الأمر واعتقد أن صوت الباب المسحور هو صوت ثعبان من الأعداء. لكن مع وقْع خطوات هيو فوكس السريعة مقتربًا من الباب، ما كان في وسع سِبتيموس إلا أن يأخذ كتاب مارشا فقط ويتسلل من الباب المسحور، ويتبعه بيتل مباشرة.

39

في الأنفاق الجليدية



انغلق *الباب المسحور فوقهما بهدوء*، وعاد إلى حالته التي كان عليها.

وجد سِبتيموس نفسه يرتجف؛ إذ كان الجو أسفل الغرفة الهرمسية باردًا كالثلج - وكان الظلام حالكًا. وبدأ خاتم سِبتيموس التنيني يومض بضوئه الأصفر الدافئ المعتاد.

قال بيتل بإعجاب:

«يا له من خاتم رائع يا سِب! هنيئًا لك.. لكن إليك ضوءًا أفضل يتناسب مع هذا المكان».

وفتح بيتل علبة صفيح صغيرة بداخلها صخرة مسطحة صدر عنها ضوء أزرق ساطع، جعل الحوائط البيضاء المحيطة بهما تتلألأ وتشع وميضًا.

نظر سِبتيموس حوله، متوقعًا أن يجد نفسه في قبو ما، لكن لدهشته وجد أنهما يقفان وسط نفق أبيض طويل، يمتد من كلا جانبيه إلى أبعد ما يصل إليه بصره.

همس بيتل وهو ينظر لأعلى على الباب المسحور بقلق، وقال: «إن هذا المكان هو أول مكان سيبحث فيه هيو فوكسي الأب. يستحسن أن نهمّ ونواصل طريقنا»، ثم أخذ بيتل من على الجدار لوحًا خشبيًا عريضًا له شريطان معدنيان يمتد كل منهما على أحد جانبي اللوح، ثم وضعه على أرض النفق البيضاء، وجلس عليه وابتسم قائلًا: «اقفز على متن الزحلوقة يا سِب». لكن ما إن همّ سِبتيموس ليفعل ذلك حتى زلت قدمه ليجد نفسه مرتطمًا بالأرض.

فقال لاهثًا: «آي! الأرض ناعمة كالجليد. ما الذي يكسو هذه الأرض يا بيتل؟».

قال بيتل: «جليد.. هيا، انهض يا سِب».

«جليد؟ لكننا في منتصف الصيف.. أين نحن يا بيتل؟».

رد بيتل قائلًا: «في الأنفاق الجليدية بالطبع، ماذا كنت تظن إذن؟».

«لا أعلم. اعتقدت أننا في غرفة سرية أسفل الغرفة الهرمسية.. أنفاق جليدية؟! لكن أين تقع هذه الأنفاق؟».

«كنت أظن أنك على علم بهذه الأنفاق الجليدية، بما أنك التلميذ رقم واحد وما إلى ذلك.. هيا يا سِب، اصعد على متن الزحلوقة».

لم يجد سِبتيموس مكانًا له على متنها إلا بالكاد، فحشر نفسه خلف بيتل، ثم أدرك أنه ترك كتاب مارشا «فك السحر الأسود» على الجليد، فقال: «انتظر يا بيتل، لا أجد مكانًا لكتاب مارشا».

فقال له بيتل وقد بدأ يمل: «اجلس عليه إذن.. أسرع.. إن هيو فوكسي الأب سوف يظهر هنا بأنفه المدبب في أي لحظة من الآن».

نهض سِبتيموس، ووضع الكتاب على الزحلوقة، ثم جلس عليه، وسرعان ما انزعج؛ فهذه الأنفاق الجليدية لا تروقه، ثم هبت عليهم ريح شديدة البرودة، ومع اجتياحها سمع سِبتيموس نواحًا وصراخًا جعل شعر رأسه يقف.

وبمرح وابتهاج، قال بيتل: «عظيم، أمسك بقوة الآن، سوف ننطلق»، وانطلقت الزحلوقة كالصاروخ، وكادت تلقي بسِبتيموس على الأرض، لكن قبل أن يصلا حتى إلى أول منعطف للنفق، سمعا حفيفًا يملأ أجواء النفق.. فالباب المسحور يُفتح الآن.. انحرف بيتل نحو الحائط، وصفق عُلبته الصفيح فأطفأ ضوءها. ودس سِبتيموس يده في جيبه لإخفاء ضوء خاتمه التنيني، وجلسا بلا حراك في الظلام الدامس، حابسين أنفاسهما. وفجأة، اخترق الظلام حزمة من الضوء، ترسل وميضًا من الباب المسحور، وتدلى رأس «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» الذي بدا كأنه صيحة جديدة وغريبة لغطاء الأباجورات. نظر هيو فوكس بملامحه الحادة

يمينًا ويسارًا، ثم تردد صدى صوته على امتداد النفق، فبدا صوته أعمق وأكثر تأثيرًا مما هو عليه في حقيقته.

«كفى سخفًا يا بارتريدج، أنا لا أرى أي أثر لبيتل في الأسفل. وما الذي سيجعله ينزل هنا؟ إنه ليس يوم التفتيش.. وما الذي سيجعله يأخذ الكتاب؟ لن تفيدك في شيء محاولتك في إلقاء اللوم على غيرك، في حين أن المسئولية تقع عليك كاملةً..»، ثم انقطعت خطبته التعنيفية المطولة مع صوت انغلاق الباب المسحور.

همهم سِبتيموس هامسًا وقال: «هيا نخرج من هنا!».

وبطقطقة، فتح بيتل عُلبته الصفيح المضيئة، وانطلقت الزحلوقة كالصاروخ على امتداد النفق.

كانا يتحركان بسرعة، والزحلوقة الصغيرة تلتف عند المنعطفات العريضة بسهولة المتمرسين على ذلك. وبعد عدة دقائق أبطأ بيتل من سرعة الزحلوقة، وخفف سِبتيموس من قوة تشبث أصابعه التي ابيضت أناملها على جانبي الزحلوقة ونظر خلفه.

ثم قال بيتل: «لا داعي للاستعجال يا سِب، فلن يتعقبنا أحد الآن، فنحن معنا الزحلوقة **المسحورة** الوحيدة».

قال سِبتيموس، وهو لا يزال ينظر وراءه: «أمتأكد أنت من ذلك؟».

«بالطبع أنا متأكد، فهي زحلوقتي أنا في نهاية الأمر، وأنا الوحيد الذي أقوم بالتفتيش».

فسأله سِبتيموس، بينما كانت الزحلوقة تنزلق لأعلى صاعدة على سطح مائل: «لكن ما الذي تفتش عنه يا بيتل؟ ولماذا؟».

«لا أعرف السبب يا سِب، لا أحد يقول لي. فأنا أنزل هنا كل أسبوع وأقوم بجولة بزحلوقتي وهي تئز على الجليد، وأستكشف ما إذا كان هناك شقوق أو ذوبان أو اضطرابات أو أي شيء من هذا القبيل - وأتأكد من أن كل الأبواب المسحورة **مُحكمة الغلق**».

فسأله سِبتيموس: «ماذا قلت؟ أهناك أبواب مسحورة أخرى؟».

«بإه! هناك العديد منها.. كل البيوت القديمة لها أبواب مسحورة في سراديبها.. اخفض رأسك، ولا تأخذ نفسك الآن بأي حال من الأحوال، فهيلدا قادمة». وما إن انحنى سِبتيموس برأسه، حتى اجتاحت شبورة نواحة الطريق أمامهما، وهي تلف كالبريمة بين الجدران المتلألئة على امتداد النفق. ومر **الشبح الجليدي** فوق الزحلوقة، وهي تدور وتدور حول بيتل وسِبتيموس وهما يندفعان بسرعة على امتداد الطريق، معرضة إياهما لبرد ينخر العظام. ومع انحناء سِبتيموس للأمام، طقطق شعره المغطى بالجليد، وتجمد الهواء في أنفه وفمه وفي لحظة رهيبة شعر أنه سيختنق.. وفجأة، اختفت هيلدا وهي تنوح وتدور حول نفسها بين الجدران على امتداد الطريق، في رحلتها السرمدية في الأنفاق الجليدية.

تنفس بيتل الصُعداء وهو يُزيد من سرعة الزحلوقة مع صعوده منحدرًا شديد الميل، وقال: «حسنًا، لقد ذهبت الآن. لن تعود قبل نحو ساعة، وهو الوقت الذي تستغرقه عادة لتكمل لفّاتها، سنكون نحن قد وصلنا في ذلك الوقت إلى برج السحرة».

قال سِبتيموس لاهثًا، وهو يقاوم كي يستعيد أنفاسه: «أهذه الأنفاق تصل إلى برج السحرة؟».

«إنها تصل إلى كل مكان، أو بالأصح إنها تمر أسفل كل المناطق القديمة فعلًا من القلعة، فهي تمر أسفل برج السحرة والقصر والعديد من المتاجر الموجودة على طريق السحرة، وأسفل البيوت القديمة المجاورة للخندق المائي.. أخ! هناك منعطف ضيق أمامنا».

«يا للهول! بطئ السرعة قليلًا يا بيتل.. لكن كيف تظل هذه الأنفاق متجمدة ونحن في منتصف الصيف؟ هذا لا يبدو منطقيًا».

قال بيتل بغموض: «أعتقد أن هذا حدث منذ أزمان سحيقة بعد أن تعطل شيء بسبب شيء. ولا أحد يريد اليوم أن يتخلص من الجليد؛ لأنهم لا يريدون خروج ما هو أسفل الجليد».

«وما هذا الشيء الموجود أسفل الجليد؟».

«لا أعلم.. أمسك بقوة الآن». وانحرف بيتل ليتفادى وجهين شاحبين يرتديان عباءات رمادية بالية، وكان سبتيموس على وشك السقوط.

قال بيتل وهو يعدل الزحلوقة ويواصل الطريق: «آسف يا سِب.. أنا أكره اختراق الأشباح، خاصة هذين الشبحين. إنهما لا يكفان عن السؤال عن طريق الخروج، ويصيبانني بلوثة عقلية».

واصلت الزحلوقة سيرها على الجليد، وهي تنساب بسهولة على حديها المعدنيين مع انزلاقها على سطح الجليد الناعم، وتشق طريقها صعودًا على المنحدرات ذات الميل الخفيف بنفس سهولة هبوطها.. وبدأ سبتيموس يعتاد برودة الريح وكذلك الأشباح الضالة التي تظهر كل حين، يكاد يجد متعة في هذه الرحلة إلى أن أوقف بيتل الزحلوقة فجأة

بعنف، وصفق علبة الضوء، بعد أن رأى وميضًا لحزمة ضوئية يشبه ضوء الكشاف ينبثق من سطح النفق فوقها.

همس سبتيموس: «ما هذا؟».

رد بيتل هامسًا: «هناك شخص يفتح أحد الأبواب المسحورة».

فسأله سبتيموس وقلبه يخفق بشدة: «مَن؟».

قال بيتل هامسًا: «إنه الباب المسحور الموجود في بيت فان كلامف».

ثم قال سبتيموس لاهثًا: «انظر! هناك شخص ينزل منه».

وتدلت قدمان تلبسان حذاء التزحلق على الجليد من الباب المسحور. تصور سبتيموس أنها أونا براكيت، بما أن هيئة ويزل فان كلامف لن تمر بأي حال من فتحة الباب. ولوهلة، كانت القدمان المتدليتان تحاولان النزول بتردد في ظل ضوء الكشاف، ثم نزل وجه مألوف هابطًا على الجليد كالقطة، ثم جثم كأنه يستعد للانقضاض.. وظهر سايمون في الظلام.

نادى سايمون بنبرة مترددة، ومازالت عيناه لم تتكيفا بعد مع الظلام: «من هناك؟».

وشهق سبتيموس قائلًا: «إنه سايمون!».

وتردد صدى صوت سايمون المذعور في النفق وهو يقول: «من ينادي عليّ؟ من أنت؟».

وبإلحاح، همس سبتيموس يقول: «بيتل، أخرجنا من هنا فورًا!».

ولم يكن هناك ما يتمنى بيتل فعله أكثر من ذلك.. فلف الزحلوقة وانزلقا بها بعيدًا وسط وابل من الثلوج.

صاح سايمون، وهو في حيرة شديدة بعد أن تعرَّف الرداء الأخضر الذي يكرهه ويرتديه تلميذ مارشا أوفرستراند: «انتظر! ماذا تفعل هنا أيها التافه؟».

صاح سِبتيموس، وهو ينظر من وراء كتفه وقد رأى سايمون، الخبير في التزحلق، قد بدأ يلحق بهما: «إنه يلحق بنا يا بيتل!».

رد عليه بيتل بثقة: «سوف نسبقه يا سِب». قال ذلك وهو يدير الزحلوقة عند منعطف ويخترق في طريقه الشبحين اللذين تجنبهما منذ قليل.

«معذرة.. أين طريق الخروج أرجوكما؟ هل لكما أن تدلانا على.. على طريق الخروج.. طريق الخروج.. طريق الخروج؟» وهكذا أخذ الصوت يتردد صداه خلال النفق.

صاح بيتل يقول: «ألم نبتعد عنه بقدرٍ كافٍ؟».

فردَّ عليه سِبتيموس صائحًا: «كلا!».

«إذن.. هيا بنا!»، وانطلق بيتل إلى نفق أصغر، وأوقف الزحلوقة بحركة عنيفة، وعلى الفور كان قد نهض من عليها.. وفي لحظة كان بيتل قد دفع سِبتيموس والزحلوقة عبر باب مسحور في الجدار الجليدي وأغلقه خلفهما. وانزلق بيتل على الأرض الجليدية وهو يتنفس بصعوبة، ثم قال: «إنها فتحة للخدمات، ولن يجد لنا أثرًا».

قام سِبتيموس من فوق الزحلوقة وقد استلقى على الأرض، وراح يحدق إلى سقف كان عبارة عن فراغ صغير منحوت من الجليد، كما هو حال الباب الذي هو عبارة عن كتلة جليدية، وبعد أن أصبح الباب مغلقًا الآن، لم يتمكن سِبتيموس من أن يرى له أي أثر، وتكهن بأن الأمر لن يختلف على الجانب الآخر، ثم قال: «أنت مدهش يا بيتل».

«دعك من ذلك يا سِب.. أتريد بعض **الحلوى الحارة**؟».

«ماذا قلت؟».

«إن مذاقها جميل وساخنة. وأنا أحتفظ ببعضها هنا في حال اشتد البرد عليَّ»، وأخرج بيتل صندوقًا صغيرًا يقبع خلف جاروفين وبطانية، ثم فتحه ونظر فيه وقال: «هناك نكهات الموز وسمك القد والبنجر.. آسف يا سِبتيموس، يبدو أنني تناولت كل النكهات اللذيذة».

«وما هي نكهة البنجر يا بيتل؟».

«أشياء تمضغ، ماذا تحب؟».

«بالموز لو سمحت».

«أتقصد الموز وسمك القد؟».

«ياه! رائع.. إن العمة زيلدا كانت معتادة أن تخبز فطير الموز وسمك القد.. إنها رائعة».

«فعلًا؟ يمكنك أن تتناولها كلها إن شئت يا سِب».

بعد عشر دقائق، فتح بيتل الباب الجليدي بحرص شديد، ونظر منه. كان الأثر الوحيد لسايمون مجموعتين من العلامات تركها حذاء التزحلق الذي يلبسه؛ الأولى انطلقت توغلًا في النفق مرورًا بفتحة

الخدمات، والثانية أخذت طريق العودة، ولحسن حظ بيتل لم يكن هناك ما يدل على أن سايمون توقف وتفحص المخبأ. وسرعان ما انطلق بيتل وسبتيموس مرة أخرى على الزحلوقة، يتعقبان آثارهما للرجوع إلى النفق الرئيسي.

ثم قال بيتل: «إليك ما سنفعله الآن يا سِب، سوف تأخذ الطريق السريع الذي يؤدي إلى برج السحرة، وأنا ما كنت سأستخدم هذا الطريق لكثرة منحدراته، لولا أنني أدرك تمامًا أنه كلما أسرعنا في الخروج من هنا كان ذلك أفضل».

«أنت مُحقٌ يا بيتل».

وبعد عدة دقائق وعدة منعطفات، أوقف بيتل الزحلوقة وأشار لسبتيموس إلى علامة منحوتة، يبرزها جليد أسود، مكتوب عليها بالخط القديم «*إلى برج السحرة*»، وكانت مرفقة بسهم مزخرف يشير إلى نفق جليدي أصغر وأضيق يختفي وسط الظلام.

قال بيتل: «عظيم.. أمسك بقوة الآن، فالطريق هنا خطير نوعًا ما».

انعطفت الزحلوقة في المنعطف الضيق المؤدي إلى برج السحرة، ثم توقفت للحظة كأنها تستجمع شجاعتها، وعندما انطلقت من جديد، بدا لسبتيموس الذي تملكه الذعر أن الأرض الجليدية أسفله اختفت فجأة، وأنه يسقط كقطعة حجر.

«ياهووو!» وانطلقت صيحة حماس طويلة من بيتل مع سقوط الزحلوقة بشكل شبه رأسي على المنحدر، وارتطامها بالجليد في القاع، ثم ارتفعت لأعلى على منحدر آخر بنفس درجة الانحدار الشديدة، واجتاحت قمته

وهي تهبط مرتجة مع استواء السطح. وما لبث سبتيموس أن يلتقط أنفاسه حتى أخذ بيتل منعطفًا آخر يسارًا، وعلى الفور انطلق بعنف من خلال منعطف أضيق جهة اليمين.. وهنالك سقط سبتيموس من فوق الزحلوقة، فكبحها بيتل وسط تناثر الجليد، ودار بها 180 درجة ليعود إلى سبتيموس ببطء.

وقال بابتسامة عريضة: «لفة مثيرة، أليس كذلك؟ ما بالك إذن لو رأيت لفتي الثلاثية، ما أروعها!».

رد سبتيموس وهو يرفع جسمه من فوق الجليد: «ليس الآن يا بيتل، شكرًا».

«لا عليك.. لقد وصلنا على أية حال.. التاكسي وصل إلى الباب يا سِب، ما رأيك؟»، وأشار بيتل إلى فتحة مقنطرة طويلة كانت بالطبع من الجليد، يعلوها حرفان مزخرفان محفوران في الجليد، وهما حرفا ب.س.

وقال بيتل: «ها قد وصلت».

قال سبتيموس وهو ينظر إلى الفتحة المقنطرة متوجسًا: «ياه!»، ثم أخذ كتاب *فك السحر الأسود*، وقال: «هيا، تقدم يا بيتل».

رد بيتل مندهشًا: «من؟ أنا؟».

«أنت لا تستطيع العودة الآن، أليس كذلك؟ ماذا ستقول لهيو فوكسي؟».

«يا للإزعاج! أنا لم أفكر في هذا الأمر»، ثم نزل من على الزحلوقة وربطها في حلقة فضية مثبتة في الجليد، وقال وهو يشرح لسبتيموس الذي نظر باندهاش إلى الحلقة: «لا بد أن تربط الزحاليق هنا، وإلا فسوف

تواصل التجول. وفي الماضي، كان كل فرد لديه زحلوقته الخاصة به، وزحلوقة برج السحرة كانت ذات مكانة خاصة - حسبما يقولون. لكن بما أن هذه هي آخر زحلوقة **مسحورة**، فلا أود أن أفقدها».

رد سبتيموس يوافقه الرأي: «أنت مُحقٌّ .. هيا، ألن تأتي معي؟».

وبتردد، تابع بيتل خطى سبتيموس، ومرَّا عبر المدخل الجليدي المقنطر. وعند آخر درجة من سلم جليدي، كان هناك وجه شبه شفاف يجلس مرتديًا عباءة السحرة العظماء الأرجوانية، وكان مستغرقًا في النوم.

وقف سبتيموس فجأة، فاصطدم به بيتل، ودفعه للأمام مخترقًا الشبح.

تأوه الشبح، وهو يستيقظ مفزوعًا: «أوه! ياه! من الذي يمر هنا؟».

رد سبتيموس متلجلجًا: «إنه أنا، أنا التلميذ».

فسأله الشبح بريبة: «تلميذ؟ أي تلميذ؟».

رد عليه سبتيموس: «أنا التلميذ الأول».

«لا، هذا غير صحيح، فأنت حتمًا لا تشبه تلميذي».

فتساءل سبتيموس في سره كيف يحمل الخبر إلى هذا الشبح المسنّ الجالس على السلم. فقال له برفق: «أنا آسف لأن أخبرك بذلك، لكنك ما عدت الآن «الساحر الأعظم»، لقد تحولت إلى شبح، لقد... لقد مت».

«ها ها! خدعتك أيها الفتى! بالطبع لقد مت، وإلا ما كنت ستجدني جالسًا هنا في ملل يفقدني عقلي.. ما اسمك أيها الفتى اللطيف؟».

«سبتيموس هيب».

«فعلًا؟ عظيم عظيم.. من الأفضل لك إذن أن تصعد».

«وصديقي أيضًا؟».

«وصديقك أيضًا.. هيا أنتما الاثنان.. انعطفا إلى اليسار عند آخر الطريق ثم اذكرا كلمة السر، وسوف تجدان أنفسكما حينها في دولاب المكانس في «البهو العظيم»..».

ابتسم سبتيموس وقال: «أشكرك جزيل الشكر».

عاد «الساحر الأعظم» المسنُّ إلى جلسته، وأغمض عينيه وهو يقول: «إنه لمن دواعي سروري.. وحظًا سعيدًا يا بني، فلسوف تحتاج إليه».

40

بيتل في البرج



دفع سِبتيموس باب دولاب المكانس وفتحه، وبحذر نظر منه. انتظر حتى عبرت مجموعة صغيرة من السحرة العاديين كانوا يتجولون وهم يتناقشون في أحوال الجو، ثم تسلل هو وبيتل وخرجا منه. كان سِبتيموس يعلم تمامًا أنه كتلميذ لمارشا، له كل الحق في دخول دولاب مكانس برج السحرة إذا شاء ذلك، لكنه لم يرغب في إثارة فضول بعض السحرة الفضوليين وثرثرتهم باختراع مبررات لا حصر لها تفسر السبب الذي جعل تلميذ الساحرة العظمى يختار أن يكون في الدولاب.

فقال سِبتيموس: «هيا يا بيتل».

لكن بيتل لم ينطق بكلمة، ووقف متسمرًا في مكانه من فرط الذهول محدقًا إلى الأرض متعددة الألوان، وقال وقد تحول صوته الأجش

المعتاد إلى صرير مرتفع: «لقد كتبت اسمي! الأرض كتبت اسمي، إنها تقول *مرحبًا يا بيتل*.. ما أغرب ذلك!».

رد عليه سِبتيموس بابتهاج، ناسيًا كم كانت دهشته عندما رأى ذلك أول مرة: «باه! إنها تفعل ذلك دائمًا».

«إنها تقول الآن: مرحبًا *أيتها الأميرة*، هل ستأتي الأميرة إلى هنا يا سِب؟ هل فعلًا ستأتي؟».

فبيتل كثيرًا ما كان يرى چينا تسير في طريق السحرة، لكنه لم يحلم يومًا بمقابلتها وجهًا لوجه.

«من تقصد، چينا؟ لا أظن ذلك يا بيتل، لقد عادت إلى القصر توًا».

بدأ الباب الفضي للبرج ينفتح على مصراعيه، ولدهشة بيتل وجد چينا تقف لدى الباب، يرسم خيالها ضوء الشمس الساطع خلفها في الخارج. واندهش سِبتيموس أيضًا لوهلة، ليس لأنه رأى چينا، فچينا تعرف الآن كلمة السر وتستطيع الدخول والخروج متى شاءت ذلك، ولكن بسبب الطقس الصيفي الحار في الخارج، لقد نسي أن السماء خارج الأنفاق الجليدية صافية والشمس ساطعة.

قالت چينا: «مرحبًا يا سِب، أتستطيع أن تحضر لزيارة أمي؟ لقد قلت لها إنك عدت سالمًا، لكنها تصر على أن تراك بأم عينيها».

«بالطبع سوف أذهب إليها، لكن هناك بعض الأعمال التي لا بد أن أقوم بها أولًا.. فسايمون هنا».

«سايمون هنا؟».

فقال سِبتيموس مصححًا: «ليس *هنا*، لكنه في الأسفل».

بدت على چينا الحيرة وقالت: «تحت الأرض هنا؟».

فقال سِبتيموس بصوت خفيض: «هناك أنفاق جليدية تحت سطح أرض القلعة، وهو موجود فيها الآن، ويتزحلق على الجليد».

فانفجرت چينا ضاحكة وقالت: «لا تكن أحمق يا سِب، نحن في الصيف، وليس هناك جليد».

فأسكتها سِبتيموس قائلًا: «صه! لا نريد أن يسمعنا أحد»، ثم ابتسم للسحرة الذين كانوا يسيرون وراءهم، وقال: «صباح الخير يا باسكال، صباح الخير يا توماسين، صباح الخير.. صباح الخير».

فرد عليه السحرة كأنهم كورس جماعي: «مرحبًا أيها التلميذ».

انتظر سِبتيموس إلى أن ابتعدت مجموعة السحرة وخرجوا في ضوء الشمس وقال: «وهذا ليس كل ما في الأمر، فسايمون بالفعل معه **الوصفة السحرية للطيران**.. لقد رأيتها، بعد أن تركها في الغرفة الهرمسية، وكنت سآخذها لولا أن حزامه **تحول** إلى ثعبان و...».

ردت چينا، وعيناها محدقتان غير مصدقة ما تسمع: «أنفاق جليدية.. «الغرفة الهرمسية».. *ثعبان*؟ سِب، بحق السماء، ما كل هذا؟ لقد ذهبت لتجلب فحسب نسخة من كتاب *الدراكس*».

«أعرف، لكنني قابلت بيتل.. وتطورت الأمور بعد ذلك دون قصد».

وفي تلك الأثناء، كان بيتل يتحرك في الأنحاء في خجل، وبدا له وهو واقف في برج السحرة إلى جوار چينا وكأنه سمكة أخرجوها من المياه، كما أن سِب، وهو أقرب أصدقائه، تغير فجأة وما عاد هو ذلك الصديق

الذي يمكن اللهو معه بدون تكلف ورش مشروب **الفواكه الفوارة** من أنفك تجاهه.

ولدهشة بيتل، قالت له چينا: «مرحبًا يا بيتل».

فرد وهو يتلعثم: «كيف... كيف عرفت اسمي؟».

ردت چينا مبتسمة ابتسامة عريضة: «لقد قرأته على الأرض، وتوقعت أنه اسمك. أنت تبدو تمامًا كما يحكي عنك سِبتيموس».

فاحمر وجه بيتل خجلًا وقال: «سِب.. سِب حدثك عني؟».

«بالطبع، فأنت أقرب أصدقائه».

وانعقد لسان بيتل ولم يرد سوى بكلمة واحدة: «ياه!»، ثم تابع خطى سِبتيموس وچينا وهما يتوجهان نحو السلم، وكاد يسقط على الأرض من فرط دهشته عندما بدأ السلم الحلزوني الفضي يلف ليصعد بهم. ولدى وصولهم إلى قمة البرج كان بيتل يشعر بدوار رهيب. وقال في سره وهو يترنح وراء سِبتيموس وچينا إن الأنفاق الجليدية أهون بكثير مما هو فيه الآن، ثم وجد نفسه يزدرد ريقه؛ فقد رأى توًّا الباب الأرجواني الضخم الذي يؤدي إلى جناح مارشا، ولم يكن يصدق نفسه – فها هو الآن عند المنبسط الأعلى لسلم برج السحرة خارج جناح الساحرة العظمى. فلا أحد من قبل، ولا حتى هيو فوكسي الأب، وصل إلى المنبسط الأعلى لهذا السلم، فأي شخص يريد مقابلة الساحر الأعظم ينتظر دائمًا في «البهو العظيم»، ولم يصعد قط أي أحد إلى هنا.

كان كاتشبول يغفو بهدوء على كرسيه، فمر سِبتيموس أمامه، وكالمعتاد تعرَّف إليه الباب الأرجواني الضخم فانفتح على مصراعيه، ثم

دفع سِبتيموس بيتل بضربة ودود ليعبر عتبة الجناح، وقال له بابتسامة عريضة: «هيا يا بيتل تقدَّم، إن المكان ليس فاخرًا بالدرجة التي تظنها».

وهو بكل تأكيد لم يكن الآن كذلك. كان جناح مارشا الذي تعتنى به بغاية الدقة عمومًا في حالة من الفوضى العارمة، فكانت هناك مجموعة من الأثاث المحطم مبعثرة في أنحاء الغرفة على الأرض، يعلوها مجموعة من الأواني والأطباق والزهريات المهشمة.

لم ينطق بيتل بكلمة، فكل ما يعرفه عن جناح السحرة العظماء أنه لا يختلف عما يراه الآن، ولقد سمع من قبل بعض القصص عن طريقة حياة السحرة من عمه الذي يقوم ببيع التصفيات في منطقة العشوائيات.

قالت چينا لاهثة: «ما الذي حدث؟».

وقف سِبتيموس مذهولًا.. فهناك شيء مفقود في الغرفة؛ شيء كان يحتلها منذ عام ونصف العام لكنه اختفى الآن، ثم أدرك سِبتيموس أنه لا يزال موجودًا.. لكنه تحطم تمامًا. فشهق قائلًا: «**واقي الظلال**.. لقد تفتت، و... وأين مارشا؟».

فهمست چينا قائلة: «ربما أن **الظل** انتصر عليها يا سِب». وفجأة، أمسكت بذراع سِبتيموس بقوة، وقالت وهي تشير إلى شيء يتحرك أسفل كومة من الستائر الأرجوانية المقطعة والمخلوعة من النافذة: «انظر! **الواقي**.. إنه هناك».

قال سِبتيموس: «فلنخرج من هنا على الفور». لكن ما إن بدأ سِبتيموس وچينا وبيتل يلتفون متوجهين إلى الباب حتى كان ذلك الشيء الموجود أسفل الستائر الأرجوانية قد هرع إليهم، ثم زلت قدمه

في كومة من الوسائد الأرجوانية واصطدم بمائدة فأوقعها على الأرض وتحطمت، ثم ظهر ذيل أخضر طويل من وسط الحطام وأطاح بالزهرية الوحيدة السليمة.

لهث سِبتيموس بمزيج من الحزن والارتياح، وقال: «أهو أنت يا لافظ اللهب؟ أيها التنين الأحمق، انظر ماذا فعلت!».

وعلى ذكر اسمه، برز لافظ اللهب من أسفل الستائر، وراح التنين الذي صار الآن بحجم المهر الصغير، يقفز في أنحاء الغرفة ليرحب بسِبتيموس، وذيله يتمايل من جانب إلى آخر من شدة حماسه برؤية **صاحب البصمة**.

قال سِبتيموس بلا أي تأثر: «اجلس يا لافظ اللهب، اجلس!»، وراح لافظ اللهب يحك رأسه في رداء سِبتيموس، ويضرب الأرض بذيله ضربات ترج الغرفة، سقط معها من المدخنة سيل من السخام.

ومن أسفل كومة السخام، جاء صوت مألوف يقول: «أهذا هو حيوانك الأليف الجديد يا سِبتيموس؟»، ورفع ألثر نفسه من فوق أرضية المدفأة وحلق خارجًا منها وقال: «أنا لا أصدق كيف استطعت أن تقنع مارشا بأن تسمح لك بالاحتفاظ بهذا التنين، أنا أرفع قبعتي تحية لك - أو هكذا كنت سأفعل لو كنت أعتمر واحدة.. والأميرة أيضًا هنا، مرحبًا بكِ، ومرحبًا أيضًا بالفتى الموظف في «دار المخطوطات».

قالت چينا، وقد شعرت بالارتياح لحضور ألثر الذي كثيرًا ما يظهر في الوقت المناسب تمامًا: «مرحبًا يا ألثر»، بينما كان بيتل في ذهول لا يسمح له بالكلام، وتمكن بالكاد من أن يرد بابتسامة خافتة.

أما سِبتيموس فكان منشغلًا في مقاومة لافظ اللهب لينتزع منه قطعة من قطع **واقي الظلال** يصرُّ التنين على أن يمضغها. وتمكن سِبتيموس من انتزاع قضيب أسود طويل من قبضة لافظ اللهب، إلا أن التنين انتزعها منه من جديد ونزل ذيله بين ركبتي ألثر.

وألثر يكره أن يخترقه أحد؛ حيث يصيبه ذلك دائمًا بالغثيان، فقال بحساسية: «يُستحسن فعلًا أن تحصل على نسخة من كتاب *الدراكس*».

رد سِبتيموس بذهن شارد: «أعلم ذلك». ولقد توصل الآن إلى تسوية مع لافظ اللهب، انتهت إلى أن التنين أخذ نصف القضيب، ونال سِبتيموس النصف الآخر الذي أخذ يحدق به وقد بدا عليه الذهول.

ثم قال: «ألثر، هناك شيء داخل القضيب.. يبدو أنه عظْمة».

41
عملية الزرع



غط *لافظ اللهب في النوم بجانب المدفأة*. كان ألثر قد حاول أن يعيد التنين إلى غرفة سِبتيموس، لكن آخر نمو طرأ على حجمه جعل من المستحيل مروره من خلال السلم. ولحسن الحظ، عثر سِبتيموس على البقايا الممضوغة من كتاب «*كيف تبقى على قيد الحياة وأنت تربي تنينًا؛ الدليل العملي*»، وتمكن - بشكل أو بآخر - من أن يفك شفرة لتعويذة مبللة هي **اقتراح للتنويم**، والتي لدهشته كانت مجدية.

وبدأت چينا وسبتيموس وبيتل الآن في إنجاز مهمة مروعة؛ إنهم يجمعون قطع **واقي الظلال** المحطمة، وينزعون من داخل كل قطعة مجموعة من العظام؛ عظام بشرية.

قال بيتل وهو يفك بعض القطع المقوسة المتشابكة عن بعضها بمشقة، اتضح أنها تحتوي داخلها على مجموعة عظام كاملة لأحد الضلوع: «كنت أظن أننا نقوم بأعمال غريبة عندنا هناك في القسم رقم ثلاثة عشر.. لكن، هل تقومون بمثل هذه الأعمال يوميًا هنا؟».

رد سبتيموس بتكشيرة علت وجهه وهو ينتزع عظْمة طويلة ورفيعة من قطاع ضيق كان يُكوِّن أحد أركان **واقي الظلال**: «لا، ليس كل يوم، لكن اليوم هو الخميس الأخير من الشهر، فماذا تتوقع غير ذلك؟».

ناول بيتل عظْمة أخرى من الضلع لچينا، والتي كانت ترصّ العظام على الأرض، ثم قال: «أنتم تفعلون ذلك في الخميس الأخير من..»، ثم لمح ابتسامة سبتيموس وقال: «باه! ها ها.. كدت تخدعني يا سب.. هذه هي القطعة الرابعة عشرة يا سيدتي».

ردت چينا: «چينا.. چينا فقط يا بيتل».

«معذرة يا چينا. هذه إذن العظْمة الرابعة عشرة من الضلع حتى الآن ومازال هناك المزيد. انظري! كم أنها مثبتة بدقة في الداخل.. وها هي عظْمة أخرى.. الخامسة عشرة».

«رائع يا بيتل».

«تحت أمرك يا سيدتي.. يا چينا».

ثم أخذت چينا تتفحص المجموعة المروعة، المتراصّة أمامها كأنها قطع من لعبة بازل غريبة. ولقد بدأ يتكون الآن هيكل عظْمي بشري خطوة بخطوة على سجادة مارشا الشينوا، مع توالي أجزاء العظام التي تناولها چينا من سبتيموس وبيتل.

وبعد قليل، سأل سبتيموس: «كم عظْمة لديك الآن يا چينا؟».

ردت چينا - محاولةً أن تتذكر ما تعرفه من دروس التشريح في المدرسة: «حسنًا، لديَّ هنا عظام لذراعين كادتا تكتملان، و... وثماني أصابع ليس فيها أصبعا الإبهام على ما أعتقد.. ولديَّ العديد من العظام الصغيرة، لكن لا أعلم أين مكانها، ربما تكون عظام الساعد.. ومازال ينقص الهيكل ساق بأكملها، ولحسن الحظ ليس بينها جمجمة».

ثم قال سبتيموس بتجهُّم وهو يسحب قطاعًا طويلًا رفيعًا من أسفل الأريكة المقلوبة: «ها! أعتقد أن الساق الثانية موجودة هنا».

قال بيتل وهو يناول چينا كمًّا من العظام الصغيرة واحدة تلو الأخرى: «يا له من أمر غريب!». وضعت چينا العظام حيثما تعتقد أنه مكانها، ثم وقفت تتفحص التكوين الذي شكلته، والذي بدا الآن كأنه هيكل عظمي كامل ينقصه فقط الجمجمة. وفي تلك الأثناء، كان ألثر يحوم حولها، يصدر عنه وميض خفيف يبدو شفافًا أكثر من المعتاد، وهي علامة جعلت چينا تتيقن أن ألثر ينتابه القلق.

فسألته: «ما هذا يا عم ألثر؟».

«أعتقد أيتها الأميرة أنها **عملية زرع**، من الجلي أنها **عملية زرع** غير مكتملة، لكن ما أود أن أعرفه الآن هو إلى أي مدى وصلت؟».

قالت چينا: «أعتقد أننا لو أحصينا عدد العظام، وإذا علمنا عدد عظام الهيكل البشري، فسوف نعرف حينها».

رد سِبتيموس: «لكننا لا نعرف عدد عظام الهيكل العظمي البشري.. أو على الأقل أنا عن نفسي لا أعرف ذلك قطعًا».

قالت چينا: «ولا أنا».

فقال بيتل: «مائتان وست عظْمات».

رد سِبتيموس: «بيتل.. أنت مدهش يا بيتل. لكن، هل أنت واثق من هذا الرقم؟».

«نعم، لقد أحصيتها ذات مرة، كجزء من اختبار الحصول على الوظيفة في «دار المخطوطات». كان أمامي حينها دقيقة واحدة أنظر فيها على الهيكل العظمي الموضوع في الدولاب، ثم بعثره، وكان مطلوبًا مني أن أعيد تكوينه من جديد، وأن أحصي عدد عظامه. وأحصيت حينها مائتي عظْمة، ثم قال لي هيو فوكسي الأب أن أضيف إليها ست عظْمات؛ لأن كل أذن تحتوي على ثلاث عظْمات صغيرة جدًا لا يمكن رؤيتها، أي أنها مائتان وست عظْمات».

فقالت چينا: «إذن، يُستحسن أن تقوم أنت بذلك الآن يا بيتل، فأنت ستكون أفضل مني في هذه المهمة».

رد بيتل مُقشعرًا: «لا.. شكرًا.. فأنا لا أحب العظام، فهي تثير فزعي».

ومن شدة الإحباط الذي بدا على چينا، تراجع بيتل على الفور في كلامه وقال: «سوف أحصيها أنا إذا كانت هذه هي رغبتك»، وبدأ بيتل يقوم بمهمة الإحصاء المروعة، وبعد الإحصاء الخامس، وقف وقال

بابتهاج: «انتهيت.. عددها في المرة الأخيرة كان مماثلًا للمرة السابقة. إن كل العظام موجودة الآن، فيما عدا الجمجمة بالطبع».

فقال ألثر: «وهي التي ستتمم **عملية الزرع**».

فسأله سِبتيموس: «لماذا عملية الزرع هنا كانت عن طريق هيكل عظمي بشري؟ ألا تتم هذه العملية في المعتاد بهيكل عظمي لجرذ أو ثعبان؟».

رد ألثر يوافقه الرأي: «بلى، هذا هو ما يحدث في المعتاد.. لكن **عملية الزرع** هذه تبدو للأسف الشديد أنها **عملية زرع شخصية**، وهذا النوع مميت».

فهمهم بيتل قائلًا: «معذرة، لكن ما معنى عملية الزرع أصلًا؟».

قالت چينا: «يسعدني أنك طرحت هذا السؤال؛ لأنني أنا أيضًا لا أفهم شيئًا عما يتحدثان».. واحمر وجه بيتل خجلًا.

فهمهم ألثر قائلًا، وهو يحوم فوق الهيكل العظمي متفحصًا إياه: «إنها حيلة شيطانية تخص **السحر الأسود**، **فعملية الزرع** طريقة للوصول إلى مكان لا يمكن الوصول إليه بأي طريقة أخرى، و«الساحر» هنا؛ فهي عملية يقوم بها عمومًا السحرة بما أنها عمليات خطيرة عن طريق وسائل مخادعة، سوف يجعل عظام الكائن تصل إلى أعتاب المكان الذي يتمنى أن يدخله. والشخص الذي تود أن تضره لابد أن يحملها بمحض إرادته ورضاه، فأنت لا تستطيع أن تلقيها فحسب من النافذة. ولا بد أن تُنقل العظام على مراحل، وعندما تعبر آخر عظْمة العتبة، وهي دائمًا ما تكون الجمجمة، يجمع الكائن نفسه ثم يقوم بالمهمة التي أرسل من

أجلها، أيًا كانت هي. وهي من الناحية النظرية لا يمكن إيقافها. أما **عملية الزرع الشخصية** التي لا بد أن تتم عن طريق عظام بشرية – فهي أشر الحيل الشيطانية **للسحر الأسود** على الإطلاق؛ فلمسة واحدة من العظام المزروعة تودي بحياة **الشخص المقصود** على الفور. والأسوأ من ذلك، أن هذا الشخص سيقضي سنة ويومًا واحدًا في حالة من **الاضطراب** المريع، وأنا عندما أصبحت شبحًا كان لا بد أن أقضي هذه الفترة في غرفة العرش الشبحية، لكن أن يجد المرء نفسه في حالة **اضطراب** فظيع طوال هذه الفترة، فهذا بلا شك أمر بشع.. بشع تمامًا»، وراح ألثر يهز رأسه.

همس سبتيموس، وقد شعر بالغثيان من فرط قلقه: «**والشخص المقصود** هو بالطبع مارشا، أليس كذلك يا ألثر؟».

«هذا هو ما أظنه أيها التلميذ. لكن ما لا أفهمه كيف يمكن لويزل أن يُقدِم على شيء كهذا؟».

وفجأة، انفتح الباب الأرجواني على مصراعيه. ولدهشة الجميع، دخلت مارشا **وظلها** يتسلل وراءها، وقالت: «ما هذا الذي يُقدِم عليه يا ألثر؟»، كانت مارشا تحمل ما يبدو أنه صندوق قبعات، وإذا بها تصيح: «هذا التنين الحقير.. *الحقير*، أنا لا أصدق ما أراه».

قال ألثر بمنتهى الهدوء: «اسمعي يا مارشا، هناك **عملية زرع** في الغرفة هنا، أريد أن أعرف ماذا يوجد في هذا الصندوق».

«ما هذا الذي تتحدث عنه يا ألثر؟ سبتيموس، خذ هذا التنين الحيوان من هنا إلى الفناء.. إنه لن يمكث دقيقة واحدة أخرى هنا!».

لكن سبتيموس لم ينطق بكلمة، وجرى نحو مارشا وهو يدفعها للوراء ليخرجها من الباب، ويقول لها: «اخرجي من هنا يا مارشا.. لا بد أن تخرجي من هنا في الحال».

قالت له مارشا وهي تدفعه بعيدًا عنها: «ما هذا الذي تفعله يا سبتيموس؟»، ثم دفع سبتيموس مارشا بقوة. وإذا بالقطعة الأخيرة **للظل الواقي** – **السدادة** المستديرة الكبيرة – تسقط على الأرض وتتحطم.. وأخذ الجميع يحدقون في رعب وهلع إلى منظر جمجمة بيضاء تقفز من وسط الحطام وتتدحرج نحو العظام المجمعة على الأرض.. ولم يستغرق الرأس أكثر من عدة ثوانٍ كي يتجمع مع بقية أجزاء الجسد.

واكتملت عملية الزرع.

42

عملية تحديد الشخصية



وقف *الهيكل العظمي* مترددًا، وهو يترنح قليلًا وكأنه يحاول أن يستعيد توازنه.. وإذا به فجأة - وكأنه دمية متحركة - ينقضُّ للأمام جهة مارشا.

بدا على مارشا الشحوب، لكنها كانت متماسكة. وبتروٍّ، تراجعت إلى الوراء بعيدًا عن الهيكل العظْمي وهي تفكر بسرعة.

كان ألثر يراقب **الظل** الذي يتبع مارشا، ولم يرقه على الإطلاق ما رآه، فالظل ما عاد ذلك **الظل** الأحدب بهيئته غير المحددة، والذي كان يراقبه وهو يتبع مارشا في جناحها طوال العام الماضي؛ إنه الآن أقرب لأن

يكون كيانًا ملموسًا.. إنه طويل، وعيناه بلونهما الأصفر الباهت تبرقان بحماس ويحوم عند كتفي مارشا منتظرًا.

وإذا بألثر يقول لاهثًا: «إبليس كراكل!» فرفع **الظل** بصره عند سماع اسمه.

فقالت مارشا بحدة: «أتحاول أن تمزح معي الآن يا ألثر؟».

«إن **ظلك** يا مارشا هو إبليس كراكل».

«الآن لا يعنيني من هو **ظلي** يا ألثر»، وتراجعت مارشا للوراء وهي تمر على ما كان منذ قليل وسادةً، بينما كان الهيكل العظمي يتحرك نحوها مراقبًا حركتها، ومع كل خطوة كان يُطقطق بصوت مزعج.. تراجعت مارشا خطوة أخرى.. وتقدم الهيكل العظمي خطوة أخرى للأمام.

قالت مارشا: «بحق السماء يا ألثر، إن الموضوع جد خطير»، وكان في صوتها نبرة هلع كامن داخلها.

رد ألثر عليها بهدوء: «أعلم ذلك.. وهناك طريقة وحيدة للخروج من هذا المأزق».

تراجعت مارشا مرة أخرى، وتقدم الهيكل العظمي للأمام.

قال ألثر وهو يحوم على ارتفاع بضعة أقدام ويتحرك مع خطوات مارشا: «لا بد أن **تحددي شخصيته**».

«لا أستطيع يا ألثر، فأنا لا أعرف من هو صاحب هذا الهيكل العظمي».

لكن چينا تعرف من هو صاحبه، وهي طوال الوقت الذي مكثت فيه تجمع قطع الهيكل العظمي مع بعضها، كانت تعيد التفكير في الأمور، ثم قالت: «إنه دومدانيال.. لا بد أن يكون هو».

نظرت مارشا لچينا، وهي ترفع بصرها عن العظام المتقدمة نحوها، وقالت: «چينا.. ماذا تقصدين بذلك يا چينا؟».

فنظرت چينا بثبات إلى مارشا، لا إلى العظام؛ فهي بالكاد تستطيع أن تنظر مرة أخرى إلى هذه الجمجمة التي تضحك ضحكة الموت وعيناها المجوفتان كانتا تتبعان خطواتها في الحجرة المظلمة، ثم قالت: «أقصد... أقصد أنه *دومدانيال*. فسايمون كان معه الجمجمة لا العظام، لكنه قال لي إنه وجد العظام في المستنقع.. ترى أين كانت؟».

فسألها ألثر بنبرة هادئة: «هل أنت متأكدة أيتها الأميرة؟».

ردت چينا: «نعم، نعم.. نعم أنا متأكدة تمامًا».

كانت مارشا ترتجف من شدة الاضطراب، وتهمهم داخلها بصوت مسموع وتقول: «لكن، قد يكون الهيكل لشخص آخر غير دومدانيال.. قد يكون ذلك خدعة.. بل إنني أراهن أنه خدعة.. فهذه هي نوعية الأعمال التي يُقدِم عليها، أن **يزرع** أحد البحارة المساكين من سفينته البشعة.. لكن ربما أنها خدعة مزدوجة والهيكل هو هيكله هو؛ فهذه هي نوعية الخدع التي يعشق أن يقـوم بها بنفسـه.. يا للهـول! مـاذا أفعـل يا *ألثر*؟».

قال ألثر بصوت خفيض، ونبرة حذرة، وهو يعطيها التعليمات وكأنها لا تزال تلميذته:

«لا بد أن تلتقي بچينا.. **حددي شخصيته** يا مارشا وفي *الحال*».

كاد الهيكل العظمي يصل إلى مارشا الآن، وبدأ يرفع ذراعه اليمنى نحوها. بهت وجه مارشا تمامًا، ثم همست تقول: «لكن إذا أخطأت في **تحديد الشخصية** يا ألثر فهل سأهلك؟».

«مارشا، ما عاد هناك شيء تخسرينه الآن، فلو لمسك فستهلكين بالفعل على الفور».

تقدم الهيكل العظمي خطوة واسعة للأمام.

وتراجعت مارشا خطوة مماثلة، ووصلت إلى الباب. طرقت أصابعها على مقبضه، وعلى الفور سمع قعقعة – لقد انزلق قضيبان فضيان خارجان من الحائط **وسدا** الباب.. ثم تبع ذلك أزيز حيث أغلق الباب الأرجواني السميك نفسه **غلقًا** آمنًا فابتسمت مارشا ابتسامة عريضة؛ فعلى الأقل لن يطال ما تبقى من برج السحرة الدمار الذي سينجم عنه نجاح **عملية الزرع**، ثم انحنت تستند إلى الباب وبدأت تقوم بما يجب أن تقوم به. فبدأ ضباب أرجواني **لسحر** قوي يتذبذب حول الساحرة العظمى، أضاء معه عينيها الخضراوين الداكنتين وجعل عباءتها الأرجوانية الطويلة تتلألأ.

وفجأة اندفع الهيكل العظمي نحوها بقوة.. فرفعت مارشا يدها وصاحت تقول: «**سوف أحدد شخصيته**!».

وإذا بالهيكل العظمي يتوقف وهو في طريقه إليها.. وحدق إلى مارشا بكل سخرية يمكن أن تحدق بها جمجمة فارغة، ثم رفع ذراعيه ووقف

يدق بقدميه على الأرض بنفاد صبر.. وبدا وكأنه يقول لها *هيا، فاجئيني، هيا، ما الذي يمنعك الآن؟*

فارتبكت مارشا، وقالت بإلحاح: «إنه يعرف يا ألثر ما الذي سأقوله ولا يكترث.. لا بد أن چينا مخطئة».

قال ألثر بنبرة الواثق أكثر مما يشعر حقيقة: «إنه يخدعك».

مارشا لم تقتنع بكلام ألثر، وألقت إليه بابتسامة وقالت: «اعتنِ بسبتيموس يا ألثر.. وسوف أعود بعد عام ويوم واحد لأراجع ما فعلت».

«نعم، سوف أفعل.. هيا افعليها الآن».

رفعت مارشا ذراعها وأشارت إلى الهيكل العظمي، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت بصوت خفيض رنان:

«بيد على قلبي،

والعين في العين،

أنا أحدد شخصيتك

بأنك...»

اهتز صوتها، ثم نظرت بكل حب وحنان إلى سبتيموس وچينا، حتى إلى بيتل، فهناك احتمال كبير أن تكون هذه المرة هي آخر مرة في حياتها تراهم فيها باعتبارها كائنًا حيًا.

«... دومدانيال!».

وعلى الفور، ملأت الأجواء صرخة مرعبة.

شهقت چينا من فرط فزعها، مقتنعة بأن الصرخة جاءت من مارشا. واستمرت الصرخة تعوي وتدوي في أنحاء الغرفة. كان الصوت فوق احتمال بيتل، فألقى نفسه على الأرض ودس رأسه في وسادة، بينما سدت چينا أذنيها بأصابعها.. أما سبتيموس فأخذ يُنصت.. وينصت ويراقب بعينين محدقتين وأذنين مصغيتين، لقد أراد أن يسمع صوت أقوى **سحر** رآه في حياته، لقد أراد أن يعرف كيف يبدو ذلك.. لكن الأهم من ذلك، أنه أراد أن يكون جزءًا منه.

وخطا سبتيموس خطوة نحو مارشا.

كانت مارشا في تلك اللحظة، بعباءتها **السحرية** الأرجوانية التي تلتف بها بإحكام لتحميها، تضغط جسدها على الباب المغلق وأمامها الهيكل العظمي بذراعين ممدودتين للأمام، يحاول أن يستولي على تميمة «أخو» من عنقها.. أخذ سبتيموس يراقب الضباب الأرجواني الذي يحيط بمارشا وهو يزداد دُكنةً وعمقًا، بينما ازداد تلاشي هيئة مارشا والهيكل العظمي بداخله.

هز ألثر رأسه، وشعر بقلق من مواصلة هذا الصراخ.

فهناك خطأ ما في الأمر.. **وتحديد الشخصية** لم يتم كما ينبغي.

توجه سبتيموس إلى أطراف الضباب الأرجواني.

فصاح ألثر محاولًا أن يُسمع سبتيموس صوته: «لا! دُر للخلف يا سبتيموس.. هذا **سحر** خطير».

لكن سِبتيموس تجاهل كلامه فارتفع الصراخ إلى حد لا يطاق، ثم دخل سِبتيموس نطاق **السحر**.. دخل وسط صمت ثقيل، كل شيء فيه بطيء وساكن، وعرف أن مارشا رأته.. كانت شفتاها تتحركان ولكن بلا صوت.. ثم رفعت يدها كأنها تمنعه من الاقتراب أكثر من ذلك.

وقف سِبتيموس داخل **السحر** محاولًا فهم ما يحدث. لقد أصبح في وسعه الآن أن يرى هيئة دومدانيال التي لا يخطئها وهي تظهر حول العظام.. وتعرَّف القبعةَ الأسطوانية القصيرة التي يرتديها **النكرومانسر**، وشعرَه الأشعث وعباءته السوداء الطويلة.. ومازالت يداه المكتنزتان تحاولان الوصول إلى التميمة. معنى ذلك أن مارشا نجحت في **تحديد الشخصية**.. فما إذن سبب الإخفاق؟ ثم أدرك السبب.. فمارشا كانت واحدة في مقابل اثنين.

وأدرك الآن ما أدركه ألثر من قبل؛ **فالظل** لم يعد الآن هو تلك الهيئة غير واضحة الملامح، بل أصبح شابًا جامحًا له عينان صفراوان، وانكشفت أسنانه وهو يبتسم بفم مفتوح. وهكذا، كان إبليس كراكل الذي كان تلميذ دومدانيال ذات يوم - يقف في هذه اللحظة إلى جوار مارشا، يعوق عمل **تحديد الشخصية**.

تحرك سِبتيموس وسط الضباب **السحري** كأنه يتحرك أسفل سطح الماء، متجهًا نحو مارشا. رأى إبليس كراكل وهو يحاول أن يصل إليه ليدفعه بعيدًا، وعرف أن الأمر أصبح تلميذًا في مواجهة تلميذ. رفع سِبتيموس يده، وتقابلت راحة يده براحة يد إبليس، فشعر سِبتيموس حينها ببرودة ملمس **الظل**. نظر سِبتيموس في عيني إبليس، وردَّ إبليس

إليه نظرة عينيه الخضراوين بأخرى من عينيه الصفراوين. أخذ سِبتيموس يركز بكل قوة، وتمكن بدأب من **تثبيت** إبليس كراكل سيئ الحظ.

وفجأة، رأى ألثر وچينا وبيتل - إبليس كراكل ينطلق خارج الضباب الأرجواني الدوار؛ وأخذ **الظل** المحاط بعمود من الدخان الأسود الضبابي يلف حول نفسه ويتقلب حول الغرفة، يحاول باستماتة أن يجد مخرجًا.. وهذه كانت اللحظة التي ينتظرها ألثر بفارغ الصبر؛ لحظة أن يترك **الظل** مارشا. وهنالك، أقدم ألثر على فعل شيء لا يفعله كثيرًا - لقد تسبب في **إحداث** شيء، فهبت رياح قوية انفتحت على إثرها أكبر نافذة في الغرفة، وطار **ظل** إبليس كراكل في الخارج وتبخر في جو الصيف الصافي.

باغت چينا الضوء الساطع بعد الظلام الذي كان يخيم على الغرفة، واستغرقت لحظات حتى تدرك أن هناك هيئة بشرية تقف وسط هذا الضوء خارج النافذة؛ إنه سايمون هيب، وكان يتأرجح بشكل خطير على منصة خشبية ضخمة جدًّا، مثبتة على عتبة النافذة.

تسبب ألثر في صَفق النافذة، لكن سايمون دفعها بقوة وقفز داخل الغرفة. انكمشت چينا وتراجعت للوراء، بينما بيتل الذي خرج توًّا من أسفل الوسادة - أحاطها بذراعه ليحميها منه. لكن هذه المرة لم تكن چينا هي ما يثير اهتمام سايمون، بل الهيكل العظمي.

وكان الضباب **السحري** مع انصراف إبليس كراكل قد بدأ يصفو، مفصحًا عن ثلاثة وجوه، وكانت يده لا تزال ممدودة إلى عنق مارشا وقد بدأ يتحلل بسرعة.

انطلق سايمون جريًا إلى الهيئة المتحللة وقال لها: «أنا هنا يا سيدي! تلميذك الجديد هنا!».

ومن فرط شغف سايمون بإعلان مكانته باعتباره تلميذ دومدانيال، لم يتوقف في أول الأمر كي يفكر في أن مارشا مازالت حية؛ مما كان يعني أن **عملية الزرع** فشلت، لكن مع وصوله إلى آخر الخيوط الأرجوانية **السحرية**، توقف سايمون، وبدت ملامح الأسى على وجهه.

فدومدانيال بدا في حالة سيئة، بل إنه بدا في حالة لم يشهدها سايمون من قبل، ولا حتى في تلك الليلة التي رأى فيها لأول مرة مجموعة العظام الموحلة وهي تتسلق خارجةً من القناة. فعلى الأقل، كانت عظامه حينها التي خلصتها الجنيات الصغيرة السمراء من لحمها تبدو نسبيًا نظيفة ومرتبة، ولم ينلها الذوبان والليونة حتى تتحول إلى كتلة من السائل المنفر كما هو حالها الآن، كما أنها لم تكن تصدر صوتًا كالذي يصدر عنها الآن وكأنها تخوض في مياه موحلة.

قال سايمون متلجلجًا، بعد أن أدرك فجأة وجود مارشا وسبتيموس أمامه: «إن تلميذك.. تلميذك الجديد هنا.. هنا يا سيدي». كانت مارشا متشبثة بذراع سبتيموس بقوة، وكل منهما كان يعلو وجهه الرماد ونفس تعبير الاشمئزاز الممزوج بالسعادة والارتياح وهما يشاهدان دومدانيال إذ بدأ يغرق ويسيل على الأرض.. فأخيرًا بدأ مفعول **تحديد الشخصية** يأخذ مجراه الطبيعي.

وبدأ سايمون يدرك أن الأمور ساءت تمامًا.

ثم ملأت الغرفة ضحكة خافتة لا تنتمي إلى عالمنا، وقال صاحبها: «لست تلميذي أيها الأحمق. لقد طلبت منك أن تتخلص من الملكة الصغيرة – وهي مهمة بسيطة – فماذا كانت النتيجة؟ النتيجة أنها لم تهرب منك ثلاث مرات فحسب، بل جاءت إلى هنا لتعبث بعظامي، وأخذت تجمعني كأنني لعبة من لعب البازل التي يلعب بها الأطفال. وكل ذلك بسببك أنت، أنت أيها الحقير. وإياك أن يذهب بك عقلك وتظن أنك كنت ستصبح «تلميذي» يومًا – فأنت لم تكن أكثر من عامل توصيل، تلميذي كان هنا طوال ذلك الوقت – **يظلل.. ويظلل.. ويظلل..**» وأخذ صوت دومدانيال يتلاشى تدريجيًا، ثم انتشر سواد له رائحة كريهة تجمّع عند حذاء سايمون الطويل.

صاح سايمون: «أيها المخادع الشرير! بعد كل ما فعلته من أجلك أنت وعظامك المنفرة. لقد وعدتني!» وكالطفل الذي يركل كومة من أوراق شجر تساقطت على حذائه، ركل سايمون بركة من الرُّسابة، هي كل ما تبقى من دومدانيال، ونثرها في أنحاء الغرفة.

فصاحت مارشا: «لا تفعل ذلك! اخرج من هنا يا سايمون، أم تحب أن أجبرك على هذا؟».

تراجع سايمون، وقال: «لا تشغلي بالك، أنا خارج بالفعل. فأنا لا أحب أساسًا أن أبقى مع كل هؤلاء *المدعين والدجالين*»، ثم توقف وحدق إلى سبتيموس بحنق وقال: «لكنك لن تتخلص مني بهذه السهولة. لقد تلقيت وعدًا بأن أصبح تلميذًا، وأنا مُصرٌ على أن أكون تلميذًا.. وسوف أكون».

هرع سايمون إلى النافذة وفتحها، ثم تسلقها ليخرج إلى الإفريز العريض في الخارج، ثم وقف للحظة يستجمع فيها شجاعته، ثم انطلق بعد ذلك غير مكترث حتى بأن يتأكد ما إذا كانت **الوصفة السحرية للطيران** سارية المفعول أم لا – بعد أن دمرت كل خططه. لكن بعد أن انطلق في الجو، كانت **الوصفة السحرية** تقوم بعملها، وبينما بدأ سايمون يحلق بشكل غير ثابت فوق برج السحرة (لدهشة مجموعة من السحرة العاديين كانوا عائدين حالًا من رحلة تسوق)، علم أن ليس أمامه سوى طريق واحد – ألا وهو الانتقام.

عودة إلى غرفة مارشا، انزلق القضيبان الفضيان السميكان وهما يقعقعان، فأبطلا **سد الباب** الأرجواني الضخم، بينما **انفتح** القُفل بأزيز هادئ – ثم سُمع طرْقٌ خفيف على الباب.

وهنالك، جاء صوت كاتشبول المتردد وهو يقول: «معذرة.. هل أنتم جميعًا بخير؟ أتحتاجون إلى أي مساعدة؟».

43

محاولة الطيران الأولى



كانت مارشا جالسة على كرسي كاتشبول عند منبسط السلم، وفي يدها كتاب «*فك السحر الأسود*» تقبض عليه بإحكام. فقد أعيد **سد الباب** المؤدي إلى غرفتها مرة أخرى، لكن هذه المرة كان الجميع، فيما عدا لافظ اللهب، يستمعون إلى تعاويذ **التنظيف**، **والإصلاح**، **والتعاويذ المضادة للسحر الأسود** وهي تقوم بعملها في جناح مارشا. فمارشا، وقد أقلقتها بقعة كبيرة من بقايا دومدانيال، ركلها سايمون على لافظ اللهب، تركت التنين في الداخل مع التعويذة **المضادة للسحر الأسود** كي تزيلها، شعر كاتشبول كأنه يستضيف حفلة خرقاء. وبحذر،

حاول أن يتحدث بشكل مهذب، وسأل مارشا محاولًا تذكُّر جدول التنظيف الذي تعلمه الأسبوع الماضي: «أهذه التعويذة هي تعويذة التنظيف في خمس دقائق يا سيدة مارشا؟».

ردت مارشا عليه ساخرة: «يقول خمس دقائق. إن الأمر سيستغرق أكثر من خمس دقائق حتى يمكن التخلص من تلك المادة الشيطانية اللزجة التي تناثرت في كل مكان، ناهيك عن الدمار الذي أحدثه ذلك التنين. إنها بالطبع ليست تعويذة تنظيف في خمس دقائق، بل إنها تعويذة لانهائية».

تجهم كاتشبول وقال: «يا للهول! تعويذة لانهائية»، وتخيل نفسه وهو يقضي بقية حياته في عزلة عند منبسط السلم وهو يحاول أن يدخل في حوارات مهذبة مع مارشا أوفرستراند. لم تكن الفكرة مربحة على الإطلاق.

ردت مارشا عليه تشرح له: «التعويذة اللانهائية تستغرق كما تستغرق، إنها لا تتوقف إلا عندما تنتهي من مهمتها، وهو أمر قد تتعلم منه شيئًا يا كاتشبول - وكما أتذكر بالمناسبة أن القسم الخاص بالتعاويذ اللانهائية مذكور في آخر صفحة من جداول التنظيف».

«ياه! نعم، نعم، تذكرت الآن يا مدام مارشا». وازدرد كاتشبول ريقه بعصبية، لكن مارشا لم يبدُ عليها التأثر، لقد كان ذهنها منشغلًا بما هو أهم من ذلك.

«ألثر، أريد منك أن تذهب وتُحضر ويزل وخادمته البشعة هذه. أنا أريدهما هنا في الحال. فأنا يهمني جدًا أن أسمع منهما كيف يبرران موقفهما».

«لا شيء يمكن أن يسعدني أكثر من ذلك، لكن عندما ذهبت إلى بيتهما تم إعادتي»، ثم هز ألثر رأسه آسفًا وقال: «أنا آسف جدًا يا مارشا على تلك النصيحة البشعة التي أسديتها إليك، فأنا لا أستطيع أن أصدق أنه بعد كل ما فعله أوتو ڤان كلامف من أجلي، يتضح أن ابنه بهذا السوء».

قالت مارشا: «أنا لا ألومك يا ألثر، لكنني ألوم أونا براكيت وهيو فوكس. ولقد سبق وحذرتني منه، إلا أنني لم أسمع كلامك».

رد ألثر قائلًا: «لقد كان الظل يؤثر عليكِ، وكنت تتصرفين على غير عادتكِ».

«كما أنني لم أصدق سبتيموس عندما خطف سايمون جينا. كل الإشارات كانت أمامي ورفضت أن أراها».

رد ألثر قائلًا: «الأصح أنه *لم يكن في وسعك*، وليس أنك رفضت. إنه لأمر فظيع أن يحاصر المرء بظل يتتبعه في كل خطوة!».

وقفت مارشا فجأة، فقفز كاتشبول ليمسك الكرسي إذ يتدحرج للخلف.

«والآن، رحل الظل يا ألثر وعدت أرى الأمور بوضوح. حتى عندما كان الظل موجودًا، كنت أعلم ما يكفي ليجعلني أراقب المكان الذي يصنع فيه ظلي الواقي، وأنا لا يساورني شك في أن سايمون، وإن كان

حتمًا ظل يرسل هذه العظام طوال هذا العام، فإنه لم يُدخلها إلى بيت ويزل من الباب، فلم يره أحد من المراقبين الذين عينتهم».

فسألها سِبتيموس: «مراقبين؟ أي مراقبين تتحدثين عنهم؟».

«إنهم فتيان من جيش الشباب، هؤلاء الفتيان من «دار إعادة التسكين»، فهناك عدد من الفتيان الودودين يودون أن يمتهنوا مهنة السحر».

رد سِبتيموس ساخرًا: «ودودين! إنهم في غاية السخافة. فكلما ذهبت هناك، كانوا لا يكفون عن السخرية مني».

«في الحقيقة، لقد قلت لهم أن يتصرفوا بشكل طبيعي، حتى أبعد عنهم أية شكوك. ولقد أتقنوا عملهم، وكانوا يمكثون ليل نهار عند الرصيف أيًا كان الطقس، إنهم في غاية الإخلاص، فعلًا. ومستقبلهم كسحرة يبشر بالخير».

وطرأت فجأة فكرة على ذهن سِبتيموس فقال: «لقد كان يستخدم الأنفاق الجليدية، أليس كذلك؟ لقد كان يفعل ذلك طوال الوقت».

قالت مارشا وقد بدا عليها الذهول: «صه! ليس أمام كاتشبول. اذهب إلى «منزلق الثعابين» وأحضر ويزل ڤان كلامف وأونا براكيت إلى هنا، واجعلهما ينتظران في «الغرفة القوية» بـ «البهو العظيم» إلى أن أستعد وأقابلهما.

ثم ستذهب لإحضار هيو فوكس أيضًا، مفهوم؟».

انحنى كاتشبول برأسه وتوجه إلى السلم الحلزوني، وقد أسعده أن تخلص من مهمته كمضيف لهذا الحفل.

بعد عدة دقائق، أعلن أزيز ناعم أن الباب انتهى مفعول **سده**، ثم انفتح على مصراعيه ودخل الجميع إلى غرفة معقمة، تم **إصلاحها وتنظيفها**، وتخلو الآن من أي بقايا **للسحر الأسود**. حتى مارشا بدا عليها الفرح والبهجة – للحظة قصيرة فقط – إلى أن رأت لافظ اللهب يجلس على أفضل سجاجيدها الشينوا.

فصاحت تقول غير مُصدقة نفسها: «إن ريشه ينبت، وعلى أفضل سجادة لديّ. يا لك من مخلوق تعس!».

إلا أن لافظ اللهب بدا غير مكترث بكلامها؛ لقد كان منشغلًا في بسط جناحيه لأول مرة؛ فقد سقط الزغب الناعم الذي كان يغطيه، تاركًا طبقة سميكة من الوبر الأخضر على سجادة مارشا، وأصبح لافظ اللهب الآن لديه رغبة ملحة في أن يبسط جناحيه ويطير– وكانت مارشا تعلم ما يكفي عن التنانين ما يجعلها تدرك أن لا شيء سيحول بينه وبين تنفيذ رغبته.

فقالت: «لا بد أن نخرجه إلى منصة الانطلاق، أنا لن أتركه يقوم **بأول محاولة للطيران** في الغرفة هنا».

سألها سِبتيموس في حيرة: «أين هي منصة الانطلاق هذه؟».

فقالت مارشا وهي تشير بيدها إلى النافذة التي **تسبب** سايمون في فتحها: «منصة الانطلاق القديمة التي تقع خارج نافذة التنين».

قال سِبتيموس: «ياه!»، وقد أدرك أخيرًا سبب وجود شكل منحوت على هيئة تنين طائر على العتبة الحجرية التي تعلو النافذة.

قالت مارشا: «لا تقلق، إنه آمن. وكل السحرة العظماء لا بد أن يحافظوا على صيانة المنصة - فأنت قد تحتاج إليها في أي لحظة - على الرغم من أنها تعطي فرصة لشخص أبله مثل سايمون لأن يهبط عليها».

وهكذا، تم إغراء لافظ اللهب ليخرج إلى منصة الانطلاق بعلبة بسكويت عثر سِبتيموس عليها أسفل الحوض. وكان البسكويت رطبًا ورخوًا بعض الشيء، لكن لا يبدو أن ذلك أزعج التنين، فقد جلس تغمره السعادة على المنصة يمضغ البسكويت ويتفحص منظر القلعة بأسرها وهي ممتدة أسفله وكأنها لوحة ضخمة للعبة «الفيش المتحركة».

وفي تلك الأثناء، كان هناك حوار دائر داخل برج السحرة.

كانت مارشا تقول: «والآن يا سِبتيموس، أنا لا أريد منك أن تُقدِم على أي حركات معقدة وأنت تقوم **بأول محاولة للطيران**، عليك أن تطير حول البرج مرة واحدة، ثم تهبط في الفناء. هل تريد أن يصاحبك ملّاح؟».

سألها سِبتيموس: «ماذا قلتِ؟»، بينما كان ينظر من النافذة ويشعر بأن ساقيه تحولتا إلى هُلام.

«يُذكر في *الدراكس*، القانون 16 ب، تحت بند 8 *أنه لا يمكن استخدام الملّاح المستكشف أو الملّاحة المستكشفة إلا إذا كان قد اشترك في أول* **محاولة للطيران**. فإذا أردت أن يكون معك ملاح، فهو إما الآن وإما فلا».

قال بيتل معتذرًا، محاولًا أن يدفع مع مارشا ذيل التنين من خارج النافذة: «لا تفكر في أن تطلب ذلك مني أنا يا سِب، فأنا ملتزم بعقدٍ مع

«دار المخطوطات» لا يزال أمامه خمس سنوات أخرى، ولا أحصل على عطلة إلا كل أسبوعين - هذا إذا كنت محظوظًا. فلا يذهب بك تفكيرك في أني أصلح لأن أكون ملاحًا، رغم أنني لا أعتقد أنني سأبقى في وظيفتي بعد كل ما حدث».

فقالت مارشا لبيتل: «بالطبع لن تفقد وظيفتك، وهو أقل ما سيقال لهيو فوكس».

تمتم بيتل: «أشكرك».

فقالت چينا تعرض على سِبتيموس: «أنا أوافق يا سِب، أنا سأكون ملاحتك، هذا إن شئت ذلك».

رد عليها سِبتيموس، وقد شعر براحة لفكرة أنه على الأقل سيكون معه صحبة عندما يبدأ في الطيران على ارتفاع مئات الأقدام فوق سطح الأرض: «أترغبين في ذلك حقًا يا چين؟».

«بالطبع أوافق، بل إنه ليشرفني ذلك».

وعلى ممر الانطلاق في الخارج، كان لافظ اللهب قد انتهى من آخر قطعة بسكويت، ثم ابتلع العلبة بأسرها؛ تجنبًا أن يُهدر أية فتافيت، وأخذ بعد ذلك يستنشق هواء المساء، وسرت في جسمه الحماسة التي تنتاب كل تنين مباشرة قبل **أول رحلة طيران** يقوم بها، ثم نخر نخيرًا قويًا وضرب بذيله ضربة عنيفة من فرط حماسه. وفي الوقت المناسب، كانت مارشا وبيتل قد قفزا متراجعيْن داخل الغرفة.

قالت مارشا: «يستحسن أن تهمَّ وتبدأ الانطلاق يا سِب، وإلا فسوف ينطلق بدونك – ونحن لا نريد أن تُبتلى القلعة بتنين يحلق بلا قائد لسنوات قادمة».

ضغط سِبتيموس على نفسه وخرج من النافذة إلى ممر الانطلاق، ثم قال في سره: لا تقلق، سوف تنجح، لقد صعدت شجرةً على ارتفاع ثلاثمائة قدم فوق سطح الأرض، وسرت على جسر متداعٍ أعلى بيت سحرة، وطرت بمركب. أنت لا تخشى الارتفاعات، إطلاقًا. لكن مهما يحاول سِبتيموس إقناع نفسه، فلم تبدُ قدماه أنهما اقتنعتا، فما زالتا تبدوان له وكأنهما مادة هلامية تُركت في الخارج في يوم صيف حار.

قالت چينا وهي تتسلق النافذة وراءه لتصعد على ممر الانطلاق: «هيا يا سِب»، ثم وضعت ذراعها حول كتفيه وقادته على امتداد المنصة الخشبية العريضة. فترنح سِبتيموس قليلًا مع شعوره بأن الرياح التي تهب حول قمة برج السحرة تطيِّر شعره. فهمست له چينا: «أنت بخير، انظر! إن لافظ اللهب ينتظرك».

لم يعرف سِبتيموس بعد ذلك كيف فعل ما فعل، وكل ما يعرفه أنه وجد نفسه بعد ثوانٍ معدودة يجلس عند عنق التنين في منطقة غاطسة أمام كتفيه، وقد بدا له وكأن هذا المكان هو مكانه الطبيعي ليجلس فيه، وشعر لدهشته بالأمان. وكان القشر الذي يغطي بشرة التنين رغم نعومته له أطراف خشنة تمنعه من الانزلاق، كما أن فقرات التنين العريضة التي تمتد خلف عنقه ذي الفقرات مثل العُرف، كانت تتلاءم تمامًا مع يدي سِبتيموس، لكن چينا لم تكن تجلس بشكل مريح، وقالت لسِبتيموس:

«أفسح لي مكانًا، فأنا قريبة جدًا من الجناح». فتزحزح سِبتيموس للأمام بقدر ما سمحت له شجاعته، وأسقطت چينا نفسها وراءه في المكان الغاطس.

قال لهما ألثر وهو يحلق بجوارهما: «حسنًا. هناك ثلاث نقاط لا بد من تذكرها، أولًا: بداية الانطلاق؛ فالتنين عندما يقفز سيسقط كأنه قطعة حجر، لكن ثقا بكلامي، هذا لن يستغرق أكثر من ثانية واحدة أو ثانيتين، **فرحلة الطيران الأولى** دائمًا ما تبدأ بهذا الشكل، وبعد ذلك سوف تحلقون. النقطة الثانية: التوجيه؛ اركل ركلة واحدة جهة اليسار للانعطاف يسارًا، واركل ركلة واحدة جهة اليمين للانعطاف يمينًا، وركلتين جهة اليسار للهبوط، وركلتين جهة اليمين للصعود، أو يمكنك فقط أن تخبره بما تريد، فهو تنين ذكي وسوف يفهم. أما النقطة الثالثة فهي أنني هنا بجواركما، وكل شيء سيكون على ما يُرام».

فأومأ له سِبتيموس برأسه متحمسًا لأن يبدأ.

كانت مارشا وبيتل ينظران بقلق، وقالت مارشا: «هل أنتم مستعدون؟».

فأشار لها سِبتيموس بإبهامه أنه جاهز.

فصاحت مارشا: «انطلقوا! انطلقوا! هيا يا بيتل، ادفع معي!».

وقامت مارشا وبيتل معًا بدفع التنين دفعة قوية. لكن للأسف فإن ذلك لم يُجدِ – لقد ظل لافظ اللهب جالسًا بثبات على ممر الانطلاق، لا يريد التحرك.

فهمهمت مارشا وهي تدفع التنين دفعة أخرى:

«بحق السماء! تحرك أيها الكسول!».

تحرك التنين للأمام، مثل الغطّاس الذي ندم أنه صعد لأعلى لوح للقفز، وهو يعلم أنه ليس هناك سوى طريق واحد ألا وهو السقوط. لف لافظ اللهب أصابع قدميه حول حافة ممر الانطلاق. وبتردد، نظر من هذا الارتفاع الشاهق، ونظر إلى الفناء البعيد جدًا في الأسفل وأغمض سِبتيموس عينيه وتشبث به بقوة، وشعرت جينا خلفها بجناحيه عديمي الخبرة وهما يرتجفان بقوة، لكن بلا جدوى.

فصاحت مارشا تقول: «اسمع أيها التنين المعتوه، إياك أن تظن أنك ستعود وتدخل هنا؛ لأنك لن تدخل، تأكد من ذلك! وإذا كنت تريد مصلحتك فعليك الانطلاق في الحال!»، ثم رفعت مارشا وبيتل بكل ما أوتيا من قوة بقية ذيله إلى ممر الانطلاق.

وهنالك، تحولت نظرة التنين المترددة إلى نظرة هلع. فمارشا وإن لم تكن من قبل أمًا لتنين، إلا أنها تمتلك كثيرًا من الصفات التي تشتهر بها أمهات التنانين، وكان من الصعب على لافظ اللهب أن يفرق بينهما.

صاحت مارشا تقول وهي تصفق النافذة: «نفِّذ الأمر وطِر!».

ونفذ لافظ اللهب الأمر، وألقى بنفسه من فوق ممر الانطلاق، فهوى مثل قطعة الحجر، وأخذ يسقط ويسقط، مارًا بالطابق التاسع عشر، والثامن عشر، والسابع عشر، ثم بدأ يسقط عموديًا مارًا بالطابق السادس عشر، والخامس عشر، والرابع عشر. وعند الطابق الثالث عشر، أدرك لافظ اللهب ما يتحتم عليه أن يفعله، وعند الطابق الثاني عشر، اكتشف كيف يفعل ذلك، وعند الطابق الحادي عشر وجد جناحيه ملتصقين. وأخيرًا،

عند الطابق الثامن فك التصاقهما، وعندما وصل إلى الطابق السابع، وقد ارتعبت قلوب الجميع من شدة الخوف، بسط جناحيه كأنهما مظلة خضراء هائلة، جمعت الهواء وجرفت التنين لأعلى في مسار مقوس رائع، وأصبح مرة أخرى في مستوى قمة برج السحرة. كانت مارشا وبيتل ينظران من البرج، جرت ابتسامة على وجه مارشا الذي بدا شاحبًا، وأخذ بيتل يَصيح مبتهجًا.

همهم ألثر، وقد بات شبه شفاف من شدة الخوف، وقال: «يا إلهي!»، ثم انقضَّ لأعلى ليلحق بالتنين وركابه المذعورين، وصاح قائلًا: «هل أنتم بخير؟»، وهو يحاول بصعوبة أن يحلق بسرعة التنين الذي أخذ الآن - بعد أن اكتشف جناحيه - يستمتع بالإحساس بالطيران، ويحلق سريعًا.

فأومأ له سِبتيموس برأسه.

وصاح ألثر قائلًا: «قم بلفة حول البرج، ثم اهبط في الفناء».

هز له سِبتيموس رأسه. فعلى مسافة منه، رأى الهيئة السوداء غير المتناسقة لسايمون هيب. فقد قام سايمون توًا بالمرور فوق صف من البيوت المتاخمة لسور ساحة المراكب، آخذًا معه ما يعلو قمم أسطحها، وهو الآن يسقط على الجانب الآخر.

فصاح سِبتيموس يقول للتنين: «هيا يا لافظ اللهب، اذهب إليه».

44
رحلة الطيران الأخيرة



كان *العمل قد بدأ في المركب التنينية في ساحة مراكب چانيت،* وكانت چانيت قد سحبت المركب من «بيت التنين» وأدارتها، وعلى وشك أن تعيدها إلى البيت بحيث تكون مقدمتها موجهة للعالم في الخارج. وهو أمر طلبته چينا من نكو الليلة الماضية، قائلة له إن التنين طلبت منها ذلك بنفسها، وإن كان نكو - والذي لا يزال يجد صعوبة في تقبل فكرة أن المركب التنينية هي أيضًا كائن حي - لا يفهم ما الفرق بين أن تكون المركب موجهة للداخل أو للخارج، لكن چينا أصرَّت.

وأخذت چانيت تراقب من مركبها الصغير المركب التنينية بعين نافذة، فقد قامت هي ونكو بعمل جبيرة للجناح المكسور وثبتاه في جسم المركب، لكن الجناح كان مهشمًا بشكل مفرط، ويسيل منه سائل

أخضر غريب يتساقط في المياه، كما أن التنين نفسها لم تبد في حالة جيدة، فقشرها كان باهتًا، وعيناها ثقيلتين، ورأسها وذيلها يتدليان بوهن.

قالت چانيت لروبرت جرينج الذي كان هو ونكو على متن المركب التنينية بديران العمليات: «إنها لا تبدو في حالة جيدة».

فأومأ لها روبرت برأسه وصاح قائلًا: «ليس في وسعنا شيء، ولو سألتني عن رأيي لقلتُ لكِ إنها تحتاج إلى بعض حركات (الجلا جلا) البلهاء».

كان هناك ثلاثة سحرة اختارتهم چانيت باعتبارهم الأقل إزعاجًا من بين السحرة الثلاثة عشر الذين أرسلتهم مارشا لحراسة المركب، ولم يعجبهم بالطبع هذا الكلام، فهمهموا متذمرين.

لم ينطق نكو، فلم تعجبه الطريقة التي تحدَّث بها روبرت، لكنه قال في سره إن روبرت ربما يكون محقًّا، فما هذا الذي تأمل ساحة مراكب عادية أن تفعله لـ «مركب تنينية» حية تتنفس؟

ثم قال روبرت فجأة في اندهاش وهو يلمح حركة بعيدة فوقه: «يا للهول! هناك شخص أحمق ألقى بنفسه من على سطح بيت.. يا للهول! إنه... إنه يطير*!*».

نظر نكو لأعلى بإحباط شديد، وهو يهمهم: «سايمون.. إنه سايمون».

«ماذا؟ سايمون؟».

رد نكو بعزة نفس: «إنه ليس أخي.. أسرع يا روبرت.. إنه خطير. لا بد أن نسحب المركب التنينية إلى الداخل».

لكن روبرت جرينج وقف متحجرًا من فرط دهشته وهو يرى الوجه ذا الزي الأسود يتأرجح فوق أسوار القلعة ويرفرف ببطء نحوهم كالغراب المجروح.

صاح روبرت وهو يهز قبضته: «إنه هو. إنه سايمون هيب.. هذا البغيض. ابعد عن هنا يا هيب، أم تريد أن أبعدك بنفسي؟».

همس نكو قائلًا: «روبرت، لا تغضبه».

«لا أغضبه؟ بل سوف أغضبه وأغضبه»، ثم رفع صوته في جهة سايمون وقال: «أنت يا هيب! كفاك تبخترًا كما تتبختر الفتيات في عيد منتصف الشتاء. اهبط إلى الأرض وواجهني رجلًا لرجل».

فقال له نكو متوسلًا: «روبرت، لا تفعل هذا، ابتعد عن طريقه فحسب، إن معه **صاعقة رعدية**».

«عظيم، وأنا عمتي هي ملكة سبأ. رائع، إنه قادم. هيا يا هيب، لا تكن خجولًا هكذا. ها!».

وكان سايمون يعاني متاعب جمة مع **الوصفة السحرية للطيران**، فما إن حلق في طريقه إلى برج السحرة حتى أدرك أن «رئيس كتبة النصوص الهرمسية» لم يفعل شيئًا **للوصفة السحرية**، لكنه لم يجرؤ على العودة إليه ويصر على أن يصلحها له؛ لأنه تحت أي ظرف من الظروف لم يكن يستطيع أن يتأخر عن موعده مع دومدانيال ولا عن بداية عمله كـ«تلميذ»، إلا أن سايمون لم يكن يدرك حتى أنه لو كان قد عاد إلى هيو فوكس فإن الرجل ما كان سيستطيع أن يصلح له **الوصفة السحرية للطيران**، بما أن قوانينها وشفراتها موجودة في كتاب «**فك السحر الأسود**».

فيما بعد، وجد سايمون نفسه يحلق خارجًا من القلعة، وما إن تجاوز أسوارها – مستخدمًا كل ما أوتي من قوة الإرادة كي يظل محلقًا – حتى كانت المركب التنينية حينها في مرمى بصره، فهمهم بداخله أن ضربته هذه المرة لن تخطئ، إنها الضربة الثالثة التي تجلب الحظ، أو أنها الضربة الثالثة القاضية إذا كنت كائنًا متحولًا بين مركب وتنين. ومع تحليق سايمون على نحو أخرق صوب ساحة المراكب، أخرج من حزامه **صاعقة رعدية** هي آخر ما تبقى معه من **صواعق**، وهو في الأونة الأخيرة واصل صنع **الصواعق الرعدية**، وكان وجود ميرين أسوأ من عدمه أثناء تحضير القطع الجديدة – لكن لا بأس من كل هذا، إن المركب هدف سهل، وهذه المرة سيصيبها بلا شك، وبذلك سوف يلقن هذا السفيه روبرت درسًا؛ حتى لا يصيح في وجهه مرة أخرى، إنه سيضرب عصفورين بحجر واحد، بل إنه سيضرب أكثر من عصفورين.

غمّز سايمون **الصاعقة الرعدية**.

ودوّت في الأجواء صيحة تبعها صوت طرطشتين مدويتين في المياه؛ حيث دفع نكو توًا روبرت في الخندق المائي وقفز وراءه، وأطلق سايمون **الصاعقة** وهو يلعن حظه أنه لم يتمكن من أن ينتقم لنفسه من روبرت جرينج.

انطلقت **الصاعقة** وهي تقعقع وتدور في الهواء، وبسرعة مذهلة طرأت فجأة على السحرة الثلاثة اندفعوا وألقوا بأنفسهم في الخندق المائي.

ضربت **الصاعقة الرعدية** مؤخرة المركب التنينية، واخترقت الخشب الذهبي لجسمها كأنها سكين تقطع قالبًا من الزبد، ثم استقرت في قاع

الخندق المائي، مُحدثة انفجارًا مدويًا، أرسل معه نافورة مياه انطلقت عاليًا في السماء. وبدأت المركب التنينية - في صورة كتلة مضطربة من الفقاقيع والبخار - تختفي رويدًا رويدًا تحت سطح المياه وغطست حتى استقرت في قاع الخندق.

وقفت چانيت مارتن بفم مفتوح في ذهول على متن مركبها الصغير، والذعر يملؤها من هول ما حدث. فلا أحد، لا أحد على الإطلاق، عبث من قبل بأي مركب من مراكب ساحتها. فرفعت أقرب سلاح وقعت عليه يدها - وهو مطرقة كبيرة - وانطلقت وراء سايمون، ثم لفت ذراعها بقوة فطارت المطرقة في الهواء، لكنها أخفقت في إصابة سايمون وهي تمر بجانبه مباشرة، ثم واصلت الطيران في مسار منحنٍ لأعلى، وتمكن بشكل أو بآخر تنين قادم في طريقها يقوم **بأول رحلة طيران** له أن يتجنب أول صاروخ جوي (ولن يكون الأخير)، بفضل صيحة أطلقتها الملاَّحة التي تجلس على متنه في الوقت المناسب.

ثم لمح سايمون بعد ذلك لافظ اللهب. إنه لا يصدق عينيه، أو بالأحرى عينه فهو لا يزال واضعًا ضمادة على إحدى عينيه بعد أن أصابته ضربة مباشرة من الفتى الذئبي، ما هذا الحظ العاثر الذي يلاحقه مع أخيه الدجال هذا؟ لماذا يظهر له دائمًا في الوقت غير المناسب ليفسد خططه؟ وما الذي يفعله على ظهر هذا التنين؟

إلا أن نجاحه في إصابة المركب التنينية جعله يشعر بالزهو والثقة بالنفس، ورغم نفاد **الصواعق الرعدية** وصراعه مع **الوصفة السحرية للطيران**، فقد شعر بأنه لا يُقهر. فالأمر بسيط الآن، فما عليه إلا أن يدفع

الأول من على ظهر التنين، ثم يدفع الثانية أيضًا من على ظهر التنين، ووداعًا أيها التلميذ الناشئ وأيتها الأميرة الصغيرة.

اندفع سايمون يواصل تحليقه، قاصدًا سِبتيموس كهدفه الأول.

ورآته الملاَّحة المستكشفة قادمًا نحوهم، فصرخت وهي تقول: «اهبط يا سِب، اهبط لأسفل!»، فركل سِبتيموس التنين ركلتين يسارًا، وبدأ لافظ اللهب ينخفض نحو غابة من الصواري المدببة.

ثم صاحت الملاَّحة: «اتجه يمينًا! اهبط على العوامة!».

فركل سِبتيموس التنين ركلة واحدة يمينًا تلاها بركلتين يسارًا، فتوجه لافظ اللهب لأسفل نحو العوامة حيث كانت چانيت ترسي مركبها الصغير عند جانب العوامة وتسحب معها ثلاثة سحرة.

لكن سايمون لم يكن ليوقفه أحد الآن، وما إن اندفع نحو سِبتيموس حتى اكتشف أن **الوصفة السحرية للطيران** تنحرف بشكل خطير نحو اليمين، وهو يتوجه الآن مباشرة نحو أنف التنين، وأنف التنين مكان حساس، خاصة بالنسبة للصغار منها، ولم يتقبل لافظ اللهب بسهولة أن يصطدم بأنفه شيء بهذه القوة، ففتح فمه تلقائيًا ليعضَّ سايمون، ليفاجأ بأنه على وشك أن يعطس عطسة لا مثيل لها في قوتها.

«أتششششوووو..» وكأن سدادة زجاجة مياه غازية تم هزها بقوة قد انفتحت وانطلق كَمٌّ هائل من الرذاذ الدافئ ليضرب سايمون ويرسله متكورًا في الجو. ورذاذ التنين مادة آكلة؛ ولقد ضرب الرذاذ سايمون في معدته، وجعله يلتف حول نفسه. وفي ثوانٍ، كانت عباءته، ورداؤه، وحزامه الأحمر بنجمات دومدانيال السوداء الثلاث التي تعلوه - قد تآكلت.

وبينما كان سايمون في لفّته الثالثة، سقطت **الوصفة السحرية للطيران** من حزامه وهبطت على الأرض فوق صندوق الأدوات الذي كانت جانيت تستخدمه منذ قليل.

وبدأ سايمون يسقط.

صاح سِبتيموس على الفور يعطي الأمر الأول لتنينه: «أنقذه!».

وعلى الفور، علم لافظ اللهب ما سيفعله؛ فهوى مثل الصخرة، ثم انطلق للأمام كالصاروخ والتقط سايمون مباشرة قبل أن يرتطم بالأرض، ثم هبط على العوامة مصطدمًا صدمة رجّت المكان الذي كان يرقد فيه منذ عدة دقائق ذيل المركب التنينية. سقطت الملاّحة مرتطمةً بالأرض، ثم نهضت وقد تملكها الغضب.

وسألت سِبتيموس وهي تقفز مبتعدة عن سايمون الذي كان مُلقى على ظهر لافظ اللهب: «بحق السماء، ما الذي جعلك تفعل ذلك يا سِب؟».

لكن سِبتيموس لم ينطق، وأخذ يحدق إلى سايمون.

ثم سأل جانيت التي سحبت سايمون من على ظهر لافظ اللهب محاولةً أن تجعله يُظهر أي استجابة: «لم يمت، أليس كذلك؟».

كان سايمون ممددًا بوجه أبيض على العوامة لا يتحرك، وعباءته السوداء تعلوها ثقوب أحدثها الرذاذ الحمضي للتنين، وشعره الأصفر الملفوف كسائر أسرة هيب ملبد من العرق، وعيناه مغمضتان. جثت جانيت على ركبتيها ووضعت أذنها على صدره.

ثم همست قائلةً: «كلا، أستطيع أن أسمع دقات قلبه، إنه فاقد الوعي فحسب». وعلى إثر صوت جانيت، فتح سايمون عينيه وتأوه، فصاحت جانيت تقول للسحرة: «أنتم أيها الفرقة، فلتتقدموا وتفعلوا شيئًا مفيدًا ولو مرة واحدة».

وعلى الفور تقدم ثلاثة سحرة يتساقط منهم الماء ووقفوا إلى جوار جانيت التي قالت لهم: «ساعدوني في حمله إلى غرفة الحجز».

وأخذت چينا وسِبتيموس يراقبان جانيت والسحرة الثلاثة، وكل منهم يحمل سايمون من ذراع وساق عبر ساحة المراكب إلى غرفة الحجز؛ وهي غرفة ضيقة مبنية بالطوب وبلا نوافذ، تقع بجانب سور القلعة، وتفخر بأن لها بابًا حديديًا سميكًا له ثلاثة مزاليج ثقيلة مزيتة.

ثم سألت چينا سِبتيموس بغضب: «مازلت لا أفهم لماذا فعلت ذلك يا سِب».

فرد عليها وهو يضرب بضربات خفيفة على كدمة أنف لافظ اللهب: «ماذا تقصدين؟».

«أقصد لماذا أنقذت سايمون؟».

نظر سِبتيموس إليها، وقد أربكه غضبها، وقال: «أو كان هناك شيء آخر يمكن أن أفعله؟».

قالت چينا وهي تركل حصاة بحنق: «كنت دعه يسقط، فهذا هو ما كنت سأفعله أنا».

هز سِبتيموس رأسه وقال بحزن: «إنه أخي مهما يكن».

45
برج المراقبة



أصر تكو على *ارتداء القناع*، فهو بأي حال من الأحوال لن يترك روبرت يغطس إلى المركب التنينية بدونه. ولقد حاولت چانيت رغم ذلك أن تقنعه، بما أنه لم يستخدم القناع من قبل. فچانيت كانت قد اخترعت ما أطلقت عليه قناع التفتيش؛ حتى تستطيع أن تفحص المراكب من أسفل سطح المياه، وهو عبارة عن قطعة زجاجية بيضاوية الشكل تحيط بها حافة من الجلد الناعم؛ حتى لا ينفذ منه الماء عند ارتدائه على الوجه، ويُربط بشريط من الجلد حول الرأس من الخلف.

كان زجاج القناع قاسيًا وسميكًا، لونه يميل إلى الأخضر القاتم، ولا يتيح رؤية واضحة، لكنه أفضل من محاولة فتح الأعين في مياه الخندق المائي المثقلة بالطمي.

وكان تكو سباحًا ماهرًا؛ فكثيرًا ما كان يأخذه سايلاس هو وإخوته عندما كانوا أصغر سنًّا خارج القلعة إلى مكان رملي بعد «الجسر ذي الاتجاه الواحد»، وهناك تعلم تكو السباحة، إلا أنه لم يسبح من قبل أسفل سطح الماء، وهو الآن، أثناء صراعه هو وروبرت لرفع رأس المركب التنينية من الوحل المترسب في قاع الخندق المائي رغم صعوبة رفعه بسبب كبر حجمه، كان يحتاج بشكل مُلح لأن يأخذ نفسًا.

أشار له روبرت بإبهامه لأعلى، وسبحا إلى السطح، وهما يرفعان رأس التنين مرة أخرى إلى الهواء. وكانت چانيت منتظرة بشبكة ضخمة من الحبال والخيش، ومررتها بسرعة أسفل رأس التنين لتتحمل ثقله.

وقالت وهي تضع برفق رأس وعنق التنين المتدليين لتريحهما على جانب الممر وقد فرشت سجادتها الفارسية الوحيدة لتمدد عليها رأس التنين: «أحسنتم يا شباب».

كانت چينا قد وقفت تراقب هذه الأعمال، وكان سِبتيموس قد أخذ لافظ اللهب وعاد به إلى برج السحرة، بينما رفضت هي أن تذهب معه. وهكذا، أخذ سِبتيموس التنين - بعد أن رفض الطيران بدون الملاَّحة - وسار به وسط الشوارع، وهو ما أثار اهتمام المارة بشدة.

انحنت چينا بجانب رأس التنين الموحل، تبحث عن أثر للحياة فيه، لكنها لم تجد. وظل الرأس ممددًا بلا حراك، بينما كانت عينا التنين

مغمضتين تمامًا أسفل جفون خضراء ثقيلة. أخذت چينا، وبحرص شديد، تنظف الوحل الذي يغطي الأذنين الذهبيتين، وبحافة ثوبها نظفت الوحل من على جفون التنين القشرية الناعمة. تحدثت چينا إلى التنين كما كانت تفعل دائمًا، لكن بلا أي استجابة.. لم يكن هناك سوى الصمت.

أما چانيت فجلست القرفصاء على الأرض، وأخذت تتفحص الرأس بعين خبير. فلم تجد أي أثر لإصابات، لكن كيف يمكن لها أن تجزم بذلك أساسًا؟ فهل ما تراه أمامها مركب أم كائن حي؟ وإذا كان كائنًا حيًا فهل يستطيع أن يتنفس تحت سطح الماء؟ وإن لم يكن يستطيع فهل غرق، أم قتلته **الصاعقة**؟ هزت چانيت رأسها؛ إذ وجدت نفسها أمام هذه الحالة عاجزةً عن فهم أي شيء منها.

همست چينا تسألها: «هل... هل ماتت؟».

ردت چانيت، وقد شعرت بحرج لجثو الأميرة على ركبتيها هكذا بجوارها وهي مغطاة بالوحل، والدموع تنهمر على وجنتيها: «لا أعلم، لا أعلم يا سيدتي. لكننا سنخرجها على الفور من المياه ما إن يمرر الفتيان الشبكة من أسفلها. وسنرى حينها ما الذي نحتاج أن نفعله، وسنفعله. ونحن نستطيع أن نصلح جسمها ونجعله كأنه جديد تمامًا».

فسألتها چينا: «لكن، أتستطيعين أن تجعليها تفتح عينيها؟».

ردت چانيت، والتي لا تعد أبدًا بشيء هي غير متأكدة منه: «أخ! هذا أمر لا أستطيع أن أجزم به».

لكن فجأة، أدركت چينا أمرًا لا شك فيه، وهي لا تعلم كيف أدركته - فكل ما تعرفه أن التنين تحتضر والعمة زيلدا هي الوحيدة التي تستطيع إنقاذها.

وقفت چينا وقالت: «هناك شيء لا بد أن أقوم به، هل يمكنك أن تبقي هنا حتى أعود؟».

فأومأت لها چانيت برأسها، بينما انطلقت چينا على الفور عبر ساحة المراكب غارقة في دموعها. انطلقت كالصاروخ في النفق شديد الرطوبة، وخرجت من الجهة الأخرى إلى شوارع القلعة التي تضيئها الشمس، ثم اندفعت إلى أقرب سلم، والذي أخذها إلى إفريز الحافة الداخلية لسور القلعة، وتوجهت إلى برج مراقبة البوابة الشرقية؛ فهذه هي آخر فرصة لها. هكذا قالت في سرها وهي تسرع بخطاها على الإفريز العريض، متجاهلة أن إحدى حافتيه مفتوحة على منحدر شديد الانحدار. كانت أحجار الإفريز الجافة متهالكة وناعمة وكادت چينا تسقط مرة أو مرتين في عجلتها هذه. فقالت في سرها: تمهلي قليلًا، فلن تنفعي المركب التنينية في شيء لو سقطتِ.

كان سور القلعة ينحني ويلتف مع امتداد البيوت العشوائية المحتشدة حوله، وظلت چينا تسير دون أن ترفع بصرها عن «برج المراقبة» الذي يظهر أمامها فوق السور على مسافة قريبة، ويطل على الغابة. استمرت في سيرها بخطى ثابتة إلى أن وجدت نفسها تقف لدى أعتاب البرج، تلفحها حرارة ويجتاحها الاضطراب وتعاني اللُّهاث.

استغرقت جينا لحظات كي تستعيد أنفاسها، وأخذت تستنشق روائح حمضية تنبعث من بعض صناديق القمامة التي تنسكب منها مخلفاتها من فرط امتلائها، وتصطف بجانب الباب الخشبي الصغير الذي يؤدي إلى البرج.

كانت هناك لافتة باهتة معلقة على الباب كُتب عليها التالي:

مكتب خدمة العملاء لتوفير خدمة «الجرذان الرسل»

متوافر لدينا تأجير جرذان كاتمة أسرار لمسافات بعيدة

المكتب مفتوح 24 ساعة

وأسفل اللافتة هناك لافتة جديدة مكتوب عليها:

مغلق

لكن جينا لن يحبطها هذا الأمر - فدفعت الباب الخشبي بقوة وكادت تسقط مع دخولها غرفة صغيرة مظلمة.

استقبلها فيها صوت متذمر يقول من حيث لا تدري: «ألا تستطيعين القراءة؟ المكتب مغلق».

فردت جينا بحزم: «اللافتة تقول *إنه يعمل 24 ساعة*».

عقَّب الصوت قائلًا: «واللافتة الأخرى تقول مغلق. والمكتب مغلق الآن. يمكنك أن تعودي غدًا، والآن، لو سمحت، أنا على وشك إغلاق المكتب».

قالت جينا: «لا يهمني ذلك، أنا أريد جرذًا رسولًا وأريده في *الحال*، إنها مسألة حياة أو موت».

قال الجرذ وهو ينسحب ويأخذ حقيبته متجهًا إلى الباب: «إنهم جميعًا يقولون ذلك»، فتقدمت جينا أمام الجرذ، والذي بدا لها مخلوقًا بدينًا بني اللون. رفع الجرذ رأسه ورأى بوضوح لأول مرة محدثته، فازدرد ريقه وقال: «ياه! أنا... أنا لم أدرك أنه أنتِ يا سمو الأميرة، أنا آسف جدًا».

«لا عليك. المهم أرسل لي جرذًا، ممكن؟» ومع وقوف جينا وهي تسد الباب، عاد الجرذ إلى مكتبه وفتح حقيبته، وأخذ ينظر في قائمة من الأسماء ويهز رأسه.

ثم قال بأسف: «أنا أسف يا سمو الأميرة، كنت أود أن أخدمك، لكن كل الجرذان الرسل غير متاحة الآن، وهذا سبب إغلاقنا. ولن أستطيع أن أوفر لك جرذًا قبل صباح غد...».

فقاطعته جينا قائلة: «لا أستطيع الانتظار، سيكون الأوان قد فات بحلول صباح الغد».

بدا القلق على الجرذ كبير السن، وقال: «أنا آسف يا سمو الأميرة، فنحن نعاني متاعب كثيرة في الآونة الأخيرة بعد الوباء الذي تفشى بشكل واسع والذي قضى على بعض أفضل شباب الجرذان الذين كانوا

يعملون في المكتب، والآن نصف الطاقم في إجازة. وفوق كل هذا وذاك، هناك العديد من الجرذان التي أرسلت في مهام لمسافات بعيدة. حتى إنه بات من الصعب عليّ أن أحصي...».

فقاطعته ثانيةً وقالت: «أريد إذن جرذًا من «جهاز المخابرات»، هل ستانلي متاح؟».

بدا الذهول التام على الجرذ وقال: «..جهاز المخابرات؟ أنا آسف، ليس لدينا مثل هذه الخدمة».

ردت جينا بحدة، وقد بدأت تشعر بالضجر: «كفاك حمقًا، بالطبع هناك جهاز مخابرات الجرذان، وأنا أعرف ذلك».

لكن الجرذ كان عنيدًا، وقال: «أنا بالفعل لا أعرف عم تتحدثين. والآن، لا بد أن أرحل يا سمو الأميرة. يمكنني أن أرسل إلى القصر غدًا جرذًا رسولًا إذا كان ذلك سيساعد في شيء».

كان صبر جينا قد نفد، وقالت بحدة: «اسمع، أنا أريد جرذًا من جهاز المخابرات، وفي الحال. إنه أمر، وإن لم أحصل على أحدهم الآن فسوف ألغي جهاز مخابرات الجرذان، ناهيك عن خدمة الجرذان الرسل، هل فهمت؟».

ازدرد الجرذ ريقه، وأخذ يتصفح أوراقه، ثم قال: «سوف... سوف أجري فقط مكالمة سريعة»، ثم، ولدهشة جينا، انحنى من نافذة صغيرة وصاح مناديًا: ستانلي! ستانلي! أريد أن أرى ذيلك أمامي هنا *فورًا!*».

بعد لحظات، ظهر ستانلي من النافذة وقال: «لا داعي أن تنفش فروك يا هامفري، ما هذا الأمر المهم الآن؟»، ثم لمح جينا في الغرفة فقال: «أخ!».

قال الجرذ بنبرة معتذرة بعض الشيء: «أنت مطلوب على وجه الخصوص».

رد ستانلي قائلًا بلا حماس: «نعم».

إلا أن جينا لم يكن لديها وقت، فقالت: «ستانلي، أريدك أن ترسل رسالة عاجلة إلى العمة زيلدا، فهي لا بد أن تحضر في أسرع وقت ممكن، إنها الأمل الوحيد كي...».

وبحركة مألوفة، رفع ستانلي قدمه بحزم قائلًا مقاطعًا إياها: «لا».

هتفت جينا: «ماذا؟» حتى هامفري نفسه بدا عليه الاندهاش.

قال ستانلي، وهو يقفز من النافذة إلى المكتب: «أنا آسف، فأنا منشغل الليلة».

قال هامفري: «لا، هذا غير صحيح».

عقب ستانلي قائلًا: «بل منشغل، فداوني طلبت مني الحضور على العشاء الليلة، وأفهمتني أنها وأختها قد تشاجرتا معًا. ولقد تعلمت الدرس الآن، ففي السابق كنت أقدم عملي على داوني، وأنا لن أكرر نفس الخطأ الآن».

قالت جينا معترضة: «لكن...».

«أعلم ما سوف تقولينه يا سمو الأميرة، لكن أنا آسف جدًا – فالليلة، داوني تأتي في المقام الأول، حتى لو كنت سأخسر في المقابل وظيفتي.

والآن، اسمحي لي بالانصراف، أريد أن أجمع بعض الورود من قمامة الورود قبل أن يتم تفريغها»، ثم انحنى يحييها، ومر أمامها رافعًا رأسه عاليًا. أمسكت له چينا الباب مفتوحًا، وراقبته وهو يقفز من عند إفريز النافذة، ليختفي بعد ذلك فوق أحد الأسطح.

قال هامفري: «في الحقيقة، أنا في غاية الأسف لما حدث».

فردت چينا: «وأنا أيضًا، لقد كانت فرصتي الأخيرة. على أية حال، لا أظن أن العمة زيلدا كانت ستستطيع أن تأتي في الوقت المناسب. فما عاد هناك وقت. تصبح على خير».

رد هامفري، مع خروج چينا وهي تغلق الباب بهدوء، وتنطلق عائدة إلى ساحة المراكب: «تصبحين على خير يا مولاتي».

46

غرفة الحجز



فتح سايمون هيب عينيه *داخل* غرفة *الحجز* وتأوه. ولوهلة، ظن أنه في الزنزانة رقم واحد، ثم لاحظ بصيص ضوء يدخل الغرفة عبر نافذة متناهية الصغر تعلوها قضبان، فهدأت أعصابه. فالزنزانة رقم واحد مسدودة تمامًا وغارقة في الظلام، وعلى الرغم من رائحة سايمون الكريهة التي تنبعث أينما حلَّ، فإنها – بأي حال من الأحوال – لا تقارن برائحة الزنزانة. فقد تعرَّف سايمون في وقت

سابق الزنزانة رقم واحد بواسطة «الأمين الأعلى»، ولا يستطيع أن ينساها أبدًا.

اعتدل سايمون بمنتهى البطء وجلس. كان رأسه يؤلمه، وأصيبت معدته بكدمات بالغة، لكنه حتى الآن لا يشعر بأنه تعرض لأية كسور في عظامه، ثم أربكته الثقوب الكبيرة المنتشرة على ردائه، وفي لمح البصر تذكر كل شيء؛ تذكر التنين، وذلك الطفل الغبي، **والوصفة السحرية للطيران** – لقد فقدها. أخذ سايمون يتأوه من جديد؛ إنه شخص فاشل.. فاشل تمامًا.. فليس فقط أن مارشا لم تعرض عليه قطُّ أن يكون تلميذها، بل لقد اكتشف أيضًا أن دومدانيال كان يخدعه ولم يفكر يومًا في أن يجعله تلميذه بعد كل ما فعله من أجله. إنه هو من جمع تلك العظام البشعة، وقام بزيارات لا تعد ولا تحصى إلى «دار المخطوطات» حاملًا معه هذه العظام، واضطر إلى أن يتعامل مع ذلك المتعجرف الذي دائمًا يتعالى عليه وينظر إليه شزرًا. والأسوأ من ذلك كله، تلك الرحلات التي كان يقوم بها على امتداد الأنفاق الجليدية ليرسل العظام لتلك المرأة البشعة أونا براكيت، وحرصه على ألا يجعل ويزل العجوز يراه أبدًا، حتى إنه كان يضطر في بعض الأحيان إلى أن يساعدها في وضع تلك العظام الحقيرة في **الملجم**؛ كي لا تتأخر عن موعد حفلات الرقص الشعبي.. يا له من أبله! ثم يأتي أخوه الدجال على رأس كل هذا ليظهر على ظهر تنين. إن الفتى لم يبلغ إلا الحادية عشرة من عمره – وها هو ذا الآن أصبح تلميذ الساحرة العظمى، وليس هذا فحسب بل أصبح لديه أيضًا تنين مدمر ملكه هو شخصيًّا.. كيف فعل كل ذلك؟

جلس سايمون على أرضية غرفة الحجز، وأخذ يرثي لحاله، فلا أحد يريده، وكل أمر يقوم به يفشل فيه، والحياة عفنة، ليس فيها عدل أو إنصاف.

بعد قليل، تسلل إلى سايمون إحساس مألوف بالغضب، فوقف وأخذ ينظر حوله في سجنه.. إنه سيعرّفهم تمامًا أن لا أحد يستطيع ترويض سايمون هيب – وهو سيخرج من هنا في لمح البصر، ثم دفع الباب بحنق، ولكن بلا جدوى، كل ما هنالك أنه سمع همسًا يثير الرعب.

«إنه يحاول الخروج..».

«ماذا نفعل الآن؟».

«هل هو خطير جدًّا؟».

«لا تكن مثل الأطفال يا برين».

«كفاك سخرية مني، الساحرة العظمى سرعان ما سوف تحضر».

ابتسم سايمون ابتسامة عريضة.. فلتأتِ الساحرة العظمى إذن، لكنه لن يكون في انتظارها. فقد أدرك سايمون هيب توًّا أين هو الآن.

فمنذ عدة سنوات، قامت جانيت بأعمال توسعية في ساحة المراكب، أخذت فيها رصيف الجمارك القديم، وهو رصيف مهجور. وغرفة الحجز هذه المبنية من الطوب، والتي كانت تستخدم لاستضافة البحارة المخمورين والأشخاص المريبين الذين ينزلون إلى بر القلعة، هي الجزء الوحيد المتبقي من بيت «الأمناء القديم»، واحتفظت به جانيت كمخزن لأدواتها الثمينة. ولا تزال الغرفة محتفظة ببابها الحديدي الثقيل وبمزاليجه الثلاثة الضخمة من الخارج وبمفتاحه النحاسي الضخم في

قُفله، وسايمون يراهن أن الباب المسحور المؤدي إلى الأنفاق الجليدية لا يزال موجودًا.

جثا سايمون على ركبتيه، وبدأ مهمته، وأخذ يزيل قاذورات متراكمة على الأرض منذ مئات السنين. ولحسن حظه، كانت چانيت قد زودته في لفتة لطيفة منها بجاروف لا بأس به، ولم يستغرق سايمون وقتًا طويلًا حتى بدأ الجاروف يضرب جسمًا معدنيًا أسفل سطح الأرض.

وبسهولة، انفتح الباب المسحور **المغلق بإحكام** بين يدي سايمون الخبيرتين، وهبت في وجهه دفعة من الرياح الباردة، وتسلل سايمون من الباب المسحور إلى البرد القارس المألوف في الأنفاق الجليدية.

كانت مجموعة السحرة الثلاثة عشر - بعد أن أخرجت چانيت بسرعة العشرة الآخرين من عند رصيف الصيد - تقوم بمهمتها على أكمل وجه، وتحيط بغرفة الحجز عندما وصلت مارشا إلى ساحة المراكب وهي تسير بخطوات جادة، ومعها سارة وسايلاس هيب.

فسارة وسايلاس كانا مصرين على رؤية ابنهما الأكبر. فقد قررا، بسبب عجزهما عن أن يصدقا كلام مارشا، أن يواجها سايمون، وقالت سارة: «على الأقل سوف يضطر إلى أن يجلس ويسمعنا هذه المرة، ولن يتمكن من الهرب كما يفعل عادة».

توجهت چانيت بهذا الجمع إلى غرفة الحجز، وقد بدا حجمها الضئيل أصغر بجوار مارشا بعباءتها الأرجوانية التي ترفرف حولها في نسيم الليل الصيفي.

ثم قالت چانيت بعد أن توقفت أمام حلقة السحرة: «ها نحن أولاء قد وصلنا يا سيدة مارشا، إنه هنا. لقد جئنا به منذ عدة ساعات، ومن المفترض أن يكون قد استعاد وعيه الآن. فقد تعرض لارتطام قوي في رأسه أثناء مهاجمته التنين».

قالت سارة بقلق: «ليته يكف عن هذه الحماقات».

ردت مارشا بحدة: «كلنا يتمنى ذلك يا سارة بكل تأكيد، لكن تلك التصرفات الحمقاء، تطورت إلى ما هو أبعد من ذلك. وأنا أسمِّي ما يفعله الآن مرحلة التفكير في خطط شريرة».

قالت سارة مولولة: «يا للهول يا سايلاس! ماذا سنفعل الآن؟».

رد سايلاس مخففًا عنها: «سوف نتحدث معه يا سارة ونرى ماذا سيقول. كفاكِ قلقًا، ليس في وسعنا شيء، فسايمون أصبح رجلًا الآن».

تراجع الساحران الواقفان أمام الباب للخلف باحترام ليفسحا الطريق للساحرة العظمى، ثم رفعت چانيت المزاليج، وأدارت المفتاح النحاسي الثقيل في قُفله، ثم جذبت الباب الثقيل وفتحته.

وعلى الفور، اندفعت سارة إلى غرفة الحجز قبل أن يتمكن أحد من إيقافها وهي تهتف: «سايمون، سايمون!».

سألت مارشا چانيت التي كانت تقف حائرة أمام باب مسحور معدني لامع وسط القاذورات التي تغطي أرضية غرفة الحجز: «هل كنت تعلمين شيئًا عن هذا؟».

ردت جانيت باقتضاب: «كلا»؛ فجانيت لم تعجبها طريقة مارشا في التحدث إليها، كما لم يعجبها حتمًا أن يكون في ساحة مراكبها شيء لا تعرف عنه شيئًا.

قالت سارة، وهي تتشبث بذراع سايلاس وتستند إليه، وقد حطمها أن تجد سايمون يهرب مرة أخرى: «ما... ما هذا؟».

ردت مارشا على الفور: «لا شيء. لا تشغلا بالكما بذلك.. أريد أن **يحكم إغلاق** هذا الباب المسحور.. فورًا.. أين ألثر؟».

تقدم ألثر ميلا حائمًا نحو مارشا.

«هل هناك يا ألثر أيٌّ من الأشباح «القديمة» لا يزال سائرًا في الأنفاق؟ فأنا أريد كل الأبواب المسحورة بلا استثناء أن تخضع للحراسة، إلى أن يتم فحص **الإغلاق المحكم** لكل الأبواب».

رد ألثر: «الشبح القديم الوحيد المناسب الذي لم يصبه عته كامل موجود لدى الباب المسحور الخاص بـ«برج السحرة» يا مارشا، وأنا عن نفسي لم أنزل إلى هذه الأنفاق من قبل، فلا أحد كان يفعل ذلك في أيامي».

«ولا أحد ينبغي عليه أن يفعل هذا اليوم أيضًا يا ألثر، فيما عدا موظف التفتيش. إن هيو فوكس هذا أمامه العديد من الاتهامات، وعليه أن يقدم دفوعه لها»، ثم فكرت مارشا للحظة وقالت: «هل من الممكن يا ألثر لو سمحت أن تأخذ أحد السحرة إلى «دار المخطوطات» لجلب بعض **الشمع الخاص بتشميع الأبواب**؛ حتى **نشمع** به على الأقل هذا الباب المسحور...».

قاطعت جانيت مارشا قائلةً: «معذرة، لكن هناك مركب شحن قد وصل، وأنا أنتظر شحنة». وبهذه الكلمات، انطلقت جانيت إلى العوامة لتستقبل مركبًا طويلًا رفيعًا محملًا بأكوام وأكوام من الصناديق والسلال.

أما جينا التي لم تود أن تكون في أي مكان قريب من سايمون – فقد عادت إلى المركب التنينية، وأخذت تربت على رأسها برفق وهي تشجعها بكلمات تهمس بها في أذنها، وتبحث باستماتة عن أي علامة تدل على أنها لا تزال على قيد الحياة، بينما كان نكو وروبرت يصارعان لوضع شبكة الحبال أسفل جسم المركب المصاب. ومع اقتراب مركب الشحن من العوامة، رأت جينا جانيت وهي تلتقط حبل المركب وتوثقه بمربط الحبال، وإذا بها ترى شيئًا، أو بالأحرى *شخصًا*، أثار ذعرها – إنه الغريب الغامض ذو الشعر الأسود الذي كان موجودًا في الميناء.

كان الرجل طويل القامة يقف متوازيًا على متن المركب، وهو يراقب وينتظر أن يقفز إلى البر. كان شعره الأسود الطويل مربوطًا بعصابة رأس فضية، وبدا رداؤه الحريري الأحمر متقبضًا ومبقعًا. تجمدت جينا من شدة الخوف. وعلى الفور، جثت خلف رأس المركب التنينية، وسمعت صوته الخفيض بلكنته الغريبة الخفيفة وهو يسأل جانيت: «معذرة يا سيدتي، لقد قيل لي إنني سأعثر على الأميرة في هذه الأنحاء، فهل هذا صحيح؟».

فسألته جانيت بريبة: «لكن، من أنت؟».

حاول الغريب أن يتهرب من الإجابة، وقال: «مجرد شخص يبحث عن الأميرة». وفجأة، لمحت عيناه حركة لدى غرفة الحجز، وقال: «هل هذا الشخص الموجود هناك هو الساحر الأعظم يا سيدتي؟».

قالت چانيت، وهي تتظاهر بالانشغال بعقد إحدى العقد: «ربما كان ذلك».

«معذرة، فأنا أريد أن أقابله».

قالت چانيت تصحح للغريب وإن كان لم يسمعها مع انطلاقه بخطوات واسعة: «بل تقابلها».

قال الغريب بصوت عالٍ وهو يقترب من المجموعة المتجمعة لدى غرفة الحجز: «معذرة.. ترى، هل يمكنني أن أتحدث مع الساحر الأعظم؟».

التفتت مارشا للوراء وبدا على الغريب الارتباك، ثم توقف للحظة وأخذ يفتش في جيوب ردائه، وقال: «ألثر؟ أهذا أنت يا ألثر؟».

فغرت مارشا فاها من الدهشة وشحب وجهها.

ثم قال الغريب وقد بدا عليه نشوة الانتصار وهو يُخرج نظارة ذهبية صغيرة من جيبه ويرتديها بحرص: «أخيرًا.. وجدتها»، وما لبث أن تبدل التعبير الذي كان يعلو وجهه إلى الذهول.

وقال: «مارشا أوفرستراند.. الساحرة العظمى! عظيم.. رائع».

وبصوت خافت قالت مارشا مندهشة: «ميلو؟ ميلو باندا؟ أنت ميلو باندا، أليس كذلك؟».

بدا على الغريب التأثر، وأومأ برأسه دون أن ينطق بكلمة، وما أفزع چينا أن مارشا أحاطته بعناق حارٍّ وسألته: «أين كنت طوال ذلك الوقت؟ لقد تصورنا أنك مت».

وما إن تركت مارشا الغريب حتى سمعوا صياحًا مدويًا قادمًا من عند «الممر» - فتكو سقط منه على التوّ أحد حبال الشبكة في المياه.

ورأت حينها مارشا لأول مرة الحالة المزرية التي باتت عليها المركب التنينية، فصاحت تقول: «چانيت، چانيت.. ما الذي حدث؟!».

إلا أن چانيت لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بأن ترد، فقد كانت مُصرةً على أن تنتهي من رفع المركب التنينية قبل حلول المساء، ولم يكن ينقصها مزيد من السحرة يعبثون حولها في ساحة مراكبها وووو، ثم قالت بنبرة مرهقة: «اذهب يا تكو وأحضر شبكة حبال أخرى لو سمحت، وسوف نحاول مرة أخرى».

أما چينا فأخذت تراقب بمزيد من الاندهاش ترحيب مارشا بالغريب. ومع تقدم مارشا الآن عبر ساحة المراكب متوجهة إلى المركب التنينية، وفي صحبتها الغريب، قفزت چينا بسرعة، وقبل أن يتمكن أي شخص من أن يوقفها، كانت قد وصلت إلى النفق الذي يقود إلى خارج ساحة المراكب.

47
غرفة الملكة



اندفعت چينا في طريقها بسرعة عبر الشوارع الضيقة والممرات متوجهة إلى القصر. كانت تقبض في يدها على المفتاح الذهبي الذي أعطته لها العمة زيلدا؛ مفتاح غرفة الملكة. لكن للأسف، لا تعرف أين يمكن أن تجد هذه الغرفة، وللأسف أيضًا ليس هناك غالبًا ما يمكن أن يُنقذ المركب التنينية، لكن هذه هي فرصتها الوحيدة، فمن الجلي أن مارشا متحالفة مع الغريب، ولا يمكن الوثوق بها.

ولقد أدركت چينا الآن كيف كان شعور سِبتيموس عندما لم تصدقه مارشا حين أخبرها باختطاف سايمون لها. وما إن انعطفت مندفعة عند أحد الأركان حتى اصطدمت مباشرة بلافظ اللهب «أخ!».

قال سِبتيموس مندهشًا لرؤيتها: «چين! ماذا تفعلين هنا؟ كنت أظن أنك ستكونين الآن بجانب المركب التنينية. كنت قادمًا لرؤيتك، لكن لافظ اللهب يرفض أن يبقى في الفناء. ولقد التهم كل «بيت التنين» الذي أعده له السحرة الثانويون و...»، ثم توقف وقد لاحظ تعبيراتها المنهارة وقال: «ما بك يا چينا؟».

«المركب التنينية.. إنها تحتضر يا سِب. وفضلًا عن ذلك، هناك ذلك الغريب الذي رأيناه في الميناء.. إنه هنا. لقد جاء ليخطفني!».

«ماذا تقولين؟».

«والأسوأ من ذلك أن مارشا تعرفه! لقد كانت بالفعل في غاية السعادة عندما قابلته. لقد عانقته».

بدا الذهول على سِبتيموس، فمارشا لم تعانق أحدًا من قبل.

«سِب، تعالَ معي، سأذهب إلى القصر، وسوف أبحث عن غرفة الملكة. فهناك احتمال وإن كان بسيطًا جدًّا أن نعثر على شيء فيها ينقذ المركب التنينية. قد نعثر مثلًا على... على جرعة أو ما شابه ذلك.. أي شيء».

«حسنًا، الأمر يستحق المحاولة. هيا يا لافظ اللهب، من هنا.. لا.. من هنا.. لكن انتظري هنا يا چين، أنت لا تعلمين مكان غرفة الملكة».

«أعلم ذلك، لكن العمة زيلدا قالت إنني سأعثر عليها في الوقت المناسب. فلعل الوقت المناسب يكون الآن».

وبعد أن قطعت چينا وسِبتيموس شوطًا كبيرًا من الطريق ووصلا إلى منتصف طريق السحرة، إذا بسِبتيموس يتخلف عنها، ويقف مع لافظ اللهب في موقف محرج للغاية. توقفت چينا؛ لترى ما الذي يؤخر سِبتيموس، فوجدته يحدق إلى كومة من روث التنين وسط الطريق، وهو يتساءل في سره كيف سيتصرف. فقرر أن أفضل حل هو أن يتجاهل الموقف ويواصل طريقه.

وإذا بصياح خلفه يقول: «أنت أيها الفتى الذي تسير مع هذا التنين!» التفت سِبتيموس ورأى رجلًا نحيفًا تبدو عليه ملامح جادة ويرتدي رداء مخططًا، يلاحقه ومعه كيس وجاروف. وصل الرجل إلى سِبتيموس وقدم له الكيس والجاروف وهو يقول له: «أنا من جمعية المحافظة على طريق السحرة.. ضابط من قوات حماية الشارع من القاذورات»، ثم أخذ نفسًا، وواصل: «إن تلويث الطريق عمل مسيء. لو سمحت نظف ما فعله حيواناتك وخذ ما تجمعه معك».

نظر سِبتيموس مترددًا إلى الكيس الكبير الذي دفعه الرجل في يده، وقال: «حسنًا، وإن كنت لا أظن أن الكيس سيكفي».

وهكذا، انشغل سِبتيموس بالجاروف، بينما وقفت چينا بنفاد صبر وهي تمسك الكيس مفتوحًا له.

* * *

أوشكت الشمس على المغيب، وكان بيلي بوت يجر آلته الخاصة بحش النجيل بعد أن انتهى من يوم عملٍ زاد الإنهاك فيه على المعتاد –

فسحالي النجيل بدأت ترهقه مرة أخرى. لكن ما إن رأى چينا وسِبتيموس ولافظ اللهب حتى أشرق وجهه، فقد حدث ذات مرة أن اشتم رائحة روث التنين عندما كان يحضر «دورات الاحتفاظ بالسحالي»، ولم ينسها قط – بل إن معظم الناس إذا ما اشتموها لا ينسونها أبدًا.

قال بيلي بوت وهو يجري نحو سِبتيموس: «معذرة سيدي الشاب، وأنا آسف على جرأتي، لكنني كنت أتساءل عما إذا كان لديك مانع أن تقاسمني محتوى هذا الكيس. وسوف أكون ممتنًا لك إلى أقصى حد. فليس هناك ما هو أجدى من روث التنين الموجه بشكل استراتيجي لإعادة النظام في صفوف السحالي. وأنا بالفعل في أمس الحاجة إليه الآن، فمنذ أن داس ذاك الحصان على آلة حش النجيل، أصبح من الصعب جدًّا السيطرة عليها و...».

قاطعه سِبتيموس: «لا مانع، خذه بكل سرور».

«الحكاية يا سيدي أنني أحلم بالحصول على بعض روث التنين، فعلًا أحلم بالحصول عليه. لكن أين يمكن للمرء أن يجد اليوم تنينًا؟ إنه كابوس بالنسبة لـ«مربي سحليات» مثلي، فعلًا كابوس»، وهز بيلي بوت رأسه بأسى، ثم قال: «لكن بالطبع سوف أتفهم الأمر تمامًا لو لم تكن لديك رغبة في أن تتقاسمه».

فقال سِبتيموس: «لا مانع أبدًا.. *تفضل، تفضل*»، ودس سِبتيموس الكيس المنتفخ في يد بيلي بوت الذي أشرق وجهه بابتسامة لأول مرة هذا اليوم.

ومع وصول چينا وسِبتيموس ولافظ اللهب إلى باب القصر، تسلل صوت جودريك الرقيع وسط جو المساء، وهو يقول: «مساء الخير أيتها الأميرة. سررتُ برؤيتك. مساء الخير أيها التلميذ، وما أخبار **التحول**؟ وكيف حال **الإحالة الثلاثية** معك؟».

ورد سِبتيموس وهو يجر لافظ اللهب خلفه: «أوشكت على ذلك».

قال جودريك: «حسنًا أيها الفتى»، وعلى الفور كان قد عاد ليغطّ في النوم.

*

في البرج الصغير عند الركن الشرقي من القصر، جلس لافظ اللهب يئن ويخدش باضطراب في الدرجة السفلى لسلم حلزوني، بعد أن ربطه سِبتيموس في حلقة بالجدار مناسبة له، وأمره أن يمكث هنا.

قالت چينا وهي تركز بقوة في مفتاح غرفة الملكة، وتتقدم طريق صعود السلم: «أنا متأكدة أن غرفة الملكة هنا في الأعلى». وبوصولها إلى المتبسط الصغير للسلم عند أعلى البرج الصغير، صاحت صيحة الانتصار وقالت: «وجدتها! سِب، انظر! لقد وجدتها!».

نظر سِبتيموس إليها في حيرة وقال: «أين؟».

فنظرت چينا إلى سِبتيموس نظرة ساخرة وقالت: «أتمزح يا سِب؟ ألم يتبادر إلى ذهنك أن باب الغرفة هو هذا الباب الذهبي بكل هذه الأشكال المزخرفة التي تزينه، وبثقب المفتاح الكبير هذا الذي يتوسطه، وبحجر الزمرد هذا الذي يرصع المكان فوق الثقب.. تمامًا مثل المفتاح؟».

فسألها سِبتيموس: «أي باب ذهبي تتحدثين عنه؟».

وفهمت چينا على الفور ما الذي يحدث، وسرت في جسدها رجفة الحماس والإثارة، ثم همست تقول: «أنت لا تستطيع أن تراه، أليس كذلك؟».

رد سِبتيموس برهبة: «بالفعل، لا أرى شيئًا، كل ما في وسعي أن أراه هو حائط أصم ببياض متساقط».

قالت چينا مترددة: «إذن، إن الباب هنا يا سِب، وأنا أراه، أنا فعلًا أراه. وسوف أضع المفتاح في الثقب الآن. هل لك أن تنتظر؟».

«بالطبع سأنتظر».

«ما أغرب ذلك! سأجرب المفتاح الآن، ما رأيك؟».

«نعم نعم، هيا جربي يا چين.. انتظري.. هل قلت إن ثقب الباب يتوسطه؟».

«إذن، لا بد أن تقفزي للخلف بعيدًا عن الطريق، لأنك بمجرد أن تديري المفتاح في الباب سينفتح كأنه جسر متحرك، وإلا فسيسحقكِ تمامًا».

«فعلًا؟ لكن كيف عرفت ذلك؟».

رد سِبتيموس بمرح: «لا تشغلي بالك يا چين، فأنا أعرف مثل هذه الأمور فحسب».

قالت چينا بود: «أيها الأحمق».

تراجع سِبتيموس للخلف، وبدا على وجهه أغرب تعبير وهو يراقب چينا تدفع بالمفتاح في الثقب إلى أن اختفت نهاية المفتاح، ثم قفزت

چينا فجأة إلى الخلف وابتسمت له، فابتسم لها، ثم راقبها وهي تسير للأمام وتختفي خلال الحائط الأصم.

انغلق الباب الذهبي في صمت خلف چينا، لتجد نفسها في غرفة صغيرة، ومريحة للنفس بشكل غريب. كانت هناك نار تشتعل في المدفأة التي يوجد بجانبها مقعد مريح. وكانت هناك امرأة شابة تجلس على المقعد وتحدق إلى النار، ترتدي رداء حريريًا أحمر ثقيلًا، وحول كتفيها عباءة ذهبية، يحيط بشعرها الأسود الطويل طوق ذهبي مثل الطوق الذي ترتديه چينا. ومع قدوم چينا المفاجئ، وقفت السيدة الشابة، وبرقت عيناها البنفسجيتان بحماس، ثم تقدمت خطوة سريعة للأمام، وفي لهفتها للوصول إلى چينا، اخترقت المقعد كأنه غير موجود.

لكن چينا لم تر شيئًا من كل ذلك، وربما كان ذلك لحسن حظها؛ فشبح الملكة الذي يقف أمامها الآن، يحدق إلى الابنة التي رآها آخر مرة عندما كانت رضيعة لا تبلغ من العمر إلا يومًا واحدًا، لو كانت رأته چينا لما سهل عليها تجاهل بقعة الدم الكبيرة التي تفترش الجانب الأيسر من العباءة التي ترتديها والدتها - رغم أنها على الأرجح ما كانت لتلحظ حينها التمزق المسنن للثقب الذي أحدثته الرصاصة - والتي تخفيها طيات الرداء الأحمر الداكن.

تراجعت الملكة للخلف لتسمح لابنتها بأن تتجول في أنحاء الغرفة، وأخذت تراقب نظرات چينا الحائرة وهي تنظر إلى النار المشتعلة والمقعد الخالي، ورأت چينا وهي تعقد ذراعيها حول جسمها وترتجف

قليلًا وهي تتحرك في الغرفة، تنظر حولها وكأنها لمحت شيئًا بطرف عينها، وتبحث باستماتة عن شيء؛ *أي شيء يمكن أن ينقذ التنين*.

ولعلم الملكة أنها لا ينبغي أن **تظهر** أمام ابنتها، ظلت تراقب چينا، متمنية لها أن تجد ما يجب أن تعثر عليه بمفردها. لكن چينا كادت تفقد الأمل؛ فالغرفة لم تكن مكانًا **سحريًا** كما كانت تتوقع، فالغرفة لم تزد على كونها غرفة جلوس خالية من الأثاث فيما عدا المدفأة، وطاولة صغيرة، ومقعدًا و... وفجأة، علت وجه چينا ابتسامة.. فقد رأت دولابًا، لكنه لم يكن من الدواليب القديمة فحسب، فضلفته مكتوب عليها «*جرعات غير مستقرة وسموم خاصة*».

فتحت چينا الدولاب ودخلته.

كان الدولاب من الداخل مثل الغرفة خاليًا، فيما عدا حائطه الخلفي الذي تمتد عليه أربعة أرفف منحوتة بشكل دقيق، لكنها خالية تمامًا، ولم تر أي أثر لأي زجاجات تحتوي على جرعات، ولا أثر لأي أعشاب أو أدوية أو كتب تعاويذ أو كتب عن أسرار المركب التنينية التي تتوق چينا لأن تعثر عليها. وبيأس، أجرت چينا يديها على الأرفف، فربما فاتها شيء لم تره، لكنها لم تعثر على أي شيء، لا شيء سوى الغبار، ثم لاحظت صفًّا من الأدراج الصغيرة يخفيها التجليد بألواح خشب الماهوجني الداكنة أسفل الأرفف، فانتعش الأمل في نفسها. أمسكت چينا المقبض الذهبي الصغير للدرج الأعلى وجذبته بقوة، فانزلق الدرج بسهولة واشتمت رائحة معتقة لمزيج من الشيكولاتة القديمة بالنعناع والغبار، أجرت يدها داخل الدرج، لكنه كان خاويًا كما هو حال الأرفف، ثم

بدأت بهلع تفتح كل الأدراج واحدًا تلو الآخر.. لكنها لم تعثر بها على أي شيء.

ولدى وصول چينا إلى آخر درج، شعرت بيأس شديد؛ فهي تعلم أن هذه هي آخر فرصة لها؛ لأنه ما عاد في الغرفة مكان آخر تبحث فيه. وما إن بدأت تفتحه حتى شعرت بشيء داخله، كأنها تجذب رافعة أو ما شابه ذلك، ورافق ذلك صوت طقطقة خلفها، وفي تلك اللحظة انغلقت ضلفة الدولاب، ووجدت نفسها غارقة في الظلام.

دفعت چينا ضلفة الدولاب، لكنها أبت أن تتحرك. ازداد هلعها، وازدادت معه قوة دفعها، لكن الضلفة لم تتزحزح من مكانها.. وحدثها هاجس أن الضلفة مغلقة بالمفتاح. فماذا ستفعل الآن؟ لقد أصبحت حبيسةً هنا في الدولاب، ولا أحد سوى سِبتيموس يعرف أين هي، ومهما تكن رغبة سِبتيموس في مساعدتها، فهو لن يستطيع أن يفعل شيئًا، وستظل هكذا حبيسة إلى الأبد، في هذا الظلام الدامس.

وهنالك، أدركت چينا أن الدولاب ليس على هذا القدر من الظلام الذي كانت تظنه، فهي تستطيع أن ترى الآن شعاعًا رقيقًا من الضوء يتسرب من أسفل الضلفة. وبتردد، حاولت مرة أخرى. ولسعادتها، انفتحت ضلفة الدولاب أخيرًا.

وخرجت من الدولاب لتجد نفسها سائرة على الأرض الحجرية الناعمة لكوخ العمة زيلدا.

48

الملكة الشابة



جلس سِبتيموس على منبسط *السلم المترب* ينظر إلى بياض الجدران المتشقق، وهو يتساءل في سره متى ستظهر چينا من جديد. حاول أن يتخيل ما الذي تفعله الآن في غرفة الملكة، وما الذي يؤخرها هكذا، لكنه لم ينزعج من هذا الانتظار؛ فهناك شيء يتلهف إلى أن يتفحصه عن قرب منذ أن أخرجته چانيت من صندوق أدواتها وأعطته له، وهي تقول: «يبدو أنه شيء يمكنك أن تستخدمه يا سيد سِبتيموس»، دس سِبتيموس يده في جيبه وأخرج **الوصفة السحرية للطيران**.

بدت له **الوصفة** مألوفة بشكل غريب، كأنه يعرفها من قبل. كانت **الوصفة السحرية**، لدهشته، بسيطة، مع وضع القوة التي تملكها في الاعتبار، وكان الذهب المصفر القديم الذي صُنعت منه مخدوشًا، والأجنحة - بحالتها التي هي عليها الآن - بالية ومثنية. شعر سِبتيموس والسهم في يده قابع في سكون - بوخزة تسري في يده، وحدَّثه هاجس بأن يُخرج من حزامه **الوصفة السحرية** للأجنحة الفضية التي أعطتها له مارشا عندما طلبت منه أن يكون تلميذها. كان سِبتيموس يعشق هذه **الوصفة**؛ فهو يستطيع بها - مع التركيز الشديد - أن يحوم على ارتفاع عشرة أقدام فوق سطح الأرض، وإن كان لا يستطيع الطيران بها كما يطير سايمون. ولطالما كان يحلم بأن يطير، ولقد استيقظ في مرات عديدة من نومه وهو مقتنع تمامًا بأنه يستطيع الطيران، ليفاجئه الأمر الواقع فيصيبه الإحباط.

وهكذا، مد سِبتيموس يديه المفتوحتين وهو جالس على الأرض الحجرية الباردة ينتظر أي أثر لعودة چينا، وفي كل يد **وصفة سحرية**، ثم قال في سره إن كلتيهما جميلة بطريقتها - فهو يشعر في يده اليسرى بالقوة الروحية المنبعثة من السهم الذهبي القديم، وفي يده اليمنى يحسُّ برقة وخفة وزن الأجنحة الفضية. وهو في وسعه الآن - وهو ينظر إلى **الوصفتين السحريتين** - أن يشعر بالقوة **السحرية** المنبعثة منهما، وهي تسري في جسده وتُحدث اضطرابًا في الهواء المحيط به.

وإذا بشيء يتحرك، ويغير وضعه.

وفجأة، وجد الجناحين يجلسان معتدلين وسط راحة يده، وأخذا يرفرفان للأمام والخلف كأنهما فراشة صغيرة تدفئ جسمها في ضوء

الشمس. وفي حالة من الانبهار، أخذ يراقبهما وهما يحلقان وينتقلان من يده اليمنى إلى اليسرى؛ حيث هبطا برفق على **الوصفة السحرية للطيران**. وهنالك، انبعث وميض من الضوء **السحري**، واندمجت الفضة مع الذهب مع استقرار الجناحين واستعادتهما مكانتهما الشرعي باعتبارهما الجناحين الأصليين **للوصفة السحرية للطيران**.

أخذ سِبتيموس **الوصفة السحرية** المكتملة، وأمسكها بين سبابته وإبهامه. كانت ساخنة في ملمسها - تكاد تكون ساخنة جدًّا. وأحس بطنين يسري في أصابعه، ووجد نفسه فجأة لديه رغبة جامحة في الطيران. فهبَّ واقفًا على قدميه، وتوجه إلى النافذة الصغيرة في البرج الجانبي الصغير، والتي تطل على حدائق القصر، ورأى الظلال الممتدة المميزة لليل منتصف الصيف وسمع نعيب الغربان على الأشجار، فعاودته كل أحلامه التي كانت تراوده، وتخيل نفسه وهو يحلق في أنحاء البساتين، ويمر بخفة فوق النهر على منسوب منخفض.. وبصعوبة، أيقظ سِبتيموس نفسه من أحلام يقظته، وفي اللحظة التي كان منشغلًا فيها بإعادة **الوصفة السحرية** إلى حزامه - حتى يتجنب إغراءها - إذا بچينا تخرج من الحائط.

قفز سِبتيموس مفزوعًا، ثم ما لبث أن نطق بأول كلمة: «چين...» حتى سكت عن الكلام في ذهول وهو يرى العمة زيلدا والفتى الذئبي يتبعان چينا إلى منبسط السلم.

قالت العمة زيلدا، بينما كان سِبتيموس يحدق إليهم وقد فغر فاه: «سِبتيموس.. سررتُ برؤيتك سالمًا. لكن الوقت ضيق. هيا، تعالوا معي، لا بد أن تذهب إلى المركب التنينية»، ونزلت العمة زيلدا السلم الذي

أخذ يصلصل، ثم سمع سِبتيموس صيحة اندهاش عند اصطدام العمة زيلدا بلافظ اللهب.

«انزل يا لافظ اللهب.. نعم، أنا سعيدة برؤيتك أنت أيضًا.. والآن ابتعد عن طريقي إذا سمحت».

ولم يكن سِبتيموس في حاجة لأن يحل وثاق لافظ اللهب؛ فقد قام التنين بالمهمة بعد أن أكل الحبل، ثم تابعوا خطى العمة زيلدا وچينا وخرجوا من الباب الجانبي القابع أسفل البرج إلى بوابة القصر. كانت العمة زيلدا تسير بخطى سريعة، واندفعت بطول طرقات القلعة ومنزلقاتها الجانبية الضيقة التي بدا عليها أنها تعرفها تمامًا، الأمر الذي يثير الدهشة. وأصاب المارة الذهول من منظر الخيمة الضخمة المصنوعة من أقمشة مختلفة ملونة وهي تقترب منهم بسرعة فائقة، كانوا يتراجعون ويلتصقون بالحوائط مع مرور الخيمة من أمامهم، تتبعها الأميرة، وتلميذ الساحرة العظمى، وفتى وحشي بيدين مضمدتين، ناهيك عن التنين نفسه، كان المارة يفركون عيونهم، غير مصدقين ما يرونه.

وسرعان ما خرجت العمة زيلدا وحاشيتها من النفق الذي يمر أسفل أسوار القلعة ويفتح على ساحة المراكب، وسمعوا لدى وصولهم مباشرة صوت چانيت يتردد بين المراكب المقلوبة وهي تصيح قائلة: «ارفعوا.. ارفعوا.. ارفعوا..».

وهنالك، صرخت العمة زيلدا من هول المنظر؛ فجسم المركب التنينية الذي أصبح ملطخًا بالطين، وتتساقط منه المياه كانت مجموعة من عمال الساحة ترفعه من وسط المياه يبطء شديد، شديد جدًا، ومتناغم، وكان

الذيل الأخضر للمركب بشوكته الذهبية يتدلى لأسفل، بينما لا يزال رأسها متهاويًا على جانب الممر وكان نكو يجلس مربع الساقين يربت برفق على القشر الأخضر الباهت الذي يغطي أنف التنين الطويل.

أما روبرت جرينج فكان على متن المركب التنينية مغطى بالكامل بالوحل، تغمره المياه، بعد أن أنهى في الحال مهمة غطس في الخندق المائي وتمكن أخيرًا من تركيب شبكة الحبال الضخمة في مكانها أسفل رافدة القص(*). وكان روبرت، والقناع مرفوع لأعلى عن عينيه، يتنقل بسرعة بين الجانبين، يواصل فحص الحبال.

اندفعت العمة زيلدا تجري في ذعر عبر ساحة المراكب، وأخذت تنحرف يمينًا ويسارًا بين الحبال والمراسي، والصواري وحبال تثبيتها المستبعدة، ثم جلست مرتطمة بالأرض إلى جوار نكو.

قال نكو غير مصدقٍ عينيه: «العمة زيلدا؟».

فردت عليه لاهثة وهي تحاول أن تصل إلى رأس التنين الساكن: «نعم إنه أنا يا عزيزي»، ثم تركت يدها على رأس التنين لوهلة، وأخذت تهز رأسها غير مصدقةٍ، وقالت: «چينا، سِبتيموس.. بسرعة. تعاليا، اجلسا هنا إلى جواري. فثلاثتنا، الحارسة، والملكة الشابة، وسيد التنين.. لا بد أن نفعل ما سنفعله الآن».

فسألتها چينا: «ما هذا الذي سنفعله؟».

قالت العمة زيلدا وهي تعبث في جيوبها العديدة: «**الإحالة الثلاثية**».

(*) رافدة القص: عارضة رئيسية أو قطعة فولاذية تمتد على طول قعر المركب.

قالت چينا بحماس: «رائع.. سِب يستطيع أن يفعل ذلك».

قال سِبتيموس: «لا، لا أستطيع».

«بل تستطيع، أو بالأصح تكاد. لقد سمعتك تقول ذلك لجودريك».

«قلت له ذلك؛ لأنه عندما سألني أول مرة وقلت له إني لا أستطيع، أصيب بإحباط شديد وأخذ ينوح، ثم بدأ كل القدماء الآخرين بالقصر ينوحون معه. وكان الموقف بشعًا - ولا شيء كان يوقفهم. فلم يكن بد أن أذهب وأحضر مارشا، وقالت لي ألا أدقق مع هذا القديم المعتوه وأن أسايره. لكنني على أية حال قرأت عن الموضوع؛ تحسبًا لأن يلقي عليّ جودريك أية أسئلة؛ إنه يتعلق بالعناصر الأربعة، أليس كذلك يا عمة زيلدا؟».

ردت العمة زيلدا، وهي تخرج من أحد جيوبها كيسًا من الجلد، يبدو وكأنه من العصور القديمة: وقالت «تمام يا سِبتيموس، وهو أمر تتوارثه الحارسات جيلًا بعد جيل منذ زمن طويل لا يتذكره أحد، ونحن الحارسات نحتفظ به في صندوق مغلق بالمفتاح اسمه «الملجأ الأخير». وتتمنى كل حارسة ألا تضطر لأن تستخدمه، لكنها تعلم أنه سيأتي اليوم الذي لا بد أن يُستخدم فيه. هناك نبوءة مكتوبة على الصندوق تقول:

سوف يأتي اليوم الذي لا مفر منه،

عندما ستطير مع اثنين من ثلاثة

فحينها لا بد من الاستعداد لك

فحافظي على الثلاثة بالقرب منك.

«لا أحد كان يعلم فعلًا ما المقصود منها، لكن عندما عثر سِبتيموس على الخاتم التنيني، أدركت أننا لأول مرة منذ أيام حتب رع أصبحنا مرة أخرى ثلاثة: سيد التنين، والملكة، والحارسة، ثم عندما طرت أنت وچينا منطلقين بالمركب التنينية، علمت أن الجزء الأول من النبوءة تحقق، وأن الوقت قد حان؛ لذا تهيأت لحدوث شيء ما، ولكن عندما خرجت چينا من دولاب الجرعات، كما كانت تفعل والدتها العزيزة كلما حل عيد منتصف الصيف، كدت... كدت أبتلع سندويتش الكرنب الذي كنت أتناوله. والآن، دعونا نرَ ماذا لدينا هنا».

قلبت العمة زيلدا الكيس الجلدي، فسقط منه على سجادة چانيت الموحلة ثلاثة أوعية صغيرة من الذهب المطروق، بحواف زرقاء من المينا، ثم رجت العمة زيلدا الكيس، ولكن لم يسقط منه شيء آخر. فأخذت تبحث بيدها في الكيس، فوجدته فارغًا. بُهت وجه العمة زيلدا وقالت: «ليس هناك أية تعليمات. لا شيء. كل ذلك بسبب تلك المرأة الخرقاء بيتي كراكل. لقد كانت في غاية الإهمال.. فما هذا الذي يمكن أن نفعله الآن بهذه الأوعية الثلاثة الفارغة؟».

رد سِبتيموس بتروٍّ: «أعتقد أنني أعرف ما الذي يمكن أن نفعله بها».

نظرت العمة زيلدا إليه باحترام من نوع جديد، وسألته: «أحقًّا تعرف؟».

فأومأ لها سِبتيموس برأسه، وقال وهو يفكر بعمق: «أنت تضعين الأوعية أمام الكائن الذي تريدين أن **تستعيديه**..» كان سِبتيموس قد

سبق له أن قرأ كل ما عثر عليه عن **الإحالة الثلاثية**، لكن عندما سأل مارشا عن مكان الأوعية الثلاثة، قالت له إنها اختفت منذ مئات السنين.

قالت العمة زيلدا: «تولَّ أنت الأمر يا سِبتيموس. فأنت باعتبارك سيد التنين فالإنصاف يقول إنك من عليه القيام بذلك».

لم ترمش عينا التنين بعد أن جلس سِبتيموس وچينا والعمة زيلدا في نصف دائرة حول رأسها، ثم قام نكو بهدوء وابتعد، وأخذ معه الفتى الذئبي. فقد شعر **بسحر** قوي في الأجواء، وفضَّل أن يكون بعيدًا. بينما بدا على الفتى الخوف؛ فاتسعت عيناه وكشف عن أسنانه الصفراء وراح يراقب رفيقه السابق في جيش الشباب وهو يقوم بدور جديد وغريب – ينطوي على **سحر** قوي.

قال سِبتيموس بصوت خفيض: «العناصر الأربعة في هذه **التعويذة** هي التراب، والهواء، والنار، والماء. لكننا سنختار واحدًا منها لاستعادة التنين. أعتقد أن عنصر النار سيكون مناسبًا».

فأومأت له العمة زيلدا برأسها توافقه الرأي، ثم همست قائلة: «لقد نالت كفايتها من العناصر الأخرى».

سأل سِبتيموس: «وأنتِ يا چينا؟».

أومأت چينا له برأسها وهمست قائلة: «أوافق على النار».

قال سِبتيموس: «حسنًا.. والآن كل منا لا بد أن يختار عنصرًا من العناصر الثلاثة المتبقية».

قالت العمة زيلدا: «أنا أختار التراب، التراب الصالح المخلص الذي يصلح لزراعة الكرنب».

قالت چينا: «وأنا أختار الماء؛ لأنها تبدو رائعة الجمال في الماء».

وقال سِبتيموس: «وأنا أختار الهواء؛ لأنني طرت بالمركب التنينية، ولأنني أستطيع الطيران».

ألقت العمة زيلدا على الفور نظرة فضولية على سِبتيموس، لكنه كان منشغلًا في ترتيب الأوعية؛ فلم يلحظها.

ثم قال: «والآن، كل منا سيأخذ وعاءً ويضع فيه العنصر الذي اختاره».

زحفت چينا خارج نصف الدائرة وغطست الوعاء في الخندق المائي، ومدت العمة زيلدا يدها من العوامة وأخذت بعض التراب الجاف، أما سِبتيموس فنظر في حيرة إلى وعائه، وهو يتساءل في سره ماذا يفعل. وبينما كان في حيرته هذه، ظهر ضباب أرجواني في قاع الوعاء الذهبي، وشهقت العمة زيلدا من فرط دهشتها؛ فهي ترى الآن علامات **السحر** تظهر حول سِبتيموس، فشعره الذهبي الملفوف يحدده ضوء بنفسجي متلألئ، وبدا الجو مشحونًا مثلما يكون حال الهواء قبل انطلاق العواصف الرعدية.

جمع سِبتيموس الأوعية الثلاثة، مراعيًا أن تشاهده العمة زيلدا وچينا عن قرب، ثم أمسكها بإحكام وقلبها بحركة خاطفة رأسًا على عقب. وعلى الفور، سقط التراب والماء على السجادة، بينما هبط الضباب البنفسجي ببطء، يتابع هذا الهبوط عن قرب زوج من العيون الخضراء، وأخرى بنفسجية، وثالثة باللون الأزرق المميز للساحرات – إلى أن تلاقى الضباب مع الكتلة الموحلة على السجادة فانفجرت واشتعلت. ازدرد

سِبتيموس لعابه؛ فالجزء التالي هو الجزء الذي يرتعب منه. مد يده ليمسك النار، وإذا بصيحة تصدر عن الفتى الذئبي الذي كان يراقب بذهول من خلف أحد المراكب، وصاح قائلًا، وقد انتابه إحساس بأن يديه تحترقان من جديد: «لا تفعل ذلك يا 412». لكن سِبتيموس لم يشعر بأي ألم وهو يجمع النار بيديه ويضعها في ثقب أنف التنين.

وفجأة، دوت شهقة هائلة، فقد شفطت التنين النار من أنفها إلى أعماقها. وبعد قليل، حركت التنين رأسها للخلف وهي تنخر وتسعل ويخرج من أنفها زفير في صورة لسان لهب ممتد طويل يسطع بلون برتقالي أضرم النار في سجادة چانيت الفارسية. وعلى الفور، فرت العمة زيلدا وچينا وسِبتيموس مبتعدين عن النار، بينما ألقى بالماء على السجادة ليطفئ النار المشتعلة فيها، ثم فتحت التنين عينيها للحظة قصيرة، ثم سقط رأسها الأخضر الضخم مصطدمًا بعنف فوق السجادة المتفحمة، وعادت لتقبع بلا حراك كما كانت.

خيم الصمت على ساحة المراكب بأكملها.. حتى چانيت توقفت عن تفريغ الشحنات ووقفت تنتظر بتردد.

بدا الحزن على چينا، ونظرت إلى سِبتيموس كأنها تريد منه أن يطمئنها، لكنه كان يحدق بانزعاج إلى المركب التنينية، مقتنعًا بأن **الإحالة الثلاثية** التي قام بها فشلت. تنحنحت العمة زيلدا نحنحة قصيرة، وكانت على وشك أن تقول شيئًا، وإذا بصوت مارشا يجلجل عبر ساحة المراكب:

«هل لأحد أن يأتي ويخلص قدميّ من هذه الدلو اللعينة؟»، فهمّ أحد عمال الساحة إليها ليساعدها ونزع دلوًا دخلت فيها قدمها عن طريق الخطأ أثناء عودتها مسرعة إلى المركب التنينية، ثم واصلت مارشا تقدمها عبر الساحة، وعباءتها تطير خلفها، ومع اقترابها من التنين، لاحظت چينا والعمة زيلدا وسِبتيموس أنها تحمل زجاجة خضراء ضخمة في يدها.

وصلت مارشا لاهثةً إلى العوامة، وفتحت غطاء الزجاجة.

فسألتها العمة زيلدا بحنق: «مارشا، ماذا تفعلين؟».

«أنقذ التنين بالطبع. كنت أعلم أنني أحتفظ بها في مكان ما. إنها وصفة إحياء قديمة للسحالي، أحتفظ بها أسفل الألواح الخشبية لأرضية المكتبة».

فقالت لها العمة زيلدا آمرةً: «ابعدي ذلك عن هنا، لا تقتربي بهذا الشيء منها، إنه سيقتلها».

قالت مارشا معقبة: «كفاكِ سخفًا يا زيلدا. فليس من حقك أن تملي عليّ أي شيء بشأن المركب التنينية. فأنا الحارسة الآن».

تلاقت عينا چينا بعيني سِبتيموس، وقد أدركا أن الموقف ينذر بالمشاكل.

همهمت العمة زيلدا تقول غير مصدقةٍ: «أنتِ.. أنتِ.. الحارسة؟».

قالت مارشا: «من الواضح أن المركب التنينية أصبحت الآن هنا تحت رعايتي أنا. وأنت بعيدة جدًا عنها كي تواصلي القيام بمهامك معها باعتبارك... لكن، كيف جئت إلى هنا بهذه السرعة؟».

وقفت العمة زيلدا بشموخ وهي تبسط طولها الذي لا يقارن بطول مارشا، لكنها حركة جعلتها تشعر بثقة أكبر في نفسها، ثم أخذت عيناها الزرقاوان تومضان ببريق الانتصار وهي تقول: «إن أسرار الحارسات ليست مباحة لكل من هب ودب يا مارشا، وأنا لست في حِلٍّ من أن أقول لك كيف جئت إلى هنا. لكن كل ما أملك أن أقوله لك إنني ما دمت على قيد الحياة، فأنا حارسة المركب التنينية، وسأظل كذلك وسأكون تحت أمر المركب التنينية في أي وقت. والآن يا مارشا، هذه مسألة حياة أو موت، فتأثير **الإحالة الثلاثية** سوف يستغرق وقتًا حتى يُحدث مفعوله، وغير مسموح لأي شيء - لا سيما وصفة قديمة **لإحياء** السحالي - بأن يتدخل في الأمر. وأنا كحارسة المركب التنينية أوصيكِ بأن تأخذي وصفة **الإحياء** هذه بعيدًا.. وفي *الحال*».

ولأول مرة - حسب ما يتذكر سبتيموس - أطبق الصمت على مارشا. وبانصياع تام، دفعت الغطاء في فوهة زجاجة وصفة الإحياء، وبكل عزة النفس التي استطاعت أن تستجمعها، سارت عبر ساحة المراكب، وهي تتجنب بحرص تام الدلو أثناء خروجها. ومما زاد الأمر سوءًا أنها اكتشفت أن ميلو باندا، بالإضافة إلى سارة وسايلاس هيب، كانوا يراقبون المشهد بالكامل من عند ظلال غرفة الحجز المهجورة.

49
الطيران



مرت *مارشا بخطوات واسعة فوق الخندق* المائي الخاص بالقصر، ووقْع خطواتها يتردد صداه على الألواح الخشبية القديمة للجسر. كان بجوارها ميلو باندا الذي أخذ على عاتقه أثناء انطلاقهما الفوري من ساحة المراكب - مهمة تهدئة مارشا بعد هذا الصدام الذي تم مع العمة زيلدا.

لدى بوابة القصر، وقفت ساحرة ثانوية إلى جوار شبح جودريك الذي كان جالسًا في غفوة، كانت سيدة شابة ذكية تبرق عيناها باللون الأخضر.

ابتسمت الساحرة وقالت: «مساء الخير.. مرحبًا بكما في القصر».

ردت مارشا قائلة: «مساء الخير يا هيلدا جارد».

كان ميلو باندا قد توقف بعيدًا، ووقف مترددًا على عتبة البوابة. لاحظت مارشا أنه يرتعد قليلًا، والتمعت الدموع في عينيه.

فقالت له بنبرة رقيقة: «أخ! أنا آسفة يا ميلو، فما انتبهت.. أتود أن نتركك وحدك قليلًا؟».

فأومأ لها برأسه، وذهب يتجول على «الممشى الطويل»، ينظر إلى الجدران الخالية ويهز رأسه في حزن وأسى.

ثم شعرت مارشا فجأة بالإرهاق؛ فاليوم كان طويلًا. ولقد تركتها عملية **تعريف الشخصية** في حالة غريبة تشعر فيها بالخواء، ويأتي فوق كل ذلك أن قدميها تؤلمانها بعد مواجهتها لافظ اللهب صباح اليوم. فارتمت بثقلها على مقعد جودريك متنفسة الصُعداء وخلعت حذاءها، فانتفض الشبح من على المقعد مذعورًا وسقط متكومًا على الأرض.

قالت مارشا بغضب: «ألثر، أظنني قلت لك أن تتخلص من هؤلاء القدماء، فنحن لم تعد في حاجة إليهم الآن بعد أن أصبح السحرة الثانويون يقومون بمهمة حراسة الأبواب».

رد ألثر بحنق: «لقد أحبط جودريك إلى حد بعيد عندما طلبت منه أن يترك مهمته، فقلت له إنه يمكنه البقاء.. ومهما يكن الأمر يا مارشا، فلا بد أن تولي مزيدًا من الاحترام للقدماء، فسوف تصبحين ذات يوم واحدة منهم».

ثم نفض ألثر الغبار عن جودريك وأخذه إلى مقعد مريح في ركن هادئ مظلم في البهو. وعلى الفور، كان جودريك قد غطَّ في نوم عميق، ولم يستيقظ إلا بعد عدة سنوات عندما اصطدمت به ابنة چينا بدراجتها السكوتر.

لسوء الحظ، لم تلحظ چينا عندما عادت إلى القصر أن مارشا وألثر كانا يجلسان بهدوء في الظل الذي تلقيه صفوف من الشموع المتراقصة المتراصة حول البهو. وأول من رأته وهو يظهر من ظلام الممشى الطويل كان الرجل الغريب القادم من الميناء. وما إن وقع بصره عليها حتى لهث وتوقف عن السير.. وصرخت چينا.

فقفزت مارشا فزعة، وقالت وهي تنظر حولها بقلق: «چينا.. ما خطبك؟».

لم ترد چينا. بل انطلقت خارجة من القصر لتعود إلى الأمان مع سبتيموس، ونكو، والعمة زيلدا الذين كانوا يتقدمون بخطوات بطيئة وسط بساتين القصر، بينما كان لافظ اللهب مصرًا على مطاردة إحدى سحالي الحدائق.

وصاحت چينا مع وصولها إلى العمة زيلدا وهي تقول: «إنه هنا! ذلك الرجل.. إنه هنا!».

فسألتها العمة زيلدا، وهي حائرة وفي نفس الوقت مستمتعة بمنظر مارشا وهي تجري وسط البساتين متجهة نحوهم وهي ترتدي فردة حذاء واحدة: «أي رجل؟».

قالت مارشا لاهثةً بعد أن وصلت أخيرًا إليهـم: «چينـا.. ما خطبـك يا چينا؟».

«إن ذلك الرجل، إنه الغريب الذي رأيته في الميناء، الرجل الذي أمسك «رعد» بقوة، والذي ظل يتبعني، والمتحالف مع سايمون - قمت أنت بدعوته إلى قصري.. ثم تسألينني بعد ذلك ما خطبك!».

ردت مارشا معترضة: «لكن يا چينا هذا الرجل له كل الحق بأن يكون في هذا القصر. إنه ميلو باندا، إنه...».

صاحت چينا: «لا يعنيني من يكون!».

«لكن هذا الرجل يا چينا هو والدك».

وقف الجميع يحدقون بذهول إلى مارشا.

ردت چينا بغضب: «لا، إنه ليس أبي. فأبي هناك في ساحة المراكب الآن.. مع أمي».

ردت مارشا برفق: «نعم، سايلاس هناك في ساحة المراكب الآن، وميلو هنا. ميلو هو والدك، ولقد جاء ليراكِ».

أطبق الصمت على چينا لفترة طويلة، ثم قالت: «ولماذا لم يأتِ من قبل ليراني عندما كنت صغيرة؟»، ثم انطلقت تجري وسط البساتين وعلى امتداد المسار المؤدي إلى الجهة الخلفية للقصر.

قالت مارشا: «مسكينة يا چينا!».

* * *

لم يتقبل سايلاس أيضًا برحابة صدرٍ حضور ميلو، خاصة عندما أصرت مارشا على إقامة حفل عشاء على سطح القصر ترحيبًا به.

وقال لها سايلاس معترضًا: «أنا لا أفهم كيف يمكن لنا أن نحتفل في الوقت الذي يحبس فيه ابني الأكبر في تلك الأنفاق الجليدية الرهيبة في الأسفل».

أما سارة فقد شغلت نفسها بإعداد المائدة، بينما غطس سايلاس في أحد مقاعد القصر الذهبية، وأخذ يحدق بكآبة إلى سماء الصيف التي كانت معتمة هذه الليلة.

قالت سارة فجأة: «كل ما أريده هو ألا أفكر مجرد التفكير في سايمون. ففرقة البحث سرعان ما ستعثر عليه، وسيكون حينئذ على الأقل في مكان آمن ودافئ».

فهمهم سايلاس قائلًا: «إن الدفء والأمان في سجن القلعة ليس هو ما كنت أتمناه له يا سارة».

هزت سارة رأسها وقالت: «لو تتذكر يا سايلاس، نحن بالأمس لم نكن نعلم أي شيء عن مكان الأبناء. أما اليوم فقد عاد منهم ثلاثة - أو أربعة بسايمون - ولا بد أن نعتبر أنفسنا محظوظين. وهذه هي الطريقة التي سأنظر بها إلى الأمور من الآن فصاعدًا»، ثم شدت المفرش جيدًا، وأمرت الخادم بأن يذهب ويرى كيف تسير الأمور مع الطباخ، ثم استطردت حديثها وقالت: «ومهما يكن الأمر، فلا بد أن نرحب بميلو باندا، فهو مهما يكن والد چينا».

رد سايلاس متذمرًا: «أف!».

وبحرص شديد، وضعت سارة شمعدانها المفضل وسط المائدة الممتدة وقالت: «لقد كنا نعلم أن هناك احتمال أن يحدث هذا في يوم ما. فلا داعي لأن تأخذ هذا الموقف الغريب يا سايلاس».

رد سايلاس معترضًا: «أنا لم أتخذ أي موقف غريب، إن كل ما أفكر فيه أن ظهوره بعد كل هذه السنوات أمر غريب. أقصد، أين كان إذن طوال هذه المدة؟ إن الموضوع يبدو لي مريبًا تمامًا.. أف!».

«كفاك تأففًا يا سايلاس، إنها تجعلك تبدو وكأنك شخص متعكر المزاج».

«إذن ربما أنا شخص متعكر المزاج، وسأواصل ترديدها ما دمت أريد ذلك يا سارة، أف!».

استمر العشاء لوقت متأخر من الليل. ولقد أجلست سارة ميلو باندا على رأس المائدة المفروشة بمفرش أبيض بسيط، ذكّر جينا بصباح يوم عيد ميلادها العاشر، والذي بدا لها الآن وكأنه مر عليه دهر طويل. جلست جينا في أبعد مكان عن ميلو باندا - على رأس المائدة من الجهة المقابلة - إلا أنها لم تكن تدرك عندما جلست أنها أصبحت في مواجهته، وكانت كلما نظرت للأمام وجدته يحاول أن يبتسم لها أو أن تتلاقى عيونهما. فجلست جينا معظم الوقت تحدق إلى طبقها أو تتحدث مع العمة زيلدا التي كانت تجلس إلى جوارها.

ومع انطفاء المصابيح واقتراب منتصف الليل، بات الجو لطيفًا وبدأ الجميع يتثاءبون، ثم انحنت العمة زيلدا نحو جينا وقالت لها بصوت خفيض: «إن والدك رجل دمث الخلق يا جينا، وينبغي عليك أن تسمعي ما لديه».

فردت جينا قائلة: «لا يهمني أن أسمع ما لديه».

«إن الملكة الشابة الحكيمة تستمع أولًا ثم تحكم بعد ذلك».

انتهى العشاء، وعادت مارشا وسبتيموس ولافظ اللهب إلى برج السحرة، بينما ذهب نكو مع سايلاس حيث أراد الأخير أن يريه مستعمرة جديدة من الفيش وجدها خلف ماسورة في سندرة القصر، بينما كانت سارة ترعى الفتى الذئبي الذي غلبه النعاس مع بداية العشاء، أما العمة زيلدا فقد نزلت إلى المطبخ تحاول إقناع الطاهي الليلي بأن يسلق كرنبًا لإفطار صباح غد، أما ألثر ميلا فقد جلس بهدوء في الظلال يستمتع بأحداث اليوم.

بينما كانت جينا تستمع لميلو باندا.

كان ميلو يقول: «أنا ووالدتك سعدنا غاية السعادة عندما علمنا بأننا سنرزق بطفل. وتمنى كلانا أن يكون الطفل فتاة حتى تستطيع أن تصبح ملكة. أنا بالطبع لم أكن ملكًا، فهذه ليست من تقاليدكم هنا، خلافًا للعديد من الدول الأخرى البعيدة. ولن تصدقي وأنا أقول لك إن الفتيان في هذه البلاد هم من يتوارثون خلافة العرش - أمر غريب جدًا. وعلى

أية حال، لقد كنت سعيدًا لأنني لست ملكًا، فعلى الرغم من أنني كنت تاجرًا بسيطًا، فقد كنت أحب مهنتي. كان يستهويني السفر بكل ما فيه من تشويق وإثارة، واحتمال أن أكون عصاميًا في يوم من الأيام أبني نفسي بنفسي، وأكون ثروتي. وقبل ولادتك بستة أشهر، سمعت عن فرصة قد تحقق لي ذلك، فاستأجرت سفينة وانطلقت. وكان الحظ حليفي، ولم يمض وقت حتى كانت سفينتي محملة بالكنوز التي كان من المفترض أن أعود بها إليك أنت ووالدتك. وكان كل شيء رائعًا، وكان في صحبتي طاقم ممتاز ورياح معتدلة طوال طريق العودة، ووصلت إلى الميناء يوم ولادتك تحديدًا. وقلت في سري إن كل شيء يسير بشكل رائع.. لكن... لكن بعد أن رسونا بالسفينة عند رصيف الميناء...

ثم اختلج صوت ميلو وهو يقول: «أتذكر كل شيء كأنه حدث أمس.. لقد أنبأني أحد مفرغي المراكب بالأخبار؛ تلك الأخبار المفجعة التي انتشرت في أنحاء الميناء - بأن عزيزتي سيريس، وهي والدتك، قُتلت.. وابنتي أيضًا».

فهمست جينا قائلة: «ولكنني لم أُقتل».

«نعم، أنا أعرف ذلك الآن، لكن حينها لم أكن أعرف، وصدقت ما كان الجميع يرددونه».

«لقد كانوا مخطئين. لماذا لم تعد إلى القلعة وتتحقق من الأمر؟ لماذا لم تأت لتبحث عني؟ كل ما فعلته أنك هربت.

«صحيح.. أعتقد أن الأمر يبدو هكذا. لكن حينها لم يكن في وسعي أن أتحمل البقاء، فرحلت مع ارتفاع المد التالي، وتركت السفينة تأخذنا إلى حيث تشاء الرياح.. إلى أن وقعت في أسر ديكن لي».

قالت جينا لاهثة: «ديكن لي!» فحتى جينا، والتي لا تهتم بأمور القراصنة، كانت قد سمعت عن «ديكن لي» الرهيب.

جازف ميلو بإلقاء ابتسامة ندم لجينا، وفي المقابل ابتسمت له ابتسامة مترددة.

قال ميلو بصوت خفيض: «لن أنسى أبدًا تلك السنوات السبع الطويلة التي قضيتها أسيرًا عند ديكن لي. كنت لا أكف عن التفكير في تلك الأحداث البشعة التي وقعت لك أنت ووالدتك..».

فسألته جينا: «لكن كيف هربت منه؟».

«ذات ليلة من ربيع العام الماضي، أبحرت السفينة وسط أمواج عاتية، وسمعت أن هذه الأمواج أمواج ممتدة نتجت عن عاصفة شيطانية تبعد آلاف الأميال، لكنها كانت أمواجًا طيبة بالنسبة لي؛ فالعاصفة أجهزت على ديكن لي، وحررني طاقمه من أسره، ثم توليت أنا قيادة السفينة. وبعد عدة أسابيع، وصلنا إلى ميناء صغير، وسمعت شائعات تقول: إنك مازلت على قيد الحياة. ومن فرط سعادتي لم أصدق نفسي، وشعرت أن الحياة دبت فيَّ من جديد. فأبحرنا على الفور، وكانت تصاحبنا رياح معتدلة طوال الطريق إلى أن وصلنا إلى الميناء، ثم رسونا خارج الشاطئ، ورفعنا الراية الصفراء لتنبيه الجمارك، وحضرت إلينا رئيسة موظفي

الجمارك في مركب، وألقت نظرة على الكنوز المحملة على متن السفينة، وقالت لنا: إننا سنضطر إلى الانتظار حتى يخلو مخزن البضائع الرئيسي الذي تُحجز فيه البضائع إلى أن يتم تحصيل رسومها - إنها سيدة جافة موظفة الجمارك نيتلز هذه - لكنني ممتن لها، فلولا ما فعلته لما كنت سأراكِ تلك الليلة».

تذكرت جينا المشهد عند المخزن.. إن كل شيء يبدو منطقيًا الآن.

استطرد ميلو قائلًا: «عندما نظرت إليك ورأيتك تجلسين على ذلك الحصان الأسود، بنفس طريقة والدتك، ثم رأيت الطوق الذهبي حول رأسك، علمت أنك ابنتي، وإن كنت آسفًا أنني أفزعتكِ تلك الليلة، لقد انطلقت بدون تفكير، لا أريد سوى أن أتحدث إليك.. جينا.. جينا؟».

كانت جينا قد التفتت إلى الخلف تحدق إلى الظلال التي يلقيها ضوء المصابيح المتراقص يمينًا ويسارًا من عند سطح القصر.

عاد ميلو يقول: «جينا».

فردت عليه تقول: «أشعر بأن هناك من يراقبني».

بدأ ميلو يتحرك بانزعاج وقال: «أنا أيضًا أشعر بذلك»، وأخذ هو وجينا يحدقان إلى الظلال، لكن لم ير أي منهما شبح الملكة التي تراقب زوجها وابنتها وهما يتحدثان معًا لأول مرة في حياتهما.

هب ألثر ناحية الملكة وقال لها: «يسعدني أن أراكِ أخيرًا تجازفين بالخروج من غرفة الملكة».

ابتسمت الملكة ابتسامة اشتياق، وقالت: «لا بد أن أعود الآن يا ألثر، كان صعبًا عليَّ أن أقاوم رؤية عزيزي ميلو لمرة واحدة.. ومعه ابنتنا أيضًا».

قال ألثر: «إنها ابنة أبيها تمامًا».

فأومأت الملكة برأسها ببطء وقالت: «نعم، أنت مُحقٌّ، فهناك تشابه في طريقة وقفتيهما، أليس كذلك؟».

«ومع ذلك، فهي تشبهك.. تشبهك تمامًا».

تنهدت الملكة وقالت: «أعلم ذلك.. تصبح على خير يا ألثر».

وراقب ألثر الملكة وهي تنسحب بهدوء مارَّةً بجينا وميلو باندا اللذين نظر كل منهما مباشرة إليها لكنهما لم يريا شيئًا. وسرعان ما وصلت الملكة إلى البرج الجانبي، وبخطوات رقيقة اخترقت الجدار الحجري السميك، ودلفت إلى غرفة الملكة. كانت نار المدفأة تشتعل بنفس سطوعها المعتاد، وجلست الملكة في هدوء على كرسيها، ثم راحت تتذكر أحداث اليوم؛ اليوم الذي ظلت تنتظره لسنوات عديدة.

كان سِبتيموس ومارشا ولافظ اللهب يسيرون ببطء على امتداد طريق السحرة.. وكانت المصابيح تتوهج وهي معلقة في أعمدتها الفضية، بينما أخذ لافظ اللهب يقفز على الظلال المتراقصة الممتدة على رصيف الشارع. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وكل المتاجر مغلقة ومعتمة، لكن مع مرورهما بدار المخطوطات، خُيل إلى سِبتيموس أنه

لمح ضوءًا خلف رزم الكتب والأوراق العالية، ولما دقق النظر لم ير شيئًا.

صعدت مارشا وهي تعرج بألم على درجات السلم الرخامي إلى برج السحرة، بينما أخذ سِبتيموس لافظ اللهب إلى بيت التنين ليقضي فيه الليل.

ثم قالت مارشا، بينما كانت الأبواب الفضية الضخمة تفتح من تلقاء نفسها على مصاريعها مع قدوم الساحرة العظمى:

«تأكد من أنه لن يستطيع أن يخرج يا سِبتيموس. ولا تنس أن تغلق الباب بالمزلاج المزدوج».

رد سِبتيموس قائلًا: «حسنًا»، ثم دخلت مارشا البرج وهي تتهادى بجلال.

استقر لافظ اللهب بسهولة تثير الدهشة، ودفع سِبتيموس المزلاجين الحديديين الهائلين، ثم سار على أطراف أصابعه مبتعدًا عن غطيط التنين الذي أخذ يهز بيته.

كانت ليلة جميلة وكان فناء برج السحرة مهجورًا، وألقت المصابيح **السحرية** التي تصطف فوق سطح سور الفناء بضوء أرجواني رقيق على سطح الأرض الحجرية، وكان الضوء خافتًا بالقدر الذي سمح لسِبتيموس برؤية أعداد لا حصر لها من النجوم في سماء الليل.

لم يكن سِبتيموس راغبًا في دخول البرج.. فقد تطلع للسماء ينظر إلى النجوم، وعاوده حلمه القديم بالطيران، فهو يعلم انه لن يستطيع

المقاومة أكثر من ذلك فأخرج **الوصفة السحرية للطيران**، وقبع السهم الذهبي بجناحيه الجديدين في راحة يده وهو يطن، وشعر سِبتيموس برجفة **السحر** تسري في جسده. وما إن بدأت الأجنحة ترفرف حتى شعر أنه يرتفع فوق سطح الأرض.. يرتفع لأعلى.. وأعلى.. إلى أن أصبح في ارتفاع «القوس العظيم». وجه سِبتيموس السهم جهة القصر وهو يمسكه بين إبهامه وأصابعه، ثم بسط ذراعيه للخارج كما رأى ألثر يفعل ذات مرة.. وطار.

وطار سِبتيموس محلقًا في طريق السحرة، بسرعة عالية، وعلى منسوب منخفض كما يحب ألثر، وشق طريقه بسرعة نحو بوابة القصر، ثم حلق فوق سطح القصر، تمامًا كما كان يفعل دائمًا في أحلامه. ورأى على سطح القصر جينا ووالدها الذي كان مستندًا إلى الشرفة، وكانا يتحدثان معًا بهدوء. ظل سِبتيموس يحوم لفترة ينتظر توقف ميلو عن الكلام للحظة مترددًا؛ أيقاطع حوارهما أم يدعهما، لكنه كان يتوق لأن يفاجئ جينا ويجعلها ترى قدرته على **الطيران**، وهنالك لمحت عيناه شيئًا.

فهناك على الجانب الآخر من النهر رأى حصانًا يجري بين الحقول، وكان يمتطي الحصان - المسروق حديثًا من خارج «حانة الترسة الممتنة» - وجه مألوف؛ إنه سايمون.

وجَّه سِبتيموس **الوصفة السحرية للطيران** نحو الهيئة الضبابية لأخيه الأكبر، وهمس لها: «**اتبعيه**». وفي اللحظة التالية، وجد سِبتيموس نفسه يندفع بعيدًا عن القصر ويحلق فوق البساتين التي تؤدي إلى النهر.

وسرعان ما امتلأ أنفه بالروائح الرطبة المنبعثة من النهر، ومر مسرعًا على منسوب منخفض فوق مياه الليل الباردة، مثيرًا فزعَ عددٍ من البط في طريقه. ومع تلاشي صوت صياح البط الغاضب، كان سِبتيموس قد وصل إلى الضفة البعيدة من النهر، وطار فوق سطح بيت ريفي وحيد مغطى بالقش وأخذ يحوم للحظات، باحثًا عن أخيه، ثم سرعان ما رأى فارسًا يحث حصانه على الإسراع وسط الظلام على مسافة منه بطول الطريق المترب الذي يتعرج بين الحقول، وزادت سرعة طيران سِبتيموس لأقصى حد أخذته إلى مستوى سايمون، وظل يحلق إلى جواره - دون أن يراه في أول الأمر - محافظًا بسهولة على ملاحقة الحصان الذي يتصبب عرقًا.

فأخيرًا بدأ سايمون يدرك أن كل الأمور قد ساءت، وصاح وهو ينزلق بالحصان ليتوقف وسط سحابة من الغبار: «أنت!».

هبط سِبتيموس بخفة أمام الحصان.

ثم غمغم سايمون وهو يرى السهم الذهبي في يد سِبتيموس، وقال: «أنت... أنت حصلت على **الوصفة السحرية للطيران** الخاصة بي».

رد سِبتيموس يوافقه الرأي، وهو يطير مبتعدًا ليفلت بسهولة من سايمون الذي انقض للأمام ليخطف **الوصفة السحرية**: «صحيح أن **الوصفة السحرية للطيران** بحوزتي الآن، لكنها ليست ملكي، كما أنها ليست ملكًا لأحد يا سايمون. كان ينبغي عليك أن تعلم أن **الوصفات السحرية** القديمة هي سيدة نفسها».

غمغم سايمون هامسًا: «طفل مغرور».

رد عليه سِبتيموس وقد سمع تمامًا ما قاله: «ماذا قلت؟».

«لا شيء. ابتعد عن طريقي الآن أيها الطفل، ولا تفكر في أن تقوم هذه المرة بأي حركة من حركات **التثبيت** الحمقاء».

رد سِبتيموس وهو يحوم أمام الحصان: «لا، لن أفعل. لقد جئت فقط لأقول لك أن تذهب بعيدًا عن هنا».

زمجر سايمون قائلًا: «وهذا هو ما كنت أفعله بالضبط».

ظل سِبتيموس في مكانه، وهو يسد الطريق على سايمون، ثم قال له: «كما جئت لأقول لك إنه لو حدث وحاولت أن تؤذي جينا، فسوف تجد نفسك في مواجهتي. مفهوم؟».

أخذ سايمون يحدق إلى أخيه الأصغر، وكذلك فعل سِبتيموس بدوره، وعيناه الخضراوان البراقتان تومضان بحنق. لم ينطق سايمون بكلمة، فقد كان هناك إحساس بالقوة ينبثق من سِبتيموس تعرَّفه؛ هو قوة الابن السابع للابن السابع.

وكرر سِبتيموس كلامه: «مفهوم؟».

فهمهم سايمون قائلًا: «أجل».

ثم أردف سِبتيموس ببرود أعصاب: «يمكنك أن تذهب الآن»، ثم هبط على الأرض، وتنحَّى جانبًا حتى يفسح الطريق لسايمون.

نظر سايمون لأسفل على هذا الفتى الضعيف بزيه الأخضر وسط ظلام الحقول المهجورة، وقد انتصف الليل منذ مدة. ولوهلة، فكر في

سره أنه سهل عليه الآن أن يتخلص من سبتيموس؛ إذ لا أحد سيعرف ما الذي حدث. ما من أحدٍ سيشك فيه.. لكن سايمون لم يُقدِم على أي شيء، ثم فجأة ركل حصانه ليتحرك وانطلق به بعيدًا، والتفت وهو يصيح قائلًا: «كم كنت أتمنى لو كنت لقيت حتفك عندما أخذتك المولِّدة من البيت!».

حلق سبتيموس بسرعة بطيئة عائدًا إلى برج السحرة، وكلمات سايمون تتردد في رأسه.

ثم ابتسم.. فأخو إخوته قد اعترف به أخيرًا.

ماذا حدث قبل ذلك؟

بيلي بوت

كان يمتلك يومًا متجرًا للحيوانات الأليفة متخصصًا في الزواحف؛ فبيلي يعشق السحالي والثعابين، وتخصص في تربية الأفاعي الأرجوانية. وأكبر أفعى قام بتربيتها موجودة في الفناء الخلفي لمتجر تيري تارسال للأحذية. فتيري الذي لا يحب الثعابين، يستخدم على مضض جلدها المسلوخ لصنع أحذية مارشا المدببة.

وعندما اشترى الأمين الأعلى مستعمرة من السلاحف النهاشة من بيلي بوت، ثم أمره بأن ينتقل إلى القصر ليرعاها، لم يجرؤ بيلي بوت على الرفض. ومن ثم، تولت ابنة أخته ساندرا إدارة متجر الحيوانات الأليفة، ورغم اعتراض بيلي قامت ساندرا ببيع الهامستر الرائعة والأرانب ذات الفراء المنفوش. وتركَّز اتجاهها على بيع هذه الحيوانات الأليفة خاصة بعد أن نالت شعبية كبيرة، وسرعان ما عرضت على بيلي أن تشتري منه المتجر.

وبثمن بيع المتجر قام بيلي بإعداد بيوت للسحالي بجانب النهر، وبنى آلته الخاصة بجزّ الحشائش، كما استثمرها في تحقيق مطلبه الأبدي وهو الوصول بالبساتين إلى حالة الكمال. وعندما انتقلت أسرة هيب إلى القصر مع جينا، طلب منه سايلاس أن يواصل عمله في القصر، ويتخلص من السلاحف النهاشة، فوافق على القيام بمهمة التخلص منها، لكنها أثبتت أنها مهمة مستحيلة؛ مما أدى إلى استسلامه في نهاية الأمر، بعدما كاد أن يفقد أحد أصابعه الذي كانت ستلتهمه سلحفاة نهاشة كانت تتسم بشراهتها.

أونا براكيت

كانت تعمل خادمة في ثكنات جيش الشباب عندما كان سبتيموس طفلًا صغيرًا. ولم تكن تحب الفتيان، حتى المقهورين والخائفين من فتيان جيش الشباب، وسرعان ما تم نقلها بعد ذلك، وأصبحت خادمة لدى «الصياد» وفرقته. وكانت أونا معجبة بالصياد لأبعد الحدود، رغم أنه من المستبعد أن يكون الصياد قد لاحظها أساسًا. وذات يوم سألها الصياد عن جواربه، فظلت أونا بعد ذلك هائمةً تعيش في أحلام اليقظة لأيام، ثم اعتادت بعد ذلك أن تُخفي جواربه على أمل أن يسألها، لكنه لم يفعل.

وعندما هرب الأمين الأعلى، وعادت جينا لتعيش في القصر كأميرة، استغلت أونا خطة مارشا وألثر الخاصة بـ«الفرصة الثانية»، فقدمت طلبًا

للعمل كخادمة في القصر، إلا أنها لم تحصل على الوظيفة؛ لأن سارة كانت ترى أنها مخيفة، وقد أحالتها هذه الخطة في نهاية الأمر إلى البروفيسور ويزل فان كلامف الذي لم يوافق على تعيينها، إلا أن خوفه كان أكبر من أن يرفض.

ومع ذلك، ظل تعاطف وانسجام أونا براكيت موجهًا لدومدانيال، وانضمت إلى «وحدة استعادة النفوذ»، وهي شبكة سرية تضم مجموعة من الأفراد الذين يتمنون عودة دومدانيال. وكانت المجموعة تتلاقى كل يوم سبت بحجة أنهم يجتمعون لتلقي دروس في الرقص الشعبي، ومن خلالهم أصبحت أونا على اتصال بسايمون.

البروفيسور ويزل فان كلامف

ينحدر من عائلة يعمل أفرادها منذ زمن سحيق أساتذة، وكان البروفيسور دوريس فان كلامف قد توصل منذ مئات السنين إلى تركيبة سرية في غاية التعقيد للتخلص من **الأشباح** التي تلازم الإنسان، ويشمل ذلك **الظلال**، **كالظل** الذي ظل يلازم مارشا، والتخلص أيضًا من مثل ذلك **الطيف** الذي كان ينتظر ألثر عندما كان يعمل تلميذًا لدومدانيال. وعلى الرغم من أن عائلة فان كلامف تمتلك قدرات فائقة في العلوم الرياضية، فإن أفرادها يميلون إلى السذاجة وينسون إلى أقصى حد، ولا يُستثنى منهم في ذلك ويزل.

وبعدما نسف أوتو والد ويزل نفسه – ونسف معه معمل ڤان كلامف الأصلي – أثناء خلط بعض الأنواع الطيارة من **الملجم**، قرر ويزل أن يبتعد تمامًا عن إجراء التجارب وأن يعيش حياة هادئة هانئة بجانب الخندق المائي. ومع انتقاله إلى بيته في «منزلق الثعبان»، تملكه الفزع والرعب عندما وجد بالبيت معملًا قديمًا محشورًا بعيدًا عند نهاية منطقة أنفاق.

ظل ويزل لسنوات يحاول تجاهل وجود هذا المعمل، إلا أنه خضع في النهاية لإغرائه، وقرر مواصلة عمل والده. فحسَّن **ملجم** والده أوتو، بحيث أصبح يعمل كعازل قوي في مواجهة طاقة **السحر الأسود**، موفرًا بذلك – دون أن يدري – المخبأ المثالي لعظام دومدانيال.

لكن ويزل ڤان كلامف رجل أمين، ولا يعرف شيئًا عن انتماء أونا براكيت لـ«وحدة استعادة النفوذ».

بيتل

ابن وحيد، ولقد نشأ في منطقة العشوائيات، وكان يسكن مع والديه في غرفتين كبيرتين أسفل غرفة أسرة هيب مباشرة. ومن الذكريات التي لا ينساها بيتل أن والدته كانت تدق بعصا المكنسة في السقف وهي تصيح قائلة: «بحق السماء، اهدءوا!» وكان والداه يرفضان أي اتصال له بأسرة هيب؛ مما كان يوطد أكثر من جاذبية أسرة هيب بالنسبة له، وسرعان ما نشأت صداقة بينه وبين چوچو هيب الذي هو في نفس عمره.

وعندما بلغ بيتل الحادية عشرة، ولفرحة والدته، نجح في اختبار القبول للعمل بـ«دار المخطوطات»، وهو اختبار يحظى بتنافس شديد. ولقد بدأ عمله كعامل يقوم بالأعمال الوضيعة، وبعد أن سقط موظف التفتيش من على الزحلوقة وكُسر كاحله، كان بيتل قد نال الثقة بحيث عُهد إليه عمليات التفتيش الأسبوعية للأنفاق الجليدية.

ولقد أحب بيتل سبتيموس كثيرًا؛ فالأخير يذكره بچوچو، لكنه يتشارك معه أيضًا في اهتمامه **بالسحر**، وفي حبه **للمشروبات الفوارة** الغريبة، كما أن بيتل يشترك مع سبتيموس في كرههما **للسحر الأسود**، فقد قال ذات مرة لسبتيموس وهما يتشاركان في تناول **مشروب الفواكه** الفوارة: «إن كل هذا **السحر الأسود** كئيب. فعندما عاد ذلك الرجل المسن البشع إلى برج السحرة، مات الهامستر الذي كنت أربيه، ووالدتي ظهرت على طرف أنفها حبة ضخمة جدًّا، وهربت القطة. كل ذلك بسبب أن **السحر الأسود** التصق بي في أثناء العمل وعدت به إلى البيت. إنه بشع».

وسبتيموس أيضًا يحب بيتل كثيرًا، ويثق به ثقة عمياء.

بوريس كاتشبول

عُرف منذ أن بدأ يعي الدنيا من حوله – باسم عائلته، ولقد بذلت والدته كل ما في وسعها حتى تناديه باسم بوريس، لكن بحلول الوقت الذي بدأ

فيه يمشي أولى خطواته، خضعت للأمر وأصبحت تناديه كاتشبول.. فبشكل أو بآخر، كان اسم بوريس يبدو مألوفًا أكثر من اللازم.

وكان طموحه أن يصبح يومًا «صيادًا»، وهرب من البيت والتحق بفرقة الصيادين في «أرض الأشرار»، فيما كان دومدانيال يستعد لقتل الملكة. ولقد تدرب كاتشبول تدريبات قاسية مع الفرقة، لكنه لم يكن مشهورًا. ومنذ كان فتى صغيرًا، توقف عن تنظيف أسنانه، ولم تكن لديه أية نية لأن يبدأ ذلك من جديد لأنه ما عاد لديه أمٌ تذكره بأن يفعل، كما أنه يتسم بعادة عصبية يطقطق فيها بلسانه في سقف فمه تجعل من حوله يتوترون. وفوق كل ذلك، كان جسمه ينمو بسرعة، وسرعان ما أصبحت قامته أطول من أن تجعله يصلح لأن يكون «صيادًا».

ولقد أصبح كاتشبول نائب الصياد، تمامًا كما هو معنى اسمه (النائب)، لكنه لم يترقَّ في وظيفته لمنصب أعلى من ذلك. وبعد الإطاحة بـ «الحراس الأمناء» انضم لـ«خطة الفرصة الثانية»، وتم قبوله ساحرًا ثانويًا – وهي وظيفة لتدريب السحرة المستجدين ممن هم أكبر سنًّا أو ممن ليست لهم أية خلفية **سحرية**.

ويطمح كاتشبول الآن لأن يكون ساحرًا حقيقيًا، ويرغب في أن يكون على أقل تقدير ساحرًا عاديًا، لكنه قال في قرارة نفسه إنه لن يرفض أن يكون ساحرًا أعظم لو حدث وعُرض عليه هذا المنصب.. وهو ما لم يحدث قطُّ.

چانيت مارتن

لو سألت چانيت مارتن أن تصف لك نفسها لقالت: «بناءة مراكب»، ولن تزيد على ذلك. فچانيت ليس لديها وقت كافٍ للسياسة، ولا أي وقت للسحرة. فأيًا كان هذا الذي يحدث في القصر، فهو لا يلقى اهتمامها؛ حيث ينحصر كل عالمها في ساحة مراكبها التي تقع مباشرة خارج أسوار القلعة. وفي الليل، تغطُّ في سبات عميق في سريرها الشبكي المعلق، وتنهض مع الفجر تقضي ساعات اليوم في البناء، والإصلاح، والطلاء، والكشط – وفي مئات الأعمال الأخرى الصغيرة التي تحتاج إليها المراكب وتستهلك وقتها بشكل رائع.

كانت چانيت يومًا فتاة صغيرة، على الرغم من أن تكو يصعب عليه تصديق ذلك، لكنها نسيت كل ذلك الآن – ربما لأنها نشأت في مزرعة صغيرة وسط الحقول، وكانت لا تحب الدجاج، وتكره البقر وتمقت الخنازير. ولم يفهم والداها قطُّ لماذا قامت في الرابعة عشرة من عمرها، بارتداء ملابس الفتيان، وهربت إلى البحر. وفي التاسعة عشرة، عادت ومعها سفينة ملكها، وأنشأت ساحة مراكب چانيت مارتن، بجانب رصيف جمارك القلعة المهجور. چانيت سعيدة جدًا بحياتها ولا تخطو خارج ساحة مراكبها العزيزة إلا مضطرة.

سلوث

كان سلوث يومًا كرة تنس، ولقد قضى سنتين قابعًا في خندق رطب بجانب «بيت التنس الأصلي ببلدية الميناء»، بعد أن ضربه شخص وهو

كرة ضربة قوية في نوبة غضب انطلق على إثرها من النافذة، وظلت الجرذان تقرض فيه إلى الحد الذي شكل خطورة عليه، وبدأ يتفتت ببطء، إلى أن جاء سايمون ذات يوم وانتشله من الخندق، ثم دسه في جيبه، وعاد به إلى المرصد.

وظل على مدار الشهور التالية قابعًا في صندوق **مُحكم الغلق**، كان سايمون هيب يرعاه بعناية تامة، وظل سايمون يملأ ويعيد ملء الصندوق بالغازات والجرعات بشكل منتظم، وهو يتلو التعاويذ بالقرب منه لساعات طويلة، وأحاطه **بوصفات سحرية معاكسة**. وبعد أن بدأ سلوث يعي الأمور تدريجيًا، كان يسمع تعاويذ تُهمهم فوق الصندوق في منتصف الليل، ويشتم رائحة دخان **السحر الأسود** الذي كان سايمون يطلقه في الصندوق. وظل سلوث قابعًا في الصندوق، في حيرة من أمره، ومتحمسًا في نفس الوقت، ينتظر ليرى نتيجة ذلك.

وذات ليلة، كان القمر فيها غائبًا، ترك سلوث ليخرج من الصندوق ويرى العالم لأول مرة. لقد سرّه ما وجده، وكذلك كان سايمون هيب الذي سره إبداعه. كان سلوث يبرق، وبدا عليه الذكاء؛ وكان مطيعًا ويتعلم بسرعة.. وسرعان ما أصبح يتبع سيده أينما ذهب، وصار خادم سايمون هيب الأكثر ولاءً وإخلاصًا.

الممرضة ميريديث

شقت الممرضة أجنيس ميريديث، رئيسة المولدات السابقة وخاطفة الأطفال الرضع، طريقها إلى الميناء بعد أن أُطلق سراحها من المصحة

العقلية التي تؤوي الضالين والمكتئبين. أخذت تسير في الشوارع تبحث عن ابنها ميرين، إلا أنها لم توفق في العثور عليه. وفي نهاية الأمر، استنفدت البدل المالي الذي خصصته لها المصحة العقلية، وعثرت على وظيفة في نُزل، حالته مزرية يقع في شارع «ممشى الحبال»، بجانب بيت «مجموعة ساحرات الميناء».

كانت مالكة النُزل هي السيدة فلوري باندي، وهي امرأة ضخمة، سريعة الغضب، ولا تنسى أبدًا. وفلوري كانت تحيط العداءات بها من كل جانب خاصة جيرانها «ساحرات الميناء»، وكان بسبب تلك المشاحنة الساخنة على كيس من أكياس الشاي المستعملة - حيث كانت فلوري تدعي أن الكيس استهدفها عن عمد - أن انتهت حياة فلوري. فليندا - وسيأتي الحديث عنها لاحقًا - من باب التسلية وإحساسها بالفراغ، كانت قد ألقت بالفعل كيس الشاي على رأس فلوري، وبعد أن ملّت في النهاية من الصياح في وجهها، وضعت **تعويذة انكماش** على فلوري. وفي غضون بضعة أسابيع، بعد أن أخذت **تعويذة الانكماش** تقلص حجم فلوري بالتدريج، أصبحت فلوري بحجم كيس الشاي، وفي صباح يوم بارد انزلقت فلوري على الجليد، وسقطت في البالوعة الموجودة خارج الباب الخلفي، وغرقت.

وكانت أجنيس ميريديث في تلك الأثناء تراقب انكماش فلوري باهتمام بالغ.. وفي يوم، بعد أن تعذّر على الممرضة ميريديث العثور على مالكة النُزل المتقلصة، استولت هي عليه وكأن شيئًا لم يكن. وسرعان ما جعلته ملكًا لها - بتركيب ورق حائط موبر، وكتابة رسائل غريبة لتعلقها

على الجدران، وملء البيت بالورود المجففة والدُّمى. وميريديث تستمتع بصحبة الدمى، وبعد فترة كفَّت عن البحث عن ابنها ميربن.. وقالت لنفسها إنه على الأقل أنتِ مع الدُّمى تعرفين أين تقف قدماكِ.

مورين

كانت مورين قد هربت إلى الميناء مع رئيس مقشري البطاطس بعد حادث وقع في مطبخ القصر. وظلت مورين ورئيس مقشري البطاطس كيفين يدخران أموالهما لشراء مقهى يكون ملكًا لهما. وعندما عُين كيفين طاهيًا على سفينة تجارية ضخمة في رحلة حول العالم، قبلت مورين الوظيفة الوحيدة التي عثرت عليها حينها، وهي العمل في بيت الدُّمى. لم تكن الوظيفة مثالية، إلا أنها تمكنت من أن تدخر البقشيش الذي كانت تحصل عليه من النزلاء الممتنين، كما أن العيش في دولاب أسفل السلم كان يعني أنها توفر ثمن إقامتها. وكانت تتوق لليوم الذي سيعود فيه كيفين، وحينها سوف يعثران على مكان صغير بجانب الميناء يكون ملكًا لهما.

«مجموعة ساحرات الميناء»: فيرونيكا

كانت فيرونيكا أقدم ساحرة في المجموعة، لكنها لم تُنصب بالساحرة الأم بسبب ميلها للنسيان والسير أثناء النوم إلى خارج بيت المجموعة فتتعرض للتيه لأيام، وكانت تحب الجرذان، وهي صفة اكتسبتها من

والدها، جاك، الذي يعيش في حقول النباتات القصبية بجانب مستنقعات مرام. وهي كوالدها، كان لديها مجموعة كبيرة من الجرذان الحبيسة في أقفاص في مراحل مختلفة من التعفن.

ليندا

كانت ليندا أصغر الساحرات، وكانت تقول عن نفسها: «أنا أصلح لأي شيء». وكانت بقية الساحرات يستمتعن بصحبتها، فيما عدا مزاحها العملي، وكانت تتسم بمزاج ناري، وبميلها إلى استخدام التعاويذ الأكثر إزعاجًا لو أغضبها أي شخص. لكن بعد حادث آذان فيل دوريندا، كفَّت كل الساحرات عن إغضابها بعد ذلك. وكانت باميلا، وهي الساحرة الأم، ترى أن ليندا لديها إمكانات جيدة؛ ولذلك كانت تعدها سرًّا لأن تكون خليفتها.

دافني

أهدأ ساحرة في المجموعة، وكانت تتهادى في أنحاء البيت بود ومحبة وكانت تربي في سعادة غامرة مستعمرة من ديدان الأخشاب الضخمة التي أخذت تأكل في البيت قطعة قطعة. وكانت دافني تحب ديدانها، وتوفر أغلب الكلام لتتحاور معها.

باميلا

الساحرة الأم، وكانت هي الساحرة **الشيطانية** من بين كل المجموعة. صحيح أن بقية ساحرات المجموعة يعتقدن أنهن **شيطانيات**، إلا أن باميلا هي التي كانت بالفعل **شيطانية**. فقد قضت بضع سنوات مع دومدانيال في المرصد، وعادت بقصص وروايات **شيطانية** عديدة، أثارت فزع العضوات الأخريات في المجموعة، رغم أنهن يفضلن تناول عصير الضفادع المتعفنة عن الاعتراف بذلك. وكان لدى باميلا غرفتها الخاصة التي تُغلق بالمفتاح، والتي تتجنبها الساحرات الأخريات. وفي المساء، عندما يتردد فيها صدى صوت صراخ مرعب، كانت بقية الساحرات يحشرن أصابعهن في آذانهن ويحاولن أن يستغرقن في النوم.

دورينظا

لم تكن تهتم كثيرًا بمظهرها حتى الليلة المروعة لحادث آذان الفيل، وكانت تعلم أن مظهرها لا يتسم بجاذبية خاصة؛ فأنفها أصبح معقوفًا بعض الشيء بعد مشاحنة حادة مع سلم هروب، كما أن شعرها دائمًا لم يكن يعجبها. لكنها يئست من كثرة محاولاتها لتحسين مظهرها بعد أن اتهمتها ليندا بأنها كانت تتنصت على حوار شخصي لها مع أحد المشعوذين الشباب جاءت به إلى البيت. أنكرت دوريندا بشكل قاطع هذا الاتهام، على الرغم من أن المجموعة بأسرها كانت تعلم أنها دائمًا

تتسلل في الأنحاء وتتنصت. كانت ليندا غاضبة، فمنحت دوريندا أذني فيل (أذني فيل إفريقي- وهما كبيرتان فعلًا)، وهي تقول في ذلك إنها «إذا كانت ستظل تتنصت بأذنيها في أنحاء البيت، فليكن لديها أذنان محترمتان تتنصت بهما». ومنذ تلك الليلة، ظلت دوريندا تلف رأسها بمنشفة، مدعيةً أنها غسلت شعرها توًا، رغم علم الجميع - ورغم علم دوريندا بأنهن يعلمن - بأن أسفل المنشفة هناك زوجان من آذان فيل إفريقي مطويتان بدقة. ولقد كانت التعويذة دائمة، حتى باميلا لم يكن في استطاعتها إبطال مفعولها.

هيو فوكس.. رئيس كتبة النصوص الهرمسية

ظل هيو فوكس كاتبًا وضيعًا بـ«دار المخطوطات» لمدة عشرين عامًا حتى تم اختياره «رئيس كتبة المخطوطات الهرمسية».

وعندما خدع دومدانيال مارشا وأعادها من مستنقعات مرام، انتزع منها الكتاب الذي كان بحوزتها، وهو كتاب «**فك السحر الأسود**»، ثم أخذ **النكرومانسر** الكتاب بعد ذلك إلى والدو واتكينز، والذي كان حينها «رئيس كتبة النصوص الهرمسية»، وأمره بأن يستخدم قوى **السحر الأسود الهرمسية** التي دائمًا ما تكون متاحة لدى رئيس للكتبة **لفك** شفرة أسراره. لكن واتكينز رفض. وفي تلك الليلة، أثناء عودته إلى البيت، اختفى الرجل، ولم يره أحد بعد ذلك.

وأصر دومدانيال على أن يتم تعيين بديل فورًا، وتم الاقتراع، وعملية الاقتراع هذه لها طقوس ومراسم. وهكذا، وضع كل كاتب قلمه في إناء ضخم من الميناء، وأُخذ الإناء إلى «الغرفة الهرمسية» وتُرك هناك لليلة، ومن المفترض أنه في صباح اليوم التالي سيكون هناك قلم واحد موضوع على المائدة، بينما ستظل بقية الأقلام في الإناء. وكما جرت العادة، فإن أصغر الكتبة سيرسل بعد ذلك لجلب القلم المختار.

ومع ذلك، يوم أن تم اختيار هيو فوكس، كان دومدانيال قد أصر على أن يذهب بنفسه إلى «الغرفة الهرمسية» لجلب القلم، وعندما خرج بالقلم الأسود الممضوغ الذي يمتلكه هيو فوكس، لم يصدق أحد، ولا هيو فوكس نفسه، وكانت هناك شائعات بأن عملية الاقتراع لم تكن عادلة، ولكن لم يكن هناك دليل على ذلك.

أما حقيقة ما حدث فهي أن دومدانيال أعاد القلم الخاص بجيلي دجين إلى الإناء، وهو كاتب موهوب ومثقف، وأخرج قلم هيو فوكس؛ لأنه يعلم أنه رجل سهل إغراؤه.

وهكذا، أُرشد هيو فوكس إلى المخطوطات السرية، وأحيلت إليه الأختام الرسمية، وتولى في حينه منصب «رئيس كتبة النصوص الهرمسية». لكن دومدانيال أثار اشمئزازه بعد ذلك أن هيو فوكس كانت تواجهه متاعب كبيرة في فك شفرة أسرار كتاب مارشا، لكن هيو تمكن بشكل أو بآخر من أن يعثر على الوصفة السحرية للطيران؛ حيث كانت

مخبأة في غلاف الكتاب في ذات الوقت الذي تحول فيه - دومدانيال إلى كومة من العظام في مستنقعات مرام.

وبعد هلاك دومدانيال، وعودة مارشا إلى برج السحرة مع سبتيموس، هددت «وحدة استعادة النفوذ» هيو فوكس بأنه سيلقى نفس مصير واتكينز إذا لم يوفر منفذًا لسايمون إلى الأنفاق الجليدية. فوافق هيو فوكس. وعندما طالبه سايمون هيب بعد ذلك بالوصفة السحرية للطيران، أعطاها له دون أن ينبس بكلمة، وهو ما يثبت أن دومدانيال كان محقًا.. فهيو فوكس بالفعل شخص سهل إغراؤه.

بارتريدج

كان كُولين بارتريدج يومًا من «الحراس الأمناء»، ولقد تم اصطحابه للتجنيد على غير رغبته مسلوب الإرادة من قرية صغيرة تقع على أطراف «أرض الأغنام». وكان بارتريدج طفلًا حالمًا، وكان يقضي أوقاته في رعاية أغنام أبيه. وفقد بارتريدج أغنامًا عديدة من كثرتها ما عاد والده يفكر فيها، ويئس والده من أن يجعل منه راعي غنم يتقن صنعته؛ ولذلك عندما وعدت فرقة التجنيد بأن «تجعل منه رجلًا»، جعله يحزم أمتعته ويجهز في وقت قياسي، وهو ما أثار فزع والدته التي تحبه لدرجة الجنون.

ولحسن حظ بارتريدج أنه انضم إلى «الحراس الأمناء» في أواخر عهد حكمهم، ولم يمض شهر واحد على التحاقه بهم، حتى كان قد وقّع على

الالتحاق بـ«خطة الفرصة الثانية»، واختطفته «دار المخطوطات». ولقد فرح بارتريدج بهذا العمل فرحًا عظيمًا.

شبحا الأنفاق الجليدية

كان ألدريد وألفريد ستون أخوين. ومثل العديد من البنائين بالأحجار، أُخذا أثناء الكارثة الكبرى إلى أسفل القلعة. ولقد عملا لساعات طويلة شاقة لإصلاح الشرخ الذي أصاب الأنفاق، لكن بلا جدوى. ولقد كانا ضمن الـ39 بنّاء الذين حوصروا بالصقيع المفاجئ ولم يخرجا من حينها إلى ضوء النهار. واستمرا بعد ذلك مع رفقائهما الآخرين، يسيرون في الأنفاق، غير مدركين أنه مر مئات الأعوام منذ أن تجمدوا. وكلا الأخوين لا يزالان يعتقدان أن الحياة تنتظرهما في الخارج، لو أن شخصًا واحدًا فقط تكرم بأن يرشدهما إلى طريق الخروج.

إيليس كراكل

كان تلميذ دومدانيال عندما كان **النكرومانسر** ساحرًا أعظم بالقلعة في المرة الأولى منذ أعوام عديدة مضت. وكان إيليس شابًا كسولًا لا يتسم بالرشاقة ولا يمتلك قدرات **سحرية**، لكن دومدانيال لم يهمه ذلك؛ فقد اختار إيليس لأنه أخو بيتي كراكل. ففي ذلك الوقت، كانت بيتي كراكل حارسة المركب التنينية، وهي ساحرة بيضاء غير منظمة لا تقصد شرًا،

لكنها كانت تترك خلفها أذيالًا من المشاكل، بسبب شرود ذهنها ولأنها غير منظمة بشكل عام. ولقد خلفتها العمة زيلدا في نهاية المطاف، بعد أن ذهبت تتجول في الميناء في ليلة شتاء، وحاصرها الصقيع الكبير.

وكان إيليس كراكل مصابًا بداء النسيان أكثر من بيتي، لكن دومدانيال كان يتكهن بأن هناك احتمال وجود شيء مهم جدًا في كوخ الحارسة؛ شيء يمنعه من السيطرة الكاملة على القلعة، وأراد أن يكتشف ذلك الشيء. ومن ثم، كان تعيين أخي بيتي كراكل وسيلة جيدة للتسلل واكتشاف هذا السر.

لكن لسوء حظ دومدانيال أن بيتي وإيليس نشب بينهما شجار حاد مباشرة، بعد أن أصبح إيليس تلميذًا، فإيليس كان يتفاخر كثيرًا بوظيفته الجديدة، ولأن بيتي كانت تغار بشدة، فقد نفد صبرها. فوضعت **تعويذة** على كوخ الحارسة لإبعاد إيليس، وظلت في مشاحنات دائمة مع أخيها. وبذلك، لم يتمكن دومدانيال قط من اكتشاف وجود المركب التنينية في كوخ الحارسة، ولم يكتشف حتى مكان الكوخ.

وعندما تولت العمة زيلدا عملها في الكوخ بعد بيتي كراكل، أصبح إيليس شخصًا عديم النفع لدى دومدانيال. فعين ألثر ميلا تلميذًا له، وتم **تعليق** إيليس – وهي عملية **شيطانية** طويلة وشريرة تقوم **بإخضاع** الشخص لأن يصبح **ظلًا**، ثم احتفظ دومدانيال بعد ذلك بإيليس لاستخدامات أخرى؛ حيث أثبت أنه كان مفيدًا جدًا عندما كان **ظلًا** لمارشا.

هيلدا جارد

كانت هيلدا جارد تعمل في مجلس «الحراس الأمناء» في قسم الحسابات الذي يقوم معظم الوقت بضبط النفقات الباهظة والبذخ المفرط الذي يقوم به «الأمين الأعلى». كانت مهمة مستحيلة. وفيما بعد، تم نقل هيلدا جارد إلى القوة الخاصة بالمبيعات، والتي كانت تقوم جبرًا على بيع كل كنوز القصر. ونما لدى هيلدا جارد حبها للوحات المصورة والأثاث الذي كانت تضطر لبيعه، لكنها كانت بارعة في المقايضة، وتحصل على أسعار مجزية.

ثم أسعدها كثيرًا بعد ذلك أن ساعدتها «خطة الفرصة الثانية» في قبولها للتدريب كساحرة ثانوية. وهيلدا جارد منزعجة بعض الشيء أن تقضي وقت خدمتها في حراسة أبواب القصر، وعندما تنظر إلى الأماكن الخالية التي كانت تزخر يومًا بالكنوز، تشعر بوخزة تؤنب ضميرها، وهي مُصرة لأن تصبح يومًا ساحرة عادية وتقوم بكل الإصلاحات الممكنة.